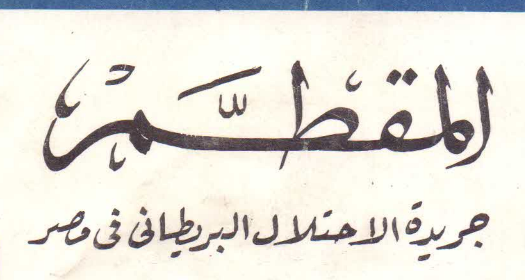
تاريخ المصريين

١٠٢



المقطم

جريدة الاحتلال البريطاني في مصر

د. تيسير أبو عرجة



الهيئة المصرية
العامة للكتاب

قد عرفت جريدة المقطم بأنها جريدة الاحتلال فى مصر، فقد صدرت بايعاز العميد البريطانى فى مصر، الذى أراد باصدارها محاربة الصحافة الوطنية بالصحافة ! وبالتالى فان دراسة هذه الجريدة تعد فى الوقت نفسه دراسة لاتجاهات الاحتلال فى مصر ومن هنا فقد عنى الباحث، وهو الدكتور تيسير أبو عرجة، بالتمهيد لدراسته باستعراض وضع الصحافة المصرية قبل صدور المقطم وعلاقة المقطم بالحركة الوطنية منذ ظهورها فى عام ١٨٨٩ حتى عام ١٩١٢ . وتناول موقف المقطم من أحداث الحرب العالمية الأولى، وأساليبها فى الدعاية للاحتلال البريطانى، وخصص فصلا لموقف المقطم من ثورة ١٩١٩ ، وتتبع موقفها من تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ ، ومن أول وزارة ألفها سعد زغلول وهى وزارة الشعب.

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتا

تاريخ المصريين

تصدر عن

الهيئة المصرية العامة للكتاب



الإخراج الفنى :

مراد نسيم

المقطم

جريدة الاحتلال البريطانى فى مصر

١٨٨٩ ـ ١٩٥٢

د. تيسير أبو عرجة



الهيئة المصرية العامة للكتاب

فرع الصحافة

١٩٩٧

تقـــــديم

يسرنى أن اقدم للقارىء العزيز هذا الكتاب المهم الذى يسجل تاريخ جريدة بارزة من الجرائد التى لعبت دورا كبيرا فى عهد الاحتلال البريطانى لمصر ، وهى جريدة المقطم ، التى اصـــدرها أصحاب مجلة المقتطف : فارس نمر باشا ويعقوب صـــــروف ، وشاهين مكاريوس .

وقد عرفت جريدة المقطم بأنها جريدة الاحتلال فى مصر ، فقد صدرت بايعاز العميد البريطانى فى مصر ، الذى أراد باصدارها محاربة الصحافة الوطنية بالصحافة ! وبالتالى فان دراسة هذه الجريدة تعد فى الوقت نفسه دراسة لاتجاهات الاحتلال فى مصر ومن هنا فقد عنى الباحث ، وهو الدكتور تيســـير ابو عرجة ، بالتمهيد لدراسته باستعراض وضع الصحافة المصرية قبل صدور المقطم وعلاقة المقطم بالحركة الوطنية منذ ظهورها فى عام ١٨٨٩ حتى عام ١٩١٢ . وتناول موقف المقطم من احداث الحرب العالمية الأولى ، وأساليبها فى الدعاية للاحتلال البريطانى ، وخصص فصلا لموقف المقطم من ثورة ١٩١٩ ، وتتبع موقفها من تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ ، ومن أول وزارة الفها سعد زغلول وهى وزارة الشعب .

وتعقب موقف المقطم من الأزمات الدستورية فى الفترة من ١٩٢٤ الى ١٩٣٦ . ثم تعرض لموقف الجريدة من معاهدة ١٩٣٦ ، ومن الصراع الذى تلا ذلك بين الوفد والقصر ، وتناول سياسة المقطم أثناء الحرب العالمية الثانية ، وتتبع مواقفها من القضية الوطنية التى انفجرت فى أعقاب الحرب ، ومراحل المفاوضات مع بريطانيا ثم التحكيم الدولى ، وافرد فصلا لموقف المقطم من القضية الفلسطينية ، وعلاقة المقطم بحكومة الوفد الأخيرة ، واختتم دراسته بموقف المقطم من ثورة يوليو ١٩٥٢ .

والكتاب بذلك يعد عملا موسوعيا بكل المعايير يستحق أن يحتل مكانا مرموقا فى المكتبة العربية وفى تاريخ الصحافة المصرية، وأملى أن يستمتع به القارىء المتخصص والقارىء المثقف .

رئيس التحرير

د . عبد العظيم رمضان

القسم الأول

تمهيد

الصحافة المصرية والاحتلال البريطانى
قبل صدور (المقطم)

فى الرابع عشر من شهر سبتمبر عام ١٨٨٢ خضعت مصر للاحتلال البريطانى ، اثر فشل الثورة العرابية وهزيمة الجيش المصرى أمام الجيش البريطانى الفازى . وقد جاء الاحتلال بعد « صراع استعمارى سياسى ثنائى بين فرنسا وبريطانيا ، كاد يقترب من حكم ثنائى خفى الى أن اختزلته بريطانيا بالاستعمار المسلح »(١) .

وقد قام الاحتلال البريطانى «على اساس تأييد الخديوى توفيق وتامين مصالح اصحاب الديون الاجانب . وقد وضع المسئولون البريطانيون برنامجا ظاهره العمل لتحقيق هذين الفرضين ، بينما الغاية الحقيقية منه وضع البلاد تحت سيطرة بريطانيا دون حاجة الى تغيير الأوضاع القانونية السائدة »(٢) .

وكان من الاجراءات الاولى التى أقدم عليها الاحتلال « تعطيل الصحف الوطنية الموالية للعرابيين عن الظهور . وصدر امر ناظر الداخلية فى ٢٣ سبتمبر ١٨٨٢ بالغاء جريدتى الزمان والسفير . كذلك توقفت صحف عبد الله النديم بعد ان اصبح طريدا يجد فى القبض عليه رجال الاحتلال والأمن في مصر . كذلك قبض على حسن الشمسى صاحب جرائد المفيد السفير والنجاح الثورية »(٣) .

ولكن هذه الضربات التى تعرضت لها الصحف الوطنية ، لم تحم السياسة البريطانية من الهجوم عليها وانتقادها . فقد تولت الصحف الفرنسية فى مصر هذه المهمة وخاصة صحيفة (لوبسفور اجيبسيان) التى « عادت الى الميدان بعد استقرار جيش الاحتلال لتعبر أصدق التعبير عن الروح الجديدة للسياسة الفرنسية حيال المسالة المصرية » ، وكان لها دورها « فى بث الحمية فى النفوس بعد ما اصابها من يأس وقنوط ، كما كان لها فضل ارساء الحجر الأول فى بعث الروح الوطنية فى المصريين وتشجيعهم والاخذ بناصرهم والذود عن مبادئهم »(٤) .

ومنذ عام ١٨٨٤ ، اشتدت معارك الصحافة ضد الاحتلال ، فالى جانب الصحف الفرنسية ، بدأت (الأهرام) عهدا جديدا فى سياستها ، فبعد موقفها المعروف من احمد عرابى وهجومها عليه ، أخذت تحمل على الاحتلال ، وتوجه اليه الانتقادات اللاذعة ، وخصوصا بعد انهيار الحكم المصرى فى السودان ، فقد « نعت على من وافق على اخلائه اشد النعى ونشرت أحاديث أمراء الألوية بالجيش مبينة من هذه الأحاديث أخطاء الحكومة واهمالها فى الحرب ثم تذكر المحاربين المصريين الذين ضحوا بأرواحهم — تخليدا لذكر مصرنا العزيزة — وبذلك تولت الأهرام التنفيس عن المصريين وكانت حوادث السودان من مواقفها المشرفة »(٥) .

والى جانب (الأهرام) ، كانت (العروة الوثقى) تقاوم الاحتلال فى خارج الحدود المصرية ، حيث أصدرها فى باريس الامام محمد عبده والسيد جمال الدين الأفغانى فى سنة ١٨٨٤ . وقد قاومت الاحتلال « مقاومة جمعت بين قوة الروح وبلاغة العبارة والسخط على السياسة الاستعمارية البريطانية ، وبث روح الأمل

والجهاد فى النفوس ، ودعوة الأمم الشرقية الى مناهضة الاستعمار »(٦) .

وفى باريس ايضا كان (يعقوب صنوع) يصدر صحيفة (ابو نضارة) وكان «يتحايل على ادخالها بتغيير اسمها حتى بلغت اسماؤها أكثر من عشرة »(٧) ، وذلك بسبب سياسة البطش والارهاب ضد الصحافة الوطنية ، التى اتبعها الاحتلال واستخدم لتنفيذها (نوبار باشا) رئيس الحكومة المصرية ، الذى تسلم رئاسة النظارة بتوصية من (كرومر) ، وذلك « خلفا لشريف باشا الذى رفض اخلاء السودان »(٨) .

فنوبار الذى مارس الارهاب الصحفى ، وقف حائلا دون ادخال صحف (ابو نضارة) ، وأصدرت حكومته قرارا « بمنع جريدة العروة الوثقى من الدخول الى مصر ، حفظا للنظام العمومى »(٩) . وكانت مدد توليه الحكم فترات نكبات ومحن بالنسبة للصحافة ، وكان الانجليز من وراء الستار يدفعونه الى اضطهاد الصحف واصحابها لاقل الأسباب . ولذلك رأيناه ينزل بالصحف صنوف البلاء وانواع التنكيل مثل الانذارات والغرامات والتعطيل والاغلاق . ولكن الصحافة ظلت تصبر وتصابر على هذا البلاء وزادت فى نقدها واشتدت فى حملاتها(١٠) .

ان هذا الارهاب الذى تعرضت له الصحافة يتناقض تماما مع ما أورده كرومر فى تقريره عن سنة ١٩٠٣ ، الذى تناول فيه مسالة الصحافة لأول مرة ، وهو يتحدث عن الحرية المزعومة ورحلة السلام والأمان التى قطعتها الصحافة منذ بداية الاحتلال . فقد بين أن هناك « اعتراضين على تقييد حرية الصحافة . الأول أن وجود حامية انجليزية فى القطر يضمن أن الكتابات المهيجة لا تفضى الى الاخلال بالأمن اخلالا عظيما . والثانى ان من العبث سن قانون

خصوصى للجرائد الوطنية ما لم يتمش ذلك القانون على الجرائد الأوروبية ايضا لأن كل صاحب جريدة وطنية يخشى طائلة القانون ينقل حقوقه وامتيازه الى رجل اوروبى فعلا أو اسما . ثم ان الدول الأوروبية والحكومة الانجليزية فى مقدمتها على الأرجح تعترض على كل قانون يقصد به تقييد حرية الصحافة »(١١) .

والحق أن اللورد كرومر اخفى عن حكومته ما أصاب الصحافة المصرية على يديه وايدى أعوانه من الانجليز الذين اختفوا وراء نوبار باشا بالذات(١٢) . وينقض تاريخ (الأهرام) أيضا ما ذهب اليه كرومر ، فقد « كانت صحيفة الأهرام مثلها كمثل الصحف الأخرى فى مهاجمة الاحتلال البريطانى واعوانه وزاد نشاطها على الحد الذى يحتمله الانجليز وترتضيه الحكومة فصدر أمر تعطيلها شهرا »(١٣) فالحكومة المصرية قد عاملت الصحف معاملة فيها من القسوة ما ينقض اقوال العميد البريطانى ، والحكومة المصرية هنا تمثل الرغبات الانجليزية ولا تجيز شيئا لا يرضاه الانجليز(١٤) .

ولكن الميزة الظاهرة للاستعمار البريطانى انه يصطنع الحلم ويطيل الصبر على حملات النقد ضده . فهو لا يضيق بالمقالات الحادة فى الصحف مادام يحس بأن الحركة الوطنية اضعف من أن تنتزع له من الأرض جذرا او تسيل له دما . بل انه يسره أن توجه حيث يحكم حملات نقد وصحف تحتج وتشكو لأن ذلك ينفس عن الأبخرة المحبوسة فى الصدور ويسمح له بأن ينسب الى نفسه بذر بذور الديمقراطية وحرية الراى وتعويد الناس على المشاركة فى شئون الحكم(١٥) .

فهذه الحرية المزعومة ، لم تكن الا للتنفيس عن المصريين ، ولاقامة سياج يحمى الصحافة الموالية للاحتلال ، لاسيما ان هذه

الصـــحافة قادرة على أن توجه حمـــلاتها وهجماتها حيث يشـــاء الاحتلال وضد كافة الخصوم . فقد اهتم رجال الاحتلال باصدار صحف يحاربون بها الصحف المناوئة لهم ، وعملوا على دعمها ماديا وادبيا . ومن ذلك كانت صحيفة (الأعلام) التى اصدرها (محمد بيرم الخامس التونسى) فى يناير ١٨٨٥ ، وذلك « للتقبيح بسياسة الحكومة الفرنسية فى تونس » والعمل على « محاسنة الانجليز وخدمة مصالحهم فى وادى النيل »(١٦) .

وسعى المحتلون ايضا الى اجتذاب عدد من الصحف نحوهم، ومنها : مرآة الشرق والاتحاد المصرى والبرهان والزمان التى عاودت صدورها بعد ان عطلها الاحتلال لفترة من الزمن . ولكن هذه الصحف لم تكن بالقوة والتأثير الذى يتفق وحجم الأحداث السياسية التى رافقت الاحتلال ، واعماله ومعاركه المنتظرة ضد الحركة الوطنية . ولم تكن هذه الصحف احتلالية خالصة ضالعة مع الاحتلال وفق ما يرتئيه رجاله وعميده ، فى الوقت الذى اتخذته فيه (الأهرام) موقفا صلبا ضد الاحتلال ، فى الوقت الذى كان فية الاحتلال بامس الحاجة الى تثبيت اقدامه فى مصر فى مواجهة السياسة الفرنسية والتركية .

من هنا كان اهتمام المحتلين بايجاد صحيفة تنطق بلسانهم ، وتعادل (الأهرام) فى قوتها وتاثيرها ، وتقف فى مواجهتها . فقد « تعجب رجال الاحتلال انفسهم من تقلب الأهرام ، واذهلهم رجوعها الى صفوف الوطنيين ، فعملوا على اصدار جريدة المقطم ليحاربوا بها الأهرام »(١٧) .

هوامش التمهيد

(١) جمال حمدان ، شخصية مصر : دراسة فى عبقرية المكان ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٠ ، ص ١٨١

(٢) محمد انيس وسيد رجب حراز ، التطور السياسى للمجتمع المصرى الحديث دار النهضة العربية ، القاهرة ، د.ت ، ص ١١ .

(٣) سامى عزيز ، الصحافة المصرية وموقفها من الاحتلال الانجليزى ، دار الكاتب العربى ، القاهرة ، ١٩٦٨ ، ص ٦٨ ، ٦٩ .

(٤) محمود نجيب أبو الليل ، الاحتلال البريطانى والصحف الفرنسية ، القاهرة، ١٩٥٣ ، ص ١٣ .

(٥) ابراهيم عبده ، تطور الصحافة المصرية ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ١٩٥١، ص ١٣٨ ، ١٣٩ .

(٦) عبد الرحمن الرافعى ، مصر والسودان فى أوائل عهد الاحتلال ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٦ ، ص ٢١٤ .

(٧) ابراهيم عبده ، جريدة الأهرام تاريخ وفن ، مؤسسة سجل العرب ، القاهرة ، ١٩٦٤ ، ص ٢٣٧ .

(٨) مؤسسة الأهرام ، ٥٠ عاما على ثورة ١٩١٩ ، القاهرة ، ١٩٦٩ ، ص ٢٩ .

(٩) ابراهيم عبده ، جريدة الأهرام ، ص ٢٣٧ .

(١٠) محمود نجيب أبو الليل ، الاحتلال البريطانى والصحف الفرنسية ، ص ٦٧ .

(١١) كرومر ، تقرير عن المالية والادارة والحالة العمومية فى مصر والسودان سنة ١٩٠٤ ترجم وطبع بادارة المقطم — ص ٤٩ .

(١٢) ابراهيم عبده ، جريدة الاهرام ، ص ٢٣٧ .

(١٣) محمود نجيب ابو الليل ، الاحتلال البريطانى والصحف الفرنسية ، ص ٦٧ ، ٦٨ .

(١٤) ابراهيم عبده ، تطور الصحافة المصرية ، ص ١٣٦ .

(١٥) فتحى رضوان ، مصطفى كامل ، دار المعارف ، سلسلة اقرأ ، القاهرة ، ١٩٧٥ ، ص ٢١٦ .

(١٦) سامى عزيز ، الصحافة المصرية وموقفها من الاحتلال الانجليزى ، ص ٩٤ .

(١٧) عبد اللطيف حمزة ، ادب المقالة الصحفية ج ١ ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٩٥٠ ، ص ٣٢ .

الفصل الأول

اصدار جريدة المقطم

صـــدور المقطـــم :

صدر العدد الاول من جريدة المقطم فى الرابع عشر من فبراير سنة ١٨٨٩ م « جريدة يومية سياسية تجارية أدبية »(١) . وقد أصدرها أصحاب مجلة المقتطف : فارس نمر ويعقوب صــروف وشاهين مكاريوس ، الذين قدموا طلبا لادارة المطبوعات فى ١٨ أبريل عام ١٨٨٨ لاصدارها « جريدة سياسية تجارية غرضها خدمة الوطن واسمها المقطم ويكون صدورها يوميا »(٢) .

وتوضح المقطم هويتها للقراء فى افتتاحية عددها الاول قائلة انها « الجريدة السياسية التجارية التى حظيت عند الجمهور قبل أن تظهر فى عالم الوجود ، فطار خبرها فى الآفاق قبل أن نعد القوم باصدارها ، وتحدث بأمرها الأقارب والأباعد على اختلاف المشارب والشئون قبل أن نستكمل صورتها أو نرد مصدرا لأخبارها . فجاء ما نالته من الحظوة مخالفا لما قدرناه لها موافقا لأقوال الجم الغفير من الأفاضل الذين كانوا يزينون لنا نهج هذا المنهج ويحضوننا على تولى هذا العمل »(٣) .

ويقول فارس نمر ان عملية اصدار المقطم جاءت ثمرة للبحث عن ايجاد الوسائل الكفيلة بادارة حركة مطبعة المقتطف « لنستعين

به على سد نفقاته ونفقاتنا » ، ذلك لأن اصدار (اللطائف) الأدبية التى تولى الاشراف عليها شـاهين مكاريوس لم يأت « بالفائدة المرومة » وهنا « خطر لبعضنا أن نصدر جريدة أسبوعية تنشـر الأخبار المحلية ومقتطفات سياسية عمومية ، فعارضت فى ذلك كراهة الاشتغال بغير العلم وتخوفنا من عواقب الدخول فى مآزق السياسة ، حتى اشتدت الحاجة الى تدبير عمل كاف للمطبعة . وجعلنا نفكر اما فى اصـدار جريدة أسبوعية واما المهاجرة الى الولايات المتحدة الأمريكية ، كما كان قد خطر لنا قبل الهجرة الى الديار المصرية . ولكن تغلب رأى شـريكى على رأيى ، وأزمعنا اصدار جريدة اخبارية اسـبوعية تكفى مع المقتطف لادارة حركة المطبعة وتثمير رأس المال الذى أنفق عليها . وبينما نحن نسـتعد لذلك ، شاء القدر ان يتصدى من استخف بعزة نفسنا واستفزنا الى استبدال الجريدة الأسبوعية بجريدة يومية رغما عنا »(٤) .

أما عن تسميتها بالمقطم فان محرريها يشرحون ذلك بقولهم :

« اقترح علينا هذه التسمية صديق فاضل من رجال العلم وأهل الذوق ، فعملنا باقتراحه لتمام مناسـبته ، لأنه جرت العادة عند كثيرين من أرباب الجرائد فى المشرق أن يسـموا جرائدهم بمسـمى مشهور فى البلاد التى هم فيها . فاخترنا اسم جبل المقطم ، لأنه لم يسبق الى التسمية به ، حال كونه أعظم ما فى بلاد مصر شأنا واقدمها زمانا . وجد قبل ان توجد ذرة من وادى النيل ، وقطعت من الصخور المعاصرة لصخوره أحجار الأهرام ، وبنيت من مقالعه بيوت القاهرة ، ولولا ما امتد منه شمالا وجنوبا مستعرضا شـرقى القاهرة بين عدوة النيل والصـحراء ، لكانت بلاد مصر بلقعا صفصفا بل لم يكن لهذا القطر السعيد عين ولا اثر . فأحر بما كانت القاهرة ابنته والأهرام أبناء أخيه ووادى النيـل

بأسره مستذريا به ، أن تسمى به جرائد القطر ، وتجرى فى ظله جياد اقلام الأدباء . فباسم هذا الجبل المبارك سمينا جريدتنا تفاؤلا بأن تكون مثله ثابتة الأركان سامية المبادىء فاصلة بين الحق والباطل فاصلة بين الخصب والجدب ترتاح اليها نفوس الفضلاء ارتياح المستذرين بظله من هجير الصحراء »(٥) .

وقد صدرت الأعداد الثلاثة الأولى فى فترات متباعدة ، ولكن بعد ذلك أصبح صدورها يوميا .

ويعتبر اصدار المقطم الحلقة الثالثة من حلقات احكام الحصار حول الراى العام فى مصر ، اذ كان اصحابه الثلاثة يصـــدرون مجلة المقتطف العلمية فى مصر منذ ١٨٨٥ ، ثم أصدر أحدهم وهو شاهين مكاريوس مجلة اللطائف الأدبية الاتجاه عام ١٨٨٦ ، ثم صدر المقطم الذى اختص بالنواحى السياسية(٦) . ذلك أن رجال الاحتلال لم يكتفوا « بالصحف التى كانت تدعو اليهم والى سياستهم بل ساعدوا اصحاب المقتطف — صروف ونمر ومكاريوس — على أن يصدروا لهم صحيفة يومية سياسية تأخذ بناصرهم »(٧) .

ويرى الدكتور محمد حسين هيكل ان الانجليز كانوا يعتقدون أن الحركة الوطنية آتية لا محالة ، فشجعوا على انشـــاء جريدة المقطم عقب الاحتلال للدفاع عن سياستهم(٨) . أما الدكتور ابراهيم عبده فيرى أن العميد الانجليزى اراد بايعازه بانشاء المقطم أن يحارب الصحافة بالصحافة . وان تقوم هذه الصحيفة بمنافســة الأهرام ومعارضتها ، وحماية المصـــالح البريطانية مثل ما كانت الأهرام تؤيد المصالح الفرنسية(٩) .

وقد نشأ أصحاب المقطم « فى أعظم مدرسة غربية أسست فى الشرق وهى الكلية الأمريكية الكائنة ببيروت وأخذوا علومهم

من أعلام حكيم غربى قطن الشرق وهو الدكتور فانديك ، فعرفوا التمدن العصرى وبرعوا فى العلوم الجديدة واشـــربوا الحرية ، فشبوا عليها كأنهم ولدوا فى اوطانها »(١٠) .

وقد احتفلت المدرسة الكلية السورية بمنح درجة دكتور في الفلسفة لفارس نمر ويعقوب صروف ، وذلك من مدرسة نيويورك الجامعة ، وهذا اللقب يمنح « لخدمة العلم الشريف الذين ثابروا على الاشتغال بالمعارف واحرزوا فيها المراتب العالية »(١١) .

وكان أصحاب المقطم قد نالوا شهرة في عالم الكتابة والتاليف الأدبى والعلمي بواسطة المقتطف ، تلك « المجلة العلمية الشهيرة » التى « أنشأها صروف بالاشتراك مع رصيفه فارس نمر ســـنة ١٨٧٦ وهما فى المدرسة الكلية السورية . وظلا يجررانها معـــا الى أن صدر المقطم سنة ١٨٨٩ ، فانقطع الدكتور نمر لانشـــاء المقطم والدكتور صروف لانشاء المقتطف . ولما انتقلا بالمقتطف الى القطر المصرى سنة ١٨٨٥ ، كانت شهرتهما العامية قد سبقتهما اليه فرحب بهما عظماء مصر وعلماؤها »(١٢) .

ويقول أحمد شفيق ان فارس نمر ويعقوب صروف وفدا الى مصر في فبراير ١٨٨٥ ، وهما « من خيرة متخرجى الجـــامعة الأمريكية ببيروت ، وكانا يصدران مجلة المقتطف المزينة بالصور التى ذاع صيتها ليس فقط في بيروت بل فى العالم الشرقى خصوصا فى مصر » . وكانت هذه المجلة « فريدة فى بابها لما كانت تحويه من الموضوعات العلمية والادبية والصناعية » . وكانت « رسائل التشجيع ترد عليهما من كبار المصريين » مثل شريف باشا ورياض باشا « وقد صدر اول عدد منها بمصر فى يوم ١٠ مارس ١٨٨٥ وهو الجزء السادس من العام التاسع للمجلة »(١٣) .

وكانت المقتطف تثبت على غلافها انها « جريدة علمية صناعية ، تصدر اول كل شهر ، لمنشئيها يعقوب صروف وفارس نمر ، قيمة الاشتراك ليرة انجليزية فى السنة »(١٤) . والمقتطف فى نظر شقيقتها المقطم مسرح « لفرسان العلوم تتسابق فى ميادين الاكتشاف والاختراع وتتبارى في نوادي المعقول والمنقول بين باحث عن الحقائق العلمية والنواميس الطبيعية لانارة الأذهان وتوسيع الافهام ومستخدم هذه المباحث لراحة الانسان وتخفيف الآلام والأسقام »(١٩) . وهي « اول جريدة وطنية اذاعت فضائل الشرقيين وبرهنت على جودة فطرتهم وسمو آدابهم . وهى اول جريدة وطنية تحرت جميع الأدلة والشواهد على ذكاء عقول المشارقة واستعدادهم لارتقاء اعلى مراقى الفلاح »(١٦) .

اصحاب المقطم والسوريون فى مصر :

ولكى تتضح حقيقة الظروف التى احاطت بأصحاب المقطم ، يجدر بنا الاشارة الى الأوضاع التى عاشها السوريون فى مصر ، والذين بداوا يحتلون الوضع الذى صار لهم فى مصر ، عندما اتجه اسماعيل باشا الى صبغ الإدارة المصرية بالصبغة الأوروبية . فقد اخذ الطلب يزداد على المواطنين الذين يعرفون اللغتين العربية والفرنسية ويستطيعون استيعاب طرق الإدارة الأوروبية والتعامل معها في مصر . ولما عجز عدد المصريين المثقفين ثقافة اوروبية عن القيام بهذه المهمة ، استعان بالسوريين الذين سرعان ما نجحوا فى تسلم المناصب الكبرى لما تميزوا به من طموح ومقدرة على التلاؤم مع المجتمعات التى هى خليط من كل الأجناس(١٧) ، وكانوا نظرا لتعليمهم الاوروبى ، وافادتهم من الثقافة الغربية يشكلون وايسطة بين الاوروبيين والشرقيين . وكانت اهم الصحف العربية في مصر في ايديهم وخصوصا اهرام تقلا ومقطم نمر(١٨) .

فقد كان من نتائج سياسة السلطان عبد الحميد فى اضطهاد الأحرار فى بلاد السلطنة أن أخذت ادارة المعارف فى الآستانة تنشىء القوانين الصارمة لتقييد حرية المطبوعات فى بلاد الشام . وكان من اثر ذلك ان انتقل الكثير من صحفيى الشام الى مصر ، وعلى راس هؤلاء جاء أصحاب المقتطف الذين لقوا من عظماء المصريين ترحيبا بهم(١٩) .

وقد ساهم السوريون بالنهضة الصحفية والثقافية فى مصر « والحق يقال ان اكبر مجلات القطر المصرى كالمقتطف واعظم جرائده كالأهرام كان يحررها السوريون »(٢٠) .

وتنشر المقطم مقالة بعنوان (نهضة الأدب) ، يتحدث فيها كاتبها عن مآثر السوريين ودورهم فى الحياة الثقافية فى مصر قائلا انه « لو لم يكن للسوريين فى مصر غير المقتطف لكفى به فخرا لهم ودليلا على قصدهم افادة من عاشوا بين ظهرانيهم واصطفوهم اخوة واخوانا » وان مصر « مدينة بحياتها الفكرية وبنهضتها الأوربية الى الصحافة ، وهذه ولا مرية مدينة الى السوريين بقسط عظيم من حياتها واسباب وجودها »(٢١) ويتساءل كاتب آخر « وهل ينكر المصريون على طبقة الكتاب والعلماء من السوريين فضلهم فى خدمة اللغة العربية وفضلهم فى حث المصريين على العمل فى الكتابة والانشاء مع ان لهم اليد الطولى فى الجرائد المتداولة بين أيدينا بل الكتب التى نقرؤها فى اهم الموضوعات ؟ »(٢٢) .

وكانت المقطم تركز فى تعليقاتها على هذه المسالة نتيجة لما حدث من منافسة بين المصريين والسوريين على صعيد الأعمال والوظائف . وقد « جاء الاحتلال البريطانى فلم يعدل من الموقف فى شىء ، بل حاول أن يستغل المنافسة بين المثقفين المصريين

والعناصر الشامية التى كانت تحتل مناصب البيروقراطية فى مصر . فنشبت معركة بين الطرفين غذاها الاحتلال فى خبث »(٢٣) . وكانت « الصحف هى ميدان الصراع بين الفئتين »(٢٤) .

وعندما أصدر (رياض باشا) رئيس النظار قرارا فى عام ١٨٩٠ بوقف توظيف أهالى الشام فى المصالح الحكومية ، تدخل اللورد كرومر ووقف فى وجه قرار رئيس الحكومة المصرية لمنع تنفيذ القرار « مادام هناك جندى بريطانى واحد فى شوارع القاهرة »(٢٥) .

وتخاطب (المقطم) رياض باشا مدافعة عن السوريين بقولها انهم « جميعا من اكبر موظف فى خدمة الحكومة الى اصغر محترف منهم فى مدن القطر ، متآلفون كلهم لسانا واحدا وقلبا واحدا ونفسا واحدة ونية واحدة ، مجتمعون تحت لواء الاخلاص يقولون لا دولة لنا الا دولة آل عثمان ولا أمير لنا الا توفيق العصر وسيد مصر صاحب المنة والاحسان ، ولا مدبر لنا ولاحبائنا المصريين فى هذه القطر المبارك الا همتك واقتدارك »(٢٦) . وفى عدد آخر تقول المقطم « واكره شىء على السوريين أن يقع الجفاء بينهم وبين قوم نزلوا بلادهم واستوطنوا وطنهم وتخلقوا بأخلاقهم واختاروهم على أهل بلادهم ، واحب الأمور اليهم أن يكونوا مع المصريين على أتم الوفاق وأصدق الولاء »(٢٧) .

وترى (المؤيد) أن المقطم هى السبب فى احداث النفرة والجفاء بين السوريين والمصريين(٢٨) .

وكانت المقطم تطالب الحكومة المصرية بصفة دائمة ، بمنح السوريين الذين يعيشون فى مصر ، الجنسية المصرية لأنهم يحبون

أن تكون « الأمة المصرية اعظم أمة عزيزة شرقية » ، وذلك لأن إعطاءهم الجنسية « يفرض لهم من الحقوق قدر ما يفرض عليهم من الواجبات » ، وأن « احراز الأمة المصرية الفوائد الجليلة الكثيرة من تجنس السوريين بجنسيتها هى الحقيقة التى يعترف بها جمهور العقلاء فى هذا القطر »(٢٩) .

اصحاب المقطم الثلاثة نمر وصروف ومكاريوس

فارس نمـــــر :

ولد فارس فى بلدة (حاصبيا) بلبنان فى ٦ يناير ١٨٥٦ . وقد قتل والده فى أحداث ١٨٦٠ الدامية . وفى أواخر سنة ١٨٦٣ انتقلت به والدته الى القدس والحقته بالمدرسة الانجليزية التى مكث فيها خمس ســـنوات تعلم خلالها الإنجليزية والالمانية والتاريخ والحساب وعلم تقويم البلدان . ثم عادت به الى بيروت فى أواخر سنة ١٨٦٨ فالحقته بمدرسة (عبية) .ولكنه لم يتم فيها الا اربعة أشهر عاد بعدها الى قريته . ثم عاد بعد سنة الى بيروت ، فعمل فى محل تجارى لمدة قصيرة ثم تركه والتحق بالكلية السورية . وفى سنة ١٨٧٤ نال شهادة البكالوريوس . وكان على رأس الناجحين فيها فاختاره العلامة (الدكتور فانديك) ليكون معاونا له فى المرصد الفلكى فى بيروت ومعلما لعلم الجبر فى المدرسة الكلية وكان يعلم أيضا اللغة الانجليزية فى مدرسة البطريركية للروم الكاثوليك . وفى عام ١٨٧٥ ترجم كتاب « الظـــواهر الجـــوية » من تأليف لويس الأمريكى . وفى عام ١٨٧٦ أنشأ بالاشــــتراك مع زميله الدكتور يعقوب صروف مجلة المقتطف . ثم عين مدرسا للآداب اللاتينية فى المدرسة الكلية . وفى عام ١٨٨٢ أنشأ بالاشــتراك مع الدكتور فانديك والدكتور صروف والدكتور بشـــارة زلزل وجرجى زيدان

وغيرهم من أقطاب العلم (المجمع العلمى الشرقى) فى بيروت .
وفى عام ١٨٨٣ عين مديرا للمرصد الفلكي بدلا من الدكتور فانديك .
وظل يباشر عمله الى أن ترك المدرسة الكلية وقدم الى الديار
المصرية ، ولم تمض سنتان على وجوده فى القاهرة حتى أنشأ
فيها بمساعدة بعض أصدقائه من العلماء (جمعية الاعتدال) وذلك
فى عام ١٨٨٧ . ثم انتخب عضوا فى مجمع بريطانيا الفلسفى عام
١٨٨٩ م(٣٠) .

وقد أشاد الخديو (عباس حلمى الثانى) وهو يتحدث عن
« أولئك الذين وهبوا أنفسهم فى عهده للنهضة الوطنية » أشاد
« بالدكتور نمر محرر المقطم » وبتلك المجلات الشهرية بما تنشره
من « بحوث متعمقة ودراسات ناضجة وفى طليعتها المقتطف
للدكتور نمر والدكتور صروف »(٣١) . ويقول أحمد لطفى السيد
فى مذكراته انه انتخب مع الدكتور فارس نمر وكيلين لنقابة الصحافة
المصرية التى أنشئت عام ١٩١٢ « والتى لم تعمر طويلا بسبب
الحرب العالمية الأولى »(٣٢) .

وفى مقابلة لمجلة (المجلات الانجليزية) مع فارس نمر . قال
محرر المجلة ان « الدكتور المشار اليه كان أولا استاذا فى الكلية
الامريكية ببيروت ، ولكنه مال الى مصر منذ عشرين سنة لأن
الاحتلال الانجليزى نشر عليها لواء الحرية . ولما كان رجلا واسع
العقل متوقد الذهن يهتم بأمور الجمهور سررت بسنوح هذه الفرصة
لمقابلته »(٣٣) . ويرى (مارلو) أن كرومر كان يعتمد على سكرتيره
الشرقى للاتصال بالرأى العام المحلى غير الرسمى فى مصر ،
وهو (هارى بويل) الذى كان واقعا تحت تأثير فارس نمر صاحب
ومحرر جريدة المقطم(٣٤) ، الذى كان يعتبر من أخلص الأصدقاء
والمستشارين الثقات للورد كرومر(٣٥) .

وكان فارس نمر « صديقا حميما للخديو عباس وكان رسوله الى السير ادوارد جراى وزير خارجية بريطانيا عندما تحرجت علاقات الخديوى مع الحكومة البريطانية ، وكان صديقا للخديوى توفيق وللسلطان حسين وللملك فؤاد وللأمير محمد على . وكان مستشارا غير رسمى ووسيطا غير رسمى »(٣٦) . وفى اثناء زيارته للندن فى عام ١٨٩١ أجرت جريدة (الفلوب) الانجليزية حديثا مع فارس نمر قال فيه :

« ان الجانب الاعظم من المصريين ــ اذا لم نقل كلهم ــ راض بنتائج الاعمال التى تمت فى مصر منذ الاحتلال الانجليزى ، فان الجناب الخديوى والحكومة المصرية انجزا بمساعدة الانجليز كثيرا من الاصلاح الحقيقى » . ودعا فارس نمر رجال الاحتلال فى مصر « أن يجتهدوا فى درس أخلاق المصريين وعوائدهم والتدقيق فى معرفتها اكثر مما يعرفونها الآن ويجارونهم على مقتضاها . ولاريب فى أن بعضا من رجالكم محبوبون كثيرا الآن فى مصر . ويقينى أنه متى عرف الانجليز والمصريون بعضهم بعضا حق المعرفة وفهم كل فريق حقيقة الفريق الآخر يكتسب الانجليز حب المصريين كما إكتسبوا ثقتهم »(٣٧) .

وتعقب (اللواء) على زيارة فارس نمر للندن وتصريحاته فيها عام ١٩٠٦ بأنه « يستحيل عليه أن يقضى فسحة الصيف فى انجلترا بغير أن يوغر صدور الانجليز على المصريين ويسعى بالنميمة ضدهم . ولم يكف ذلك النمر المقطمى السعاية فى السر ضد المصريين بل عززها نكاية بهم فى العلن . ومن ذلك انه قال لمحرر احدى الصحف الانجليزية ان المصريين لم يروا انفسهم قط بمأمن من سوء استعمال السلطة كما يرون أنفسهم الآن »(٣٨) .

ويعترف فارس نمر بالسياسة (الاحتلالية) التى انتهجها فى تحرير جريدة المقطم بقوله : « نعم انهم لقبونى بشيخ الاحتلاليين بين الصحافيين كما لقبوا من هم أعظم منى بشيوخ الاحتلاليين بين الموظفين والوطنيين . وعيرونى كما عيروهم بالانتصار للمحتلين . فان كانوا يقصدون بتلقيبى وتعييرى انى اعترفت للاحتلال بالاصلاح وللمحتلين بأعمال حسنة كثيرة فى هذا القطر فأنا على رؤوس الأشهاد احتلالى من أكبر الاحتلاليين لأنى جاهرت وشهدت ولم اخف ولم انكر أن المحتلين اصلحوا فى هذا القطر اصلاحا عظيما وانهم نشروا عليه الوية العدل والحرية وأنهم قووه ماديا وادبيا فى أمور كثيرة »(٣٩) .

ويصف عمله فى (المقطم) بأنه كان مثار متاعب جسيمة له بسبب الاشتغال بالسياسة « التى كثيرا ما غادرتنى اقضى الليالى وانا أتقلب على فراش الهموم والغموم من تعاقب الاضطهاد تلو الاضطهاد بسبب الدسائس التى تحاك لنا فى الظلام ، وقد بلغ منى انى كنت اتلقى اخبار الحكم على بالاعدام من الناقمين على بسبب سياسة المقطم وانا صامت حتى ألفت الصبر على المكائد ولم أعد أعبأ بتلك الأحكام بعدما تكررت على ثلاثا بالاعدام »(٤٠) .

يعقـــوب صـــروف :

ولد يعقوب صروف فى قرية (الحدث) بلبنان فى ١٨ يولية سنة ١٨٥٢ . وتلقى العلوم العالية فى المدرسة الكلية السورية فى بيروت . وأقام سنتين فى صيدا يدرس اللغة العربية للمرسلين الأمريكيين . وراس المدرسة العالية التى انشأها المرسلون الأمريكيون فى طرابلس الشام لمدة سنة واحدة ، اختارته الكلية السورية بعدها لتدريس العلوم الرياضية والفلسفة الطبيعية ..

ثم قام بتدريس الكيمياء الوصفية والتحليلية . والف وهو فى المدرسة الكلية كتابا فى الكيمياء . وترجم كثيرا من الكتب الادبية ككتاب (سر النجاح) و (الحرب المقدسة) و (الحكمة الالهية) . وترجم بالاشتراك مع زميله الدكتور نمر كتابي (سير الأبطال والعظماء) و (مشاهير العلماء) ووضعا هذه التراجم فى اللغات العربية والانجليزية والفرنسية . ولكن العمل الكبير الذى وقف له العمر هو مجلة المقتطف التى تفرغ لتحريرها . وقد تولى الدكتور صروف رئاسة (جمعية شمس البر) بضع سنوات ، ثم راس (المجمع العلمى الشرقى) ، وهو الذى وضع قانونه وله اليد الطولى فى تأسيسه . وزار عواصم اوروبا سنة ١٨٩٣ . وقد انتدبته لجنة مجمع المعرض الأمريكى العام مع زميله الدكتور نمر للكتابة عن احوال القطر المصرى ومستقبله فانشأ فى ذلك رسالة مسهبة باللغة الانجليزية تليت فى احدى جلسات ذلك المجمع(٤١) .

اما آراؤه السياسية فلم تكن تختلف عن آراء زميله فارس نمر ، فقد صرح صروف فى لندن التى زارها عام ١٨٩٣ لمندوب جريدة (اديلى كرونكل) الأنجليزية بقوله : « اننى لا اظن أن افراد الانجليز مكروهون فى مصر خصوصا ، بل أرى بالضد من ذلك ان كثيرين منهم معتبرون ومحبوبون » . ودعا الانجليز فى حديثه « أن ينتقوا الموظفين الذين يرسلونهم الى مصر من الرجال الأكفاء الذين يكتسبون ثقة المصريين بهم واعتبارهم لهم . ويجب ان يكونوا من المتازين بلين الجانب ورقة الأخلاق والرغبة فى ارضاء الأهالى . لأنه اذا لم يتصف موظف واحد من الأنجليز بهذه الأوصاف حمل الأحزاب المعارضة على بغضه وبغض كل امته من اجله كأن الفرد يقوم مقام امة»(٤٢) .

شــــاهين مــــكاريوس :

ولد شاهين مكاريوس فى قرية (ابل السقى) من قرى مرج عيون بلبنان فى ٢٠ مارس ١٨٥٣ . وتعلم القراءة البسيطة فى قريته على يد القس يواكيم مسعود . وعندما اسس عمه جرجس شاهين المطبعة الوطنية فى بيروت تعلم شاهين مكاريوس جمع الحروف وأتقن صناعة الطباعة واصبح مديرا لهذه المطبعة . ثم التحق بالمطبعة الأمريكية فى بيروت . وبالاضافة الى عمله فى الطباعة كان له اهتمام واسع بالأدب والشعر . وقد عقد صداقات ادبية واسعة مع أهل العلم والأدب فى مصر وسوريا وسائر البلدان الشرقية وخاصة بعد ان تسلم مهام ادارة اعمال المقتطف(٤٣) .

وقد ارتبط تاريخ شاهين مكاريوس بالحركة الماسونية التى كان واحداً من أقطابها البارزين . ففى سنة ١٨٧٤ دخل محفل لبنان الماسونى التابع لشرق فرنسا السامى فى باريس . ثم دخل محفل فلسطين الاسكوتلاندى . وتقلب فى كل وظائف المحفل . وفى سنة ١٨٨٣ نال دزجة ماسونية من محفل الفرسان . وكان بينه وبين رؤساء المحافل الماسونية فى أمريكا مودة ومراسلة .. وعندما حضر الى مصر فى ديسمبر ١٨٨٤ ودعه فى ميناء بيروت « جمهور غفير من اعيان بيروت وأكابرها وجميع الاخوة الماسون » وفى « سنة ١٨٨٦ انشأ مجلة اللطائف ، وهى اول جريدة أنشئت فى الشــــرق وتكلمت عن الماســــونية بحرية تامة ولذلك كافاته المشارق السامية بوسامات الشرف » وفى ١٨ يونيو ١٨٨٨ انتخبه محفل (الثبات) رئيس شــــرف له . وفى ٢٧ مارس ١٨٩١ نال الرخصة بانشاء محفل اللطائف بمصر . وعقد اول جلسة له فى ١٦ أبريل ١٨٩١ وراس المحفــــل فى عامى ١٨٩١ و ١٨٩٢(٤٤) . وذكرت المقطم ان المجمع الاعلى الماسونى فى شيكاغو بأمريكا قد

انتخب شاهين مكاريوس عضو شــــرف فيه ، وبعث له الدبلومة بذلك(٤٥) .

واذا كانت اللطائف التى اصدرها شـــــاهين مكاريوس قد تخصصت فى نشر « كل ما تشتمل فائدته من المباحث والأخبار الماسونية مع الافاضة فى شرح الدستور الماسونى العمومى »(٤٦) ، فان المقطم قد اهتمت فقط بنشر اخبار متفرقة عن المحافل الماسونية بمصر وأنشطتها المختلفة والخدمات التى تقدمها فى المناســبات والمواقف الانسانية . ومن هذه الأنشطة ما قامت به فى ذكرى الأربعين لوفاة الخديوى توفيق ، حيث « عقد جميع الماسون اعضاء المحافل المصرية حفلة حافلة فى قاعة الهمبرا شهدها نحو ستمائة نفس منهم ومن بقية المحافل المتحابة . وقد تليت الخطب الحسان والمراثى الغراء باللغتين العربية والفرنسية(٤٧) . وذكرت المقطم عددا من الأخبار تتعلق بتبرعات وخدمات مقدمة لعدد من الجهات مثل الجمعيات والمدارس الخيرية والمستشفيات ، قدمتها محافل (السلام الماسونى)(٤٨) و (المحفل الوطنى الأكبر)(٤٩) . و (محفل اللطائف)(٥٠) و (محفل حياة مصر التابع للمحفل الأكبر الوطنى المصرى)(٥١) . ونشرت المقطم خبرا عن اجتماع لمحفل يسمى محفل المقطم ويرأسه الدكتور محمد الطاف(٥٢) .

وقد تولى شاهين مكاريوس « رئاسة تحرير جريدة السودان وما لبث أن تسلمها منه خليل ثابت وعاد شاهين الى القاهرة »(٥٣) . وكانت جريدة السودان التى ظهرت « على يد اصحاب جريدة المقطم فى مصر أول صحيفة اخبارية فى السودان . وقد ظهر العدد الأول منها فى الخرطوم فى ٢٨ سبتمبر ١٩٠٣ »(٥٤) . وقد نشـــــأت الصحيفة وثيقة الصلة بالحكم البريطانى ، وكانت تنال المساعدات الحكومية الوفيرة وتهتم بوجه خاص بانباء مصر وتعيد نشـــــر

المقالات الواردة فى جريدة المقطم الصحيفة الأم بالنسبة للسودان(٥٥) .

وعندما توفى شاهين مكاريوس فى الرابع عشر من يونية سنة ١٩١٠ نعاه زميلاه فى المقطم ، وتحدثا عن عصاميته وكفاحه فى مجال الصحافة والطباعة ، وعن العلاقة الوطيدة التى تربط شركتهم الثلاثية(٥٦) .

سياسة المقطم :

حددت المقطم فى افتتاحية العدد الاول منها الخطوط العريضة للسياسة التى تنوى السير عليها فتقول : « وفى اعتقادنا أن أسمى فرض يجب على الجرائد أن تسعى اليه فى أيامنا هذه هو تقريب الصلات بين الهيئة الحاكمة والهيئة المحكومة حتى تتم مقاصد الهيئتين على اسهل مسلك وأقرب طريق » ، وتبدى اعجابها بخطة الخديوى توفيق السياسية التى ستقوم بالتقريب بين سلطته والهيئة المحكومة « فأمير البلاد سمو الخديوى المعظم وأقطاب حركتها وزيره وسائر النظار الفخام ومن يتلوهم من رجال الحكومة ناظرون الى مصلحة البلاد ساعون الى خيرها » . ولذلك « عقدنا النية على جعل هذه الجريدة واسطة لابلاغ مقاصد الهيئة الحاكمة الى الهيئة المحكومة وايضاح حسن نواياها ، ولبسط آمال الهيئة المحكومة امام الهيئة الحاكمة وابلاغ امانيها اليها » وأعلنت لقرائها ان المنهج الذى ستسير عليه فى كتاباتها هو « منهج الاعتدال ومراعاة قوانين الآداب »(٥٧) .

أما الزاوية الرئيسية فى سياسة المقطم التى انتهجتها منذ صدورها ، فتتمثل بموقفها من الاحتلال الانجليزى ، الذى صدرت

فى ظل وجوده ، وفى عهد الخديوى توفيق الذى شهد وقوع الاحتلال بعد احباط القوات البريطانية لثورة احمد عرابى . وقد أوضحت المقطم ان سياستها هذه بنيت على الأسس التالية :

« **أولا** : ان المحتلين احتلوا هذا القطر ولا يخرجون منه الا بارادتهم أو بقوة تفوق قوتهم .

ثانيا : ان لا نفع للمصريين من معاندتهم ومعارضتهم والاستعانة بالدول الأخرى عليهم ، لأن المعاندة والمعارضة تضران بالمصريين ولا تخرجان المحتلين من القطر ولأن الدول الأخرى لا تحارب المحتلين لتخرجهم من بر مصر .

ثالثا : ان مصلحة المحتلين توافق مصلحة المصريين ، ولذلك يقصد المحتلون تنظيم امور مصر واصلاح حال المصريين ، فلذلك يقضى حسن السياسة علينا بمسالمتهم ومحاسنتهم ومعاونتهم على اصلاح أحوالنا واصلاح بلادنا لأن ذلك كله لخيرنا .

رابعا : ان المصريين يصبون طبعا الى بلوغ الاستقلال والتخلص من الاحتلال . وكلا الأمرين يتوقف عليهم ، فليجدوا ويكدوا ويسعوا فى التعليم ونشر العلوم والمعارف بين عامتهم ، وتوثيق عرى الاتفاق والاخلاص بين المحتلين وحكومتهم وليمدوا أنفسهم حلفاء المحتلين واصدقاءهم لا خصومهم ولا اعداءهم حتى تتم ثقة المحتلين بهم ويسهل عليهم انجاز وعدهم بالجلاء عن مصر »(٥٨) .

وكان ذلك بالفعل هو المحور الرئيسى الذى دارت حوله كتابات المقطم السياسية ، فيما يتعلق بالوجود الانجليزى فى مصر . أما موقفها من الخديوى توفيق فقد كان انعكاسا لعلاقات توفيق بالانجليز ، الذين تدعمت أركان عرشه فى حماية حرابهم . وقد

استمرت صداقته للانجليز « حتى آخر أيام حياته ، فكان بذلك موضع ثقتهم واحترامهم »(٥٩) . ويقول الخديوى عباس حلمى عن سياسة أبيه انه « اضطر الى الخضوع لما اقترحه البريطانيون من ان يعهد بتنظيم الادارة الى خبراء من الانجليز » ، وذلك بهدف تكوين « عناصر صالحة لقيادة ادارة مصرية بحتة » ، ولكن « الوقائع اثبتت أن بريطانيا لن تتخلى عن نظام الرؤوس الانجليزية والأيدى المصرية »(٦٠) . وامام هذه السيطرة البريطانية كان توفيق « لا يرد للعميد الانجليزى اللورد كرومر طلبا ، وقد اضفى على الادارة الحكومية روح الاستسلام لارادة الانجليز ، واللورد كرومر هو صاحب الأمر والنهى فى شئون الحكومة ، يتدخل فى كل وزارة بواسطة الموظفين الانجليز الذين كانوا على راس المصالح المهمة »(٦١) .

وكان صدور المقطم فى عهد الوزارة الرياضية الثانية التى شهدت « تغلغل النفوذ البريطانى فى الحكومة ، كما استمر اسناد اكبر المناصب الى الانجليز » . وهى الوزارة التى شهدت تعيين (جون سكوت) مستشارا قضائيا لنظارة الحقانية « فكان أول مستشار انجليزى عين لهذه الوزارة وكانت مهمته السيطرة على وزارة الحقانية ، كما سيطر الانجليز على الوزارات الأخرى»(٦٢) .

فلا عجب والحالة هذه ، أن يكون توفيق بالنسبة للمقطم هو (عزيز مصر) الذى تكيل له المديح والثناء باستمرار طيلة حياته ، بل الاشادة بسياسته ومسالمته للاحتلال بعد وفاته . وتتساءل المقطم : فكيف لا تجتمع القلوب على حب من جمل حب الرعية دأبه؟ وكيف لا تخلص الرعية الولاء لمن لا يريد لها الا رغد العيش والصفاء؟ وقد اختار لتدبير شئونها رجالا من احكم العقلاء واعدل الوزراء فاشتهر حكمه وبان ، واعترف بارتقاء مصر الخافقان . فعزيز

مصر عزيز حقيقة لا مجازا لأنه اجتذب بحبه واعتداله القلوب ، ولذلك لقبوه بالأمير المحبوب »(٦٣) . وعندما توفى توفيق نعته المقطم بأسلوب مؤثر ، وقد ظهرت مجلة بالاطارات المريضة السوداء ، وقدمت ترجمة لحياته وتعليمه ومنجزات عهده(٦٤) ثم تحدثت عن دورها فى دعم سياسته ومواقفه قائلة : « ولقد كان فى الامكان ان نتخذ اسم الفقيد فى حياته ترسا نتقى به سهام اللائمين ونرمى من ورائه أغراض المعارضين ، ولقد كان لنا ذلك الحق دون سوانا لأنا كنا المدافعين عن سياسته المؤيدين لآرائه والمظهرين فضله وفضل حكومته ولكنا أبينا ذلك تأدبا منا وعملا بمشيئته »(٦٥) .

اما الوزارة الرياضية الثانية التى صدرت المقطم فى عهدها فقد كانت موضع الثقة والمديح الدائم ، وعندما يستقيل رياض تودعه المقطم بالثناء على شخصه ، فهو يتصف « بالصدق والاستقامة والغيرة الوطنية والشهامة » ، وعلى منجزاته فقد « تنحى عن الوزارة والخزانة المصرية عامرة والأموال فيها وفى الديار المصرية طائلة وافرة ، والقراطيس المصرية بالغة حدا لم تبلغه فى سالف الأيام ، وصيت مصر فى الخارج كنفح المسك وريا الخزام »(٦٦) .

وكانت المقطم بين الفينة والأخرى تشير الى سياستها الاحتلالية ، التى تسميها « السياسة الفائزة » ، فهذه السياسة فى نظرها مؤيدة بالأدلة العقلية « فلا يعقل أن دولة عزيزة الشأن واسعة السلطان شديدة الصولة وافرة الثروة كدولة الانجليز تهرق دماء رجالها وتبذل قوتها وتبذر مالها حتى توطد قدمها فى بلاد لمقاصد اهمها لها دفع الغير عنها ثم تخرج من تلك البلاد بمجرد طلب ذلك الغير خروجها منها او بطعن الجرائد عليها وتنديدها

بها» . اما الذين يزعمون « ان سياستنا انجليزية فان كان مرادهم من ذلك ما نقصده قلبا وقالبا ، وهو قول الحق ولو على انفسنا ، ومدح ما يستحق المدح وذم ما يستحق الذم ، وتقريب الهيئة المحكومة من الهيئة الحاكمة حتى يتم الخير والاصلاح للوطن على اسهل سبيل ، فليقولوا فى سياستنا ما شاءوا وليصفوها بأى وصف ارادوا ، اذ لا فرق عندنا حينئذ سواء وصفوها بالانجليزية او بالصينية »(٦٧) .

وترى المقطم انها بهذه السياسة تقف على قاعدة صلبة وعلى « اركان الصدق المتسامى الى ذرى الحق ، حيث يستنشق المطالع نسيم الانصاف والاعتدال ويرد الرائد منهلا أصفى من الزلال »(٦٨) . وتؤكد ان مقاصدها معلومة لقرائها « واتباعها خطة الانصاف بما تصل اليه مقدرتنا بعد البحث والتروى امر لا ينكره علينا منصف ، ومرشدنا فيما نكتبه العقل لا الغرض ، ومشاهير الكتاب لا الاحلام والأوهام »(٦٩) ، فهذه « هى سياستنا وهذا هو مضمون اقوالنا ، وقد طالما سالنا الادباء ان يخطئونا فيها اذا كانوا يحسبونها خطأ ، ويظهروا لنا ما هو احسن منها واصلح لخير البلاد واهلها ، فنقبله منهم شاكرين ونتبعهم فيه قلبا وقالبا ساعين معهم الى خدمة البلاد وخير اهلها ، فما وجدنا مجيبا مخالفا لنا على راينا الا المشاغبين فى الجرائد الذين يلتمسون الرزق بالذم والشتم والاختلاق والافتراء »(٧٠) . وتصر المقطم على أن هذه هى سياستها « منذ البداية ، وستبقى سياستها الى النهاية وهى السياسة التى يوافق عليها كل عاقل يهمه خير البلاد ولا يستحل التمويه على العباد »(٧١) . وتزعم المقطم ان سياستها الداعية للاحتلال « تسهل السبل للمحتلين ليخرجوا من هذا القطر باظهارها لهم حسنات اعمالهم وثمراتها فى البلاد ، وباقامتها الشواهد والادلة على ان البلاد قد صارت من حسن الى احسن »(٧٢) .

وتتحدى المقطم الوزارة الرياضية الثالثة التى جاءت فى اعقاب الأزمة الوزارية المعروفة باقالة الوزارة الفهمية (يناير ١٨٩٣) . وكان يتوافر بينها وبين المقطم قدر من الكراهية ، فتقول : « آلت الوزارة على نفسها أن تسكت المقطم او تستعفى من منصبها » . ولكن المقطم مستندة على دعم الوكالة البريطانية تتحدى حكومة رياض قائلة : « ومادام المقطم يتحرى الصدق واظهار الحقائق فى اقواله ، فاسكاته ليس بالأمر اليسير ولو كره ذلك ذوو المفاسد ومحبو التغرير »(٧٣) .

وتدعيما لسياستها الاحتلالية اخذت المقطم تطلق على اركان سياستها ومؤيديها والداعين لها والذين يستجسنونها اسم « حزب الاصلاح » . ولم يكن هذا الحزب تنظيما سياسيا حزبيا بل تلاقيا فى الاتجاهات والأفكار بينها وبين مجموعة المنتفعين بالاحتلال(٧٤) .

وتحاول المقطم جاهدة اثبات طهارة مسلكها وبراءة منهجها بالحديث عن مقاصدها السليمة ، فهى تسال المنصفين ان يرشدوها « الى أوجه الانتقاد والتخطئة التى قصر المقطم ان يوفيها حقها مع المحتلين ، اثبت انهم يرتشون ولم يذممهم على الرشوة ام انهم يسلبون وينهبون ولم يذممهم على السلب والنهب أم انهم يبتزون اموال الفقير ويجورون على الأرملة واليتيم ويدوسون حقوق الضعفاء والمساكين »(٧٥) .

وتتباهى المقطم بسياستها التى ثبتت عليها والمتمثلة « بمسالمة المحتلين ومحاسنتهم لاكتساب صداقتهم ومحالفتهم لان صداقتهم تنفعنا وعداوتهم تضرنا »(٧٦) . وهى فى هذا كله تدعى انها « تتوخى فيما تكتبه تقرير الحقائق وابطال الأباطيل »(٧٧) . وكررت المقطم مرارا مقولتها بأن الأمانى القومية لا تتحقق الا

باسلوب « تربية الامة على المبادىء القويمة بنشر المعارف بين أبنائها وحضهم على التشبه بالأمم الراقية ، وفى مقدمتها الأمة الانجليزية المحتلة لهذا القطر »(٧٨) .

سياسة المقطم فى الميزان :

لقد وجدت هذه السياسة من يشجعها ويدعمها ويبررها ويحض عليها ، ووجدت أيضا من يقدح ويطعن فيها ويدعو الى مقاومتها . فقد كانت المقطم موضع رعاية اللورد كرومر الذى « قدم لها من التأييد ما هيا لها فرصة التقدم »(٧٩) ، وامدها « بكل ما تحتاج اليه »(٨٠) ، واباح « لها وحدها ان تدخل دواوين الحكومة لتذيع اخبارها . وحرم ذلك على المؤيد حتى اصبحت المقطم جريدة شبه رسمية فى مصر »(٨١) . فقد « ظهرت المقطم تروج للسياسة الانجليزية وتدعو المصريين اليها »(٨٢) . وقد اعتمد الاحتلال عليها بالاضافة الى صحيفة الاجبشان غازيت الانجليزية والبروجريه الصادرة باللغة الفرنسية(٨٣) . وكان اصحاب المقطم فى تأييدهم مصلحة انجلترا لا يجدون طريقة سوى « التغالى والتفانى فى اطراء كل ما يفعله الانجليز أو ينوون فعله بدون تمييز ومحاسبة فى ذلك الاطراء »(٨٤) .

وعاشت تلك الجريدة عمرها تقول ان احتلال الانجليز لمصر خير من استقلالها(٨٥) ، ولا هم لها « الا ذكر معايب المصريين والسكوت عن معايب الانجليز وعدم السماح بنشر شىء عنها»(٨٦) وعاش إصحابها « يتقلبون مع رياح السياسة ولا يعنون بمصلحة هذا الوطن لانهم ليسوا من ابنائه ، وكانت سياستهم التى ساروا عليها بريئة من كل فكرة وطنية ولم تكن تتاثر يوما بغير المصلحة الذاتية الوقتية »(٨٧) . فكانت بذلك « العدو الأزرق للمصريين»(٨٨)

وقد تركز دورها كما يقول (دوجلاس سلادين) على دعم علاقات المصريين بالأوروبيين المقيمين بينهم ودفع عملية التقدم فى مصر لقطع الطريق على الوطنيين المصريين فاقدى الخبرة والتجربة باعادتها الى حالتها البربرية(٨٩) .

وتصف (الشعب) لأمين الرافعى سياسة المقطم بانها « انجليزية صرف لولا انه يكتب بحروف عربية . وكل أعمال الحكومة ممدوحة لديه طبعا . ولقد بلغت ثقة الاحتلال به حدا متناهيا ، حتى أنه يقوم بترجمة وطبع التقرير الذى يصدره المعتمد البريطانى سنويا فيكون علمه به أسبق بكثير من علم أعضاء البرلمان الانجليزى ، ولذلك بلغت به الدالة اعتمادا على هذه الثقة الى انه يهدد الوزارة احيانا . واصحاب المقطم اغنى الصحفيين مالا واكثرهم اطيانا ، ورغم أن الصحافة فى مصر مجلبة خسارة فانهم جمعوا منها ثروة يقصر عن جمعها اكثر أرباب المشروعات . وربما كان لهم فى كل شركة أسهم وفى كل مشروع نصيب . وهم أقدر الصحفيين على الضغط على عواطفهم ودس اشد المطاعن واكثرها افعاما بالسموم فى قالب نصيحة مبرقشة »(٩٠) .

ويقول سلامة موسى انهم كانوا « لا يبالون بالأذى يصيب عقولنا . وهم أغنياء يملكون دورا كالقصور ويعيشون فى ترف قد لا يبلغه الوزراء »(٩١) . وتقول جريدة الاستاذ انهم « الأجراء » الذين « التزموا فى جريدتهم اليومية تنفير الامة وتحسين الاعتراف بسلطة الغير والتلويح بما يشف عن سوء مقاصدهم فى الجانب الخديوى ، والتزموا ترجمة اوهام مستاجريهم التى توهم الوعيد والتهديد ليظهروا للأمة وهن المسند الخديوى وقوة مستاجريهم » ، وهم بالنسبة للانجليز « عبيدهم الواقفون على اعتابهم ، وخدمهم المخلصون وجواسيسهم الناقلون وتراجمتهم المتبرعون »(٩٢) .

وتصف جريدة (الاتحاد المصرى) المقطم بأنه « آلة شر وعداء . وطبع خديعة ورياء . فكأن هذا المقطم اخذ السفه نصيبا فما يتحول عنه . وعانق السباب حبيبا فما يمل منه »(٩٣) . والمقطم « جريدة قد اشتهر امرها بالخيانة والنميمة والدسائس واثارة الخواطر وحطة المقام لدى اهل مصر ، بدليل كرههم لها ونبذهم اياها » (٩٤) . اما صحيفة (لويسفور اجبسيان) فانها تسمى المقطم « صحيفة القاهرة التى يحررها السوريون الثلاثة » ونظرا « لاسفاف المقطم فى خصومتها معها » فانها « اصبحت تسميها الجريدة الخاصة للوكالة البريطانية فى مصر ، وتسمى رئيس تحريرها رئيس الثمابين »(٩٥) .

وتتحدث (اللواء) عن المقطميين الذين « طفوا وبغوا واستكبروا انفسهم واستنكروا غيرهم اعتزازا بالاحتلال واتكالا عليه ولهذا صار المصريون اذا عدوا سيئات الاحتلال كانت حمايته ونصرته للمقطميين فى مقدمة تلك السيئات »(٩٦) . وقد اشتهر هؤلاء « الدخلاء من يوم ان ابتلتنا بهم الشام بافتراء السوء على المصريين وتزييف الاباطيل ضدهم ومحاربتهم فى شعورهم وامانيهم. وقد استمروا على هذه الخطة طيلة وجودهم فى مصر ، حتى علم الخاص والعام أنهم أعداء لهذه البلاد »(٩٧) . وتحلل (اللواء) طبيعة العلاقة التى تربط بين اصحاب (المقطم) وعميد الاحتلال قائلة : « ولقد بلغ من ثقة ذلك العميد بهم ان صار يأتمنهم على اهم اسراره فيعطيهم تقاريره قبل أن يطلع عليها رؤساؤه فى انجلترا وقبل أن تنشر بأشهر ، وكلها ملأى بالأسرار السياسية والأفكار الاحتلالية ، ويطلعهم على خطبه السياسية قبل ميعاد القائها بأيام لينشروها عقب القائها . وفى مقابل هذه الثقة كان يساعدهم باعطائهم الأطيان الواسعة من املاك الحكومة بابخس الأثمان وبغير مزاد علنى ويخصص لهم قسما كبيرا من مطبوعات الحكومة بالأجور

الباهظة كل عام مع وجود مطبعة اميرية ومطـــابع اهلية وطنية كثيرة »(٩٨) .

وتنشـر (اللواء) قصيدة (للعقاد) يخاطب بها اللورد كرومر بخصوص جريدة (المقطم) يقول فيها :

نصـــبت لنا ذاك المقطم داعيـــا
فهل عاد الا بالخســـار المقطـــم

واصـــليتنا جمر القطيعـــة والأذى
كانك فينـــا بالقطيعـــة مغـــرم(٩٩)

ويصف (عبد العزيز جاويش) اصـــحاب (المقطم) بانهم « حجـــاج بيت اللورد كرومر الحرام يتعبدون بطوافه ولثم حلقة بابه »(١٠٠) وبنفس الحدة تقول صحيفة (العلم) عن اصحاب (المقطم) انهم « خرجوا من ديارهم كانهم حجارة تتساقط على من حلوا بينهم وكان من سوء حظ هذا البلد ان اتخذ هؤلاء الدسائس تجارة لهم »(١٠١) .

وقد ساند الانجليز « بنفوذهم جريدة المقطم التى اصـــبح اصحابها بهذا السند القوى من أغنياء القطر المعدودين »(١٠٢) .. وقد أعلن (الفريد بلنت) فى أوروبا ان « وزارتى الحربية والداخلية قد دفعتا لصحيفة المقطم مبلغا عظيما من المال ليدافع عن تصرفات الانجليز فيهما »(١٠٣) . واخذت « السلطة المصرية والانجليزية فى قصر الأخبار الرسمية على المقطم واستخدام البوليس فى توزيعها فى البلاد ، وامداد السلطة البريطانية لها بالمال والتشجيع »(١٠٤) . وكان « الاحتلال ينفق على جريدته هذه ويســـاعدها بكل انواع المساعدات التى وصلت حد تزويدها بالأحكام القضائية لتنشرها قبل النطق بها »(١٠٥) ، كما حدث عندما « نشرت نص حكم محكمة

مصر المختلطة فى القضية التى رفعها الدكتور ملتن على صاحب جريدة البوسفور قبل ان تنطق به المحكمة باسبوعين . ولما نطقت به كان صورة مماثلة لما نشرته المقطم »(١٠٦) وذلك لانها تعد مطية من « مطايا الراى الانجليزى ولسانه عند الناس . فهى قوية قادرة تنجـدها الحكومة ومن ورائها الاحتـــــلال اذا اعوزها مال أو خبر »(١٠٧) . وكان دعم الســـــلطات الانجليزية للمقطم بطريق الاشتراك دافعا لانتقاد بعض الصحف وهجومها على المقطم والذين يقفون الى جانبه « فاكثر الناس يرفضونه ويردونه فيرجع اليهم بوجه نضب منه الحياء فيقولون يا قوم ما سمعنا وما نظرنا أن الاشتراك بالجرائد يكون بصفة اجبارية »(١٠٨) . ويهاجم (عبدالله النديم) « الطريقة التى يوزع بها المقطم بعد ان قاطعه القراء ، بواسطة التهديد ، بين الموظفين والاعيان والعمد ومشايخ البلاد ، ونفى دعوى مروجيها انها الجريدة الرسمية ، وهاجم وكلاءها الذين يدعون أن من لم يشترك فيها واعادها دون قراءة ناله ضرر فى معاشـــــه وربما تعطلت مصـــالحه فى الحكومة أو صـــــودرت املاكه »(١٠٩) .

وترد الصحيفة على انباء نشرتها الأهرام عن رد المشتركين لاعداد المقطم بان ذلك غير صحيح ، وان « فضلاء المصريين راضون كلهم عن المقطم »(١١٠) . ويؤكد (المقطم) مرة اخرى ان المشتركين فيه « يزيدون يوما فيوما وان قراءه مجمعون على صـــــــدقه واخلاصه » (١١١) . وينفى شاهين مكاريوس ما نشرته (الأهرام) من ان « سعادة مدير الدقهلية الفاضل حجز من راتب حضرة مفتش صحة المديرية قيمة اشتراك المقطم » . وينفى مكاريوس ايضا أن يكون « احد البكوات اجبر على الاشتراك ثم رفض » . وأن يكون « سعادة المدير حجز على مبلغ وافر من مرتبات المستخدمين»(١١٢) وتقول (المقطم) ان (الأهرام) « يدعى أن الحكومة تجبر الأهالى

على الاشتراك فى الجرائد لخجله من تأخره وانحطاطه وحسده على تقدمها ونجاحها »(١١٣) .

ويعترف كرومر بأن الأنباء التى ترددت فى أواخر عام ١٨٩١ فى انجلترا عن قرب تحديد موعد للجلاء عن مصر ، أحدثت ردود فعل انفعالية كان منها توقف مائة وعشرين مشتركا فى جريدة كبرى تؤيد السياسة البريطانية فى مصر عن الاشتراك فيها(١١٤) .

وتخاطب (الاتحاد المصرى) المقطم حول مسالة الاشتراكات بقولها : « الم تجعل الاشتراك فيك غلابا . والاقبال عليك اغتصابا . الم تستنجد لذلك بالحاكم والمامور . الم تستعمل فى ذلك الخديعة والغرور . ثم قل لنا الم تجعل الاشتراك فيك بتعهدات وقسائم . الم تتخذ لك من الحكام انصارا يأخذون ختم المشترك فيدمغونه على قسم الاشتراك فى يدك حتى لا تعود تقبل لهم فى رده انكارا »(١١٥) وتقول (المؤيد) ان من أكبر أخطاء (المقطم) انه جعل الأرباح أولى غاياته(١١٦) ، فهو ياخذ حوالى ٢٧٥٠ جنيها من « مصلحة البوليس كل سنة اما أجرة مطبوعات واما جبرا لكسر اجرة المطبوعات كالمصاريف السرية »(١١٧) . وترد المقطم على هذا الاتهام بأنه « كذب واختلاق ، ولا أصل له من الحقيقة على الاطلاق »(١١٨) .

وتعقب (المقطم) على سؤال النائب (روبرتسن) الذى وجهه فى مجلس النواب البريطانى عن مقدار الاعانة التى تعطى لبعض الجرائد ومنها (المقطم) وجواب ناظر الخارجية له بانه لا يعلم شيئا عن ذلك ، بأن « السؤال كاذب والمقطم ينكره على رءوس الأشهاد ويرفع راسه وسط كل قوم مفتخرا بأنه قضى كل هذه الأعوام من يوم انشائه الى اليوم وهو حر فى قوله ثابت على سياسته لا يثنيه انمام كبير عن رايه ولا يحوله غنى موسر عن

مبدئه . ولابد للمقطم يوما من ذكر الاعانات والانعامات التى عرضت عليه ثمن سكوته ورفضها رفضا . وان الشـــــرق لم يعدم رجالا يحافظون على رأيهم ويثبتون على مبدئهم من عزة نفس وشرف اخلاق لا طمعا باعانة مالية من وكالة بريطانية فى مصر أو وديعة فى بنك بلندن »(١١٩) . وان الانجليز ليس لهم « منفعة خصوصية من بذل مالهم على جريدة حرة مستقلة كالمقطم ولاسيما بعدما اثبتت للناس كلهم أنها لا تعرف غير الحق سيدا ولا تخون مبدأها ولا تحيد عن خطتها قلت عليها الأموال أو كثرت »(١٢٠) .

والحقيقة ان التأييد الانجليزى للمقطم لم يتوقف عند حدود التمويل وتوفير الاشتراكات واكراه الناس عليها ، بل تعدى ذلك الى حماية الصحيفة من التعرض للقضاء والمساءلة وهى تمارس دورها الذى رسمته لها الوكالة البريطانية فى مصر . فقد كان من ابرز ما اتصفت به سياسة كرومر ، مناهضة الخديوى عباس والحد من سلطانه بل تجريده من هذا السلطان فأوحى كرومر الى المقطم ان تطعن فى الخديوى وان تهاجمه ففعلت فى كثير من الاستهتار بصاحب الأمر الشرعى فى مصر ، وهاجمت الخديو هجوما عنيفا ، فلما أعلن استياءه من هذا الهجوم العلنى السافر على شخصه وعلى مقام عرشه ، وطلب محاكمة المقطم أو تطبيق قانون المطبوعات الصادر فى سنة ١٨٨١ عليها ، اعلن كرومر أن قانون المطبوعات قد الغاه قانون العقوبات ، وانه لا يستطيع ان يقدم المقطم للقضاء لانه من انصار حرية الرأى وحرية الصحف ، وأن هذه الحرية من قواعد العدالة التى جاء الانجليز ليقيموا بناءها فى مصر(١٢١) .

ولم يكن صحيحا ما يزعمه كرومر من أن الانجليز جاءوا الى مصر لينشروا العدل فيها ، ولكن الصحيح أن « استخدام قوانين مصادرة الحرية من جانب سلطات الاحتلال له مخاطره . فالى جانب

امكان توجيه هذه القوانين للصحف المعادية للاحتلال كان فى امكان الخديوى فى نفس الوقت ان يوجهها للصحف الاحتلالية التى تبناها كرومر وعلى راسها المقطم ، لأن هذه الجريدة بالتزامها بموقف المعتمد البريطانى كانت لا تفتأ تهاجم الخديوى وتشهر به . ويعترف المقطم بأن تجميد قوانين مصادرة الحرية كان من أهم أسبابه الرغبة فى حمايته »(١٢٢) .

وقد أعترف كرومر فى كتابه (عباس الثانى) باتجاهات المقطم الانجليزية وهو يعلق على احداث الأزمة الوزارية عام ١٨٩٣ حيث « قامت مظاهرة سخط استعمل معها العنف امام ادارة جريدة المقطم وهى جريدة متشــــيعة للانجليز »(١٢٣) ويقدر كرومر مجهودات أصحاب المقطم وموقفهم ازاءه فقد « تولوا منذ أعوام مضت ترجمة تقاريرى الســـنوية الى العـــربية على ما فى ترجمتها من العناء والمشقة »(١٢٤) .

وهكذا « نجحت سياسة كرومر من حيث محاربة الصحافة بالصحافة ، فقد تمكنت المقطم من الذيوع والانتشار وكانت خصما لا يســـتهان به فى اخراجه وتحـــريره . ولم تعد الأهرام باتزانها والوطن بتفاهة تحريرها قادرين على مواجهة حماسة المقطم »(١٢٥) ووجدت هذه السياسة من يبررها ولا يجد فيها غضاضة كصاحب كتاب (مرآة العصر) الذى يقول : « وقد يتهمها البعض بالمغالاة فى مدح المحتلين والتطرف فى الطعن بالدولة العثمانية ولكنها متى فعلت ذلك فهى تقف فيه عند حد الحقيقة لاتتعداها فى شىء الى ما وراء النزاهة والقصد السليم فاذا اساء البعض ظنهم بها فذلك ما يسميه الناس بجرح الحقيقة »(١٢٦) .

هوامش الفصل الاول

(١) لا توجد اعداد الشهور الثلاثة الأولى من المقطم فى دار الكتب المصرية . وقد حصلت على صور لصفحات العدد الأول من مكتبة جامعة أكسفورد ، للتثبت من مجلد واحد عن السنة الأولى كانت المقطم تخصصه لأبرز مواد عددها اليومى .

(٢) ابراهيم عبده ، تطور الصحافة المصرية ، ص ١٤٨ .

(٣) المقطم ١٤ فبراير ١٨٨٩! .

(٤) المقتطف ، مقال لفارس نمر بعنوان « بعد ستين سنة — ذكريات فى عهد الضبا لأحد منشئى المقتطف » — مايو ١٩٣٦ .

(٥) المقطم ٢٦ فبراير ١٨٨٩ — من مقالة بعنوان (جبل المقطم وجريدة المقطم) نقلا عن المقطم الأسبوعى — مجلد السنة الأولى (١٨٨٩) .

(٦) سامى عزيز ، الصحافة المصرية وموقفها من الاحتلال الانجليزى ، ص ٩٧ .

(٧) خليل صابات وسامى عزيز ويونان لبيب رزق ، حرية الصحافة فى مصر ، مكتبة الوعى العربى ، القاهرة ، ١٩٧٣ ص ١١٨ .

(٨) محمد حسين هيكل ، مذكرات فى السياسة المصرية — ج ١ ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٥١ ، ص ٣٢ .

(٩) ابراهيم عبده ، تطور الصحافة المصرية ، ص ١٤٨ .

(١٠) ولى الدين يكن ، المعلوم والمجهول ج ١ ، مطبعة السعادة ، ١٩٠٩ ، ص ١١ ، ١٢ .

(١١) المقطم ١٤ يوليو ١٨٩٠ .

(١٢) فيليب دى طرازى ، تاريخ الصحافه العربية ، ج ٢ ، المطبعة الادبية ، بيروت ، ١٩١٣ ، ص ١٢٥ .

(١٣) احمد شفيق باشا ، مذكراتى فى نصف قرن ، ج ١ ، مطبعة مصر ، القاهرة ، ١٩٣٤ ، ص ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ .

(١٤) المقتطف ، مايو ١٨٨٥ م .

(١٥) المقطم ٢٧ سبتمبر ١٨٩٠ م .

(١٦) المقطم ٢٣ يناير ١٨٩٣ .

(١٧) Cromer, Earl of , Modern Egypt, vols. 1, 11, PP. 626 — 632, London, 1911.

(١٨) Harris, Durray, Egypt under the Egyptians. P. 167, London, 1925.

(١٩) سامى عزيز ، الصحافة المصرية وموقفها من الاحتلال الانجليزى ، ص ١٨٤ ، ١٨٥ .

(٢٠) ابراهيم عبده ، تطور الصحافة المصرية ، ص ٦٧ .

(٢١) المقطم ٢٣ ابريل ١٩١٢ .

(٢٢) المقطم ٩ ديسمبر ١٩٠٢ .

(٢٣) محمد أنيس والسيد رجب حراز : التطور السياسى للمجتمع المصرى الحديث ، ص ١٦٨ .

(٢٤) سامى عزيز ، الصحافة المصرية ، ص ١٠٧ .

(٢٥) Cromer, Earl of, Modern Egypt, O.P. Cit., P. 217.

(٢٦) المقطم ١٠ سبتمبر ١٨٩٠ .

(٢٧) المقطم ٢٣ ابريل ١٨٩١ .

(٢٨) المؤيد ٤ نوفمبر ١٨٩٣ .

(٢٩) المقطم ٢٢ يوليو ١٨٩٨ .

(٣٠) المقطم ١٧ ديسمبر ١٩٥١ .

(٣١) مذكرات عباس حلمى الثانى ، جريدة المصرى ، ٢١ مايو ١٩٥١ .

(٣٢) مذكرات أحمد لطفى السيد ، المصور ، ٢٧ أكتوبر ١٩٥٠ .

(٣٣) المقطم ٢٩ ديسمبر ١٩٠٦ .

(٣٤) Marlowe, John, Cromer in Egypt, P. 232, London, 1970

(٣٥) Fyee, H. Hamilton : The New Spirit in Egypt, P. 117, Edinburgh, 1911.

(٣٦) المقطم ١٧ ديسمبر ١٩٥١ — مقال وديع فلسطين فى نعيه لفارس نمر .

(٣٧) المقطم ٢٦ أكتوبر ١٨٩١ .

(٣٨) اللواء ٢٢ أغسطس ١٩٠٦ .

(٣٩) المقطم ٢٩ يناير ١٩١٠ .

(٤٠) المقتطف — مايو ١٩٣٦ — مقال فارس نمر .

(٤١) فيليب دى طرازى ، تاريخ الصحافة العربية ، ص ١٢٤ — ١٢٨ .

(٤٢) المقطم ٢١ أغسطس ١٨٩٣ .

(٤٣) المقطم ١٤ يونيو ١٩١٠ .

(٤٤) الياس زخورة ، مرآة العصر فى تاريخ ورسوم أكابر الرجال بمصر ، ج ٢ ، المطبعة العمومية بمصر ، ١٨٩٧ ، ص ٤١٨ — ٤٢٤ .

(٤٥) المقطم ٢٧ يناير ١٨٩٣ .

(٤٦) سامى عزيز ، الصحافة المصرية ، ص ٢١٢ .

(٤٧) المقطم ١٧ فبراير ١٨٩٢ .

(٤٨) المقطم ٢ فبراير ١٨٩٣ .

(٤٩) المقطم ١١ فبراير ١٨٩٣ .

(٥٠) المقطم ٢٤ ابريل ١٨٩٢ .

(٥١) المقطم ١٠ ابريل ١٩١٢ .

(٥٢) المقطم ١٩ أكتوبر ١٩٠٠ .

(٥٣) محجوب محمد صالح ، الصحافة السودانية فى نصف قرن ١٩٠٣ — ١٩٥٣ ، ج ١ ، قسم التأليف والنشر بجامعة الخرطوم ، الخرطوم ، ١٩٧١ ، ص ٢٢

(٥٤) حسنين عبد القادر ، تاريخ الصحافة فى السودان ، ج ١ ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٦٧ ، ص ١٢ .

(٥٥) محجوب محمد صالح ، الصحافة السودانية ، ص ٢٢ — ٣٣ .

(٥٦) المقطم ١٤ يونيو ١٩١٠ .

(٥٧) المقطم ١٤ فبراير ١٨٨٩ .

(٥٨) المقطم ٣٠ سبتمبر ١٩٠٧ .

(٥٩) احمد شفيق باشا ، مذكراتى فى نصف قرن ، ص ٥٢٧ .

(٦٠) مذكرات عباس حلمى الثانى ، المصرى ، ١٩٥١/٧/١٠ .

(٦١) عبد الرحمن الرافعي ، مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٢ ، ص ٣٠ .

(٦٢) عبد الرحمن الرافعي ، مصر والسودان في أوائل عهد الاحتلال ص ٢٠١ ، ٢٠٢ .

(٦٣) المقطم ٢٤ أكتوبر ١٨٩٠ .

(٦٤) المقطم ٨ يناير ١٨٩٢ .

(٦٥) المقطم ٩ يناير ١٨٩٢ .

(٦٦) المقطم ١٣ مايو ١٨٩١ .

(٦٧) المقطم ١ أغسطس ١٨٨٩ .

(٦٨) المقطم ٢٤ مارس ١٨٩١ .

(٦٩) المقطم ٢٩ يوليو ١٨٩١ .

(٧٠) المقطم ٢٠ مايو ١٨٩٢ .

(٧١) المقطم ٢٤ نوفمبر ١٨٩٢ .

(٧٢) المقطم ٦ فبراير ١٨٩٣ .

(٧٣) المقطم ١٢ ابريل ١٨٩٤ .

(٧٤) المقطم ٧ نوفمبر ١٨٩٤ . مقالة بعنوان (حزب الاصلاح وسياسته) . وتسمية المقطم لجماعة المنتفعين بالاحتلال بحزب الاصلاح لم تكن تعني بالطبع اكثر من تسمية نظرية وهذا يختلف كليا عن ذلك الحزب الذى انشأه (الشيخ على يوسف) في ٩ سبتمبر ١٩٠٧ باسم (حزب الاصلاح على المبادىء الدستورية) .

(٧٥) المقطم ٧ أكتوبر ١٨٩٧ .

(٧٦) المقطم ٢٢ يوليو ١٨٩٩ .

(٧٧) المقطم ٨ فبراير ١٩٠٠ .

(٧٨) المقطم ٩ يوليو ١٩١٠ .

(٧٩) ابراهيم عبده ، تطور الصحافة المصرية ، ص ١٦٨ .

(٨٠) مجلة الشباب ١٦ مارس ١٩٣٦ — مقال محمد أمين عبده المحامى .

(٨١) مجلة الشباب ٢٠ ابريل ١٩٣٦ — مقال محمد أمين عبده المحامى .

(٨٢) محمد فريد ، مقالة في صحيفة (الجون ترك ١٦ يناير ١٩١٠) نقلا عن محمد أمين عبده المحامى .

(٨٣) Wood. H.F. Egypt under the British, P. 118, London, 1896.

(٨٤) عبد اللطيف حمزة ، أدب المقالة الصحفية فى مصر ج ٤ ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٩٥٢ ، ص ١٠٠ .

(٨٥) سلامة موسى ، الصحافة حرفة ورسالة ، سلامة موسى للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٦٣ ، ص ٨ ، ٩ .

(٨٦) السياسة ١٢ نوفمبر ١٩٢٢ .

(٨٧) السياسة ٢١ يناير ١٩٢٥ .

(٨٨) الاهرام ٤ سبتمبر ١٩٢٣ ، عمود على الهامش ، الصحافى العجوز .

(٨٩) Sladen, Douglas : Egypt and the English, P. 134, London, 1908.

(٩٠) الشعب ٨ مايو ١٩١٢ .

(٩١) سلامة موسى ، الصحافة حرفة ورسالة ، ص ٩ .

(٩٢) الأستاذ ٢٣ مايو ١٨٩٣ .

(٩٣) الاتحاد المصرى ١٣ أكتوبر ١٨٨٩ .

(٩٤) الاتحاد المصرى ١ ديسمبر ١٨٨٩ .

(٩٥) محمود نجيب أبو الليل ، الاحتلال الابريطانى والصحف الفرنسية ، ص ٨٢ ، ٨٥ .

(٩٦) اللواء ١٥ يوليو ١٩٠٦ .

(٩٧) اللواء ٢٠ يونيو ١٩٠٧ .

(٩٨) اللواء ٣ يوليو ١٩٠٧ .

(٩٩) اللواء ١ يوليو ١٩٠٧ .

(١٠٠) اللواء ٨ سبتمبر ١٩٠٨ .

(١٠١) العلم ٢٨ يوليو ١٩١٢ .

(١٠٢) سلامة موسى ، الصحافة حرفة ورسالة ، ص ٦ .

(١٠٣) الشباب ١٦ مارس ١٩٣٦ — مقال أمين عبده المحامى .

(١٠٤) على الحديدى ، عبد الله النديم خطيب الوطنية ، سلسلة أعلام العرب (٩) ، القاهرة ، ص ٣٤٩ .

(١٠٥) احمد بهاء الدين ، أيام لها تاريخ ، دار الكاتب العربى ، القاهرة ، ١٩٦٧ ، ص ٦٧ .

(١٠٦) الشباب ١٦ مارس ١٩٣٦ .

(١٠٧) ابراهيم عبده ، جريدة الأهرام تاريخ وفن ، ص ٢٩٩ .

(١٠٨) الاتحاد المصرى ٢٠ أكتوبر ١٨٨٩ .

(١٠٩) على الحديدى ، عبد الله النديم ، ص ٢٧٦ ، ٢٧٧ .
(١١٠) المقطم ٢٧ يانير ١٨٩٢ .
(١١١) المقطم ٦ فبراير ١٨٩٢ .
(١١٢) المقطم ١٧ يناير ١٨٩٣ .
(١١٣) المقطم ٨ يناير ١٨٩٠ .
(١١٤) Zetland; Lord Cromer, P. 19, London, 1932.
(١١٥) الاتحاد المصرى ٧ نوفمبر ١٨٨٩ .
(١١٦) المؤيد ٧ نوفمبر ١٨٩٣ .
(١١٧) المؤيد ١٩ نوفمبر ١٨٩٣ .
(١١٨) المقطم ٢٠ نوفمبر ١٨٩٣ .
(١١٩) المقطم ١٤ ابريل ١٩٠٧ .
(١٢٠) المقطم ٨ يوليو ١٩١٥ .
(١٢١) الشباب ، ٢٠ ابريل ١٩٣٦ ، مقال محمد أمين عبده المحامى .
(١٢٢) يونان لبيب رزق ، الحياة الحزبية فى مصر فى عهد الاحتلال البريطانى ، مكتبة الأنجلو المصرية ـ القاهرة ، ١٩٧٠ ، ص ١١٥ .
(١٢٣) Cromer, Abbas 11, P. 35, London, 1915.
(١٢٤) كرومر ، تقرير عن المالية والادارة والحالة العمومية فى مصر والسودان، ترجمة وطباعة دار المقطم ، ص ٣ .
(١٢٥) ابراهيم عبده ، تطور الصحافة المصرية ، ص ١٥١ .
(١٢٦) الياس زخورة ، مرآة العصر ، ج ٣ ، ص ٥٣٣ .

الفصل الثانى

المقطم والحركة الوطنية

(١٨٨٩ - ١٩١٢)

بين المقطـــــم والمــــؤيد :

كانت الفترة التاريخية التى صدرت فيها المقطم ، مرحـــــلة استسلام حكومى كامل للمحتلين وكانت (المقطم) تردد افكار الحكومة البريطانية حول الجلاء وزمان تحقيقه ، عندما يطمئن المحتلون الى مقدرة مصر على حكم نفسها ، وادارة عجلة التقدم فيها . فالمقطم ترى أن « منزلة الحكومة البريطانية من أمير البلاد وحكومته منزلة الخل النصوح من خليله . فبأى معنى تكون مصر قد فقدت استقلالها وما الذى خسرته بذلك »(١) ، وأن انجلترا ستجلو عن مصر متى علمت أن « الأحوال قد استتبت على مايرام فلا يخشى بعدها من اضطراب داخلى او طارىء خارجى »(٢) .

واتخذت افكار (المقطم) هذه شكلا اكثر حدة عندما بدأت (المؤيد) تحمل لواء الهجوم على الاحتلال . فقد صدرت المؤيد فى أول ديسمبر ١٨٨٩ ، بعد شهور من ظهور (المقطم) . وقد صدرت « لمحاربة الاحتلال والمقطم »(٣) ، وذلك بعد أن « عز على الوطنيين فى مصر ان يكون للاحتلال البريطانى فيها جريدة ولا تكون لهم فى بلادهم مثل هذه الجريدة »(٤) . وكان للمؤيد « فضل كبير فى بعث الروح الوطنية ، وتنبيه الرأى العام فى مصر الى تعرف حقائق الحالة السياسية التى وصلت اليها البلاد فى عهد الاحتلال »(٥) .

ولكن المقطم تحاول بث الياس فى الروح الوطنية التى وقفت تدعم المؤيد وتوجهها فيما كانت تسميه المقطم (بالمعارضة) فنجدها تقول انه لا باعث على هذه المعارضة فى مصر . وأن لا محل لها ولا فائدة منها ونتيجتها الحتمية هى الفتنة والثورة(٦) .

وتستنكر (المقطم) موقف فرنسا ازاء الاحتلال الانجليزى لمصر ومطالبتها المستمرة بالجلاء ، وترى أن هذا الموقف لا يزيد الانجليز « الا تشبثا بهذا القطر طبقا لما قالوه مرارا لا تحصى أنهم يجلون عن مصر من تلقاء أنفسهم متى حكموا بمناسبة الجلاء عنها »(٧) ، وأن الراى الذى يعول عليه فى مسألة الجلاء هو رأى بارنج (كرومر) ورأيه معروف ومشهور وهو أن زمان الجلاء لم يحن حتى الآن(٨) .

وتبدأ (المؤيد) هجومها على (المقطم) الذى « لا يهمه الجلاء ولا الاحتلال فهو يشتغل لجمع الدراهم بأى طريقة »(٩) ، وأن غاية (المقطم) الوحيدة « دوام الكراهة بين المصريين والانجليز »(١٠) . وترد (المقطم) بأن طلب الجلاء سابق لأوانه « لأن المسألة بيد أوروبا وليست بيد المؤيد »(١١) .

وكان الخديوى عباس حلمى الذى تولى الحكم عام ١٨٩٢ قد دخل عنصرا جديدا قويا الى جانب التيار الوطنى الذى اتخذ (المؤيد) وسيلة لنشر افكاره ومطالبه . فقد بدأ حكمه بالاتصال بالشعب وبتوسيع نفوذه عن طريق « الرحلات فى المديريات ومقابلة الأعيان والعلماء وتكليفه المختصين كتابة التقارير عن نظم التعليم والجيش ونحو ذلك . فبدأ شىء من الجفاء بينه وبين اللورد كرومر »(١٢) . وحدثت بينه وبين كرومر عدة احتكاكات مثل أزمة اقالة وزارة مصطفى باشا فهمى فى يناير ١٨٩٣ وهو صديق حميم

للانجليز وازمة الحدود فى يناير ١٨٩٤ . وقد اضطر الخديوى فى هاتين الحادثتين الى الخضوع والتسـليم لكرومر . ولكن هذه المواقف كانت تلهب الشعور الوطنى . فقد قاد مصطفى كامل مظاهرة الى دار جريدة (المقطم) تستنكر دورها فى خدمة اهداف الاحتلال اثناء ازمة اقالة وزارة مصطفى فهمى المستسلمة(١٣) .

وكانت هذه الحادثة سـببا فى المقالات الوطنية التى كتبها عبد الله النديم فى مجلة الأستاذ حيث قام « يستنهض الهمم ويحض على مؤازرة الخديوى ، ونبذ طاعة الاحتلال »(١٤) ، الأمر الذى أدى الى اغلاق مجلة الأستاذ بايماز من اصحاب (المقطم) الذين اقنعوا كرومر بذلك . ثم نفى النديم بقرار من الخديوى خضع فى اصداره لأوامر كرومر .

لقد أصبح عداء (المقطم) موجها ليس الى (المؤيد) فحسب بل الى الخديوى ايضا ، فالخديوى فى نظرها « واقف للمحتلين بالمرصاد ويعاملهم معاملة الأعداء ، والجرائد المحلية تحرض سموه على معاداتهم وتختلق الأكاذيب عنهم وتخفى حسناتهم وتهيج الأهالى عليهم »(١٥) .

وكانت (المؤيد) تحتضن كتابات مصطفى كامل وتنشر مقالاته وخطبه التى تعبر عن رغبة الأمة فى الجلاء والاستقلال . فتقابله (المقطم) بالسخرية ، لأنه شاب يافع حديث العهد بالسياسة ، فهو فى نظرها « الفتى المغرور » و « الماجور المغرور »(١٦) ، « ويا ذل البلاد التى يقوم أمثال مصطفى كامل فيها مقام الذائد عن حقوقها والمطالب باسـتقلالها »(١٧) . وتهاجم المقطم « حزب التعصب الأعمى الذى تسمونه الحزب الوطنى ، والذى قال عنه ولد الخيبة والندامة مصطفى كامل ان تياره فى ازدياد كل يوم ولم يخجل أن يدعى بأن سمو الخديوى أوجده »(١٨) .

وفى واقع الحال لم يكن هنـــاك « حزب وطنى بالمعنى القانونى ، ولكنه كان يمثل قوة معارضة حية تناهض المحتل »(١٩). وتواصل (المقطم) هجومها الساخر على مصطفى كامل : «فياقوم لسنا بمصطفى كامل ننال الحرية والاستقلال . ولا بمعاداة المحتلين ومخاشنتهم نتهيأ لمصر جديد مظفر مجيد »(٢٠) . وترى (المقطم) أنه منذ شاع وجود حزب وطنى فى مصر ضد الحالة الحاضرة ، وهى تنقب عنه فلم تجد غير شرذمة من الأحداث صغار الأحلام(٢١)، وأن الأولى بزعماء الاستقلال والمدعين مجاراة الرأى العام ان يعلموا الراى العام قبل ان يحملوا الحملات المنكرة باسمه(٢٢) ، فتحرير الوطن لا يكون بمثل هذا المجون(٢٣) .

وعندما توقع الحكومتان المصرية والانجليزية اتفاقية السودان فى ١٩ يناير ١٨٩٩ ، تقول (المقطم) ان كلام (المؤيد) عن تصميم الخديوى على المعارضة فى اتفاقية السودان ذهب ادراج الرياح ، وذلك اقتناعا بأن المصلحة لا تصان الا بالاتفاق والوئام(٢٤) .

وقد جاء توقيع الاتفاقية عقب حادثة فشودة التى كانت بمثابة اختبار لمقدرة فرنسا على الوقوف فى وجه المطامع الانجليزية ، ومقدرتها على التأثير عليها واجبارها على الجلاء . ولكن فرنسا فشلت فى ذلك ، فهى « تختفى مرغمة من أفقنا وتحول نظراتها المتعبة وجهة اخرى . لقد انتهى الصـــراع بتنازل كانت مصـــر فديته »(٢٥) . فقد كانت حادثة فشودة « فوزا كبيرا للاحتـــلال وصنائعه فى مصر وبعثت اليأس فى نفوس الوطنيين . وخمدت جذوة الوطنية فى النفوس . ولكنها لم تخمد فى نفس مصطفى كامل ، بل ضاعف جهاده وكفاحه بمقدار ما ازدادت العقبـــات والمصاعب فى طريقه »(٢٦) . وتعبر المقطم عن ســـرورها بهذه الضربة التى تلقتها القوى الوطنية ، فنراها تدعو الى التســـليم

الكامل للاحتلال ، فانه ما دام قد صار « مؤبدا فخير للمصريين أن يتمتعوا بمزايا دوامه جهرا ، من ان يحرموا منها ويقنعوا بأن يكون احتلالا قولا مع علمهم انه حكم وملك فعلا »(٢٧) .

ولكن مصطفى كامل يصدر صحيفة (اللواء) فى أوائل عام ١٩٠٠ تعبيرا عن اصراره على رفض اليأس الذى غرقت فيه البلاد بعد توقيع اتفاقية السودان التى اظهرت ضعف الخديوى والحكومة المصرية أمام الاحتلال . وعن اصدار (اللواء) يقول محمد فريد لقد « سار الشيخ على يوسف وطنيا خديويا وكنا كلنا معه ، ثم لما اثرى قليلا وظهر اسمه اخذ يزاحم مصطفى كامل عند الخديوى ويعاكسه بعدم نشر مقالاته التى كان يرسلها من اوروبا . فقررنا انشاء جريدة وطنية للتخلص من معاكسات الشيخ على فاسس مصطفى كامل اللواء »(٢٨) .

وتتجاهل المقطم صدور اللواء فلا تشير اليها الا فى أغسطس من العام نفسه وذلك ضمن تعليق تهاجم فيه صاحب (اللواء) لعلاقته بالدولة العثمانية ونيله النياشين منها(٢٩) . وتهاجم خطبته التى القاها بمناسبة عيد الجلوس الخديوى ، وقالت انه تمادى فى غيه ونهض يحرض على الثورة « فمن يفهم هذا الغلام المفتون أن مثل هذا الهذيان لا يسع صـــــاحبه الا المارستان »(٣٠) . ويرد مصطفى كامل على اصحاب المقطم حول فشله فى الاعتماد على فرنسا وذلك بعد حادثة فشودة بأن « الوطنى الذى يحب بلاده من صميم الفؤاد يجب عليه الا يتأخر لحظة واحدة عن طلب المعونة من أى انسان مادام يعتقد انها فى الامكان »(٣١) .

ويزداد عنف (المقطم) وسخريتها من مصطفى كامل فتقول :
« إن حب الوطن فى عرفه هو أن يبذل كل غنى ماله الطائل لينقذ

به الوطن العزيز بسبب المحتلين »(٣٢) . وهو فى نظرها « محرر مصـــــر نمرة ٢ الذى طالما كســـــب المال باطالة اللسان على الاحتلال »(٣٣) . وكانت (المقطم) تطلق لقب (محرر مصر نمرة ١) على (المسيو ديلونكل) السياسى الفرنسى الذى كان يتعاطف مع الأمانى القومية المصرية .

ويطرأ تغيير كبير على سياسة جريدة (المؤيد) عندما يعلن الشيخ على يوسف اثناء زيارته للندن مرافقا للخديوى باننا « نحن معاشر المصريين نحب وطننا ونتمنى له قبل كل شىء ان يكون حرا بعيدا عن كل تدخل اجنبى . ولكن ان لم نستطع أن نكون كذلك فأولى بنا ان نكون اصدقاء لأمة قوية مثل الأمة الانجليزية تنفعنا صداقتها » ، فتجد هذه الكلمة ترحيبا شديدا من (المقطم) ، وغضبا أشد من (اللواء) والأوساط الوطنية . فهذه هى السياسة « التى طالما نصح (المقطم) باتباعها » . وهى تثنى على صاحب المؤيد « لما اظهر من الشجاعة الأدبية فى مجاهرته بأقواله فهذا يدل على كرم أخلاق وشهامة خليقة باطيب الثناء . والأمل وطيد ان يحذو (اللواء) حذو (المؤيد) قريبا »(٣٤) .

الاتفاق الودى والحركة الوطنية :

لقد كانت بريطانيا حريصة كل الحرص على انتزاع اعتراف من فرنسا باحتلالها مصـــــر(٣٥) . من هنا كانت اهمية الاتفاق الانجليزى الفرنسى الذى عقد عام ١٩٠٤ ، وسمى بالاتفاق الودى « فبهذه الاتفاقية اطمأنت انجلترا الى مركزها فى مصر ، وبخروج فرنسا من الميدان زالت المعارضـــة الخارجية للاحتلال الانجليزى لمصر ، كما زال كثير من القيود المالية التى كانت تعرقل الادارة الانجليزية »(٣٦) ، فبعد هذا الاتفاق لم يعن المسئولون الانجليز

بتجديد أى وعد بالجلاء أو تصريح باحترام مركز مصر الدولى .
وعملوا على حرمان الحركة الوطنية فى مصر من تأييد فرنسا(٣٧) .

وبالفعل فقد خسرت الحركة الوطنية الكثير من هذه الاتفاقية لانها كانت تتطلع الى فرنسا ومعونتها ، ولم تفقد الأمل نهائيا بها بالرغم من حادثة فشودة قبل ذلك بسنوات قليلة . فان « فرنسا فى تلك الأيام كانت المثل الأعلى لجميع الأحرار فى كل مكان بما كانت مبادئها تدعو اليه من حرية واخاء ومساواة »(٣٨) . وان مصطفى كامل « كان وثيق الصلة بممثلى فرنسا فى الوقت الذى كانوا يعملون فيه فى مصر على مغاكسة السياسة الانجليزية »(٣٩) .

وهنا نجد (المقطم) تؤكد على أن « اتفاق انجلترا وفرنسا على مصر لا يغير شيئا فى أحوالها ولكنه يزيد نفوذ الانجليز الأدبى فيها قوة على قوة »(٤٠) . وتهاجم (المقطم) صاحب (اللواء) الذى ازدادت دائرة نشاطه وازدادت حدة قلمه ضد الاحتلال وأعوانه فتسمى التيار الوطنى الذى يقوده مصطفى كامل « بقوات المعارضة والتأخر » و «بحزب المعارضة والتأخر » الذى « يعارض الاصلاح السائر بالبلاد فى سبيل الارتقاء والتقدم »(٤١) .

وبعد الانتقاد الذى وجهته (اللواء) للخديوى لوقوفه تحت الراية البريطانية للمرة الثانية فى عامين متتاليين ، بمناسبة عيد ميلاد ملك الانجليز ، ترد (المقطم) على (اللواء) زاعمة أن الضغائن والمداوات التى يثيرها صاحب (اللواء) هى « أعظم العوامل فى ابلاغ الخديوية المصرية هذه المنزلة السياسية والاجتماعية »(٤٢) .

مشكلة العقبة بين المقطم ومصطفى كامل :

وفى أوائل عام ١٩٠٦ تحدث مشكلة احتلال القوات التركية لقرية (طابا) فى منطقة العقبة ، مدعية انها من ممتلكات الدولة العثمانية . وتجد (المقطم) فيها فرصة مواتية لشن حملات قاسية ضد الحكومة الحميدية ، ارضـــــاء للحكومة الانجليزية ولرجال الاحتلال فى مصر ، وانتقاما من الحركة الوطنية التى كانت تجد فى الدولة العثمانية نصـــــيرا لها ضد الاحتلال البريطانى . فتظهر (المقطم) وطنية زائفة « فبعدما مدت الحكومة المصرية يد الاصلاح الى تلك الأراضى النائية لا يكاد يحتمل انها تترك الحكومة الحميدية تعتدى عليها وعمال المابين يعيثون فيها فسادا »(٤٣) .

اما الوطنيون المصريون فقد ابدوا « عطفا على وجهة النظر التركية وموقف تركيا ، وانكروا على بريطانيا تدخلها فى المشكلة وتفسير موقفهم انهم استنكروا دور الحامية الذى اتخذته بريطانيا بالنسبة لمصر فى المشكلة ، وخشوا أن تكون تلك مقدمة لانهاء السيادة التركية وضم مصر الى الامبراطورية البريطانية او اعلان الحماية عليها »(٤٤) . فقد كانت الحركة الوطنية تتطلع الى مجابهة الاحتلال ضمن أطار الجامعة الاسلامية التى كان صاحب فكرتها السلطان عبد الحميد الثانى « كفكرة تستهدف جمع المسلمين فى حوزة دولة واحدة تحت ظل الخلافة العظمى ، ورأى أن استغلال هذه الحركة هو بمثابة صـــخرة النجاة له وللامبراطورية العثمانية على السواء »(٤٥) .

وقد كان « من الطبيعى أن يتطلع المصريون الى تاييد دولة اسلامية كبرى كالدولة العثمانية . وان يجدوا فى دعوة الجامعة الاسلامية عامل دعم لهم فى نضالهم ضد الاحتلال البريطانى »(٤٦) .

وكان طبيعيا ايضا أن تسجل (المقطم) تحركات بريطانيا فى مشكلة (طابا) والاشادة بها وبفاعليتها ، وبضعف الحكومة التركية امامها، فان « بريطانيا العظمى قد تحركت ، والليث البريطانى اذا تحرك من عرينه لم يسهل لقاؤه ولا تسكينه »(٤٧) . وتقول (المقطم) انها تنصر مصر فى هذه المسألة لان مصر اقرب اليها من تركيا ولأن مصر « اولى بالنصر من الحكومة الحميدية ولان بقاء طورسيناء بيد حكومة مصر نعمة لأهلها ورحمة ، ودخوله فى يد الحكومة العثمانية عذاب لاهلها ونقمة »(٤٨) . وهى ترى أن زيادة اعداد جيش الاحتلال فى مصر فى اثناء هذه المشكلة جاءت نتيجة تحريض الجرائد الوطنية « فكان ذلك شبه عقاب للأمة لا للجرائد وللمحرضين لها ، لان زيادة جيش الاحتلال تستلزم زيادة صرف الأموال »(٤٩) . وتقول (المقطم) لهؤلاء الوطنيين الذين يعترضون على تدخل بريطانيا فى الأزمة انها لا تظنهم « يجهلون او يتجاهلون أن الانجليز هم الذين يتولون ادارة الأحكام فى مصر الآن »(٥٠) . فليست حدود الازمة اذن بين الحكومة المصرية والحكومة العثمانية .

وبعد أن تم التوصل الى حل للأزمة بانسحاب القوات التركية من (طابا) بفعل الضغوط السياسية التى مارستها بريطانيا ، فضلا عن تهديدها بتفجير مواجهة عسكرية مع تركيا ، تخاطب (المقطم) صاحب (اللواء) بأسلوب ينم عن الفطرسة والتشفى فتقول لقد « اثبت امس أن طابا هى فشودة ثانية بلا مراجعة ولا منازعة واليك البيان : ان الفرق الوحيد بين مسألة طابا ومسألة فشودة فى فهم صاحب اللواء اللبيب ، هو ان خروج الفرنسيين من فشودة كان اهانة لهم لا تنسى ، اما الحكومة الحميدية فلم تحتل (طابا) الا لمنع بناء الاستحكامات فيها ، وهذا قد تم لها . ولذلك خرجت جنودها ظافرة مفاخرة . هذا هو الفرق بين مسألة فشودة ومسألة طابا عند صاحب (اللواء) . وقد ثبت اليوم رسميا على رؤوس

الأشهاد أن الحكومة الحميدية اخرجت جنودها من طابا وطور سيناء كما أخرج الفرنسيون جنودهم من فشودة من غير أن تذكر كلمة عن قلاع أو استحكامات »(٥١) .

وتواصل (المقطم) مهاجمة مصطفى كامل وتتهمه بانه هو واعوانه كانوا السبب فى اهاجة سخط الدولة البريطانية حتى أبت الا معاملة الدولة العثمانية بمنتهى الشدة فكانت مسألة العقبة اشد محنة وبلية على الدولة العلية حيث جرعتها غصص الذل والهوان وتركت السيادة العثمانية على مصر اثرا بعد عين »(٤٢) وتنطلق المقطم من هذه الحادثة لتبين للقوى الوطنية التى تنادى بالجامعة الاسلامية ، أن ارتقاء البلاد لا يكون الا بالاعتماد على الجامعة الوطنية المصرية فى المسائل الدنيوية سياسية واقتصادية واجتماعية . وأن تكون الجامعة الاسلامية مظلة للأمور الدينية فقط(٥٣) .

وهذه الرؤية التى تقدمها (المقطم) ، ترى أنها ميزة تمتاز بها الصحف العثمانية والكتاب العثمانيون على الصحف والصحفيين المصريين (وهى تقصد بالعثمانيين هنا أصحاب الصحف من السوريين الذين يقيمون فى مصر) . ذلك أن كثيرين من أرباب الصحف والكتاب المصريين بل اكثرهم « لا يعترفون بالجامعة الوطنية بل يزدرون الجامعة الوطنية المصرية ويعادون كل من يدعو المصريين اليها ولا يعترفون الا بجامعة واحدة هى الجامعة الاسلامية »(٥٤) . وترى (المقطم) أن هؤلاء الكتاب كانوا يتظاهرون بالغيرة الوطنية تحت رعاية حزب الاستعمار الفرنسى « فلما فرغت جيوبهم التمسوا للرزق سبيلا آخر وهو الطنطنة بالجامعة الاسلامية »(٥٥) .

حـــادثة دنشـــواى :

بعد وقوع حادثة دنشواى التى تمثلت فى اشتباك عدد من الضباط الانجليز مع فلاحى قرية دنشواى (فى مديرية المنوفية) نتيجة قيام هؤلاء الضباط بصيد الحمام الذى يملكه أهالى القرية ، مما أدى الى وفاة ضابط انجليزى وجرح آخرين . بعد هذه الحادثة مباشرة كتبت (المقطم) تعبر عن سخطها على فلاحى دنشواى : فهذه الحادثة قد « أهاجت خواطر الناس هنا وفى بلاد الانجليز هيجانا عظيما جدا ، أولا لأن عاقبتها مشئومة ، وثانيا لوقوعها بعد هيجان الخواطر فى مسألة العقبة . وانما نقول ان هذه الحادثة شؤم ووبال على الذين ارتكبوها وعاقبتها مذمومة على الأمة من كل وجه ، اذ معظم علم الأجانب بأميال الوطنيين ولاسيما الفلاحين وآرائهم مستمد من الجرائد الوطنية فهم يعتقدون أن هذه الجرائد تنطق بلسان الوطنيين وتفصح عن ضمائرهم . ومن سوء الحظ وخرق السياسة ، ان اكثر الجرائد الوطنية تطرق على سندان واحد وهو أن الوطنيين نافرون من المحتلين حاقدون عليهم لا يصغون لهم ويرمون كل وطنى لا يجرى على قولهم بالرياء والتملق والمروق من الوطنية والدين »(٥٦) .

وقبل ان تنعقد المحكمة ، وقبل أن يجرى التحقيق تنشـــر (المقطم) خبر اصدار الأوامر الى مخازن البوليس فى بولاق بتجهيز المشنقة واعدادها ، حتى اذا اقتضت الأحوال ارسالها الى دنشواى ارسلت فى الحال(٥٧) . ويؤيد (المقطم) الرواية الانجليزية عن الحادث التى اعلنتها وزارة الداخلية فتقول : « وظاهر ان رواية نظارة الداخلية ، دلائل الصحة والتوفيق فى التحقيق واضحة عليها . وقد أسفرت لنا عن حقائق من الغرابة بأعظم مكان حتى حار فيها كل قارئيها . فأول تلك الحقائق ابتعاد الضباط الانجليز عن الشر

وحبهم العجيب للمسالمة وخلوص طويتهم وصفاء نيتهم الى حد لا يكاد يصدق . والحقيقة الثانية أن أهل دنشواى فعلوا حينئذ فعلا يجل عنه أهل الشـــرق ولا يليق بأبناء مصـــر سليلة العرب الكرام »(٥٨) .

وترى (المقطم) أن القضية محصورة بين خمسة من الضباط الانجليز واهل قرية من قرى الريف ، فلا ينبغى أن تكون قضـــية سياسية بين الأمة المصرية والأمة البريطانية . وذلك « لعلمنا أن كل مصرى ذى عقل ومروءة وأنفة وحمية ، يأبى هذا التقسيم الجائر فى حادثة كهذه الحادثة ، ويأنف ان يلطخ الأمة المصرية بعار ارتكبه رعاع من أسفل طبقة من طبقاتها كما يانف عقلاء كل امة من الأمم أن يلطخوا امتهم بعار ترتكبه جماعة من رعاعهم وسفلتهم »(٥٩) .

وبعد صدور حكم (المحكمة المخصوصة) التى نظرت القضية ، الذى قضى باعدام البعض وسجن البعض الآخر من المتهمين من اهالى القرية ، تكتب (المقطم) مبينة ان حكم القضاء (الرهيب) قد صدر على أهل دنشواى « جزاء ما جنت ايديهم واجراء للعدل وحفظا للنظام والأمن فى هذا القطر . وقد ساءت حادثة دنشواى هذه العالم المتمدن عموما وعقلاء مصر خصوصا ، لما ارتكبه أهل دنشواى فيها من الجرائم الفظيعة والعيوب الفاضحة حتى بات كل مصرى عاقل يغار على بلاده ويحافظ على كرامة أمته يتبرأ منهم ويجل امته عنهم »(٦٠) . وتأمل (المقطم) بعد انتهاء الحادثة بهذا الشكل المأسوى أن « تهدأ الخواطر وتسكن النفوس بعدما طال عليها زمان القلق والهيجان من ابتداء مسألة طور سيناء هذه السنة الى الآن »(٦١) .

ولكن حادثة دنشواى لم تمر هكذا ، وبدون عواقب ، فقد كانت مناسبة مهمة لمصطفى كامل ، لكى يتحدث عن القضية المصرية

فى المحافل الدولية ، ومخاطبة الرأى العام فى كل من بريطانيا وفرنسا موضحا حقائق السياسة التى يمارسها الاحتلال الانجليزى فى مصر .

وكان « هذا الحادث مما الهب حرارة الوطنية فى نفوس المصريين ورفع مكانة مصطفى كامل أيما ارتفاع »(٦٢) . وكان أن انتعشت الحركة الوطنية وازدادت قوة ، بعد فترة ركود وضعف قبل دنشواى ، هذا الانتعاش ترتب على ان دنشواى زودت زعماء الحركة الوطنية بمعين لا ينضب للهجوم — بحق وبدليل عملى — على الاحتلال وعلى سياسته فى مصر(٦٣) . وبدأ التاريخ ينظر الى حادثة دنشواى على انها « نقطة التحول الحقيقى فى الحركة الوطنية والنشاط المصرى »(٦٤) . وقد اتخذت هذه الأهمية التاريخية « لما كان لها من الأثر البليغ فى تطور الحركة الوطنية ، وفى مركز الاحتلال فى نهاية عهد كان الاحتلال يتمتع فيه بالاستقرار والطمانينة وبداية مرحلة جديدة من مراحل الجهاد القومى عم فيها الشعور الوطنى بعد أن كان الظن أن سواد الأمة راض عن الاحتلال »(٦٥) . ويشهد الخديوى عباس حلمى فى مذكراته بأن « البيان الذى نشره مصطفى كامل فى جريدة الفيجارو الباريسية فى ١١ يولية ١٩٠٦ قد أحدث دويا عظيما واثار ضمير العالم »(٦٦) .

ومع هذه الحملة الاعلامية العالمية التى قادها مصطفى كامل استنكارا لاعدام فلاحى دنشواى ولسياسة الاحتلال ، تظهر فى بريطانيا نغمة رمى المصريين بتهمة التعصب ، الصقها بهم وزير الخارجية البريطانى (ادوارد جراى) ، فتتلقف المقطم هذه التهمة لتنسبها الى الحركة الوطنية المصرية وجرائدها « فعسى أن يتبين سكان هذا القطر ان الذين ينادون باسمهم وينفخون روح التعصب فى البلاد ليسوا منهم ولا هم مسئولون عما يفعلون »(٦٧) .

وتقول (المقطم) ان كتاب الجرائد المصرية يتوكأون على أقوال (الشواذ) من الكتاب الانجليز الذين يحتدون على حكومة بلادهم . وتستنكر الصحيفة اتهام اللورد كرومر باختراعه تهمة التعصب اختراعا لكى ينجى الوزارة الانجليزية من الموقف الحرج الذى أوقعها فيه جلد بعض المحكوم عليهم من اهالى دنشواى امام المحكوم عليهم بالاعدام وتدفع (المقطم) هذه التهمة عن كرومر الذى يتصف « بالشمائل الحميدة »(٦٨) . وتهاجم (المقطم) الكتاب الوطنيين الذين « تعرفوا بنفر من رجال الانجليز المحسوبين بين قومهم من الشواذ الذين لا يعجبهم شىء بل يعدهم قومهم من اعداء وطنهم »(٦٩) . وتطالب الجرائد الوطنية بالكف عن « الخوض فيما يزيد الوحشة والنفور ، والا فالعاقبة وخيمة عليها وقد تجر الضرر على البلاد ايضا »(٧٠) .

واشتدت حملة (المقطم) من ثم على مصطفى كامل الذى استشعرت خطورة تحركه ضد الاحتلال ، فتلقبه (بالهجاص) وتقول فيه : « أن الذى أوهم المتطرفين فى انجلترا وجمهورا عظيما فى مصر ، بأنه زعيم عظيم يحمى أمير مصر ظهره ، وتشد الأمة المصرية أزره ليس الا — هجاصا — فاق الأقران فى قرع طبول — هجصه — حتى حصل مالا من بعض الموسرين ليستعين به على توسيع شغله وزيادة ربحه »(٧١) . وأن الحوادث كل يوم تجىء مكذبة لأقواله مبطلة لدعواه ، فمسألة العقبة أظهرت كذب وطنيته بأجل بيان حيث وقف فيها عدوا لمصر وناصرا للما بين خصمها(٧٢) . وتركز (المقطم) على فقرة وردت فى تقرير كرومر السنوى عن الحزب الوطنى ، بانه لا ينوب عن السواد الأعظم من الأمة فى رغائبها وامانيها ، وانه يعتمد على الجلبة والصياح(٧٣) . وترتفع نغمة التحدى لدى (المقطم) فتقول ان كل ما يقدمه الحزب الوطنى والويته لن يزحزح وجود الاحتلال الذى تقرر أنه باق الى ما شاء

الله(٧٤) . وتحذر (المقطم) من ان المصريين لن ينالوا استقلالا أبد الدهر « لأن الأمة التى يكون زعيمها مثل صاحب اللواء احوج الى النصح والارشاد منها الى حكم نفسها بنفسها »(٧٥) . وترى المقطم أن من نتائج أعمال الحزب الوطنى اتســـاع الهوة بين الحكومة الانجليزية والخديوى « حتى صارت جريدة التيمس تقول اذا شاء سموه أن يساعدنا فى الاصلاح فله ، وان لم يشأ فندن مستغنون عنه »(٧٦) .

ولكن (المقطم) تعبر عن سرورها عندما يذاع فى لندن حديث منسوب للخديوى ، اجراه معه (المستر ديسى) ونشرته (الديلى تلغراف) ، يعلن فيه الخديوى أن الاحتلال يتفق وطبيعة الأوضاع فى مصر . فتهلل (المقطم) لهذا الحديث نظرا لانســـجامه مع السياسة التى تدعو لها باستمرار(٧٧) . ونظرا لردود الفعـــل العنيفة التى احدثها هذا الحديث الصـــحفى فى اوســـاط الحركة الوطنية ، تقول (المقطم) ان صاحب (اللواء) ضاع صوابه بعد هذا الحديث الذى « ابطل دعاويه ، وقطع أوصاله وعلمه ان كان يصح لمثله أن يقول ان (المقطم) الصادق فى خدمة مصر واهلها جريدة احتلالية صح أن يقال ان سمو الخديوى المعظم نفسه أول احتلالى »(٧٨) . ويصل الأمر (بالمقطم) بعد ان احست بابتعاد الخديوى عن الحركة الوطنية أن تطالبه وتطالب معه الكبراء والعميد البريطانى بمحاصرة هذه الحركة واسكاتها « وبأن يكفونا شر أولئك الزعانف الذين يلقبون انفسهم بالحزب الوطنى لأن كم افواههم من مصلحة البلاد ومصلحة الساكنين فيها »(٧٩) .

عـــزل كرومـــر :

وكان من آثار حادثة دنشـــواى عزل الحكومة البريطانية لكرومر ، المعتمد البريطانى الذى اقام بمصر اربعا وعشرين سنة متصلة ، شهدت فيها تغييرات واحداثا جساما ، كان فيها كرومر يمثل دور الطاغية المتجبر الذى لا ترد له كلمة . وقد تضافرت عدة عوامل على اقالته من منصبه وهى : « تحالف الخديوى والحركة الوطنية ضده بعد دنشواى ، والحملة ضده وضد سياسته فى مجلس العموم البريطانى واثرها فى مصـــر ، وتخلى الحكومة البريطانية عن تاييد سياسته ، وضعف صحته وعجزه عن مواجهة الحملات دون تأييد من الحكومة »(٨٠) .

وكانت اقالة كرومر موضع أسف وحزن لدى (المقطم) ، ومبعث هجوم متصل على القوى الوطنية التى كانت تســـدد له الهجمات الشديدة فى أعقاب دنشواى . وتقول (المقطم) : انه « لا ريب ان استعفاء اللورد كرومر يسوء اهل القطر عموما حتى الذين يتباهون فى هذه الأيام بالتطاول عليه ويفتخرون بالوقاحة وقلة الأدب فى توجيه اقوالهم اليه . ولكن ما يخفف على المصريين الم هذا التغيير أن الذى حل محله انما هو تلميذه الذى ربى فى كنفه منذ نعومة أظفاره ، وتخرج فى السياسة والادارة تحت عنايته وأدرك مبادىء ادارته وغايات سياسته »(٨١) ، وتقصد به (السير الدون جورست) المعتمد البريطانى الذى خلف اللورد كرومر فى مصـــر .

وتنكر (المقطم) على الحركة الوطنية دورها فى عزل اللورد كرومر قائلة : « وغنى عن البيان ان الهجاصين سيحاولون ايهام البسطاء بانه كان لهم يد في هذا الاستعفاء »(٨٢) . وترى (المقطم)

انه ليس هناك موجب لفرح هؤلاء ، فان جورست هو تلميذه وسوف يسير على سياسته ، بل اننا « استبدلنا الشيخ بالشاب وفى ذلك خير كثير »(٨٣) . وتقول ان الاستعفاء كان بعيدا عن الاسباب السياسية وانما كان لاسباب صحية فقط . وان كان ما يقوله صاحب (اللواء) مغايرا لذلك ، فهو غير صحيح(٨٤) .

الحـــزب الوطنى الحـــر :

مع اعلان الاحزاب المصرية فى عام ١٩٠٧ ، وهى الحزب الوطنى حول صحيفة (اللواء) ، وحزب الأمة حول صحيفة (الجريدة) ، وحزب الاصلاح على المبادىء الدستورية حول صحيفة (المؤيد) ، ظهر الحزب الوطنى الحر برئاسة محمد وحيد الأيوبى الذى اتخذ جريدة (المقطم) منبرا له ، وان لم تكن صحيفته الخاصة به .

ويبدو هذا الحزب كانه (الصورة السلبية) للحزب الوطنى ، فقد كان فى نشاته او فى برنامجه او فى كيانه او فى تصرفاته اقرب الى أن يكون رد فعل عكسيا لحزب مصطفى كامل . فمن حيث النشـــأة ظهر (حزب الاحرار) من خلال رد فعل للهجوم السنوى الذى اعتادت (اللواء) أن تشنه على تقرير اللورد كرومر السنوى ، فردا على هجوم ١٩٠٧ نشر محمد بك وحيد مقالا فى (البروجريه) يتهم فيه مصطفى كامل وجماعته بانهم « جرثومة التعصب والفتن »(٨٥) . وقد أطلق الأيوبى اسم الحزب الوطنى الحر ليدل على منافسته ومعارضته المضادة للحزب الوطنى(٨٦) .

وقد بدأ محمد وحيد نشاطه بالكتابة السياسية على صفحات المقطم ، فيكتب سائلا المولى أن يحفظ كل مصرى من الوقوع فى شرك « حزب الفساد المأجور الذى يوسوس فى صدور الجهلاء

والغوغاء وبعض الصعاليك »(٨٧) . ويقصد بذلك الحزب الوطنى .
ويتبع (المقطم) طريقة جديدة لنشر أفكار محمد وحيد ؛ وذلك بنشر رسائل موقعة باسماء عدد من المواطنين تتضمن آراء تتفق وافكار محمد وحيد وسياسة (المقطم) ، وذلك تحت شعار « أصحاب المصالح الحقيقية » تذيل بتعليق خاص لوحيد على كل رسالة منها .
وتركز هذه الرسائل على اعجاب أصحابها بسياسة (المقطم) وخطة محمد وحيد(٨٨) .

ويكتب محمد وحيد قائلا ان « آراء عقلاء الوطنيين أصحاب المقامات والحيثيات والمصالح الحقيقية ، هى التساهل ومسالمة المحتلين وجميع الأجانب قلبا وقالبا وليست كما تدعى جرائد التهور والهياج لترويج بضاعتها فى سوق البساطة والجهل »(٨٩) .
وتأتى رسالة لمحمد وحيد تنشرها (المقطم) يعلن فيها صاحبها سخطه على (اللواء) و (المؤيد) اللذين « اضرا بالبلاد ضررا عظيما وعبثا بحرمة المصريين باقوالهما الشائنة وخصوصا وقاحتهما ضد مصلح مصر اللورد كرومر »(٩٠) . ويخاطب محمد وحيد مصطفى كامل وعلى يوسف ساخرا « يا مصطفى كامل يا اخانا وياعم الشيخ على » مطالبا اياهما بأن يكفا عن خطتهما . ثم يقول ان هذه الجرائد التى « تتسافه على المحتلين والاجانب ليست الا جرائد تهجيص وتدجيل لا نعول على اقوالها ولا تنطق الا بلسان أصحابها »(٩١) . وعلى هذا المنوال سار محمد وحيد مكررا الافكار والاتهامات نفسها ضد مصطفى كامل و (اللواء) ، ويربط بين دعوة الحركة الوطنية للاستقلال وايجاد المجلس النيابى والأزمة المالية التى شهدتها البلاد فى اوائل عهد المعتمد البريطانى الجديد جورست . ويخاطب وحيد رجال المال والبنوك الأجانب بأن يطمئنوا على مصالحهم المالية فى مصر لأن « أدعياء الوطنية الهجاصين »

لا يعبرون عن « أصحاب المصالح الحقيقية » الذين يريدون بقاء الاحتلال ، وانما يعبرون عن انفسهم ومصالحهم الذاتية .

وقد بدأ وحيد منذ ٨ يونية ١٩٠٧ يطلق على نفسه ومؤيديه لقب « حزب الاحرار » ويخاطبه اصحاب الرسائل المؤيدة له « بالوطنى الغيور » و « الشهم الحر »(٩٢) . ويوقع بعضهم تحت اسمائهم بأنهم « من ذوى الاملاك والأطيان »(٩٣) . ويتساءل وحيد ساخرا « وهل بمصطفى كامل وعلى يوسف خرج الانجليز من مصر ؟ تالله لا فرق بين هذه الفئة التى تتوارى خلف ستار الصحافة وضاربى الارمال وفاتحى الكتب وكاتبى الحجب وكاشفى البخت ورواة قصص ابى زيد والزناتى »(٩٤) . وهو يدعو المصريين الى مبادئه باسم « الحزب الوطنى الحر وباسم الوطن والحرية وباسم العقل والروية »(٩٥) ويرى محمد وحيد أن القاعدة التى يجب أن يتبعها أبناء مصر والتى تناسب الاحوال الحاضرة هى « سلامة المصريين فى مسالمة المحتلين »(٩٦) . ويقول ان « الهيئة الحاكمة للأمة لا ترى ان الامة قادرة الآن على تولى أمور مجلس نيابى .. فالضاربون على نغمة هذا المجلس انما يضربون لأغراضهم الشخصية واوطارهم الذاتية »(٩٧) .

ويطلق وحيد صرخة يطالب فيها ابناء الأمة ووجهاءها وأعيانها بالمجاهرة « بأن الامة برمتها ساخطة على هؤلاء المهيجين المفسدين وبريئة من أضاليلهم واباطيلهم »(٩٨) . وتصل حدة الهجوم على مصطفى كامل بان تدعوه المقطم الى ترك خطته « الممقوتة » والانضمام الى الحزب الوطنى الحر(٩٩) . وتنشر (المقطم) برقية وحيد التى ارسلها باسم حزبه الى جورست يعلن فيها اعتماده على « الدولة المحتلة المحبوبة العادلة فى جميع شئوننا الادبية والمادية »(١٠٠) . ويعبر وحيد عن سرور للزيارة التى قام بها الخديوى لسفير بريطانيا فى الآستانة فى برقية نشرتها (المقطم)

باسمه وباسم اعضاء حزبه الذين « يأملون ان هذا الاتحاد وهذا الوداد يدومان طول الأيام »(١٠١) . وتدعو (المقطم) وحيدا لأن ينتهز فرصة الضربة القادمة التى تنبأت للحزب الوطنى بتلقيها نتيجة لسياسته وخطته بقولها : « فليفتح الحزب الوطنى الحر عينيه واذنيه وليستعد لضرب حزب الهجاصين كل ساعة بين عينيه حتى يعلم العالم ان الأمة المصرية ليست على رايه وانه لا يجوز ان تؤخذ بجريرة جهله ونزقه وطيشه »(١٠٢) .

وتنشر المقطم برنامج الحزب الوطنى الحر « الذى اتخذه قاعدة لأعماله ومنهجا ينهجه ذووه » ، ويتكون من ستة بنود تتضمن الدعوة لمسالمة المحتلين ومسالمة الأجانب المقيمين فى البلاد والسعى لتعميم التعليم الابتدائى والسعى للاستفادة من التمدن الغربى والسعى للحكم النيابى تدريجا عندما تقتنع الدولة الانجليزية بمسالمة المصريين واستعدادهم لذلك . وتعلق المقطم على برنامج الحزب الوطنى الحر بقولها انه مطابق لراى العقلاء ولمصلحة مصر وان « قيام هذا الحزب كان آفة على الحزب الوهمى الذى يسميه ذووه كذبا بالحزب الوطنى »(١٠٣) .

ولعله لم يكن هناك فى تاريخ مصر من الاحزاب من ايد الاحتلال بالشكل الذى عبر عنه هذا الحزب(١٠٤) . وقد ظل وحيد « مادة للتشهير به كممثل للعملاء المفضوحين حتى اختفى ولم يسمع عنه بعد ذلك ابدا »(١٠٥) . ولم يكن لهذا الحزب شان خطير فى البلاد خاصة اذا عرفنا انه لم يكن له اعضاء ما عدا محمد وحيد نفسه كرئيس ومحمد بك نشأت كوكيل(١٠٦) . وكان محمد وحيد قد اصدر صحيفة له باسم الاحرار « وواضح ان صدور هذه الجريدة قد تمخض عن الخلاف بين محمد وحيد وجريدة المقطم التى اتخذها منذ البداية منبرا لنشر آراء حزبه واخباره »(١٠٧) . ولم تستمر هذه الصحيفة فى صدورها لمدة طويلة(١٠٨) .

مرحلة الوفاق بين الخديوى والاحتلال :

بمجىء جورست خلفا لكرومر ، بدات سياسة جديدة بين الخديوى والمعتمد البريطانى اطلق عليها « سياسة الوفاق » وذلك فى اعقاب « سياسة الخلاف » بين الخديوى وكرومر حيث « فكرت بريطانيا فى اتباع سياسة جديدة تحاول فيها ارضاء المصريين واعطاءهم نصيبا اكبر من حكم بلادهم ، وارضاء عباس باعادة قدر من سلطاته اليه ، واستخدامه كأداة لضرب الحركة الوطنية »(١٠٩). وقد « نتج عن سياسة الوفاق هذه فتور عام فى فكرة الاستقلال وتراخ فى مفاصل الوطنية الصحيحة ، وانصرفت النفوس طبعا عن التعلق بالخديوى الذى كان ينسب كل تصرف سيىء للانجليز الى رضاه عنه واقراره عليه . وكان اللورد كرومر والجرائد الانجليزية لا تدع فرصة تمر الا انتهزتها للثناء على الخديوى واطرائه ، بأبلغ الاطراء »(١١٠) . وتثنى (المقطم) على هذه السياسة فترى انه اذا كانت السياسة الجوهرية لجورست لا تختلف عن سياسة كرومرو ، فان العلاقات الخصوصية له مع الخديوى تختلف عما كانت عليه الحال بين الخديوى وكرومر ، فالعلاقات الآن تقوم على الثقة المتبادلة والصفاء التام بعد أن كانت مضطربة ويشوبها الجفاء(١١١) .

وقد تصدت الحركة الوطنية للاحتلال والخديوى معا فى هذه المرحلة ، واحست قياداتها بضرورة الحذر خشية التعرض للتصفية التى قصد الاحتلال القيام بها بتنفيذ هذه السياسة التى تحمل فى طياتها أخطارا كبيرة بالرغم من كونها لينة المظهر .

وكان زعيم الحركة الوطنية فى هذه المرحلة محمد فريد ، الذى تسلم رئاسة الحزب الوطنى بعد وفاة رئيسه مصطفى كامل فى فبراير ١٩٠٨ . وقد طالب فى خطبته الاولى بعد انتخابه لرئاسة

الحزب بالدستور والمجلس النيابى ، وهما المطلبان اللذان كانا محور نشاط الحركة الوطنية وجهدها السياسى والاعلامى ، فقد « طرحت قضية الدستور فى الصحافة المصرية بعد الاحتلال بصفتها جزءا عضويا من طلب المجلس النيابى . وذلك أن المفهوم السائد للدستور فى ذلك الوقت كان يقتصر فى معناه على نوع خاص من التنظيم السياسى ، تقيد فيه سلطات الحكم وتقرر ضمانات مهمة لحريات الأفراد »(١١٢) . وترد (المقطم) على مطالب محمد فريد ، بأن الحزب الوطنى وسائر الأحزاب المصرية مدعوة لتوجيه العناية الى اعداد العامة للنظامات النيابية ، عوضا عن اضاعة الجهد فى طلب الشىء قبل أوانه(١١٣) . وترى (المقطم) أن المطالب الوطنية المصرية سواء فيما يتعلق بالجلاء والاستقلال أو انشاء المجلس النيابى يجب أن توجه الى الدولة الانجليزية مباشرة وليس الى معتمديها فى مصر لأن بريطانيا هى التى تقرر السياسة العامة فى البلاد(١١٤) .

وفى أثناء احتفال (المقطم) باعلان الدستور العثمانى الذى استقبله بالتهليل والابتهاج ، ترى أن الحياة الدستورية التى يطلبها المصريون يضمنها لهم الاحتلال الانجليزى أو البرلمان البريطانى ، فهذا الضمان « مجرب ومكفول يقيكم شر الغدر بكم والانقلاب عليكم ويغنيكم مؤقتا عن التعرض للأخطار والأهوال »(١١٥) . وترتفع نغمة المقطم المضادة للدستور والمجلس النيابى مبينة أن الخديوى لا يستطيع اتخاذ اجراء ما فى القطر الا بعد الرجوع لانجلترا . وعليه فانه « مادامت الحكومة الانجليزية لا توافق على منح مجلس نيابى فالمجلس النيابى لا يمنح »(١١٦) . وتأتى نغمة المقطم هذه فيما يبدو ، ردا على ما أعلنه محمد فريد من اننا — لا نطلب الدستور الا من الخديوى واذا جاءنا من الدولة المحتلة فلن نقبله — فتناشده المقطم بقولها : « اننا نتوسل اليك ياحضرة الأخ فريد بك اذا

سمحت بالأخوية الوطنية ان تتنازل عن هذه الشـــدة فى القول والطلب لأنه ليس وراءها الا الخسران »(١١٧) .

وتجرى (المقطم) حديثا صحيفا مع جورست يعلن فيه أن مصر غير مهيأة لنيل الدستور واقامة حكومة نيابية ، لأن درجة ارتقاء الأهالى فى العلم والمعرفة لا تسمح بذلك « والتفكير فى ادخال تغيير يحدث انقـــلابا كهذا الانقلاب ضـــرب من الحماقة والجنون »(١١٨) . وتطالب (المقطم) أعضاء مجلس شـــورى القوانين بالاعتدال فى مواقفهم وعدم الالتفات الى ما تكتبه جرائد التهور والطيش(١١٩) . وتنشر الصحيفة رسالة بتوقيع (الميرالاى ابراهيم بك راجى) يشن فيها حملة على الحزب الوطنى ويتهمه بافساد أخلاق التلاميذ وانه سبب الأزمة المالية التى تعانى منها البلاد(١٢٠) .

احياء قانون المطبوعات لمحاصرة الصحافة الوطنية :

لجأت الحكومة المصرية بضغط من الخديوى وبناء على اتفاقه مع معتمد الدولة المحتلة الى سلاح قانون المطبوعات الصادر عام ١٨٨١ لتكميم الصحافة الوطنية ، بعد أن حققت الحركة الوطنية تقدما ملموسا لاسماع مطالبها الوطنية الى الراى العام الأوروبى .

وبعث القانون من جديد فى عهد وزارة بطرس غالى فى مارس ١٩٠٩ . واعتبر صدوره « أول مظاهر تحالف الخديوى والوزارة والاحتلال على الحركة الوطنية »(١٢١) . ويرى أحمد شفيق باشا ان احياء قانون المطبوعات جاء بسبب حدة الصحافة المنتمية للحزب الوطنى « التى تمادت فى شدتها ضد شخص الخديوى ، حتى كانت ترميه بخيانته لوطنه والاتفاق مع الانجليز ضد مصالح الأمة ، فضاق سموه ذرعا بهذه الحملات وسلم بالنظرية الانجليزية فى ســـن

القانون بل اضحى هو صاحب الرغبة والسـعى فى ذلك فكلف بطرس باشا بالتعجيل فى تنفيذ هذه الفكرة واستقر الراى على بعث قانون سـنة ١٨٨١ لتحاسـب الصحف بمقتضاه »(١٢٢) .
وكان بطرس غالى من ناحيته يشعر بالضيق ازاء الحملات الصحفية التى استهدفته حيث « استقبلت جرائد الحزب الوطنى الوزارة التى الفها بطرس باشا غالى فى منتصف نوفمبر ١٩٠٨ أسوأ استقبال».
وقد « كان منطقيا بعد هذا الموقف من الصحافة الوطنية أن يمتلىء رئيس الوزراء بدوره بمرارة شديدة منها ، ويتمنى لو اتيحت له الفرصة ليخمد أنفاسها . وقد منحت هذه المشاعر بطرس باشـا حماسة لقانون المطبوعات عندما عرضت فكرة إعادة تطبيقه الى حد أنه عندما اعترض بعض الوزراء على اصدار هذا القانون كان لدى رئيس الوزراء الرغبة فى الاستقالة وعودة تأليف وزارة يخرج منها الوزراء المعترضون »(١٢٣) .

وتستقبل (المقطم) قانون المطبوعات بذرف دموع الأسف على حال الصحافة ، محملة الحزب الوطنى مسئولية اعادة العمل بهذا القانون وما يحدث للصحافة من مضايقات « فلولا طيش الطائشين وحماقة المتطفلين على موائد الصحافة لدامت لنا هذه النعمة الى ما شاء الله سامحكم الله على ما جنيتم على الوطن والوطنية وعلى الاستقلال والارتقاء والحرية »(١٢٤) . ولكن (اللواء) ترد على (المقطم) مبينة لها خطأ هذا الاتهام وذلك بأسلوب لاذع وتحت عنوان « لا كرامة لمأجور »(١٢٥) . وتسـتنكر (المقطم) قيام المظاهرات الاحتجاجية على قانون المطبوعات ، وتهزأ بالمتظاهرين الذين لا يفقهون معانى الألفاظ التى يرددونها فى هتافاتهم وهم لا يدركون ان مظاهراتهم هذه هى التى أدت الى هذه النتيجة(١٢٦) ثم تورد (المقطم) قولا منسوبا للخديوى يصف فيه المظاهرات المطالبة بوقف العمل بقانون المطبوعات بأنها « الاعيب صبيان »(١٢٧) .

وتهاجم الصحيفة اعضاء مجلس الشورى الذين تأثروا بأفكار الحزب الوطنى ، فهذا النفر فى رأيها « تغريه بهرجة الصحف المتطرفة ويحمله حب الظهور والشهرة على الاشتغال بأمور غير مأمونة العواقب بل قد يضر بلاده من حيث يريد النفع لها »(١٢٨) .
وترى (المقطم) ان محمد فريد لم يكتف بكونه السبب فى بعث قانون المطبوعات بل وانه يستنجد بالدولة العثمانية على الدولة الانجليزية من أجل منح الدستور لمصر كأنه بذلك يدعو « لمصارعة عنيفة بين طفل ابن أيام واسد ضرغام »(١٢٩) .

ويقول سعد زغلول ان اعادة قانون المطبوعات ، أدت الى هبوط فى الحركة الوطنية « والسبب فى ذلك أن مصدر هذه الحركة نفسها لم يكن فى الأمة نفسها بل فى ولى أمرها الذى تعودت الخضوع اليه من عدة اجيال ، ورسخ فى طبعها الاستعباد له ، فهو الذى بعث فيها هذه الحركة لتنصره ضد الاحتلال وقت الخلاف مع عميده فلما زال هذا الخلاف وحل محله الوفاق تخلى عن امداد هذه الحركة فاستمرت بعد تخليه عنها بقوة التصور الذاتى ولكنه أخذ الآن يعاكسها فلم تجد شيئا يسندها فهبطت ولابد أن يلازمها هذا الهبوط مادام الأمد منقطعا والمعاكسة مستمرة »(١٣٠) وقد حدث ما تنبأ به سعد فى مذكراته من ضعف الحركة الوطنية وهبوطها .

مشروع القناة :

ولم تحد (المقطم) عن خطتها فى تأييدها لسياسة الحكومة المصرية والاحتلال فتقدمت تأييدها لمشروع اطالة امتياز القناة . وركزت على أن المشروع مالى بحت ولا دخل للسياسة فيه(١٣١) . ثم قامت بحملة صحفية مكثفة حول المشروع عندما كان معروضا على الجمعية العمومية بقصد التأثير على أعضاء الجمعية بما يتفق

وسياسة الاحتلال ، ولم يخل عدد من اعدادها من الحديث عن فوائد المشروع للقطر المصرى(١٣٢) .

وترى المقطم أن الذين يدعون أن المسالة ســـــياسية تخدم الانجليز فى اطالة احتلالهم هم جماعة (اللواء) . ولكن (اللواء) وأتباعه لا قيمة لهم(١٣٣) . ولكن اللواء لم تقصر فى الهجوم على (المقطم) فى هذه الفترة . وكان من اعنف ما كتبته مقال بعنوان : « لا كرامة لمأجور ــ ليخرس المقطم »(١٣٤) . وبعد رفض الجمعية العمومية مشروع مد امتياز القناة ، تقول (المقطم) ان هذا الرفض لم يرض فريقا كان يعتقد أنه نافع للقطر كثيرا . وتنتقد بسخرية لاذعة المظـــاهرات التى خرجت بهذه المناســـبة منـــادية بالاستقلال(١٣٥) .

وزارة محمد سعيد وسياستها القمعية ضد الحركة الوطنية :

وتثور ثائرة (المقطم) ، اثر حادثة مقتل بطرس غالى باشا رئيس الوزارة المصرية بيد ابراهيم ناصف الوردانى أحد شباب الحزب الوطنى ، فتصفها بأنها « جناية فظيعة وجريمة هائلة لابد ان يتلوها تحقيق وتشديد وعقاب شديد » . وذلك لأن « الفقيد الكريم المجنى عليه رجل لا كالرجال بل من أعظم اعاظم مصـــر المعدودين بقوة العقل وسعة الصدر » ، ومقتله « أعظم خسارة أصابت مصر فى هذا العصر ، وفى كثير من العصور »(١٣٦) . وكان طبيعيا أن تتهم (المقطم) جماعة الحزب الوطنى بتدبير اغتيال رئيس الحكومة المصرية فهى ترى أن هذه (الجناية) يجب أن يتحمل نتائجها « نفر من المحرضين المغرورين الذين يجب عقابهم بشدة »(١٣٧) .

وكان سقوط الوزارة البطرسية بمقتل رئيسها « بمثابة اسدال

للستار على مرحلة المواجهة بين السلطة والحركة الوطنية بعد أن وصلت هذه المواجهـــة الى ذروتها »(١٣٨) . وقد اختير (محمد سعيد) لرئاسة الوزارة خلفا لبطرس غالى ، وقد كان يشـــغل منصب وزير الداخلية فى الحكومة السابقة . وكان اختيار محمد سعيد مثيرا للتساؤل لأنه كان من المتعاطفين مع الحزب الوطنى . ويفسـر الدكتور يونان لبيب رزق هذا الاختيار فى ضوء الاعتبارات الآتية :

« ١ ــ منح الحركة الوطنية احساسا مؤقتا بالأمان .

٢ ــ محاولة نثر بذور الشقاق بين زعامات هذه الحركة مما يؤدى الى اختلال الموازين واختلاط الأمور أمام هذه الزعامات .

٣ ــ ان محمد سعيد باشا كان من جناح الحزب الوطنى الذى استمر على تعاطفه مع الخديوى بالرغم من تغير موقف هذا الأخير بعد سياسة الوفاق »(١٣٩) .

وتستقبل (المقطم) وزارة محمد سعيد بمطالبتها باستعمال الشـــــدة فى معاملة « المهيجين »(١٤٠) . وتعبر (المقطم) عن سعادتها بخروج عبد العزيز جاويش من رئاسة تحرير (اللواء) بعد النزاع الذى نشب بين ورثة مصطفى كامل والحزب الوطنى ، الأمر الذى حدا برئاسة الحزب الى اصدار (العلم)(١٤١) . وتدافع (المقطم) عن الوزارة السعيدية معبرة عن دهشتها واستنكارها لهجوم الحزب الوطنى عليها متسائلة عن أسباب الهجوم « على هذه الوزارة الوطنية وهم الذين يدعون الغيرة على الوطن والانتصار لرجال الوطن »(١٤٢) . وتطنب فى الثناء على حديث الخديوى لمكاتب جريدة (التان) الفرنسية الذى جاء فيه قوله عن الحزب الوطنى انهم جماعة من الذين أخروا تقدم الأمة بالحاحهم فى طلب الدستور قبل أوانه(١٤٣) .

وتشعر (المقطم) بالحاجة الماسة الى ردع الحزب الوطنى ، فنراها تطالب المعتمد البريطانى جورست بشـــكل ملح ، فى أن يستخدم الشدة مع هؤلاء ، ووضعته أمام احد أمرين « فاما الرحيل عن القطر مع اللين أو البقاء فى القطر مع الشدة »(١٤٤) . وتعقب على قرار منع عبد العزيز جاويش من الخطابة فى (مسرح الحمراء بالاسكندرية) بأن جاويش الذى كان السبب فى منع حرية القلم قد واصل خطته ليصبح السبب فى منع حرية اللسان(١٤٥) .

ومع بداية سياسة القمع التى كلفت بها وزارة محمد سعيد لتصفية الحركة الوطنية ، « لم تكتف سلطات الاحتلال بقانون المطبوعات الذى أعادته الى الوجود خلال العام السابق لتعقب الصحف ، وانما أضافت اليه قانونا جديدا لتعقب الصحفيين باحالة الجنايات أو الجنح التى تقع بواسطة الصحف الى محاكم الجنايات بدلا من محـــاكم الجنح ، وأن يكون حكمهـــا غـــير قـــابل للاستئناف »(١٤٦) .

قضية ديوان (وطنيتى) ومطاردة محمد فريد :

وتظهر فوق سطح الأحداث قضية ديوان (وطنيتى) للشيخ على الغاياتى أحد أعضاء الحزب الوطنى ، الذى تضمن ما اعتبرته السلطات تطاولا « على المقام الخديوى »(١٤٧) . وقد اعتبرت النيابة العمومية وضع هذا الديوان جنحة . وعدت تقريظ ما جاء فيه من الأمور التى يعاقب عليها القانون جنحة أيضا . وعزمت على محاكمة صاحب الديوان والذين قرظوه سواء كانت تقاريظهم قد نشرت فى الديوان نفسه أو فى الصحف السيارة(١٤٨) . وقالت (المقطم) ان الغاياتى « كانت له كتابات فى المقطم تمدح المحتلين ولكنه سار مع التيار وصار وطنيا » ، وذلك عندما انتشرت « البدع الأخيرة

على السياسة المصرية وانتهز الحزب الوطنى الفرص للاستفادة من كل تغيير يطرأ ، فكبر أمره وعظم وفتح الناس القهاوى والبارات والدكاكين والصيدليات على اســـــمه ترويجا لبضاعتهم وتكثيرا لمعامليهم »(١٤٩) . وذكرت (المقطم) أن النيابة اعتبرت عبد العزيز جاويش ومحمد فريد فاعلين أصليين(١٥٠) . وبعد أن صدر الحكم بالحبس ستة أشهر على محمد فريد بمناسبة قضية ديوان وطنيتى انتهزت (المقطم) هذه الواقعة لتوجه نداء الى قيادات الحزب الوطنى تخطىء فيه سياستهم التى لم تخرج الانجليز من مصر ، ولم تقصر أجل الاحتلال ، ولم تقرب زمن الدستور الذى يطلبونه بالسنتهم وأقلامهم كل يوم(١٥١) .

وتنكر (المقطم) وجود قوة للأمة فى مصـــــر لأن القوتين الموجودتين فقط هما القوة الخديوية والقوة الاحتلالية . وأما قوة الأمة « التى هى أعظم القوات بلا ريب متى وجدت فلم توجد حتى الآن » . وأن ما يدعيه الحزب الوطنى حول وجودها مجرد أوهام يتاجر بها(١٥٢) . وترى (المقطم) أن نســـــبة كل الأفعال من (اعتصابات) ومظاهرات للحزب الوطنى أمر مبالغ فيه ، لأن الحزب الوطنى ليس سوى أفراد « يعدون على أصابع اليد . وفيما سوى ذلك فهو اسم بلا مسمى فعلا ، وان كان لأفراده صياح كثير وطنين ورنين »(١٥٣) . وأما « وطنية الحزب الوطنى فأعظم أركانها سب حكومة الوطن والهيئة المصرية المقومة للوطن فما ألطف هذه الوطنية »(١٥٤) .

وتقرر الجمعية العمومية للحزب الوطنى بقاء محمد فريد رئيسا للحزب طيلة حياته ، ويلقى محمد فريد خطبة سياسية جامعة بهذه المناسبة يحمل فيها على الاحتلال والمتعاونين معه مؤكدا على مطالب الحزب فى الدستور والاستقلال . فتهاجمه (المقطم) بأسلوب لاذع

وصل حد السباب المقذع . وتقول (المقطم) ان النيابة ستحقق مع محمد فريد بشأن عبارات وردت فى خطبته الأخيرة ، أعتبرت « محقرة للحكومة ومحرضة للأهالى »(١٥٥) . وتنشر (المقطم) نصوص مداولات المحكمة فى القضية . وقد صدر الحكم فيها غيابيا على محمد فريد بالحبس سنة واحدة مع الشغل(١٥٦) . ففى هذه الاثناء كان محمد فريد يطوف العواصم الأوروبية للدعوة للقضية المصرية ، بينما ترى (المقطم) أنه ينتقل من مكان الى آخر فى أوروبا ، فرارا من وجه القضاء المصرى . وانه يدس الدسائس لأميره واكابر قومه . وهو مع ذلك يدعى الغيرة على الأمة ومحبة الأوطان . وانه قد أتقن صناعة الاختلاق ونصب شراك المكائد اتقانا فائقا(١٥٧) . ويأتى هذا الهجوم العنيف على محمد فريد مع الحملة التى بدأت فى تلك الفترة لاقصائه عن رئاسة الحزب الوطنى، لهجومه على الخديوى . وقد نشرت (المقطم) استقالة محمود فهمى حسين سكرتير الحزب وعضو لجنته الادارية(١٥٨) .

ويصدر قرار الحكومة بالغاء جريدة (العلم) آخر صحف الحزب الوطنى ، بسبب تعرضها لعدد من الساسة الأتراك . وكانت وزارة محمد سعيد قد طبقت قانون المطبوعات بكل قسوة « ففى فترة تزيد على عام قليلا ، كان قد تم اسكات كافة صحف الحزب الوطنى تقريبا باغلاقها ، ففى أكتوبر ١٩١١ تم اغلاق جريدة (مصر الفتاة) وفى ٧ ابريل من العام التالى اغلقت (وادى النيل) لسان الحزب الوطنى بالاسكندرية ، وفى اول سبتمبر من هذا العام تم اغلاق (اللواء) لسان الحزب القديم ، وقبل ان ينتهى عام ١٩١٢ تم اغلاق (العلم) لسان حال الحزب »(١٥٩) . وتحمل (المقطم) كعادتها مسئولية ذلك الى محمد فريد الذى « آلى على نفسه الا يترك لحزبه الوطنى عينا ولا اثرا ، فضرب الحزب الضربات الصادعة التى مزقته ، وأجهز اليوم عليه ومحا اظهر أثر من آثاره

بالغاء جريدة العلم »(١٦٠) . وترى (المقطم) ان هذه الضربات التى تعرض لها الحزب الوطنى ، كانت السبب فى الهدوء الذى تنعم به (الأريكة الخديوية) . وذلك « باتحاد القلوب واجتماع الكلمة . ولا بدع فتاريخ الحزب الوطنى يشهد من بداية وجوده الى النهاية أن خطته كانت تؤدى دائما الى ضد غايته »(١٦١) .

ولكن هل نعمت الاريكة الخديوية بالهدوء ؟! ان واقع الحال يقول عكس ذلك تماما ، فقد جاء كتشنر يقيد سلطات الخديوى ويظهر بمظهر الحاكم الشرعى فى البلاد « فانه منذ عين معتمدا فى مصر لا يفتأ يهتم بأبسط المسائل ويزور البلاد ويتحادث مع اهلها ويسمع اقتراحاتهم كأنه الحاكم الشرعى فى البلاد » ، وأن الخديوى «عندما راى تغلغل نفوذ كتشنر فى البلاد ، وانه لم يبق له اية سلطة ، اعتكف فى سراى القبة وامتنع عن التدخل فى امور البلاد ولم ينزل الى سراى عابدين الا للضرورة القصوى ولم يراس مجلس النظار الا نادرا وترك العمل لكتشنر ومحمد سعيد »(١٦) . ويقول الخديوى عباس حلمى فى مذكراته ان الخلافات تتابعت بينه وبين كتشنر منذ عين فى مصر الى أن رحل عنها فى عام ١٩١٤(١٦٣) . وكان طبيعيا الا ينعم الخديوى بالهدوء ، فان كتشنر جاء لينفذ سياسة جديدة لا تروق للخديوى هى أشبه بالسياسة الكرومرية ولكن مع كثير من العنف والقسوة . « ولاشك ان اتجاه السياسة البريطانية فى مصر كان مدركا لضرورة التغيير فى التكتيك السياسى بعد تدهور الحركة الوطنية ونشوء وضع دولى جديد . فتدهور الحركة الوطنية كان يطرح قضية العودة الى سياسة الحكم شبه المباشر وتنحية الخديوى جانبا . وخطورة الموقف الدولى كانت تحتم ضرورة التشدد ، كما كانت تحدد شخصية الذى يقوم بتنفيذ هذا التكتيك الجديد سياسيا وعسكريا »(١٦٤) .

هوامش الفصل الثاني

(١) المقطم ١٩ يونيو ١٨٨٩ .

(٢) المقطم ٢٩ يوليو ١٨٨٩ .

(٣) مذكرات محمد فريد ـ كراسة ٢ ـ ص ٥٧ ـ دار الوثائق القومية .

(٤) عبد اللطيف حمزة ، أدب المقالة الصحفية ج ٤ ، ص ٧٨ .

(٥) عبد الرحمن الرافعي ، مصر والسودان ، ص ٢٠٢ ، ٢٠٣ .

(٦) المقطم ١٨ نوفمبر ١٨٨٩ .

(٧) المقطم ٢٥ يونيو ١٨٩٠ .

(٨) المقطم ٣ نوفمبر ١٨٩١ .

(٩) المؤيد ٤ أكتوبر ١٨٩٣ .

(١٠) المؤيد ٢٦ أكتوبر ١٨٩٣ .

(١١) المقطم ٣٠ أكتوبر ١٨٩٢ .

(١٢) أحمد أمين ، زعماء الاصلاح فى العصر الحديث ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٤٦ ، ص ٢٣٥ .

(١٣) فتحى رضوان ، مصطفى كامل ، ص ٩٢ .

(١٤) عبد الرحمن الرافعى ، الثورة العرابية والاحتلال الانجليزى ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، ص ٥٧٧ .

(١٥) المقطم ١٠ فبراير ١٨٩٤ .

(١٦) المقطم ٤ يوليو ١٨٩٦ .

(١٧) المقطم ١٥ أكتوبر ١٨٩٦ .
(١٨) المقطم ٩ نوفمبر ١٨٩٦ .
(١٩) أحمد رشاد ، مصطفى كامل حياته وكفاحه ، مطبعة السعادة بمصر ، ١٩٥٨ ، ص ٢٦٧ .
(٢٠) المقطم ٢٤ نوفمبر ١٨٩٦ .
(٢١) المقطم ١٤ يناير ١٨٩٦ .
(٢٣) المقطم ١٩ يونيو ١٨٩٧ .
(٢٢) المقطم ٢٨ يناير ١٨٩٦ .
(٢٤) المقطم ٢٠ يناير ١٨٩٩ .
(٢٥) مذكرات عباس حلمى ، المصرى ، ٨ مايو ١٩٥١ .

تتمثل حادثة فشودة بالزحف الفرنسى الذى قاده الجنرال (مارشان) لاحتلال منطقة فشودة الواقعة فى أعالى النيل على مفترق الطرق الواصلة من الخرطوم والحبشة الى جنوبى السودان وذلك لوقف التغلغل البريطانى فى افريقيا ومحاولة فتح باب المسألة المصرية لاجبار بريطانيا على تنفيذ وعودها بالجلاء عن مصر . وقد تم الاحتلال الفرنسى لفشودة فى ١٠ يوليو ١٨٩٦ . ولكن بريطانيا أرسلت كتشنر سردار الجيش المصرى على رأس قوة مصرية — بريطانية لابلاغ مارشان بالاحتجاج على احتلاله الذى تعتبره بريطانيا انتهاكا لحقوق مصر وممتلكاتها وبأنه سيرفع العلم المصرى فى فشودة . وقد توترت العلاقات البريطانية — الفرنسية اثر هذه الحادثة وساد الاعتقاد لدى المصريين بأن الفرصة قد حانت لجلاء بريطانيا عن مصر مقابل جلاء الفرنسيين عن فشودة . ولكن فرنسا لم تستطع مواصلة التحدى فتراجعت خشية الصدام العسكرى مع بريطانيا وانسحبت قواتها من فشودة فى ١١ ديسمبر ١٨٩٨ ، الأمر الذى أشاع اليأس من امكانية الجلاء والحصول على الاستقلال .

(٢٦) عبد الرحمن الرافعى ، مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية ، ص ١٢٥ ، ١٢٦ .
(٢٧) المقطم ٧ مارس ١٨٩٩ .
(٢٨) مذكرات محمد فريد ، كراسة ٢ — ص ٥٨ .
(٢٩) المقطم ٣١ اغسطس ١٩٠٠ .
(٣٠) المقطم ٣ سبتمبر ١٩٠٠ .
(٣١) اللواء ١٢ يوليو ١٩٠٢ .
(٣٢) المقطم ٢٧ اغسطس ١٩٠٢ .

(٣٣) المقطم ٣ يونيو ١٩٠٣ .

(٣٤) المقطم ٢٢ يوليو ١٩٠٣ .

(٣٥) Zayid, Mohmud : Egypt's struggle for independence, Beirut, 1915, P. 50.

(٣٦) محمد مصطفى صفوت ، مصر المعاصرة ، الألف كتاب (٢٤٠) ، القاهرة ، ١٩٥٩ ، ص ٥٣ .

(٣٧) مؤسسة الاهرام ، ٥٠ عاما على ثورة ١٩١٩ ، ص ١٩ ، ٢٠ .

(٣٨) ابراهيم عبد: . جريدة الأهرام تاريخ وفن ، ص ١٥٢ .

(٣٩) صبحى وحيدة ، فى أصول المسألة المصرية ، مطبعة مصر ، القاهرة ، ١٩٥٠ ، ص ١٨٩ .

(٤٠) المقطم ٢٤ مارس ١٩٠٤ .

(٤١) المقطم ١١ يونيو ١٠٠٤ .

(٤٢) المقطم ١٠ نوفمبر ١٩٠٥ .

(٤٣) المقطم ١٣ فبراير ١٩٠٦ .

(٤٤) محمد جمال الدين المسدى ، دنشواى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٤ ، ص ٦٤ .

(٤٥) عبد العظيم محمد رمضان ، تطور الحركة الوطنية ، دار الكاتب العربى ، القاهرة ، ١٩٦٨ ، ص ٣١ .

(٤٦) فاروق أبو زيد ، الصحافة وقضايا الفكر الحر فى مصر ، كتاب الاذاعة والتليفزيون ، القاهرة ، ١٩٧٤ ، ص ١١٧ ، ١١٨ .

(٤٧) المقطم ٢٧ ابريل ١٩٠٦ .

(٤٨) المقطم ٧ مايو ١٩٠٦ .

(٤٩) المقطم ٨ مايو ١٩٠٦ .

(٥٠) المقطم ١٠ مايو ١٩٠٦ .

(٥١) المقطم ١٥ مايو ١٩٠٦ .

(٥٢) المقطم ٢٣ مايو ١٩٠٦ .

(٥٣) المقطم ٢٥ مايو ١٩٠٦ .

(٥٤) المقطم ٢٨ مايو ١٩٠٦ .

(٥٥) المقطم ٢ يونيو ١٩٠٦ .

(٥٦) المقطم ١٥ يونيو ١٩٠٦ .

(٥٧) المقطم ١٨ يونيو ١٩٠٦ .

(٥٨) المقطم ١٨ يونيو ١٩٠٦ ٠
(٥٩) المقطم ١٩ يونيو ١٩٠٦ ٠
(٦٠) المقطم ٢٧ يونيو ١٩٠٦ ٠
(٦١) المقطم ٢٩ يونيو ١٩٠٦ ٠
(٦٢) محمد حسين هيكل ، مذكرات فى السياسة المصرية ج ١ ، ص ٣٠ ٠
(٦٣) محمد جمال الدين المسدى ، دنشواى ، ص ١٠٤ ٠
(٦٤) عبد اللطيف حمزة ، مستقبل الصحافة ج ١ (الأدب والصحافة) ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٩٦١ ، ص ١٦٨ ٠
(٦٥) عبد الرحمن الرافعى ، مصطفى كامل ، ص ١٩٩ ٠
(٦٦) مذكرات عباس حلمى الثانى ، المصرى ، ١٩ مايو ١٩٥١ ٠
(٦٧) المقطم ١٠ يوليو ١٩٠٦ ٠
(٦٨) المقطم ١٣ يوليو ١٩٠٦ ٠
(٦٩) المقطم ١٤ يوليو ١٩٠٦ ٠
(٧٠) المقطم ١ اغسطس ١٩٠٦ ٠
(٧١) المقطم ٨ ديسمبر ١٩٠٦ ٠
(٧٢) المقطم ٨ فبراير ١٩٠٧ ٠
(٧٣) المقطم ٥ ابريل ١٩٠٧ ٠
(٧٤) المقطم ٦ ابريل ١٩٠٧ ٠
(٧٥) المقطم ٢٠ ابريل ١٩٠٧ ٠
(٧٦) المقطم ٩ مايو ١٩٠٧ ٠
(٧٧) المقطم ٢٧ مايو ١٩٠٧ ٠
(٧٨) المقطم ٣٠ مايو ١٩٠٧ ٠
(٧٩) المقطم ٨ يونيو ١٩٠٧ ٠
(٨٠) محمد جمال الدين المسدى ، دنشواى ، ص ١٢١ ٠
(٨١) المقطم ١٢ ابريل ١٩٠٧ ٠
(٨١) المقطم ١٢ ابريل ١٩٠٧ ٠
(٨٣) المقطم ١٦ ابريل ١٩٠٧ ٠
(٨٤) المقطم ١٨ ابريل ١٩٠٧ ٠
(٨٥) يونان لبيب ، الحياة الحزبية فى مصر ، ص ٢١ ٠

(٨٦) لانداو ، جاكوب ، الحياة النيابية والأحزاب فى مصر ، مكتبة مدبولى ، ترجمة سامى الليثى ، القاهرة ، ص ١٤٦ ، د.ت .

(٨٧) المقطم ١٨ مايو ١٩٠٧ .

(٨٨) المقطم ٢٤ مايو ١٩٠٧ .

(٨٩) المقطم ٢٨ مايو ١٩٠٧ .

(٩٠) المقطم ٢٩ مايو ١٩٠٧ .

(٩١) المقطم ١ يونيو ١٩٠٧ .

(٩٢) المقطم ١٠ يونيو ١٩٠٧ .

(٩٣) المقطم ١٢ يونيو ١٩٠٧ .

(٩٤) المقطم ١٤ يونيو ١٩٠٧ .

(٩٥) المقطم ١٨ يونيو ١٩٠٧ .

(٩٦) المقطم ٢١ يونيو ١٩٠٧ .

(٩٧) المقطم ٢٤ يونيو ١٩٠٧ .

(٩٨) المقطم ٢٥ يونيو ١٩٠٧ .

(٩٩) المقطم ٢٥ يونيو ١٩٠٧ .

(١٠١) المقطم ٢ يوليو ١٩٠٧ .

(١٠٢) المقطم ١٠ يوليو ١٩٠٧ .

(١٠٣) المقطم ٢٢ يوليو ١٩٠٧ .

(١٠٤) المقطم ٢٦ يوليو ١٩٠٧ .

(١٠٥) على الدين هلال ، السياسة والحكم فى مصر ، مكتبة نهضة الشرق ، القاهرة ، ١٩٧٥ ، ص ٧٦ .

(١٠٦) لانداو ، الحياة النيابية والاحزاب فى مصر ، ص ١٤٦ .

(١٠٧) سعيد اسماعيل على ، المجتمع المصرى فى عهد الاحتلال البريطانى ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٢ ، ص ٤٧٠ .

(١٠٨) يونان لبيب ، الحياة الحزبية فى مصر ، ص ١٥٠ .

(١٠٩) أصدر محمد وحيد صحيفته (الاحرار) فى ١٥ مارس ١٩٠٨ ، معلنا انها (لسان حال حزب الاحرار) وكانت اسبوعية ولكنها لم تكن منتظمة فى صدورها . وتؤكد الأعداد الموجودة منها حقيقة صدورها غير المنتظم خلال عامى ١٩٠٨ — ١٩٠٩ .

(١١٠) محمد جمال الدين المسدى ، دنشواى ، ص ١٣١ ، ١٣٢ .

(١١١) مذكرات أحمد لطفى السيد ، المصور ، ٢٢ سبتمبر ١٩٥٠ .

(١١٢) فاروق أبو زيد ، ازمة الديمقراطية فى الصحافة المصرية ، مكتبة مدبولى ، القاهرة ١٩٧٦ ، ص ٧٩ .

(١١٣) المقطم ١٨ أبريل ١٩٠٨ .

(١١٤) المقطم ٥ مايو ١٩٠٨ .

(١١٥) المقطم ٢٥ يوليو ١٩٠٨ .

(١١٦) المقطم ٧ أكتوبر ١٩٠٨ .

(١١٧) المقطم ٨ أكتوبر ١٩٠٨ .

(١١٨) المقطم ٢٣ أكتوبر ١٩٠٨ .

(١١٩) المقطم ٥ يناير ١٩٠٩ .

(١٢٠) المقطم ٨ يناير ١٩٠٩ .

(١٢١) عبد الرحمن الرافعى ، محمد فريد رمز الاخلاص والتضحية ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٢ ، ص ١٢٢ .

(١٢٢) أحمد شفيق ، مذكراتى فى نصف قرن ج ٢ ، ص ١٧٤ .

(١٢٣) صابات وآخران ، حرية الصحافة فى مصر ، ص ١٥٤ ، ١٥٥ .

(١٢٤) المقطم ٢٥ مارس ١٩٠٩ .

(١٢٥) اللواء ١ ابريل ١٩٠٩ .

(١٢٦) المقطم ٢ ابريل ١٩٠٩ .

(١٢٧) المقطم ٧ ابريل ١٩٠٩ .

(١٢٨) المقطم ٢٨ يونيو ١٩٠٩ .

(١٢٩) المقطم ١٣ يناير ١٩١٠ .

(١٣٠) مذكرات سعد زغلول ، كراسة ١٥ ، ص ٨٠٩ ، محفوظات دار الوثائق القومية .

(١٣١) المقطم ٤ فبراير ١٩١٠ .

(١٣٢) المقطم ٨ فبراير ١٩١٠ .

(١٣٣) المقطم ١٩ فبراير ١٩١٠ .

(١٣٤) اللواء ١٩ فبراير ١٩١٠ .

(١٣٥) المقطم ٨ ابريل ١٩١٠ .

(١٣٦) المقطم ٢١ فبراير ١٩١٠ .

(١٣٧) المقطم ٢٢ فبراير ١٩١٠ .

(١٣٨) يونان لبيب رزق ، تاريخ الوزارات المصـــرية ، مؤسسة الاهرام ، القاهرة ، ١٩٧٥ ، ص ١٥٥ .

(١٣٩) يونان لبيب ، تاريخ الوزارات ، ص ١٥٧ .

(١٤٠) المقطم ٢٨ فبراير ١٩١٠ .

(١٤١) المقطم ١١ مارس ١٩١٠ .

(١٤٢) المقطم ٢٣ مارس ١٩١٠ .

(١٤٣) المقطم ٢٦ ابريل ١٩١٠ .

(١٤٤) المقطم ٢٨ ابريل ١٩١٠ .

(١٤٥) المقطم ٢٩ ابريل ١٩١٠ .

(١٤٦) يونان لبيب ، الحياة الحزبية فى مصر ، ص ١١٢ .

(١٤٧) المقطم ٦ يوليو ١٩١٠ .

(١٤٨) المقطم ٩ يوليو ١٩١٠ .

(١٤٩) المقطم ١٣ يوليو ١٩١٠ .

(١٥٠) المقطم ١٤ يوليو ١٩١٠ .

(١٥١) المقطم ٢٣ يناير ١٩١١ .

(١٥٢) المقطم ١٨ أكتوبر ١٩١٠ .

(١٥٣) المقطم ٢ نوفمبر ١٩١٠ .

(١٥٤) المقطم ١١ يناير ١٩١١

(١٥٥) المقطم ٢٥ يناير ١٩١٢ .

(١٥٦) المقطم ٣٠ ابريل ١٩١٢ .

(١٥٧) المقطم ٣٠ أغسطس ١٩١٢ .

(١٥٨) مصطفى النحاس جبر يوسف ، سياسة الاحتلال تجاه الحركة الوطنية ١٩٠٦ — ١٩١٤ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٥ ، ص ١٨٢ .

(١٥٩) يونان لبيب ، الحياة الحزبية فى مصر ، ص ١٦٣ .

(١٦٠) المقطم ٧ نوفمبر ١٩١٢ .

(١٦١) المقطم ٢٦ نوفمبر ١٩١٢ .

(١٦٢) أحمد شفيق ، مذكراتى فى نصف قرن ج ٢ ، ص ٢٧٤ ، ٢٧٥ .

(١٦٣) مذكرات عباس حلمى الثانى ، المصرى ، ١٩٥١/٧/٥ .

(١٦٤) مصطفى النحاس جبر ، سـياسة الاحتلال تجاه الحركة الوطنية ، ص ١٦٤ ، ١٦٥ .

الفصـــل الثـــالث

المقطم والحوادث فى الحرب العالمية الأولى

الجمعيـــة التشـــريعية :

كان افتتاح الجمعية التشريعية ، من أبرز الأحداث السياسية الداخلية فى مرحلة ما قبل اعلان الحرب العالمية الأولى ، وبالتالى اعلان الحماية البريطانية على مصر فى أواخر عام ١٩١٤ . فقد شهدت بداية ذلك العام هذا الحدث البرلمانى الذى لم يكتب له أن يعمر طويلا .

وقد استقبلت (المقطم) هذا الحدث بتعليق عنوانه « يوم مشهود ــ رحلة فى سبيل الحكم النيابى » قالت فيه : « ان الأمة انتخبت للنيابة عنها جماعة من فضـــلائها والواقفين على حقيقة احوالها فتألفت الجمعية التشريعية من نخبة كرام هذا القطر فلذلك عظمت الآمال بنجاح الجمعية فى مهمتها الشاقة ، وقوى الرجاء بأن يشدد نجاحها عزائم الذين يريدون توسيع السلطة النيابية والقاء جانب من تبعة حكم البلاد على أهلها بواســـطة نوابهم الذين يختارونهم للنطق بلسانهم والاعراب عن مشيئتهم ورغائبهم »(١) . ونشرت فى اليوم التالى خبرا عن حفلة شاى أقامها كتشنر فى دار الوكالة البريطانية تكريما لأعضاء الجمعية التشريعية(٢) .

ثم تدور مناقشات حامية فى الجمعية حول من من الوكيلين ينوب عن الرئيس فى حالة غيابه ؟ الوكيل المعين من قبل الحكومة .

وقد كان عدلى باشا ، أم الوكيل المنتخب وقد كان سعد زغلول ؟ تعقب عليها (المقطم) مناصرة لموقف الحكومة وداعية الى مسايرتها بقولها : « وقد رأينا من الشواهد ما يعد منه ولا يعدد على أن أولى الحل والعقد لا يثقون بمجالسنا الشورية اذا وقفت موقف الخصم للحكومة . ولا يقتنعون بأنها سائرة فى السبيل المؤدى الى الغاية المرومة اذا كانت تسير فى جهة والحكومة تسير فى جهة مضادة لها وكانت العلائق بين الهيئتين علاقات تنافر وتباعد لا اتفاق وتقارب »(٣) . وتبدى الصحيفة مزيد الأسف لوقوع الانقسام فى صفوف الأعضاء بسبب هذه المسألة ، النابعة فى رايها من الخلافات الشخصية ، وتقول : « ويظهر لنا انه لو لم يكن الوكيل المنتخب شخصا عظيما وزعيما لجمهور كبير لما نازع اثنان من حزبه فى مبدأ انابة الوكيل المعين عن الرئيس لانهم ان كانوا قد قبلوا مبدأ تعيين الحكومة لرئيس الجمعية عن طيب نفس حال كون منصب الرئيس أهم من منصب الوكيل بكثير فكيف ينازعون فى مبدأ انابتها الوكيل المعين عن ذلك الرئيس فى جلسة أو جلسات قليلة يمكن أن يغيب الرئيس فيها ؟ »(٤) .

وبمناسبة اختتام دور الانعقاد الأول لجلسات الجمعية التشريعية ، كتبت (المقطم) تشيد بها باعتبارها خطوة برلمانية متقدمة ولكنها ترى أن من الخطأ ايجاد حزب داخل الجمعية معارض للحكومة فى كل أعمالها لأن ذلك سيضطر الحكومة الى ايجاد حزب مؤيد لها تماما داخل الجمعية . وقالت ان الواجب يحتم علينا أن ننأى عن حكم الأحزاب بالشكل الذى هى عليه فى البلاد الخارجية(٥) ثم بدأت (المقطم) تنشر الأخبار الخاصة بتأجيل انعقاد الجمعية بين فترة وأخرى ، نظرا للظروف التى نشأت عن اعلان الحرب العالمية الأولى واعلان الحماية ، الى ان يصدر مرسوم أخير من السلطان حسين بتأجيل انعقادها ، وذلك لأن « الأسباب التى

دعت الى هذه التأجيلات المتوالية لاتزال باقية . وهى تدعو الى تأجيل جديد لمدة اخرى ليس من الميســـــور تحديد مقدارها من الآن »(٦) . وكانت نهاية المطاف بالنسبة لهذه الجمعية التى لم تجتمع بعد ذلك ابدا .

عبـــاس يغـــادر البـــلاد :

قبل ان يغادر الخديوى عباس حلمى ارض مصر لقضاء الصيف فى العاصمة التركية ، قام بجولة فى مدن الوجه البحرى ، رغبة منه فى « ان يقيم الدليل على ولاء الشعب له والتفاف الســـراة ورؤساء العشائر حوله »(٧) . وقد أقيمت الزينات للخديوى وكانت تلقى امامه الخطب التكريمية من جانب الوجهاء والأعيان فى سائر المدن والبنادر والقرى التى زارها أو مر بها فى جولته . وعبر الخديوى عن سروره بالحفاوة التى لقيها فى برقية أرسلها لرئيس نظاره حسين رشدى قال فيها : « لقد تمت بعون الله رحلتنا بأقاليم الوجه البحرى ، واننا لمنشرحو الخاطر لما رايناه فى جميع الأنحاء التى مررنا بها من علائم الرقى والتقدم كما اننا مبتهجون لما اظهره لنا الأهالى على اختلاف طبقاتهم من عظيم الولاء والاخلاص »(٨) .

وعندما سافر الخديوى ، ودعته (المقطم) بالدعاء الى الله أن « يرعى سموه بعين عنايته فى الحل والترحال ويؤيده بالسعد والعز والاقبال »(٩) . ومثل هذا الدعاء ينشر للمرة الأولى فى (المقطم) فلم يحدث أن ودعته بمثله فى المرات السابقة وهى كثيرة كانها تعلم انه الوداع الأخير لامير مصر .

ويعتدى شاب مصرى يدعى محمود مظهر على حياة الخديوى فى الآستانة ، ويقتل الجانى فى الحال ، أما الخديوى فيصاب بجراح شفى منها ، وتصف (المقطم) الحادث بانه جرم كبير واعتداء فظيع

ملى « أمير مصر المحبوب وخديويها المفدى » . وتحمد الله « على سلامة مليكنا واميرنا من شر هذا الاعتداء الفظيع ونسأله تعالى ان يعجل شفاءه ويعيده الى هذا القطر الذى يكاد أهله يطيرون شوقا اليه . ويرده محفوفا باليمن والاقبال والعز والجلال ترمقه العناية وتحرسه ملائكة الرحمن »(١٠) .

الحرب العالمية الأولى :

وتنطلق شـــــرارة الحرب العالمية الأولى فى أواخر يوليو ١٩١٤ ، وتبدأ (المقطم) بنشر (تلغرافات رويتر) عن اخبار القتال الذى بدأ بين النمسا والصرب فى بعض المواقع قبل ان تعلن الحرب رسميا(١١) . ثم تنشر الخرائط الخاصة بالبلاد التى اصبحت مســــرحا للحرب ، كذلك أنباء التحركات الروســية والألمانية والبريطانية واتساع نطاق القتال(١٢) .

ويهمنا هنا أن نبين انعكاسات الحرب على الموقف داخل مصر ومستقبلها السياسى وراى (المقطم) فى ذلك كله . فهى ترى أن « أهم ما تتجه اليه الأنظار فى هذه الحال بقاء مصر على الحياد طبقا لما جرى فى الحروب الأخـــيرة ، وهو ما ينتظر فى الحالة الحاضـــرة أيضا . فقد قدر المصــريون فائدة هذا الحياد حق قدرها »(١٣) . ولكن الحالة الاستثنائية التى ترى (المقطم) أن مصر تتميز بها ، كونها خاضعة للاحتلال البريطانى ، وتابعة فى الوقت نفسه الى السيادة العثمانية ، هذه الحالة تجعلها تسير فى طريق كسر قاعدة الحياد ، لأن الحرب بين بريطانيا والمانيا جعلت الجيش البريطانى فى مصر معرضا لهجوم الألمان عليه « أى صار الدفاع عن مصر وحفظ الأمن فيها معرضين للخطر وهذا يدعو طبعا الى صيرورتها فى دار الحرب » ، وان المطلوب من مصـــر أن

« تؤيد الجيش البريطـــانى الذى يدافع عنهـــا اذا اقتضـــت الحال ذلك »(١٤) .

وتنشـر (المقطم) خبرا عن وصول (السير ريجنالد ونجت) سردار الجيش المصرى وحاكم السودان العام الى القطر ليتولى القيادة العليا للجيش الانجليزى والجيش المصرى وان من المرجح اقامته فى الوكالة البريطانية لادارة الأعمال العسكرية منها(١٥) .

وتدافع (المقطم) عن الأخبار التى تنشرها عن سير القتال ، والتى تستقيها من لندن وتجزم بصحتها ، لأن الحكومة الانجليزية « تترفع عن أن تخدع شعبها ولا تستطيع أن تخدعه لأنه لابد من ان يكتشف خداعها ، ويعاقبها باسقاطها . ولذلك نعتقد ان الأخبار الرسمية التى تنشرها عن هذه الحرب صحيحة كلها . ونعتقد أيضا أن الجرائد الانجليزية الكبيرة لا تحاول خداع قرائها باختلاق الأخبار الكاذبة لأن الشعب الانجليزى شـــــديد النقمة يكره الكذب فاذا اشتهرت جريدة لديه بنشر الأكاذيب اهملها فتسقط فتموت »(١٦) .

وبدات (المقطم) تعزف على نغمة الضرورة الملحة لمعاونة بريطانيا ومساعدتها فى الحرب ، وان واجب المصريين بذل كافة الجهود الممكنة لمعاونة بريطانيا ، تقديرا لدورها فى اصلاح القطر ، فيما يبدو انه تمهيد للمستقبل السياسى الجديد الذى ستكون عليه مصر ، اثر التطورات الدولية المرتبطة بسير الحرب ونتائجها ، « فهذا الشعب الانجليزى الكريم المشهور بالثبات والتؤدة واصالة الراى يجب على المصريين أن يحبوه ويكرموه ويحترموه ولو كان غير اهل لذلك لما أرسل سكان المستعمرات تلك الرسائل التلغرافية ولما عزموا على انجاده حتى ان الاســـــتراليين الذين أصلهم من الالمانيين عزموا على نصرة دولتهم انجلترا انتصارا للانسانية » . ويتابع الكاتب تسبيحه بحمد الانجليز قائلا : « اللهم اننا نشـــــهد

أمامك أننا نحب الانجليز ليس لأنهم لم يؤذونا ولا تعرضوا لمعتقدنا ولا لحريتنا فقط بل لأنهم تولوا امورنا فحسنوا احوالنا واننا نقدر الخدم التى قدمتها الحكومة الانجليزية للمصريين فى كل زمان حق قدرها »(١٧) . وبنفس الأسلوب ، تابعت المقطم نشر الرسائل الموقعة بالأسماء أو الحروف الأولى للمواطنين وكلها تؤكد المعانى السابقة نفسها ومنها رسالة بتوقيع (أ . م) وثانية بتوقيع (فؤاد ابو السعود) وثالثة بتوقيع (السيد الشيمى)(١٨) .

وتعلن (المقطم) انها تسطر « بمداد الشكر والفخر ما فعله كرام الضباط المصريين وسائر موظفى نظارة الحربية وحكومة السودان فى هذه العاصمة من المبادرة الى جمع الاعانة للمنكوبين بهذه الحرب فى البلاد الانجليزية » . وتقدم شكرها لفضلاء الوطنيين الذين زاروا الوكالة البريطانية متمنين الخير والنصر والسعادة لبريطانيا وذلك « اظهارا للعواطف الشريفة والقيام بالواجب »(٢٠) . « فلولا وجود الانجليز فى مصر لكانت الحال على غير ما نرى بل كانت الفوضى ضاربة فى طول بلادنا وعرضها وكانت هناك صعاب كثيرة لا نقدر على تذليلها . فلنحمد الله على نعمه وآلائه ولنشكر للدولة المحتلة حسن صنيعها »(٢١) . وتتحدث (المقطم) تحت عنوان (وطنية الانجليز) عن انواع المساهمة المختلفة التى يقدمها الانجليز لمناصرة دولتهم فى الحرب الدائرة . وتصل الى أن « امة كهذه لا تسهل محاربتها لأن كل من فيها يحارب فاذا لم يكن فى ميادين القتال ففى دائرة وجوده ببذله ما اوتى من جاه وعلم ومال وقوة فى خدمة بلاده ووطنه خدمة صحيحة تعود عليه بالفخر »(٢٢) . وتنشر تلغرافا من لندن يشير الى شكر الانجليز للهدية التى ارسلها الهلال الأحمر المصرى برئاسة الأمير محمد على الى جمعية الصليب الأحمر البريطانى مما جعل الانجليز يطنبون فى اطراء المصريين واظهار ولائهم والتنويه بودادهم(٢٣) .

وتنشر (المقطم) رسالة من ضابط مصرى متقاعد يرجو السردار قبوله ضابطا متطوعا بالجيش الانجليزى ليحارب تحت « رايتكم وغى بلادكم اعترافا بما اجريتم فى قطرنا من الاصلاحات العظيمة ، يا عطوفة السردار كيف يسمح للهندى بالتطوع ونحن المصريين الذين ذقنا الحرية باحتلاكم السعيد بلادنا احق منه بذلك ؟ »(٢٤) .

وكتبت (المقطم) العديد من التعليقـــات تدعو فيها الدولة العثمانية الى التزام الحياد بين الدول المتحاربة وذلك فى الوقت الذى كانت فيه المفاوضات دائرة بين بريطانيا وتركيا حتى تظل هذه على الحياد من اجل ضمان سلامتها . ولكن تركيا تدخل الحرب الى جانب المانيا ضـــد الحلفاء فتكتب (المقطم) مقالا تهاجم فيه الحكومة الاتحادية التركية باعتبارها مســئولة وحدها عن هذا التصرف الذى لا يعكس اطلاقا رغبة الامة العثمانية ولا العقلاء من العثمانيين وذلك تحت عنوان « ماذا يصيب الآســتانة بجناية الحكومة المنتحرة) حيث تقول : « فما دامت حكومة الآســـتانة الاتحادية قد شاعت الانتحار فلا تجد عاقلا يقابل عملها بغير الذم والاستهجان ، نقول حكومة الآستانة الاتحادية ونعنى بها أولئك الأغرار الطائشين الذين جعلوا الخيلاء والغطرسة عنوان حكمهم والرياء والمداهنة عنوان سياستهم »(٢٥) .

وواصـــلت (المقطم) هجومها ، فى العديد من المقـــالات والتعليقات على الحكومة الاتحادية لدخولها الحرب ضد دول الحلفاء التى كانت دائما فى رأيها صديقة للدولة العلية . ومن هذه التعليقات ما جاء تحت عنوان « يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين فاعتبروا يا اولى الابصار »(٢٦) . واوردت (المقطم) نص رسالة نشرتها جـريدة (الستندرد) البريطانية تتضـــمن « رأى أمير مصـــرى » هو الأمير محمد على حليم ، شقيق الصدر الأعظم ، يقول فيها :

« أود أن يعلم الشعب البريطانى انه فى الحرب مع تركيا يبقى كل مصرى حقيقى على ولائه للدولة الانجليزية التى اغنت المصريين ورقتهم »(٢٧) .

واخذت (المقطم) تمهد عبر عدد من المقالات التى كتبتها بعنوان (أهل مصر والتغيير المنتظر) للسياسة التى قررتها بريطانيا فى مصر بعد دخول تركيا الحرب وهى ان « تلغى انجلترا ما لتركيا من حقوق فى مصر وان تأخذ بيدها هذه الحقوق ، وان تعلن حمايتها على مصر ، وان تذكر فى الوقت نفسه انها اخذت هذه الحقوق بيدها وديعة للشعب المصرى »(٢٨) . فقد جاء فى تعليق لها ، أنه « لا يخفى أن وقوع الحرب بين بريطانيا العظمى وتركيا ادى الى نتائج عظيمة الشأن فى هذا القطر وسيؤدى ايضا الى نتائج أخرى لا تقل عن تلك منزلة . فان الحرب نقضت جميع المعاهدات والاتفاقات المبرمة مع تركيا »(٢٩) .

وترى (المقطم) أن مصالح المصريين تلتقى مع مصالح الانجليز وليس مع تركيا التى تقاتل ضد بريطانيا ، فسكان مصر « مصريون وليسوا تركا وهم يتكلمون باللسان العربى ومصر فوق ذلك تبتغى الارتقاء وهى ايضا لم توضع تحت رعاية انجلترا الا برضاء السلطان وجميع الدول . والمصريون لا ينكرون أنهم لم يروا فى جميع أدوار حياتهم اياما كلها خير وبركة وطمانينة كأيام حكم الانجليز لهم الذين رقوا البلاد ماديا وادبيا واغدقوا عليهــــا الرفاهية وعمموا فيها العدل »(٣٠) . وتستنكر (المقطم) دعوة الاتحاديين لتخليص مصر من الاحتلال البريطانى .

وكانت (المقطم) تنشر كل ما يصل اليها من بلاغات قائد جيش الاحتلال ، فيما يتعلق بالقوانين المستخدمة فى ظل الأحكام العرفية المفروضة على البلاد ، وكذلك البلاغات الصادرة عن ادارة قلم

المطبوعات ، فقد « منعت السلطات البريطانية الجرائد المصرية من نشر اى اخبار لها صلة بحركات الجيش » . واصبح « قلم المطبوعات المرجع الوحيد للصحف فى هذا الشأن ، فاذا سمح بالنشر نشرت وان لم يسمح اضطرت الى اغفال هذا النوع من الاخبار » . وفرضت السلطات « رقابة مشددة على البرقيات والأخبار التى تتعرض لأحداث الحرب وكذا القوات الحربية والبحرية »(٣١) . فان بريطانيا « تامينا لوجودها وسلامة جيوشها التى اخذت تتدفق على البلاد اعلنت الأحكام العرفية وفرضت الرقابة على الصحف فى ٢ نوفمبر ١٩١٤ » . وقد اشتدت الرقابة على الصحف « خاصة بعد دخول تركيا الحرب فى ٥ نوفمبر ١٩١٤ ، وبلغ الأمر الحد الذى جعل الرقيب يوجب على صحيفة الأهالى فى عددها الصادر فى ١٠ نوفمبر ان تبدو بيضاء تقريبا »(٣٢) .

الحماية البريطانية على مصر :

وتعلن الحماية البريطانية على مصر فى الثامن عشر من ديسمبر ١٩١٤ ، فتنشر (المقطم) النبأ فى (مانشيت) ضخم كالتالى : اعلان الحماية البريطانية على مصر — بسطت بريطانيا العظمى حمايتها على مصر اليوم . وقد نشرنا على الصفحة الخامسة الاعلان الصادر بذلك . وفى صدر الصفحة الأولى وعلى عمودين كاملين تنشر قصيدة للشاعر ولى الدين يكن(٣٣) تحت عنوان (الى جلالة ملك بريطانيا وامبراطور الهند) يقول فيها :

يا ايها الملك العظيم سلام
هتفت ببيعتها لك الأقوام

مصر الوفية لا تزال وفية
وكما عهدت النيل والأهرام

نالت حمـــايتك التى اعتزت بها
امثالها واســـتمكن الاســـلام

اليوم تحســـــد عزها جاراتها
ويود ما نالت اخوها الشـــام

ذهبت مخافات المظـــالم وانتهى
حـــكم الهوى واكبت الاصـــنام

اليوم مصر قد ارتقت وسترتقى
ولكل مجد فى حمـــاك تمام

وعلى الصفحة الخامسة ، وفى اعلى الصفحة تنشـــر (المقطم) صورة البلاغ الذى أعلنت به الحكومة البريطانية ببسط حمايتها على القطر المصرى . وتكتب مقالا بعنوان « الحمـــاية البريطانية تظلل الديار المصرية ــ نعمة للمصريين وعبرة للعثمانيين » تؤكد فيه افكارها وخطها السياسى الذى تنتهجه منذ صدورها ، من تأييد كامل للاحتلال البريطانى الذى تمكن وترســـخت أقدامه بالحماية ، ومن محاربة للدولة العثمانية التى انتهت ســـيادتها الاسمية على مصر باعلان الحماية البريطانية عليها ، تقول (المقطم) : « نحن اليوم بمرأى من اول امر من الأمور العظيمة الشأن التى اعددنا القراء لها منذ شهر من الزمان . فقد بسطت بريطانيا العظمى حمايتها على مصر وقضى الأمر وهذا الحادث وان لم يكن عبارة عن قيام مملكة وسقوط اخرى فانه عبارة عن حلول دولة محل اخرى وابدال سيادة تركيا القائمة على شـــفا جرف هاو بسيادة بريطانيا سيدة البحار والأمصار » .

وترى (المقطم) أن هذا التغيير يتفق مع مصلحة مصر وان الامة مرتاحة اليه ، فان المصريين ، وقد أعلن ساستهم مرارا عن

الحاجة الى دولة قوية تشـــد أزرهم وتحمى ظهرهم لو خيروا « لاختاروا بريطانيا العظمى لامدادهم بهذه الحماية ، لما هو مشهور عن استقامة مبادئها وحفظ عهودها واعلانها منار الحق والعدل والحرية بين اللائذين لحماها ، ورفقها بالفقير ودفاعها عن الضعيف واحترامها العادات والتقاليد فى الأمم المتصلة بها » . وان مصر بخروجها من السيادة العثمانية الى الحماية البريطانية ، تكون قد خرجت من « تحت سيادة ذليلة ضعيفة واستظلت بسيادة عزيزة منيعة وكانت امارة تنظر اليها الآستانة وهى دونها نظر الأعلى الى الأدنى فأصبحت سلطنة شامخة البنيان عزيزة الأركان تخفق رايات العدل على صروحها ويضىء سنى الهيبة والسطوة حواليها . مرعية المقام . محترمة الجانب . استقلالها الداخلى مضمون اذا جد أبناؤها الآن فى اكتساب ثقة حاميتها . وتقدمها الأدبى قائم على مبادىء مقررة واركان ثابتة . وتقدمها المادى مكفول مادامت العناية البريطانية شاملة لها والأموال الانجليزية غير محبوسة عنها » .

وترى (المقطم) أن الحماية ربح للمصريين وخسارة للعثمانيين وأن عار هذه الخسارة يقع على « فريقين من الناس . الفريق الواحد جماعة من الأغرار سموا بالحزب الوطنى المصرى فنبذ الوطن أشدهم طيشا نبذ النواة . والفريق الآخر اتراك الاتحاد والترقى الذين طاشوا طيش من عندهم من أعضاء الحزب الوطنى فاتحدوا وارادوا ان يكونوا مطايا الألمان وزين لهم الغرور الاستخفاف بالانجليز ومناوأتهم » . وذكرت (المقطم) أن بطـــاريات القلعة ستطلق مائة مدفع ومدفعا واحدا ايذانا ببسط الحماية البريطانية على الديار المصرية . ونشرت (المقطم) فى العدد نفسه ، الصادر يوم اعلان الحماية ، عددا من الأخبار عن تحركات قادة الجيش الانجليزى ، وعن مقابلة قائد جيش الاحتلال للأمير حسين كامل ، وعن القيام بنصب سرادق كبير أمام التشريفات فى سراى عابدين

استعدادا لاحتفال كبير قادم . وكانت تقصد بذلك الاحتفال بتنصيب الأمير حسين كامل سلطانا على مصر . وذلك بعد خلع الخديوى عباس حلمى الثانى عن عرش مصر وهو ما ابرزته المقطم فى عدد اليوم التالى يوم ١٩ ديسمبر ١٩١٤ . فقد نشرت فى أعلى الصفحة الأولى (مانشيتا) ضخما بعنوان « سلطنة مصر وسلطاتها — عرض سرير سلطنة مصر على سمو الأمير حسين كامل باشا فقبله . وقد نشرنا الاعلان بذلك على الصفحة الخامسة) .

وكتبت (المقطم) مقالة بالمناسبة تحت عنوان « بين الحماية والسلطنة — سقوط الامارة وتجديد الوزارة » اوضحت فيها ان سقوط الامارة العباسية كان يجب أن يحدث منذ سنوات بعيدة لولا أن الانجليز صبروا عليه كثيرا . فقد كانت علاقاته بهم تحتم اللجوء الى احد امرين « اما اكراه المحتلين على الجلاء ، وذلك لم يكن مقدورا للأمير ولا لسواه . واما اسقاط الامارة العباسية ، فذلك ميسور للانجليز متى شاءوا لأن الأعوام التى جلس فيها على سرير الخديوية كانت محفوفة بالمعارضة لهم ولكل مصرى يعاونهم » ، وان عباس حلمى عند وقوع الحرب « ظن أن ما كان يتوقعه قد تم ، وان الانجليز اعتمدوا خلعه عن الامارة وقضى الأمر » ، وغلب عليه هذا الظن ، حتى جعل يبنى عليه اقواله واعماله فعاف مشاورة وزرائه ، وصم أذنيه عن سماع نصائحهم ، وتنكب أخصاءه الصادقى الولاء له وابعدهم عن مجالسه ، وانضم الى الاتحاديين وانحاز الى اعداء المحتلين لبلاده . وانتهى الأمر الى ان فقد امارته وحرم منها ذريته » .

وفى العدد نفسه ، تنشر (المقطم) عددا من الأخبار عن رفع الرايات على المبانى العمومية وتزيين الدكاكين والمنازل بالأعلام احتفالا ببسط الحماية . وعن اطلاق واحد وعشرين مدفعا احتفالا بجلوس الامير حسين كامل على سرير السلطنة . وخبرا عن تعيين

السير (هنرى مكماهون)نائبا لملك بريطانيا فى مصر . وهو اللقب الذى اصبح يحمله المعتمد البريطانى فى مصر بعد اعلان الحماية . وتحدثت (المقطم) عن « الموكب العظيم ـ انتقال السلطان الى سراى عابدين ـ المقابلات السلطانية » . وكذلك « تبادل رسائل التهانى والولاء بين جلالة ملك انجلترا وعظمة سلطان مصر » . والبرقيات المتبادلة بين السلطان وكتشنر وبين رشدى وكتشنر . ويمين الطاعة الذى رفعه الضباط المصريون والانجليز الى السلطان فى سراى عابدين . وكذلك تغيير اسم المعية السنية الى الديوان السلطانى(٣٤) .

وتعود اسباب هذا التحمس للانجليز من جانب (المقطم) الى العلاقة الودية والمصلحية التى تربطها بهم منذ انشائها والى العداء المستحكم بينها وبين عباس الثانى والى التعاطف مع السوريين الواقعين تحت الحكم التركى والمناهضين له وقتذاك(٣٥) .

ونشرت (المقطم) ابرز ما جاء فى حديث السلطان حسين لجريدة (التيمس) الانجليزية حيث قال « وانى أعتقد ان حكومة بريطانيا العظمى ستشد أزرى فى ادراك غايتى » . وكذلك فاننا « لا نستطيع أن نفى بريطانيا العظمى حقها من الشكر على ما فعلته لمصر » . ويظهر السلطان ولاءه ومسالمته ويشيد بماضيه المسالم مع انجلترا فيقول : « انى اثق بانجلترا تمام الثقة وأرجو انها تثق هى بى ايضا وتأتمننى . فقد كنت مستقيما فى معاملاتى على الدوام وماضى يشهد لى بذلك . وكنت أسعى دائما فى التوفيق بين مصر وانجلترا » . واشاد السلطان فى حديثه بمسلك ضباط الاحتلال وجنوده مع اهل البلاد(٣٦) .

وبدات (المقطم) تكيل المديح لهذا السلطان المسالم المطيع الذى يرجو انجلترا ان تثق به ، وبدات تنشر المقالات التى تشيد

بحكمة السلطان وسعة صدره واتزانه واهتمامه بمشاكل الشعب . ومن ذلكما جاء تحت عنوان : « اعلاء شأن السلطان اعزاز لمقام الأمة »(٣٧) . وتنشر (المقطم) حديثا مع السير هنرى مكماهون (نائب الملك) إجراه (مكاتبها) فى لندن ، وذلك قبل وصوله لممارسة مهام منصبه فى مصر ، قال فيه ان كافة التغييرات التى ستتم فى مصر على اثر اعلان الحماية ستكون لخير مصر ومصلحتها(٣٨) .

وتعقب (المقطم) على حديثى السلطان حسين ومكماهون فى تعليق لها بعنوان : « الحديثان العظيمان ـ السلطان ونائب الملك متفقان على السعى فى خدمة الأمة وخير السلطنة » ، تقول فيه : « فالاثنان متفقان على أن يستعين كل منهما بالآخر فى ترقية البلاد وخير الأمة وأن يبنيا عملهما على سياسة الاتفاق والوئام طبقا لما كان عظمة السلطان يفعله قبل جلوسه كما قال فى حديثه . ومما يزيد الآمال تعلقا بنجاح المسعى أن بريطانيا العظمى اختارت للنيابة عن جلالة الملك عندنا سياسيا مجربا واداريا محنكا وخبيرا بالأشغال العمومية التى عليها معظم المعول فى الديار المصرية »(٣٩) .

وتتحدث (المقطم) عن تقدير مصر لدور انجلترا فى رفع « نير الاستبداد التركى) عن كاهلها ، وأن الرخاء قد عاد الى مصر بفضل انجلترا وهى « تنظر الآن بعين الأمل الى الوقت الذى تبلغ فيه ذلك الشأو اللائق بها فى مصاف أمم العالم »(٤٠) . وتقدم (المقطم) وصفا شاملا لاستقبال مكماهون ووصفا لشخصيته وملامحه وتقول ان مقابلته اثرت فى الجمهور تاثيرا حسنا « حتى لقد قال سعد باشا زغلول على مسمع منا ومن سوانا أن دلائل الخير بادية على وجهه فاملنا ان الله يجزل لمصر الخير على يده »(٤١) .

ويتظاهر طلاب مدرســـة الحقوق فينزل بهم عقوبات رادعة وتكتب (المقطم) : « ان اشتغال الطلبة بما لا يغنيهم وعدم تفرغهم لدروسـهم من اشد الأمور اضرارا بمستقبلهم ومستقبل التعليم فى مصر ، وأن الغيرة الوطنية تقضى على كل وطنى ان يقاوم بكل الوسائل اشتغال الطلبة بأمور خارجة عن دروسهم »(٤٢) .

وكانت المظاهرات التى تكرر انفجارها فى هذه الآونة ، تعبر عن الاحساس الحاد بالضيق والسخط لدى جماهير الشعب لما تقاسيه من معاناة بسبب ظروف الحرب ، وما تلمسه من خضوع هيئة الحكم المصـــرية ممثلة بالسلطان ووزرائه لسلطات الحماية البريطانية . وذلك لأن « كلا من الفريقين ليس له سلطة ذاتية ولكنه يستمد سلطته من الحماية فهم فى الحقيقة موظفون خاضعون لأوامر الحماية »(٤٣) وكان الســـلطان « لا يشـــعر الا بقوة الحراب البريطانية » وتحول وزراؤه « الى صـــنائع فى ايدى المستشارين البريطانيين »(٤٤) .

ولم يتوقف التعبير عن السخط العام عند حد المظاهرات ، بل تعداه الى محاولات الاغتيال التى تعرض لها السلطان حسين ، وكانت المحاولة الأولى تلك التى قام بها (محمد خليل) وقد أوردت (المقطم) تفاصيلها . ونشرت قصائد التهنئة بسلامة السلطان(٤٥) . وكتبت تعلق على (ابتهاج) الصحافة البريطانية بسلامة سلطان مصر ، وعزت ذلك الى « ما انطوى عليه عظمته من حب الخير لرعيته والاهتمام بترقية شئون القطر ونشر العلم بين ابنائه »(٤٦) . وطالبت المقطم بأن يقوم صفوة القوم باعتبارهم القدوة ، ببث روح المحبة والأخلاق الفاضلة فى نفوس العامة . وطالبت بنشر أسلوب التربية الفاضلة لسد ابواب الجناية والكراهية والبغضاء فى صفوف ابناء الشعب « فالأمة يجب أن يربى بعضها بعضا ويرشد بعضها بعضا »(٤٧) .

وتجرى المحاولة الثانية لاغتيال السلطان حسين فى يوليو من العام نفسه على يد صالح عبد اللطيف فتندد (المقطم) بالفاعلين ، وتكيل المديح للسلطان الذى « حقق آمال جميع محبى الشـــرق والراغبين فى ارتقائه فهو المدافع عن الفضيلة والأخلاق والآداب وهو منشط العلم ومكرم العلماء ، وهو أبو الفلاح المحافظ على ثروة هذا القطر ، وهو الكريم الجواد الذى عم احسانه جميع المحتاجين الى بره وجوده ، فلا ينقضى يوم الا ووابل جوده ينعش قلوب فريق من ابنائه فى هذا القطر »(٤٨) .

ويتحدث السلطان حسين للمقطم قائلا ان فى البلاد جرثومة للفساد مضرة بالمجموع ولابد من استئصالها . وعبر عن تألمه من وجود البعض الذين يحكمون اهواءهم بدلا من عقولهم ولا يدركون المغزى الحقيقى لتسلمه زمام الحكم الذى يستحق شكرهم ، لأن نفعه لا يعود عليه بشكل شخصى بل على البلاد بأسرها(٤٩) . ويرى سعد زغلول أن هذه النغمة التى يضرب عليها السلطان « من التنديد بالأمة وابنائها وتقبيح سيرتها والتشنيع بها تطرب الانجليز كثيرا وتمهد السبيل لاضعاف الناشئة وحرمان المصريين من حقوقهم الطبيعية »(٥٠) .

وتكتب (المقطم) مقالا تحت عنوان (ولاء الأمة لسلطانها) مدافعة عنه ، ومهاجمة المعتدين عليه ، والرافضين لجلوسه على العرش ، فهو يجلس على كرسى الحكم اقتناعا منه « بوجوب القيام بواجبات عظيمة لا يسع الكريم الاخلاق الحر الشمائل أن يقصر فيها أو يمتنع عن القيام بها . وقد رضى ان يجلس على سرير مصر ليحفظ ميراث آبائه واجداده »(٥١) .

وتجرى محاولة الاغتيال الثالثة للسلطان حسين ، بالقاء قنبلة على موكبه فى مدينة الاسكندرية ، اتهم فيها شابان مصريان هما محمد شمس الدين ، ومحمد نجيب الهلباوى ، ولكنه ينجو من الموت فيها أيضا(٥٢) .

وتتحدث (المقطم) عن الفوائد التى جنتها مصر من الحرب ، وعن عدم تعرضها للمحن بسببها . وترجع ذلك الى الوجود البريطانى ، فتقول : « واذا كان هذا القطر قد نجا من غوائل الحرب ورزاياها وخسارتها وبلاياها فالفضل فى ذلك يرجع لقيام بريطانيا العظمى على حمايته وذودها عن حدوده البرية من الشرق وكونها صاحبة السيادة فى البحر » . ثم تحدثت (المقطم) عن بعض الخسائر الاقتصادية التى أصابت بعض الأفراد الذين فقدوا وظائفهم فى المصانع والمحال التجارية بسبب قلة الأموال والرغبة فى الاقتصاد ، الا ان القطر بمجمله على حد رايها قد استفاد كثيرا وخصوصا ما ينفقه الجيش البريطانى فى مصر(٥٣) . ولكن (المقطم) تناقض نفسها ، فتكتب بعد شهور من كلامها هذا ، معبرة عما وصلت اليه الحالة الاقتصادية من سوء بسبب الحرب ، حيث « لا يخفى ان الأزمة المالية التى ضربت اطنابها فى هذا القطر مدة طويلة ، لم تعقبها ايام يسر ورخاء وسعة وثراء بل اننا لا نكاد نجتاز العام العسير حتى ندخل فى اعسر منه لأسباب متعددة لا محل لاستيفاء الكلام عليها الآن »(٥٤) .

فقد شهدت البلاد استغلالا بشعا من جانب السلطات البريطانية ، لمئات الالوف من العمال والفلاحين وتجنيدهم فى خدمة المصالح البريطانية ، وكانت اعدادهم تزداد تدريجا باتساع ميادين القتال(٥٥) . كذلك انفقت الحكومة المصرية منذ نشوب الحرب لحساب الحكومة البريطانية ولأغراضها العسكرية مبالغ طائلة فى مختلف المصالح(٥٦) .

ولم تكف (المقطم) عن نشر كل ما يصل اليها من بلاغات دار الحماية من أوامر خاصة بالأحكام العسكرية المفروضة على البلاد . وعندما وافق مجلس الوزراء على مذكرة وزير الحربية بشأن طلب الرديف ، قالت (المقطم) إن الغرض من الرديف المصـــــرى هو الاستعانة بعساكره على تنظيم التسهيلات اللازمة للدفاع عن القناة « وقد علمنا ان الحكومة البريطانية عرضت ان تنقدهم أجرة تعبهم اسوة لهم بغيرهم من الذين استاجرتهم من غير العساكر فأبت مصر قائلة انى آنف أن يقال عنى انى أؤجر رجالى للذود عن قناتى بمال غيرى وليس بمالى »(٥٧) .

وتجرى (المقطم) حديثا مع السـلطان حسـين بشأن اقامة (تذكار) للورد كتشنر ، بعد أن لقى مصرعه فى الحرب . فيقول السلطان لقد « سرنى ان اهل بلادى يقدرون قدر الرجال حتى اهتم أهالى الاسكندرية باقامة تذكار للورد كتشنر اهتماما يذكر فيشكر . ولكن لو كان الورد كتشنر حيا الآن واستشرناه فيما يريد أن يكون هذا التذكار الذى نقيمه له ، اكنت تظن يادكتور انه يشير باقامة تمثال له . كلا بل لأشار بما هو اهم من ذلك اى بما تحتاج اليه البلاد التى كان يحبها حبا جما »(٥٨) . وبنفس اسلوبه فى أحاديثه السابقة ، يردد السـلطان حسين افكاره وآراءه حول علاقته ببريطانيا ، فقد جاء فى حديث له نقلته (المقطم) عن التيمس ان « مستقبل مصر مكفول تحت حماية بريطانيا العظمى أعظم الدول الحرة »(٥٩) . هذه الحماية التى كانت حقيقة وواقعا « حادثا خطيرا اهتز له الوطن »(٦٠) . وكان معناها أن « يمتد الاحتلال البريطانى الى اجل غير مسمى ، ذلك الاحتلال الذى قيل عنه انه مؤقت »(٦١) . وكان من أبرز آثارها الغاء « احد رموز السيادة الوطنية المصرية وهو نظارة الخارجية المصرية »(٦٢) .

وترحب المقطم (بنائب الملك) الجديد (وينجت) الذى يخلف مكماهون فى مصر ، وترى أن «من حسن حظ مصر أن يعود هذا الصديق الصادق اليها ليسهر على مصالح أهلها . وسيكون مقرونا بأعظم أسباب التوفيق والنجاح . وفى مقدمة هذه الأسباب حكمة الجالس على سرير مصر عظمة مولانا السلطان وصداقته الخالصة لفخامته من جهة واخلاص عظمته التام للدولة البريطانية من جهة أخرى »[٦٣] . ثم أخذت تنشر اخبار الوفود التى تأتى من أقاليم مصر المختلفة الى دار الحماية للسلام على نائب الملك الجديد . كذلك كان من بين ارتباطات (المقطم) بدار الحماية ، قيامها بنشر أسماء المتبرعين من المواطنين لهيئة الصليب الأحمر البريطانية . وكانت تنشر القوائم بأسماء المتبرعين من كل مديرية من مديريات مصر على حدة[٦٤] .

وفاة السلطان حسين وتعيين السلطان فؤاد :

وعندما يتوفى السلطان حسين تنعاه (المقطم) بأسلوب مؤثر فيه اطراء كبير على مناقبه وطريقة حكمه . فتقول : « فقدت مصر بفقد سلطانها المحبوب ذخرا عظيما وكنزا لا يقوم بثمن . فما كل يوم توفق الأمم بملك عرك الدهر وذاق منه الحلو والمر ، فأعدته التجارب للحكم وعلمته غير الزمان سياسة الأنام » . وأنه قد « ترك لخلفه حكما دستوريا حسن النظام وطيد الأركان حالا فى اعتبار الأمة أسمى مكان » . وترحب (المقطم) بالسلطان الجديد أحمد فؤاد قائلة : « وقد أدام الله نعمته لهذا القطر باختيار أمير عاقل حليم ، ربى فى مهاد الدستور ، وسبر غور الأمور ، وضارع أخاه الفقيد الكريم فى صفاء النية وحسن الطوية وحب الخير للأمة المصرية ، فقد جبر الله قلوبنا بسلطاننا المعظم السلطان أحمد فؤاد »[٦٥] . ونشرت المقطم نصوص البرقيتين المتبادلتين بين السلطان احمد

فؤاد وملك بريطانيا حول مسئولية العرش فى المرحلة القادمة ، ونشرت كذلك تلغرافا لمراسلها فى لندن يقول فيه ان (التيمس) كتبت افتتاحية عن السلطان جاء فيها : « ان السلطان فؤاد عرف بسعة الصدر والفضل وكان على الدوام معروفا بصداقته ومودته لبريطانيا العظمى »(٦٦) .

انتصـــارات الحلفـــاء :

كانت (المقطم) فى عامى ١٩١٧ و ١٩١٨ تخرج كأنها نشرة حربية مع خلوها شبه التام من التعليقات الخاصة بمستقبل مصر ووضعها السياسى . وكانت المادة الرئيسية الغالبة على صفحاتها هى اخبار القتال على كافة الجبهات . ولا تدع (المقطم) مناسبة تمر دون الاشادة بقوة بريطانيا العسكرية . فتقول : « تحمى بريطانيا العظمى بأساطيلها بحار الدنيا . ولولا الأساطيل البريطانية لما أبقى الألمان للحلفاء خشبة تطفو على البحر ولا راية ترتفع على سطحه . أما فى البر فكيفما اتجه المرء فى ميادين القتـــال ير الجيوش البريطانية قد قامت كالسد المنيع فى وجوه الأعداء ، وفى كل ميدان يحارب البريطانيون فيه يصد الجرمان وحلفاؤهم . فلبريطانيا العظمى الجحافل فى فرنسا والبلجيك . والحرب فى الميدان الغربى للبريطانيين . ومعظم المعارك الكبيرة تقع فى ميدانهم أما فى ميادين الشرق فالبريطانيون يكادون يقومون بعبء الحرب كلها »(٦٧) . وتبدى (المقطم) اعجابا شديدا بالقائد الانجليزى (اللنبى) بمناسبة استيلائه على القدس . فتنشر نصوص البرقيات المتبادلة بينه وبين ملك بريطانيا . وكذلك البرقيات المتبادلة مع السلطان أحمد فؤاد بهذه المناسبة(٦٨) .

ويزور (اللنبى) مصر فتقدم (المقطم) وصفا شاملا لحفــل الاستقبال الذى أعد له . وقد تمت الزيارة « بعدما دخل القدس

الشريف منتصرا ظافرا . فاستقبل فى المحطة استقبالا رسميا جمع كبراء مصر وعظماءها ففرشت أرض المحطة بالطنافس الحمراء وفتح الباب السلطانى واجتمع الناس أفواجا على جانبى الساحات والشوارع المؤدية الى المحطة »(٦٩) . وعندما زار حسين رشدى رئيس الوزراء المصرى مدينة القدس انتهز مكاتب (المقطم) فيها المناسبة للاشادة بالجنرال اللنبى (منقذ القدس) . ودعا المدينة لأن تنهض « وتقيم لمنقذها العظيم تمثالا أثريا جميلا تضيفه الى آثارها السابقة وتجعله عنوانا خالدا للشكر ومعرفة الجميل »(٧٠) . ويزور اللنبى مصر للمرة الثانية . فتقول (المقطم) ان مصر استقبلت « قائدا من اشهر القواد العسكريين فى الحرب الحاضرة ، بما يليق بقدره وفعاله من الترحيب والتكريم ، واشترك فى استقباله ممثلو جميع طبقات السكان فى هذا القطر السعيد » . وهذا « التكريم الذى اشترك فيه أقطاب السلطنة المصرية ملكيين وعسكريين وسكان هذه العاصمة على اختلاف طبقاتهم انما هو تكريم البراعة والكفاءة المطلوبين من كل قائد عسكرى وللانسانية والرفق وسائر المبادىء السامية »(٧١) .

وفى نوفمبر وديسمبر من عام ١٩١٨ ، تركزت أخبار (المقطم) على انتصارات الحلفاء النهائية فى الحرب ، واستعراضات الفرق العسكرية الانجليزية فى شوارع القاهرة وهتافات الجماهير لها . وكذلك البرقيات المتبادلة بين السلطان أحمد فؤاد وملك بريطانيا حول انتصارات الحلفاء واعلان الهدنة بين المتحاربين .

مقدمات ثورة ١٩١٩ :

ولكن احداث السياسة الداخلية المرتبطة بمستقبل مصر ، لم تكن موضع اهتمام او بحث من جانب (المقطم) . أما حديث ١٣ نوفمبر ١٩١٨ الذى أجراه سعد زغلول وعلى شعراوى وعبد العزيز

فهمى مع المندوب السامى البريطانى فلم يرد ذكره فى (المقطم) ولكنها أوردت خبر اجتماع هؤلاء الزعماء برئيس الوزراء حسين رشدى(٧٢) .

وكان حديث ١٣ نوفمبر ، الذى أصبحت مصر تحتفل بذكراه فيما بعد كعيد للجهاد الوطنى ، وطلب فيه الزعماء الثلاثة السماح لهم بالتوجه الى لندن لعرض مطالب الأمة المصرية على الحكومة البريطانية ، كان علامة تحول فى تاريخ النضال الوطنى ، أعقبه تشكيل (الوفد المصرى) وحركة التوكيلات التى جمعها الوفد من سائر الطبقات ، ضمانا لشرعية تفويضه للمطالبة بالاستقلال التام باسمها ، وما كان من السلطة العسكرية البريطانية من التصدى لهذه التوكيلات ومن الحيلولة دون سفر رجال الوفد الى لندن ، مما لم يرو شىء عنه على صفحات (المقطم) .

كما أن اعلان سعد بطلان الحماية فى جمعية الاقتصاد والتشريع عقب القاء المستر (برسيفال) مستشار الاستئناف محاضرته حول مشروع القانون الجنائى ، أوردته على انه ابداء « بعض الملاحظات » من جانب سعد(٧٣) . وقد كان للرقابة المفروضة على الصحف دورها بالطبع فى عدم التوسع بنشر هذه الأمور .

وفى أوائل مارس ١٩١٩ تقبل استقالة وزارة رشدى التى ظلت معلقة منذ ديسمبر ١٩١٨ ، حيث كان مصرا على استقالته بالرغم من الحاح الانجليز والسلطان عليه بالعدول عن الاستقالة . ولكن رشدى جعل ذلك رهنا بموافقة الانجليز على سفر الوفد المشكل من سعد زغلول وبعض اعضاء حزب الأمة بالسفر الى لندن وباريس للمطالبة باستقلال مصر ، وجاءت الاستقالة بعد رفض الانجليز لهذا الطلب(٧٤) . وكانت من أشد بواعث الأسف

لدى السلطان فؤاد[٧٥] . ولكنها قوبلت من جميع طبقات الأمة بالثناء والتقدير لموقفه الوطنى[٧٦] . وقد نشرت (المقطم) خبر استدعاء الجنرال (وطســـن) لســـعد زغلول وجماعة من أعيان العاصمة حيث « ابلغهم ان البلاد خاضعة للحكم العسكرى وأنهم ان فعلوا ما من شأنه ان يعرقل قيام الحكومة بمهمتها يعرضـــوا انفسهم للوقوع تحت طائلة الحكم العسكرى »(٧٧) . كما نشرت خبر القاء السلطة العسكرية القبض على سعد زغلول وزملائه على النحو التالى : « قبضت السلطة العسكرية اول أمس الساعة السادسة مساء على حضرات صاحبى المعالى سعد زغلول باشا واسماعيل صدقى باشا وحضرات صاحبى السعادة محمد محمود باشا وحمد الباسل باشا وارسلوا الى مالطة »[٧٨] . فكانت ثورة مارس ١٩١٩ .

هوامش الفصل الثالث

(١) المقطم ٢١ يناير ١٩١٤ .
(٢) المقطم ٢٢ يناير ١٩١٤ .
(٣) المقطم ٢٧ فبراير ١٩١٤ .
(٤) المقطم ١٨ مارس ١٩١٤ .
(٥) المقطم ١٩ يونيو ١٩١٤ .
(٦) المقطم ٢٨ اكتوبر ١٩١٥ .
(٧) عباس محمود العقاد ، سعد زغلول سيرة وتحية ، دار الشروق ، بيروت ، ص ١٧٥ ، د.ت .
(٨) المقطم ٣٠ ابريل ١٩١٤ .
(٩) المقطم ٧ مايو ١٩١٤ .
(١٠) المقطم ٢١ مايو ١٩١٤ .
(١١) المقطم ٢٧ يوليو ١٩١٤ .
(١٢) المقطم ٢٧ يوليو ١٩١٤ .
(١٣) المقطم ٣ اغسطس ١٩١٤ .
(١٤) المقطم ٣ اغسطس ١٩١٤ .
(١٥) المقطم ٧ اغسطس ١٩١٤ .
(١٦) المقطم ٧ اغسطس ١٩١٤ .
(١٧) المقطم ٢٠ اغسطس ١٩١٤ .

(١٨) المقطم ٣١ اغسطس ١٩١٤ .
(١٩) المقطم ٨ سبتمبر ١٩١٤ .
(٢٠) المقطم ١٢ سبتمبر ١٩١٤ .
(٢١) المقطم ٥ أكتوبر ١٩١٤ .
(٢٢) المقطم ٧ أكتوبر ١٩١٤ .
(٢٣) المقطم ٧ أكتوبر ١٩١٤ .
(٢٤) المقطم ١٥ أكتوبر ١٩١٤ .
واسم هذا الضابط الملازم محمد توفيق طه — بالمنيا . وقد نشرت رسالته تحت عنوان : « تطوع المصريين انتصارا للانجليز » .
(٢٥) المقطم ١٠ نوفمبر ١٩١٤ .
(٢٦) المقطم ٢٠ نوفمبر ١٩١٤ .
(٢٧) المقطم ٢٠ نوفمبر ١٩١٤ .
(٢٨) محمد حسين هيكل ، مذكرات فى السياسة المصرية ، ج ١ ، ص ٦٩ ، ٧٠ .
(٢٩) المقطم ٢ ديسمبر ١٩١٤ .
(٣٠) المقطم ١٢ ديسمبر ١٩١٤ .
(٣١) صابات ، وآخران ، حرية الصحافة فى مصر ، ص ٣٠٠ .
(٣٢) خليل صابات ، الصحافة المصرية ودورها فى ثورة ١٩١٩ ، محاضرات لطلبة ليسانس الصحافة بآداب القاهرة ١٩٦٩ — ١٩٧٠ .

(٣٣) الشاعر ولى الدين يكن من الأحرار العثمانيين الذين كانت بينهم وبين السلطان عبد الحميد عداوة شديدة . وقد لجأ الى مصر للاحتماء بالسلطات الانجليزية التى استخدمته لتحقيق أهدافها فى الهجوم المتواصل ضد السلطان العثمانى وحكومته . وقد أفردت له صحيفة المقطم صفحاتها لكتابة المقالات والقصائد التى تتفق وسياستها الاحتلالية . ويبدو أن هذه القصائد التى تطعن فى الضمير الوطنى لشعب مصر جعلت صاحبها يفقد مكانه بين الشعراء الذين أسهموا فى نهضة الشعر العربى الحديث فى مصر .

(٣٤) المقطم ٢١ ديسمبر ١٩١٤ .
(٣٥) صابات وآخران ، حرية الصحافة فى مصر ، ص ٣١٤ .
(٣٦) المقطم ٢٢ ديسمبر ١٩١٤ .
(٣٧) المقطم ٢٣ ديسمبر ١٩١٤ .
(٣٨) المقطم ٢٦ ديسمبر ١٩١٤ .

(٣٩) المقطم ٣٠ ديسمبر ١٩١٤ .
(٤٠) المقطم ٨ يناير ١٩١٥ .
(٤١) المقطم ١١ يناير ١٩١٥ .
(٤٢) المقطم ٢٦ فبراير ١٩١٥ .
(٤٣) مذكرات سعد زغلول ، الكراسة ٢٥ ، ص ١٣٢٨ .
(٤٤) عبد الخالق لاشين ، سعد زغلول ودوره فى السياسة المصرية ، مكتبة مدبولى ودار العودة ، القاهرة ، ١٩٧٥ ، ص ٣٤ ، ٣٥ .
(٤٥) المقطم ٩ ، ١٠ ابريل ١٩١٥ .
(٤٦) المقطم ١٠ ابريل ١٩١٥ .
(٤٧) المقطم ١٢ ابريل ١٩١٥ .
(٤٨) المقطم ١٢ يوليو ١٩١٥ .
(٤٩) المقطم ٢٠ يوليو ١٩١٥ .
(٥٠) مذكرات سعد زغلول ، الكراسة ٢٥ ، ص ١٣١٤ .
(٥١) المقطم ٢٢ يوليو ١٩١٥ .
(٥٢) المقطم ١٦ ، ١٧ مايو ١٩١٦ .
(٥٣) المقطم ٣٠ يوليو ١٩١٥ .
(٥٤) المقطم ٨ نوفمبر ١٩١٥ .
(٥٥) محمد أنيس ، مقال بعنوان : « دور الفلاحين فى ثورة ١٩١٩ » ، مجلة آفاق عربية ، بغداد ، العدد السابع ، السنة الثانية ، آذار (مارس) ١٩٧٧ .
(٥٦) عبد الرحمن الرافعى ، ثورة ١٩١٩ جـ ١ ، كتاب الشعب ، القاهرة ، ١٩٦٨ ، ص ٣٨ .
(٥٧) المقطم ٢١ يناير ١٩١٦ .
(٥٨) المقطم ٥ يوليو ١٩١٦ .
(٥٩) المقطم ١٣ أكتوبر ١٩١٦ .
(٦٠) محمد زكى عبد القادر ، محنة الدستور ، مكتبة مدبولى ، القاهرة ، ١٩٧٣ ، ص ٣٨ .
(٦١) مذكرات عباس حلمى الثانى ، المصرى ، ١٩٥١/٧/١٧ .
(٦٢) يونان لبيب ، تاريخ الوزارات المصرية ، ص ١٩٠ .
(٦٣) المقطم ٨ نوفمبر ١٩١٦ .
(٦٤) المقطم ١ ، ٢ ، ٤ ديسمبر ١٩١٦ .

(٦٥) المقطم ١٠ اكتوبر ١٩١٧ .

(٦٦) المقطم ١١ اكتوبر ١٩١٧ .

(٦٧) المقطم ٧ نوفمبر ١٩١٧ .

(٦٨) المقطم ١٥ ديسمبر ١٩١٧ .

(٦٩) المقطم ٨ يناير ١٩١٨ .

(٧٠) المقطم ١٠ اكتوبر ١٩١٨ .

(٧١) المقطم ٢٥ نوفمبر ١٩١٨ .

(٧٢) المقطم ١٤ نوفمبر ١٩١٨ .

(٧٣) المقطم ١٠ فبراير ١٩١٩ .

(٧٤) مذكرات محمد فريد ، كراسة ١١ ، ص ٣٠ — ٣٢ .

(٧٥) المقطم ٤ مارس ١٩١٩ .

(٧٦) مؤسسة الاهرام ، ٥٠ عاما على ثورة ١٩١٩ ، ص ١٦٩ .

(٧٧) المقطم ٨ مارس ١٩١٩ .

(٧٨) المقطم ١٠ مارس ١٩١٩ .

الفصل الرابع

أساليب المقطم فى الدعاية للاحتلال البريطانى

اسس الدعاية وقواعدها فى (المقطم) :

كانت جريدة (المقطم) تمارس فنون الدعاية بأساليب مختلفة من أجل انجاح وتعميق الأفكار التى تدعو الى غرسها فى أذهان الجماهير ، ومن أجل التأثير على الجماهير لازالة ما لديها من اتجاهات وأفكار سابقة ، وسارت فى ذلك على خطة محكمة تميزت بالاستمرارية والتنويع والتكرار والوضوح والمباشرة . وهى الخطة التى وصفها الباحثون فى علم الدعاية بأنها أنجح الطرق والأساليب للقيام بدعاية ناجحة . فهى تكرر الأفكار التى تدعو اليها ، وتلح عليها باستمرار ، وبشكل لا يعرف الكلل والملل والانقطاع . وذلك من أجل ترسيخ هذه الأفكار فى أذهان الناس وتثبيتها وجعلها مقبولة مستساغة .

ان هذا المبدأ الذى انتهجته (المقطم) ، يعتبر باعتراف الباحثين « الشرط الأول للدعاية الحسنة » ، كما يقول دوميناك(١) .
ولا تختلف الدعاية السياسية التى مارستها (المقطم) فى اهدافها وأغراضها عن الدعاية التى وضع لها الباحثون بعد سنوات عديدة قواعد واسسا معينة تنسجم مع طبيعتها ، وتعريفات تحدد هويتها وابعادها ، فقد عرفها الباحث الأمريكى (وولتر ليبمان) بأنها « محاولة للتأثير فى شخصيات الأفراد فالسيطرة على سلوكهم

لأغراض تعتبر غير علمية ، أو ذات قيمة مشكوك فيها فى مجتمع ما فى زمن بالذات »(٢) . أما (نورمان جون بول) فيعرف الدعاية بأنها « عملية نشر الآراء ووجهات النظر التى تؤثر على الأفكار أو السلوك او كليهما معا »(٣) . فهذه التعريفات تشترك معا فى ايضاح دور الدعاية فى التأثير على الاتجاهات والأفكار والسلوك لدى الأفراد والمجتمعات . وعلى نفس النسق جاء تعريف (كالتر) للدعاية بأنها « المحاولة المقصودة التى يقوم بها فرد أو جماعة من أجل تشكيل اتجاهات جماعات أخرى أو التحكم فيها أو تغييرها ؛ وذلك عن طريق استخدام وسائل الاتصال »(٤) . وتهدف الدعاية من ذلك بالطبع الى خلق استجابات ايجابية للأفكار التى تطرحها لتحقيق اغراضها ومصالحها التى تسعى اليها . وتعتبر الصحيفة وسيلة مهمة للدعاية لانها تستطيع أن « تستخدم التكرار والتنويع فى التأثير على القراء »(٥) ، فالصحيفة هى « الأداة الحديثة العلمية الحقيقية للدعاية »(٦) .

وتتمثل الأسس والقواعد التى رسمتها وسارت عليها جريدة (المقطم) فى عملية الدعاية السياسية فيما يلى :

اولا : التكرار .

ثانيا : التنويع .

ثالثا : الوضوح

رابعا : التبسيط والتركيز .

خامسا : المبالغة .

سادسا : تقمص المصالح الحقيقية للجماهير .

سابعا : الشعارات .

ثامنا : الاستناد الى المعرفة الدقيقة بمجريات الأمور والمعلومات ذات القيمة .

تاسعا : الدعاية المضادة .

عاشرا : الدعاية غير المباشرة .

ولم تكن اشكال الدعاية وأساليبها المختلفة الا وليدة الظروف والمواقف المستجدة . فالدعاية التى مارستها صحيفة (المقطم) خدمة للاحتلال ، كان لها منطلقات فكرية وسياسية معينة ، مستمدة من واقع الاحتــــلال وظروفه والقوى التى تواجهه فى الداخل والخارج ، مما اوجد أساليب خاصة للدعاية له وخلق طرائق معينة اتبعتها (المقطم) ، لكى تكون وســـيلة مهمة للدعاية . وقد رأينا تقسيم هذه الأساليب الى ثلاثة أقســــام رئيسية ، هى الدعاية المباشرة والدعاية غير المباشرة والدعاية المضادة علما بأن الحدود الفاصلة بين هذه الأساليب الثلاثة ليست حدودا ثابتة بل تتداخل معا لتخدم الأفكار الرئيسية التى قدمتها الصحيفة خدمة للاحتلال .

١ ــ الدعـــاية المباشـــرة

اولا : الدعوة لمسالمة المحتلين :

كانت فكرة المسالمة مع المحتلين وعدم طلب جلائهم ، هى لب السياسة التى تدعو اليها (المقطم) ، فالاحتلال لا غنى عنه من أجل مصلحة مصر ومستقبلها ، والجلاء لو تم فانه « لا يمضى زمان طويل حتى تصير مصر بلادا فوضى لا حاكم لها ولا نظام بها أو تحتلها دولة اخرى . والعاقبة وخيمة على الحالين »[٧] . وتشرح (المقطم) ميزات سياسة المسالمة فتقرر أنها « السياسة الوطنية الحقيقية المعجلة زمان الجلاء والعائدة على البلاد بالمنافع الحقيقية »[٨] .

وتكتب (المقطم) متسائلة « بأي حق يزعم الضلال أن المصريين عن بكرة أبيهم يبغضون الانجليز . ويفضلون الماضى على الحاضر ؟ »(٩) .. وترسم الصحيفة الطريق للسياسة التى ينبغى على مصر اتباعها وهى « سياسة المصافاة والمجاملة التى تصون نفوذ الخديوية وتحفظ الحكومة المصرية فى عيون الرعية وتدفع عن البلاد الف بلية وبلية »(١٠) . وهذه السياسة يقرها « أهل الشرف ومكارم الأخلاق » الذين يعترفون « باصلاح الانجليز الذين أوصلوا البلاد الى درجة لا تضارعها فيها بلاد شرقية »(١١) . هؤلاء الذين لا يريدون جلاء الانجليز ، لأنهم يعلمون ان الجلاء لو تحقق « لاصطكت منا الركب وارتجفت القلوب واضطرب الجنان وما ذلك الا من تاثير الزمن السابق الذى كان فيه الظلم مقيما والاستبداد مخيما والنهب والسلب يجريان علنا »(١٢) . ونغمة المقارنة بالأوضاع السابقة على الاحتلال ، كانت مستحبة لدى (المقطم) تكررها دائما . وتشير (المقطم) الى أن سياسة المسالمة « انفع لمصر كثيرا من سياسة الاختلاف والانشقاق » ، وانها « أصلح من سياسة المجافاة والمقاومة »(١٣) .

وعقب أحداث التمرد التى جرت فى صفوف الضباط والجنود المصريين فى أم درمان تهيب (المقطم) بكل « عاقل من أهل مصر أن ينصح ابناء وطنه من الضباط الأحداث باجتناب اسباب الخصام والتزام جادة السلام »(١٤) .

وعلى اثر زيارة الخديوى للندن تشيد (المقطم) بالعلاقات بين الأمتين المصرية والانجليزية ، وتتساءل : « واية أمة امتزجت مصالحها بمصالح أمة أخرى وارتبطت بها تجارة وصناعة وادارة قدر ارتباط الأمة المصرية بالأمة الانجليزية ؟ » . وتريد (المقطم) بذكر هذه العلاقة الوصول الى ماتهدف الى الدعوة له وهو أن « محالفة المصريين للانجليز محالفة طبيعية قضت بها عليهم مصالحهم

المرتبطة بعضها ببعض والفوائد الجمة التى تعود على الأمتين من توثيق عرى الاتحاد والاتفاق بينهما »(١٥) . كذلك تدعو (المقطم) الى توطيد « اركان الاتفاق والوئام بين سكان هذا القطر وكل ما يجمع بينهم فى أمورهم المعاشية مهما اختلفوا فى عقائدهم ، لأن فى ذلك اوسع السبل المؤدية الى الاستقلال »(١٦) .

ثانيا : الاحتلال يصلح البلاد ويرقيها :

كانت (المقطم) تلح على أن الاحتلال ما حدث الا من أجل تعميم الاصلاح وترقية البلاد وتقدمها وخير سكانها ، ونشر الأمن فى ربوعها . وهى ترى أن الاحتلال جاد تماما « فى سبيل الاصلاح وتحسين الحال »(١٧) ، وان مصر تتقدم على يديه « فقد أصبحت غير ما كانت عليه سنة ١٨٨٢ ، فان الاصلاح دخل كل دائرة من دوائر الحكومة والمصالح الأميرية وخطا فيها خطوة تذكر . والادارة قررت على اركان العدل والصواب . والمالية انتظمت أحسن انتظام »(١٨) . وتعدد الصحيفة أوجه التغيير فى السياسة الداخلية التى أحدثها الانجليز مثل المجالس المحلية واصلاح السجون وتنظيم الجيش المصرى والبوليس وتعميم الرى وشق ترع جديدة واصلاح احوال المستشفيات »(١٩) . وتصل الى انه « اذا قابلنا ما كانت عليه مصر سنة ١٨٨٢ بما صارت اليه سنة ١٨٨٩ ، ظهر الحق وبان واتضحت فوائد الاحتلال وحسن مساعى الحضرة الفخيمة الخديوية ووزرائها للعيان »(٢٠) .

وتقرر (المقطم) أن الجميع من أصدقاء واعداء متفقون على « تحسن أحوال هذا القطر وانتظام أعماله واداراته بعد احتلال الانجليز له »(٢٢) . وان مهمة انجلترا فيه تتمثل باصلاح « حالة هذا القطر ، حتى يعيش اهله فى بسطة من العيش وتتوافر لديهم

أسباب الثروة والعز وتعم العدالة كل أطراف البلاد »(٢٢) . وأن التفكير فى الجلاء لا يكون الا بعد ان يتأكد المحتلون « بأن حالة البر اصبحت على ما يرام واننا اتممنا ما تعهدنا به عند دخولنا اليه »(٢٣) .

وتقول (المقطم) ان « جميع الذين شافهناهم فى أمر الاحتلال ونتائجه متفقون على انه احيا البلاد وانقذها من البوار »(٢٤) ، وانه لا غرابة بعد أن تأكدت هذه النتيجة فى عرف (المقطم) ان تدعو الخديوى ورئيس نظاره الى الاستعانة التامة « بقوة انجلترا وحكمها فى سياسة مصر الخارجية . وبالعارفين النابغين من رجالها على تحسين شئونها الداخلية »(٢٥) .

وتمنح (المقطم) نفسها صفة التحدث باسم السواد الأعظم من المصريين ، قائلة بلسانهم ان سياسة الاحتلال تطابق المصلحة العامة للبلاد ، وان الواجب يقتضى تقدير مساعى المحتلين حق قدرها(٢٦) . وتنشر (المقطم) مقالة باتساع الصفحة الأولى يتحدث فيها كاتبها عن « نعيمنا الحاضر » مقارنا بفساد الماضى(٢٧) . وتقرر أيضا أن الخاصة والعامة يعترفون بأن « احوال المعيشة قد تحسنت وتيسرت بما تم من الاصلاح فى عهد الاحتلال »(٢٨) .

وتقدم الصحيفة شكرها للحكومة البريطانية لتخفيضها اجور المراسلات بين مصر والسودان ومختلف البلدان التى تحتلها بريطانيا . وتمنت أن هذا « الاصلاح يعم سائر العالم المتمدن بفضل الساعين فيه من رجال الاقدام والهمة بين الانجليز وغيرهم »(٢٩) . وتعقب على زيارة قام بها الخديوى للندن قائلة ان « الجناب الخديوى يعلم حق العلم ان امارته قد علت شأنا وزادت عزة وجاها بسعى البريطانيين »(٣٠) .

ثالثا : الاحتلال يحسن المالية المصرية :

وترى (المقطم) فى التحسن الطفيف الذى طرا على المالية المصرية ، دائما للاشادة بالاحتلال وفوائده وخدماته لمصر ، فتورد مقالين متصلين بعنوان « المالية المصرية ما كانت عليه وما صارت اليه » تحدثت فيهما عن الديون واوجه الانفاق الباهظة فى عهد الخديوى السابق اسماعيل ، وعن تحسن الحالة فى عهد الخديوى توفيق بفضل الاحتلال(٣١) . وفى معرض الحديث عن تحسن احوال المالية ، تشيد المقطم « بالوزارة الوطنية الرياضية » ، التى « عرفت داء البلاد فأبراته بناجع الدواء وعلمت حاجة الأمة فالتمست سدها من اقرب الانحاء » ، وتقدم شكرها لموظفى الشئون المالية من الانجليز : بلوم وبالمر وملنر « وسائر الآخذين بمهام المالية الذين يؤمل منهم فى المستقبل اضعاف ما تم فى الماضى »(٣٢) .

رابعا : الاحتلال يشجع التعليم :

وترى المقطم أن التعليم قد تقدم فى زمن الاحتلال « وان كان زمان الاحتلال هو الزمان الذى هبت فيه الأمة الى احياء العلوم والمعارف » ، فانه يكون بذلك « أحسن زمان انعم الله به على مصر وافضل عصر يستحق ان يمدح ولا يذم »(٣٣) . وتدافع الصحيفة عن موقف الاحتلال بالنسبة « لتعميم المعارف والعلوم » فالاحتلال يدعو الأهالى الى الاهتمام بالتعليم ونشره وليس الحكومة « كما هى سياسة الانجليز فى بلادهم » ، ولأن هذه السياسة أثارت «محررى مصر » الذين « يتشدقون بالوطنية » فقد بدات الحكومة تعمل على تنشيط التعليم ، وينبغى على الجميع « ان يشدوا أزرها فى ذلك ويحثوا الكتاتيب على قبول اشارتها والاجتهاد فى نيل اعانتها « فان ذلك ما تقتضيه الوطنية ، وما يجب على ذوى الغيرة الحقيقية »(٣٤) .

خامسا : الاحتلال يحمى الفلاح :

وتركز (المقطم) فيما تكتبه عن شئون البلاد الداخلية ، على ان الاحتلال انعش الفلاح المصرى ، وان الاصلاح شمل نوعية حياته واحواله المعيشية منذ عام ١٨٨٢ ، فتقول : « اتفق الذين بحثوا عن ديون الفلاح على انها قلت جدا عما كانت عليه سنة ١٨٨٢ ، حتى لقد اصبحت قلة دينه دليلا من اقوى الأدلة عندهم على تحسن الأحوال فى هذا القطر »(٣٥) . وتورد (المقطم) « محاورة بين ناظر قسم معزول وفلاح مزارع » قصدت بها الثناء على الاحتلال على لسان الفلاح الذى يعلن استعداده للقتال وبذل الروح دفاعا من « شجرة الحرية » التى غرسها الانجليز بعد ان ذاق « من ثمراتها حلاوة الاستراحة من السخرة ومما كان يفرضه علينا الحكام حسب اهوائهم من انواع الضرائب التى ضاقت الدفاتر باسمائها »(٣٦) .

وترى (المقطم) ان الفلاح « بعد ان كان يكتفى فى المعيشة بما يتيسر من الخبز واللباس والمأوى اخذ يرتقى فى المعيشة ارتقاء سريعا ظاهرا من يوم الى آخر »(٣٧) . وبدأ يتخلص من العهود التى كان يسام فيها ضعف العذاب « كان فلاح مصر كان واحسرتاه يترك أولاده وزوجته على الطوى ويفر تائها فى وجه الأرض من نير العبودية القاسية فتؤخذ عائلته المسكينة بغير جريرة وتزج فى السجن وتذوق مر العذاب وعذاب المر لاسباب لا دخل للعدالة فيها »(٣٨) .

سادسا : جيش الاحتلال .. الشجاعة والقوة :

ولا تفوت (المقطم) فرصة الا تنتهزها للاشادة بجيش الاحتلال ودوره فى خدمة البلاد وحفظ امنها وتعزيز الجيش المصرى « وحسب الجيش المصرى أن فيه من اشهر ضباط المسكونة اناسا

دائبين على ترقيته ورفع شانه ويعلم انها عماد العزة الوطنية »(٣٩)، وان فى وجود جيش الاحتلال بمثل « هذا المدد المظيم فى مصر ما يقينا غائلة الدراويش وبطشهم ويحفظ البلاد من سطوة حربهم » ؛ اما الفوائد المادية فتتمثل « برواج التجارة فى البلد خصوصا فى الاشياء اليومية »(٤٠) . وتدافع (المقطم) عن جيش الاحتلال ، بعد حادثة دنشواى ، فتقول : « ان جيش الاحتلال البريطانى ليس فى جيوش الأرض كلها اعظم منه حلما واكثر رفقا وابعد عن الأذى واقل تكليفا للأهالى واخف وطأة عليهم »(٤١) .

سابعا : متابعة دائمة لأخبار الاحتلال :

ولا يخلو عدد من اعداد (المقطم) من اخبار رجال الاحتلال ، وجيش الاحتلال ، والعلاقات المصرية البريطانية ، وهذه نماذج من تلك الاخبار . فخبر عن « امتحان صف من الضباط الانجليز باللغة العربية فى ديوان عموم جيش الاحتلال »(٤٢) . وخبر عن بدء انعقاد جلسات المنتدى الانجليزى المصرى الذى تتمنى له التقدم والنجاح(٤٣) . وخبر عن مهرجان للألعاب الرياضية والعسكرية سيقيمه جنود الاحتلال وسيشهده « الجناب العالى وخلق كثير جدا من الأجانب والأهالى »(٤٤) وخبر عن قدوم « حضـــرة الفلكى الانجليزى الطائر الصـــيت فى الآفاق صديقنا المستر نورمن لكير محرر جريدة ناتشر اشهر جرائد العالم العلمية »(٤٥) . وخبر عن وصول قطع من الأسطول الانجليزى الى الاسكندرية(٤٦) . وكذلك اخبار الاعتداءات على جنود الاحتلال كخبر الاعتداء الذى قام به « لصـــان وطنيان على جندى انجليزى »(٤٧) . وقيام « بعض الأشـــقياء من الأهالى بالاعتداء على بعض الجنود الانجليزية من الهنود فى عزبة العرب بالعباسية »(٤٨) .

ثامنا : الموظفون الانجليز فى مصر .. كفاءة عالية واخلاق ممتازة :

لا تدع (المقطم) مناسبة لتعيين موظف انجليزى فى الحكومة المصرية ، أو نقله منها بعد انتهاء خدمته أو وفاته ، دون أن تصفه بكل الصفات والخصال المثالية ، كالشرف والأمانة والأخلاق النادرة، والكفاءة العالية ، فى مقابل طعنها بالموظفين المصريين واتهامهم بالعجز والتقصير فيما يمهد اليهم من « الوظائف الادارية والقضائية »(٤٩) .

لذلك فانها ترى فى تعيين الموظفين الانجليز ما يكفل تعويض هذا التقصير نظرا لما يتوافر لديهم من « المعرفة الصناعية والفنية التى يحصلها الأوروبى ويجهلها المصرى » . ولكونهم يتمتعون « بالأخلاق والتربية التى لا غنى عنها لاصلاح الاحوال وترقية مصالح الأمة فى بعض الوظائف »(٥٠) .

فوكيل المالية (ملنر) ، تعتبر (المقطم) خروجه من خدمة الحكومة المصرية خسارة فادحة ، نظرا للمحبة والانسجام بينه وبين كافة العاملين معه الذين « اجتذب اليه افئدتهم واكتسب ثناءهم جميعا بدماثة اخلاقه وحسن أوصافه وصدق اخلاصه »(٥١) . ووكيل الأشغال العمومية (مونكريف) تحزن الصحيفة لمغادرته البلاد ، لما له من « الايادى البيضاء والمآثر الحسان مدة توليه وكالة نظارة الأشغال العمومية فى القطر المصرى »(٥٢) . اما (جون سكوت) أول مستشار قضائى انجليزى فى مصر ، فقد كان « عالما متبحرا سديد الرأى واسع النظر محبوبا عند معارفه »(٥٣) . وفى نعيها لـ (بالمر) محافظ البنك الأهلى تقول (المقطم) ، انه كان « اعظم مالى فى القطر المصرى » وانه اصبح « محور حركة الأشغال المصرية وروح النهضة المالية الحالية »(٥٤) . وتعبر عن أسفها وأسف المزارعين لفراق (جارستون) وذلك فى تلغرافات منسوبة الى

« معظم عمد وكبار مزارعى بعض المديريات » ، الذين يرجون تبليغه « عظيم ممنونيتنا واسفنا على فراقه »(٥٥) . وتودع الصحيفة بحرارة المستر (كوكسن) مدير بنك الانجلو اجبسيان الذى له « اليد الطولى فى اختيار عمال هذا البنك وفى تدريبهم على اتمام الأعمال بالأمانة والدقة »(٥٦) .

تاسعا : كرومر محور رئيسى فى الدعاية للاحتلال :

كان كرومر ، وكيل دولة بريطانيا ، وممثل الاحتلال فى مصر ، محورا رئيسيا فى كتابات (المقطم) السياسية ، من تعليقات ومقالات واخبار ، فهو رمز الاحتلال ، وهو الذى يدير دفة الحياة السياسية فى البلاد ، بصلاحيات واسعة من دولته .

فتعلق (المقطم) على خبر حول احتمال ترقيته سفيرا لبلاده فى الآستانة بأنه « طبيعى أن من خدم حكومته خدمة جليلة مثل خدمة جناب السير بارنج (كرومر) تنتظر له الترقية والمكافاة »(٥٧) . وتنوه « بليلة انس » اقامها فى منزله بأنها كانت « ليلة راق صفاؤها وشاق بهاؤها حتى تناهى الليل وخرج المدعوون يشكرون لما شاهدوه من انس حضرة السير افلن بارنج والطاف حضرة اللادى بارنج قرينته »(٥٨) .

واتبعت (المقطم) عادة نشر تقارير المعتمد البريطانى التى يرفعها سنويا الى وزير خارجيته عن مجمل الأحوال فى مصر ، ثم عن مصر والسودان بعد ذلك ، مع تعليقات من الصحيفة حول بعض النواحى التى تناولها التقارير . وتقول عن تقرير عام ١٨٩٠ انه وقع « موقعا عظيما عند عقلاء المصريين وودوا لو تيسر لهم حفظه ولذلك رغب الينا جماعة منهم فى طبعه على حدة فلبينا الطلب»(٥٩) وبدات تنشر الاعلانات المختلفة عن تقارير كرومر ، التى تقوم

بترجمتها الى العربية وطبعها وتوزيعها بثمن زهيد مع تقديمهـــا للمشتركين مجانا .

وتمتدح (المقطم) كرومر بشيء كبير من المبالغة عن صدقه ونزاهته « لأنه لا يقول الا الحق ولا يفعل الا الحق » . وتزعم أنها تنقل اقوالا عن بعض الانجليز فى مصر بان « اكثرهم غير راض عنه ، ويقولون انه يضحي بحقوق الانجليز لأجل المصريين»(٦٠) مع ما فى ذلك بالطبع من التمويه وعدم التزام الصواب . وعندما يحصل (بارنج) على لقب اللورد من حكومة بريطانيا « اعترافا بتمام ثقتها به واعتمادها عليه ورغبتها فى مكافأته على ما استحقه بعلو همته وعظيم عنايته وحكمة سياسته » تهنئه المقطم بحرارة ذاكرة « ما له من الايادى البيضاء فى هذه الديار »(٦١) . وتشير الصحيفة الى تغيير اسمه من بارنج الى كرومر نسبة لأملاك يمتلكها فى بلاده يقال لها كرومر(٦٢) . وتنفى (المقطم) اشاعة عن نقل كرومر من مصر واحتمال تعيين (اوكلند كلفن) مكانه ، وتقرر أنه « سيبقى فى هذه الديار الى ما شاء الله »(٦٣) . وتنشر (المقطم) ترجمة كاملة لحياة اللورد كرومر ، نشأته وتعليمه والرتب والنياشين التى حصل عليها وذلك « ليطالعها حضرات القراء ويعلم الذين لم يعلموا منهم مكانة جناب اللورد المشار اليه فى بلاده واعتباره فى عيون قومه »(٦٤) .

وتبالغ (المقطم) فى حديثها عن دور كرومر فى مصر فهو برأيها « أعظم من وضع أساس الحرية فى هذه البلاد وضرب على يد الظلم والاستبداد وأعان على اخراج الاصلاح بمصر من القول الى الفعل وحقق كثيرا من أمانى المصريين »(٦٥) . وتتحدث (المقطم) عن قصيدة كتبها المستر (جراى) بعنوان (طيف الحرب) وقد صدرها بمقدمة الى اللورد كرومر لانه « هو الذى اجتمعت فيه آمال بريطانيا العظمى ، كما اجتمعت فيه مخاوفها بالنظر الى مركزه الفريد

بين مراكز ابناء هذا العصر ، وحبه الفائق لوطنه وصبره على صدود مصر »(٦٦) .

وعندما كان موضوع مستقبل السودان مطروحا على بساط البحث ، وقبل عقد الاتفاقية المشهورة بأيام قليلة ، تجيب (المقطم) عن تساؤلات السائلين عن مستقبل السودان بقولها : « ايستحيل علي عقل فاق عقول معظم اهل مصر ، مثل عقل اللورد كرومر وادارة حيرت ادهى ولاة الأمور فى كل قطر مثل ادارته استنباط أمر لم يجر عليه الأوائل ولم يهتد اليه الأواخر ؟ »(٦٧) . وكانت اتفاقية السودان التي وقعها كرومر وبطرس غالي ، وقد دفع هذا الاخير حياته ثمنا لها كما قال الخديوي عباس في مذكراته .

وحينما يجار (حافظ ابراهيم) فى قصيدة له بالشكوي من غلاء الأسعار تحيل (المقطم) الشكوى الى كرومر للنظر فيها بصفته « مصلح مصر العظيم) ولن يعجزه حلها لانه « اعظم أدارى ساس البلاد فى هذا العصر .»(٦٨) .

وعندما اقيه كرومر من منصبه ، ودعى من جانب حكومته للعودة الى لندن ، حزنت (المقطم) ابلغ الحزن واشده ، فتصف وقع نبا (الاستعفاء) بانه « انقض انقضاض الصاعقة على هذه العاصمة »(٦٩) . هذا النبأ الذى « رج الأرض رجا وكاد ان يبس الجبال بسا فيجعلها هباء منبثا . نبأ لو وقع على السماء لانفطرت . وعلى الكواكب لانتثرت . وعلى البحار لفجرت . نبأ شخصت من هوله الأبصار . وبلغت القلوب الحناجر .وخشعت الأصوات فلا تسمع الا همسا » وتخاطب كرومر باننا « مقيمون على ولائك ومرتلون آيات آلائك . فى البعد اضعاف اضعاف ما كنا فى القرب »(٧٠) . فكرومر الذى تلقبه (المقطم) دائما بالمصلح العظيم له فضل على مصر « راسخ فى تاريخ الدهور رسوخ أهرام مصر

على مر العصور » وانه « اذا قلنا اليوم ان اعمال كرومر فى مصر أعظم من اعمال بانى الاهرام واعظم من اعمال رعمسيس اكبر الفراعنة ، واعظم من اعمال بونابرت ومحمد على ، حسب اكثر القراء ان ذلك من مبالغات الشعراء التى يبتعد عنها المؤرخون »(٧١) .

وتنشر كلمة من هذا القبيل لمحمد وحيد رئيس الحزب الوطنى الحر يودع فيها أول مصلح لمصر وأول مشيد للعدل فيها وأول مؤسس لأسباب الرخاء فى ربوعها(٧٢) . ثم تنشر (المقطم) الوقائع الكاملة للاحتفال الذى اقيم فى الأوبرا الخديوية لوداع كرومر(٧٣) . وتعلق على خطبته التى القاها بالمناسبة بانها « أعظم خطبة سياسية خطبت فى الديار المصرية »(٧٤) . وعندما وصل إلى بلاده عائدا من مصر قالت (المقطم) انه استقبل استقبال الملوك والقياصرة(٧٥) .

عاشرا : بريطانيا .. القوة والعظمة واتساع الثروة :

وكثيرا ما عزفت (المقطم) على نغمة قوة بريطانيا واتساع ثروتها فهى أمة « لا تجارى فى حلبة الحضارة ولا تبارى فى الثروة والهمة والتجارة ولم يسمع فى العصور الغابرة ولا الأزمان الحاضرة ان أمة من الأمم سادت كما سادوا أو شادت فى بناء الاجتماع الانسانى كما شادوا »(٧٦) .

وترى (المقطم) أن ما تنفقه الحكومة المصرية على جيش الاحتلال يعتبر مبلغا زهيدا لا يجوز الاعتداد به او ذكره لأن المصالح المالية التى تقدر قيمتها بعشرات الملايين من الجنيهات لا يجوز ان يذكر بجانبها « مائة الف جنيه ومائتا الف جنيه ، وان الرجل الواحد من الانجليز يهب هبة واحدة تقدر بمئات الألوف من الجنيهات ، كما

هومعلوم ومشهور »(٧٧) . وهى بذلك تريد اظهار الانجليز بمظهر الكرم .

وتدعو الصحيفة المصريين الى الاقتداء بالانجليز ومناظرتهم فى « الغيرة على مصالح الحكومة والامة وعفة النفس والاستقامة وطهارة الذمة »(٧٨) . وتتضح من ذلك سياسة (المقطم) فى الطعن على اخلاقيات المصريين وحاجتهم الى من يعلمهم عفة النفس . اما الانجليز الذين تنطق باسمهم فى مصر فانها لم تجد « اى امة اكرم منهم اخلاقا واسلم منهم جوارا »(٧٩) . ومن هنا كان على مصر ان تخضع لهم فى راى (المقطم) لانهم « امة اعظم منا واقوى وحجتهم ان احتلالهم قد متع هذه البلاد كثيرا بالاصلاح الذى تم فيها ولم يضرها قط ، فلا وجه لمصر ان تتظلم منهم وهم يدفعون الظلم عنها ويعملون لخيرها »(٨٠) .

وبريطانيا هى « الامة التجارية » فقد « اشـــــتهرت الأمة البريطانية بكونها امة تجارية وامتازت على سائر الأمم فى ذلك » . ولذلك فانها تحكم « ربع المسكونة بحكمتها واتساع تجارتها »(٨١) . وبريطانيا هى « مالكة البحار وربة الاستعمار ، فقد استوثق لها الأمر ودان القدر ، ولم يبق لها منازع تهابه ولا مزاحم تخشاه »(٨٢) . وعلى اثر زيادة جنود الاحتلال بعد حادثة (طابا) ، تقول (المقطم) ان هذه الزيادة وقتية ، ومن قبيل « الاحتياط وتنبيه الغافل » لأن « سلطانة البحار لها فى كل بقعة جيش جرار فلا يتوهم ان نقل الجنود يعسر عليها من اقصى الأرض الى اقصاها »(٨٣) .

حادى عشر : ملوك الانجليز فى اعلى منزلة لدى المقطم :

ومادامت بريطانيا هى الدولة المحتلة ، ومادامت (المقطم) هى جريدة الاحتلال فانها لا تفتأ تنشر كل ما يتعلق بالملوك الذين تعاقبوا على الحكم فى بريطـــانيا وكذلك امراء الانجليز وكبراؤهم

وكانت أكثر احتفاء بالملكة فكتوريا التى كانت متربعة على العرش فى بريطانيا عندما صدرت (المقطم) ، فكانت اخبارها واعيادها موضع اهتمام (المقطم) ، فهى تنشر خطابها فى مجلسى الأعيان والنواب فى لندن(٨٤) . وتنشر وصفا كاملا لاحتفال الجنود الانجليز فى مصر بعيد ميلاد الملكة واستعراضاتهم فى ساحة عابدين(٨٥) ، بالاضافة الى الاحتفالات بعيد جلوس الملكة(٨٦) . وتنشر (المقطم) كشفا بأسماء الضباط الانجليز الذين أنعمت عليهم الملكة فكتوريا بالرتب والنياشين لاشتراكهم مع الجيش المصرى فى الحملة السودانية(٨٧) . وبمناسبة يوبيل الملكة تنشر (المقطم) تقريرا وافيا للمنجزات التى تمت فى عهدها بالاضافة الى قصيدة تهنئة من نظم الشاعر اسعد داغر(٨٨) . وعندما توفيت الملكة فكتوريا نعتها (المقطم) بشكل مؤثر ، وصدرت وصفحتها الأولى مجللة بالسواد ، تعبيرا عن حزن الصحيفة على ملكة الانجليز ، ونشرت تفاصيل حياتها وتعليمها ومنجزاتها وقصيدة رثاء لها من نظم الشاعر حافظ ابراهيم يقول فيها :

« اعزى القوم لو سمعوا عزائى
واعلن فى مليكتهم رثائى

وادعو الانجليز الى الرضاء
بحكم الله جبار السماء

اعزى فيك تاجك والسريرا
اعزى فيك ذا الملك الكبيرا

اعزى فيك ذا الأسد الهصورا
على العلم الذى ملك الدهورا »(٩٨)

وتابعت (المقطم) تعبيرها عن الحزن والأسى بفقدان الملكة التى « سادت على قلوب شعبها بمزايا حكمها . فاذا ذكرت الفتوحات

وضخامة الملك كان الاسكندر وقيصر ونابليون بونابرت دونها كثيرا لانه لم يحكم أحد منهم على ربع أهل الأرض مثلها ولا انشأ سلطنة لا تغيب الشمس عنها مثل سلطنتها »(٩٠) .

وعندما جلس الملك ادوارد السابع على عرش بريطانيا بعد وفاة امه رحبت (المقطم) بجلوس « ملكنا النبيل القدير ادوارد السابع » على سرير الملك فى بريطانيا ، ونشرت وقائع حفل الجلوس(٩١) . وقدمت الصحيفة ترجمة لحياته واشارت الى انه يتربع على عرش « اوسع مملكة واضخم ملك ارتقى اليه ملك من بدء العالم الى هذا اليوم »(٩٢) . وعند الاحتفال بتتويجه قالت (المقطم) انه « اول ملك توج فى العالم ورعاياه يبلغون ٤٠٠ مليون فاقوا على الأصح رعايا سلطان الصين » وأن جميع هؤلاء الرعايا يجب أن يعمهم الفرح والسرور بهذه المناسبة « واولهم بلاشك ولا ريب جمهور عقلاء المصريين » الذين رأوا أن بلادهم وما تتمتع به « من العدل والحرية والراحة والاطمئنان » ، انما يعود الفضل فيه « لرجال الملك الذى يتوج الآن . ادامه الله للعدل والحق والحرية سندا وزاده قوة وعزا ومجدا »(٩٣) . وفى العدد نفسه تنشر قصيدة بعنوان (التاج والقمر) للشاعر حافظ ابراهيم تغنى فيها بالتاج وصاحبه . وقصيدة ثانية للشاعر أحمد نسيم بعنوان (قول مصر فى صاحب التاج) تضمنت افكارا مماثلة .

٢ ــ الدعـــاية غير المباشـــرة :

ومارست (المقطم) أيضا دعاية غير مباشرة للاحتلال . ومن ذلك الدعوة لتعلم اللغة الانجليزية لغة المحتلين ، والدعوة للالتحاق بالمدارس الانجليزية التى تخرج العلماء والعظماء ، والدعوة للكتب المؤلفة عن الانجليز فى بلادهم او عن احتلالهم لمصر . وكذلك الإشادة المستمرة باصدقاء الانجليز من المصريين والدعوة للسير

على سياسة المعتدلين الذين لا يرفضون التعاون مع الاحتلال ، واستخدام اسلوب المقارنات بين الاحتلال الانجليزى وما جاء به فى رايها من عدالة وحرية وأمن ورفاهية لمصر ، والظلم والاضطهاد والاستبداد الذى تعيشه الولايات التركية تحت الحكم الحميدى . فقد كانت اوضاع الدولة العثمانية المهترئة عاملا فعالا فى تنشيط دعاية (المقطم) الاحتلالية . وكذلك المقارنات بين اوضاع مصر تحت الاحتلال الانجليزى واوضاع تونس والجزائر تحت الاحتلال الفرنسى . وذلك ردا على موقف فرنسا من الاحتلال الانجليزى وسعيها فى بعض المراحل لوضع حد له . ويدخل فى الدعاية غير المباشرة ايضا اللجوء الى لغة الأدب باعتبارها فنا يلائم اذواق العصر فكانت تستخدم اسلوب الرواية الهزلية بما فى ذلك من الحوار التمثيلى الذى يشد الانتباه . وكذلك الشعر باعتباره فن العربية الاول يقبل عليه القراء برغبة ونهم .

اولا : الاشادة باصدقاء الانجليز من المصريين :

تبدى (المقطم) اعجابها بفخرى باشا الذى يتعاون مع الاحتلال وهو وزير للأشغال العمومية ، لانه آمن بنفع المحتلين لبلاده ، وتهاجم الصحافة الوطنية التى تنتقده « كأنه هبط فى اعتبار المعارضين هبطة واحدة من قمة النهضة الوطنية الى غدر خيانة الأمير وخدمة المحتلين »(٩٤) . وتعتقد (المقطم) ان فخرى باشا يتعرض لهجوم المعارضين لمجرد قبوله الوزارة ، فماذا سيكون الحال « لو سار مع المحتلين بالحب والاتفاق فى انجاز الأعمال واتمام الاصلاح » وتجيب عن تساؤلها بأنه سيكون موضع الانتقام من جانبهم(٩٥) .

اما عهد وزارة مصطفى فهمى فهو عهد النور الذى يليق « بأمة متمدنة مصلحة محبة للنور وكارهة للظلمة »(٩٦) . فهذا

الوزير فى اعتبار المقطم « رجل عاقل ينظر الى بعيد ويدرك عواقب الأمور . فقد رأى بثاقب بصيرته منذ عهد قديم ان مسالمة المحتلين ومعاونتهم على الاصلاح اصلح للوطن وأنفع للأمة فاختار السياسة التى اختارها جمهور العقلاء بمده لأنهم راوا وجه الصواب فيها وتحققوا النفع لأنفسهم ولوطنهم منها فكلهم يمدحه اليوم عليها وينسب اليه الفضل العظيم فيها »(٩٧) . وتودعه عند استقالته بالثناء على عهد وزارته التى « دامت ثلاث عشرة سنة تماما ورأت مصر فى أيامها ما رأت من دلائل الاصلاح والتقدم وتمتعت بما تمتعت به من سنى الرخاء والرفاه » ، أما هو فيمتاز « بسمو ادبه وكرم أخلاقه وشرف صفاته »(٩٨) .

أما محمد سعيد رئيس النظار الذى خلف وزارة بطرس غالى ، فان (المقطم) ترى أن سبب منحه وساما من ملك الانجليز جاء تقديرا لما اظهره من « المقدرة والكفاءة وحسن السياسة » وأنه « ازال سوء التفاهم من بين الملقاة اليهم مقاليد الأمور ، ووفق بين المختلفات ووجهها الى الغاية الوافية بحاجات البلاد . وكان أقوى عامل فى اسكان ريح الفرور »(٩٩) . وتقصد (المقطم) من ذلك الاشادة بسياسة القمع التى مارسها محمد سعيد ضد الحركة الوطنية وضد قياداتها .

ثانيا : الاشادة بسياسة العقلاء والمعتدلين :

كانت (المقطم) تركز فى العديد من مقالاتها وتعليقاتها على فئات العقلاء الذين لا يرفضون التعاون مع المحتلين . وذلك بعد أن ادركوا مقاصدهم . فهؤلاء العقلاء فى اعتبار الصحيفة أخذوا « يشيرون على ابناء وطنهم بمسالمة المحتلين ومحاسنتهم لحسن مقاصدهم وبمجاراتهم على الاصلاح لأن الغرض منه ترقية مصر وخير المصريين »(١٠٠) . وترى أن الخير معقود على سياستة

العقلاء ، فان « معظم الفضل فيما نتمتع به وما نشكر عليه من نعم الراحة والحرية والتقدم والاصلاح هو لحكومتنا الجامعة بين عقلاء الوطنيين وحكماء المحتلين »(١٠١) . من هنا كان ترحيب (المقطم) بالتغيير الذى حدث فى سياسة صاحب (المؤيد) فهو قد « اعترف بالصدق وشهد بالحق واخلص النصح لبنى وطنه » . وبذلك يكون قد « اختار الصواب واكتسب مدح العقلاء »(١٠٢) .

وكان للشيخ محمد عبده حظوة كبيرة لدى (المقطم) بعد ان ابتعد عن الاشتغال بالسياسة واتجه الى الاصلاح الاجتماعى عندما عاد من منفاه ، فهى تنقل عن الجرائد الانجليزية اخبار زيارته للعاصمة البريطانية والاستقبالات الحافلة التى جرت له وانه « اثنى على الانجليز ثناء جميلا وسر بزيارته لبلادهم سرورا كثيرا »(١٠٣) . وتبتهج (المقطم) لتعيين فتحى زغلول وكيلا للحقانية ، وترى ان « طعن » مصطفى كامل عليه لم يزده الا تقدما(١٠٤) .

أما سعد زغلول فانها امتدحته بعد ان اختير ناظرا للمعارف وذلك « لما امتاز به من كبر العقل وعلو الهمة » بالاضافة الى « ذكاء العقل وقوة العارضة »(١٠٥) . وترى ان كرومر اختاره لانه من تلك المدرسة « التى كان الشيخ محمد عبده شيخها وكبيرها » والتى تميل الى الاصلاح وترقية البلاد ، ويرغب كرومر بتقليدهم « المناصب السامية » فوقع اختياره على « انبغ رجل منهم لأول منصب اقتضت الحال تقليده لشخص خاص به وهو منصب نظارة المعارف » وترى (المقطم) ايضا ان سعد زغلول هو الانسان الذى « يقصد خير وطنه وارتقاء أمته قبل كل شىء وفوق كل شىء »(١٠٦) . وذلك ضد ما يراه الوطنيون من انه سيعبر عنهم وعن عواطفهم .

ثالثا : الدعاية للمدارس الانجليزية :

وتحث (المقطم) أولياء الأمور من المصريين على ارسال أبنائهم التلاميذ ، للتعليم فى المدارس الانجليزية وخاصة مدرسة (بورتسموث) ، وتدلل على صواب دعوتها بما أرسله بعض الطلبة الذين يدرسون فيها يثنون « أطيب الثناء على نظامها وما شاهدوه فى أربابها من الانس والاكرام والاهتمام بأمرهم » وان هذه المدرسة قد تخرج فيها « نخبة رجال انجلترا المقيمون فيها والمتغربون عنها . فحسب أهالى هذا القطر ان يعلموا بعض أبنائهم فى مدرسة يتعلم فيها أبناء القابضين على تجارة المسكونة ومنهم أمهر صناعها واكبر ساستها »(١٠٧) .

رابعا : الدعاية للغة الانجليزية :

وتتحدث (المقطم) عن ضرورة تعلم اللغة الانجليزية ، لغة الدولة المحتلة ، وتبدى سرورها من تعلم أبناء الأعيان لها ، وبكونها مما لا يستغنى عنه عند فريق كبير من المصريين وانه « اذا دامت الحال على هذا المنوال فلا يمضى بضع سنين حتى تعم وتحل محل اللغة الفرنسية . ولذلك فالحكيم من استعد للانتفاع بها قبل أن يسبقه غيره الى منافعها »(١٠٨) . فهى من « أوسع لغات البشر واكثرها انتشارا لأنها لغة شعبين عظيمين راقيين أعلى مراقى المجد فى هذا العصر ، وهما الشعب الأمريكى والشعب الانجليزى »(١٠٩) .

خامسا : الدعاية للكتب المؤلفة عن الانجليز :

وهذه طريقة غير مباشرة فى الدعاية للاحتلال ، بواسطة الاعلان عن الكتب التى تتحدث عن الاحتلال الانجليزى لمصر أو عن الانجليز فى بلادهم ، ومن ذلك ما أعلنت عنه (المقطم) بعنوان

(رواية تحفة العصر أو الانجليز فى مصـــر) . ويقول المؤلف (اسكندر شاهين) فى أعلانه عن كتابه أنه تناول فيه « ما كانت مصر عليه وما صارت اليه وما تم من الاصلاح فيها فى حكم سمو الخديو الحالى ، وما نتج عن احتلال الانجليز لمصر » . وذلك على « سبيل الرواية بحيث لا يترك القارىء الكتاب حتى يأتى على آخره حبا بمطالعة هذه الرواية الشهية »(١١٠) . وتدعو (المقطم) الجمهور الى اقتناء الكتاب الذى ألفه (بشارة أفندى كنعان) وعنوانه (العلم الانجليزى) فانه « من أفضل الكتب الجامعة لكل ما تهم معرفته من أحوال الأمة الانجليزية التى أدهشـــت العالم بصفاتها الأدبية كما أدهشته بقوتها المادية »(١١١) .

سادسا : نشر اليأس من تحقيق الأمانى القومية :

وتعالج (المقطم) قضية استقلال مصر ، الذى تسعى له الحركة الوطنية ، بأسلوب بث اليأس فى النفوس وتثبيط الهمم ، وبيان أن لا فائدة من كل ما يقال تحت هذا البند . وهى ترى أن الأجدر بنا « أن نتذكر ما مضى ولا نفتر ببهرج الاستقلال الذى يزينونه لنا اليوم لئلا نعود الى ما جرى لنا منذ أعوام ، اذ تسطير شروط الاستقلال ونصوصه من الهنات الهينات . أما الوصـــول اليه فعسير ولا يتم فى هذا الســـبيل »(١١٢) . وترتفع نغمة التيئيس لدى (المقطم) فى تناولها للمسألة المصرية فتقول : « قلنا منذ سنة ونصف ان باب المسألة المصرية قد اقفل الى ماشاء الله وقلنا منذ نصف سنة ان انجلترا لا تقبل كلاما فى الجلاء ولو بعد خمسة وعشرين عاما . ومن يعش ير والأيام مقبلة »(١١٣) .

سابعا : الموقف من الخديوى عباس فى ضوء علاقاته بالاحتلال :

بعد أن تسلم الخديوى عباس حلمى مقاليد الحكم عقب وفاة والده توفيق ، اتسمت مواقف (المقطم) تجاهه بسمات متباينة ،

حسبما كان يبديه من مواقف ازاء الاحتلال البريطانى ، سواء كانت لينة أو متشددة فهى تثنى عليه ساعة لينه او خضوعه لأوامر المحتلين . وهى تهاجمه بضراوة عندما تظهر منه بوادر التمرد على الاحتلال واثبات وجوده كحاكم للبلاد .

وقد حرصت الصحيفة منذ البداية على تطويعه للاحتلال وعدم خروجه على الدائرة التى ظل يحوم بداخلها والده ، فهى تصف لقاءه الأول مع المعتمد الانجليزى بارنج (كرومر) بانه كان وديا وان العميد لقى منه « ما ايد ظنه وظن سائر الذين قابلوا سموه من النجابة والذكاء والملاطفة والمجاملة »(١١٤) . وكانت تحرص على التاكيد على الاتفاق التام بينه وبين المحتلين الذين هم « اشد الأجانب حرصا على تأييد سلطة الجناب العالى واعتبار كلمته فى مملكته »(١١٥) .

وبعدما تم التوصل الى حل للمشكلة الوزارية المشهورة ، مشكلة اقالة الوزارة الفهمية ، التى كانت أولى بوادر التمرد لهذا الخديوى الشاب ، التى احبطها الانجليز بسرعة فائقة ، تشيد (المقطم) «بحكمة سمو الخديوى المعظم ورجاله الامناء وقد اطمأنت الخواطر وفاضت عواطف الحب والولاء للجناب العالى من قلوب الرعية »(١١٦) . وعندما وقعت حادثة الحدود فى العام التالى ، التى وجه فيها الخديوى نقدا عنيفا للضباط الانجليز ، طالبت (المقطم) بضرورة « التروى والنظر فى عواقب الأمور » ، لكى يتم حل المشكلة وفق ما يرتئيه عميد الاحتلال ، الذى اصر على أن يتراجع الخديوى عن موقفه باصدار أمر يثنى فيه على الضباط الانجليز . وكانت هذه النتيجة وهذا الخضوع فى عرف (المقطم ، داعيا الى « الاستبشار بزوال الاشكال وتوطيد الاتفاق على ما به الخير لمصر فى الحال والاستقبال »(١١٧) . ذلك ان الواجب فى

نظرها يقتضى « الاتفاق التام مع المحتلين لأن محاربتهم لا يمكن أن تجدى نفعا وأنهم قادرون على التعامل مع كل الظروف »(١١٨) . وهذه نغمة تهديدية للخديوى ، حتى لا يعاود التصـــــدى لرجال الاحتلال .

وانسجاما مع منهج الصحيفة ، فانها ترى أن خديوى مصر « مرعى الحدود محفوظ المقام » . ولكن ذلك يظل رهنا باتباعه « الســـياسة القديمة وزيادة الاختبار على توالى الأيام »(١١٩) . وفى هذا تحـــذير له بعدم مجـــابهة المحتلين . وتبتهج (المقطم) لاضطرار الخديوى الى التســــليم للاحتلال بعد حادثة (نشودة) واتفاقية السودان ، فتقول ان علاقاته مع الانجليز تتسم « بالاتفاق والوئام »(١٢٠) . وتلمس (المقطم) تقربا اكبر من الخديوى للمحتلين، حيث كان يسير فى سياسته وفق ما تقتضيه مصلحته الشخصية ومصلحة حكمه ، فهو « يقدر صداقة الدولة المحتلة قدرها ويشكر لها حسن صنيعها ولذلك اعلن عزمه على زيارة ملكتها »(١٢١) . وبتأثير سياسة الخديوى فى التقرب من الاحتلال ، واغتباط (المقطم) بذلك ، تنشر الصحيفة بأسلوب أدبى رائق وصفا للاحتفالات التى أقيمت بمناسبة عيد الجلوس الخديدى(١٢٢) . ولأن (المقطم) تدرك حقيقة سياسة الخديوى المتقلبة ، فانها تذكره بضرورة عدم الالتفات الى ما تكتبه الصحافة الوطنية حتى لا يفقد عرشه ، فان هذه الصحافة « تركبه أخشن مركب بين قومه فاذا جرى عليها وقاوم الانجليز خاطر بمقامه وسلطته »(١٢٣) .

ثامنا : موقف (المقطم) من رياض باشا :

وكانت (المقطم) ترى فى وزارة رياض باشا التى صدرت فى عهدها ، منبعا للخير والاصلاح ، فتدافع عنها بكل ما تملك من جهد ، وتفند ما تتعرض له من هجوم الصحف الأخرى ، لأنه

كان يسير على طريقة أميره توفيق ، ولا تبدو منه بادرة اعتراض على المحتلين .

فهى تنشر العديد من قصائد المديح لرياض باشا « وزير مصر الاكبر » ومنها قصيدتان (لمحمد أفندى عفت ، وحسن أفندى المدرس)(١٢٤) . وقصيدة بمناسبة « النشان) الذى أنعمت به عليه ملكة انجلترا(١٢٥) . وتفند (المقطم) الدعاوى القائلة بقرب استقالة الوزارة الرياضية فهذه « أراجيف بعيدة عن الصحة » وأنه اذا كان هناك بعض الخلافات بينه وبين الوكالة البريطانية فان ذلك « لابد منه بين كل قوم يدبرون مهام الأمة ويبحثون عن خير البلاد »(١٢٦) . وتهاجم (الاهرام) التى تنكر « فضل الوطنى الشهير دولتلو رياض باشا الوزير الخطير »(١٢٧). الذى يقود وزارة تعتبرها (المقطم) « وزارة انجاح واصلاح » وان ذلك ما « يعترف به المراقبون » ولكن « ينكره المكابرون المعروفون » وان « الجميع متفقون على اصلاح البلاد ولو كره المعارضون »(١٢٨) .

كان هذا الموقف للمقطم من رياض خلال عهد الخديوى توفيق ، ولكن الوضع يتغير فى عهد عباس الذى بدا يسعى منذ توليته لتقليل سطوة كرومر واثبات شخصيته هو كحاكم لمصر . فتصبح الوزارة الرياضية التى تسلمت الحكم فى عهد عباس بغيضة للمقطم ، لانها اتخذت بعض المواقف المعارضة للاحتلال وايدت العناصر والأصوات الوطنية . فترى (المقطم) ان « المصريين لا يكرهون المحتلين ولكن الحكومة ترهبهم وترغبهم بما لديها من الوسائط اذا اظهروا حقيقة أميالهم » . وان الوزارة بهذا المسلك قد « اسخطت الاهالى قبل سواهم »(١٢٩) . وهى تدعو الوزارة الرياضية الى عدم اغضاب الدولة المحتلة ، لما ينتج

عن ذلك من آثار ضارة على الأمة المصـــــرية(١٣٠) . وذلك لأن « سياسة المجافاة والمعارضة للمحتلين تعود بالضرر على مصر من كل وجه ولا تنفعها بوجه من الوجوه »(١٣١) .

تاسعا : الاستبداد التركى والعدل الانجليزى :

كان ضمن أهداف (المقطم) فى ان تخلو الساحة المصرية للانجليز ، ان تعمل على تحطيم السيادة العثمانية على مصر ، التى كانت سيادة اسمية ، وبقيت كذلك بعد وقوع الاحتلال ، ولكنها كانت تدرك خطرها على المدى البعيد ضد الوجود الانجليزى . ولم تحاول (المقطم) الصدام فى بداية صدورها مع الدولة العثمانية، باعتبار أصحابها من الرعايا العثمانيين ، ولمسايرة الاحتلال الذى أعلن عن عدم رغبته فى الانتقاص من السيادة العثمانية ، ولتفويت الفرصة على الصحف التى كانت تضرب على وتر الاستعانة بتركيا لاخراج الانجليز وتحقيق الجلاء .

ومن هنا كان حرص (المقطم) على التاكيد على صـــــداقة الدولتين العثمانية والبريطانية « فانتصـــــار انجلترا للدولة العلية واتحادها معها فى حرب القرم اشهر من نار على علم » وان «انجلترا هى الدولة الوحيدة التى تصدت للدولة الروسية فى حربها الأخيرة مع الدولة العلية وتوعدتها بالحرب فى اربع وعشرين ساعة اذا دخلت جيوشها الآستانة » . وهذا « بعض ما يشهد به التاريخ عن تقادم عهد الصـــــداقة والوداد بين الدولة العليـــــة والدولة البريطانية »(١٣٢) . فالدولة الانجليزية هى اصـــــدق الدول فى صداقتها للدولة العثمانية « وارغبها فى تعزيز شوكتها » وترى أن احتلال الانجليز لمصر « زاد سيادة الدولة عليها وصولتها فيها قوة وتأييدا »(١٣٣) . وتنفى (المقطم) « جملة وتفصيلا » الاشاعات، التى ترددت فى الآستانة من أن الخديو « قادم ليبث شكواه الى

الحضرة السلطانية ، ويسأل الدولة العلية أن تسعى فى اخراج انجلترا عن مصر »(١٣٤) . فان الدولة العلية لا تكن للانجليز غير الاخلاص والمودة . ودليل المقطم على ذلك استقبال السلطان العثمانى للأميرال سيمون « المشهور بضرب الاسكندرية مقابلة لم يقابل الأمراء والملوك بمثلها » ، فكيف تخص الآستانة بهذا الاستقبال « الأميرال الذى دك طوابى الاسكندرية ، لو كانت ناقمة على انجلترا بسبب احتلالها الديار المصرية ؟ »(١٣٥) .

ولكن (المقطم) تنتقل الى مرحلة الهجوم على الدولة العثمانية وعلى استبداد السلطان وحكومته وخنقهما للحرية . وبدأت تنشر سلسلة من المقالات تتضمن الهجوم ضد الدولة والسخرية من السلطان عبد الحميد . ففى مقالة بعنوان « الملكان المطلقان » ، وتقصد بهما السلطان العثمانى وقيصر الروس ، تقول عن السلطان عبد الحميد « انه من شدة خوفه على نفسه لا يبيت فى مخدع ليلتين متواليتين »(١٣٦) . وتعلن عن كتاب بعنوان « ما هنالك » جمعت فيه ما كتبته من مقالات ضد الدولة العثمانية ، وذلك لكن يتسنى للقراء « كشف حقيقة افعال الدولة العلية واحوال السلطنة العثمانية وخفايا المابين ودسائس المقربين »(١٣٧) . ثم تنشر مقالة ساخرة عن خصوصيات السلطان ، نومه وطعامه وحراسه وتقارير جواسيسه وخوفه المستمر من أن يدس له السم فى الطعام(١٣٨) . وتسدد هجوما عنيفا للحكومة العثمانية بسبب اساءة ولاية دمشق المعاملة لعدد من المواطنين المصريين « فالعار كله على حكومة أجمع الصادقون كلهم على أنها حكومة جواسيس ووشاة ورجال لا خلاق لهم »(١٣٩) . وتتحدث عن البذخ الذى يظهره رجال الحكم فى الآستانة بينما تعد الأمة العثمانية التى يحكمونها من افقر اهل الارض على الاطلاق(١٤٠) .

وتكتب (المقطم) عددا من المقالات تحت عنوان « علام يغبط العثمانيون المصريين ؟» ، « لعثمانى فاضـــــل » ، يقول فيها ان العثمانيين يغبطون المصريين لما « اصابوه من رخاء العيش وهناء الحياة » وانه قد آن « للحكومة العثمانية أن تنفس الخناق عن رعيتها وأن تمنحهم من الحـــرية والأمن ما يكفل لهم حفظ الحياة والمال »(١٤١) . وتخاطب (المقطم) الحكام العثمانيين بمقال عنوانه « تعلموا سياسة العباد » ، وجهته اليهم من « السلطان عبدالحميد خان الى أصغر مامور فى حكومته » ، طالبتهم فيه بالاقتداء بسياسة انجلترا ، وعدم الاعتماد على « جيوش الجواسيس المحشودة فى الآستانة والمبثوثة فى كل جهة من جهات السلطنة حتى فى هذا القطر » . وتقارن بين الوضع فى تركيا ومعـــاملة الســـردار الانجليزى (وينجت) لأهل السودان الذين « تعلقوا به تعلقا لا يكاد يصدق وجعلوا يتوسمون فيه الخير والسعد حتى صاروا يلقبونه بأبى السعود »(١٤٢) .

وتدعو (المقطم) الحكام العثمانيين الى التشبه بالانجليز فى فتح المجال لحرية الصحافة فالانجليز يظلون الصـــحافة « بظل عنايتهم وحمايتهم احلالا لمقام الصحافة واعترافا بفضـــل الحرية واحتراما لأرباب الأقلام »(١٤٣) .

وتقارن (المقطم) بين وضع مصر وأوضاع غيرها فى الولايات العثمانية وخاصة سورية « فسبحان من قسم الحظوظ فقسم لهذا القطر حظ التقدم والسعادة والارتقاء ، وقسم لســـائر الأقطار العثمانية حظ التأخر والويل والخراب »(١٤٤) . فمصر فى عهد الاحتلال تتمتع بالحرية ، وهذا ما يؤكده المصريون الذين يذهبون للاصطياف فى سوريا ، فهم « لا يكفون عن التحدث بالحرية التى يتمتع بها أهل مصر ويعيرون اخوانهم سكان سوريا لسكوتهم على

الضيم والذل والظلم الذى يسومهم اياه حكامهم الطغام »(١٤٥) . وتعقب الصحيفة على ما قاله (اللواء) عن قوة تركيا منسوبا الى (المختار الفازى) بأن « ما قاله قصد الارهاب بما يرهب الساذج منه ولا يعتد الخبير العارف به . ومن فى الناس اخبر من الانجليز بحقيقة احوال تركيا وما فعلت بها الحكومة الحميدية »(١٤٦) . وتستنكر (المقطم) قول مصطفى كامل عن « اهتضام الانجليز لحقوق المصريين » لأن الانجليز كما تقول (المقطم) أثروا مصر وزادوا ثروتها ، اما الترك أصدقاء مصطفى كامل فهم جماعة من الطغاة البغاة(١٤٧) .

عاشرا : الهجوم على فرنسا لصالح انجلترا :

ولكى تدعم حجة انجلترا فى احتلالها لمصر ، ولكى تفتح الطريق أمام كل ما تنتوى اجراءه فيها من اعمال ، كانت (المقطم) تجهد نفسها بالهجوم على فرنسا ، لأنها المنافس الرئيسى الخطير لانجلترا فى مصر وفى منطقة البحر الأبيض المتوسط ، وكانت (المقطم) تظهر زيف سياسة فرنسا المؤيدة للجلاء والمعارضة للاحتلال الانجليزى فى مصر ، وذلك بالطبع قبل الاتفاق الودى وما حدث من اتفاق فى مصالح الدولتين وتبادل لمناطق النفوذ فيما بينهما .

ففرنسا فى موقفها من الاحتلال الانجليزى فى راى (المقطم) « لا تسعى الا وراء مصلحتها ولو جردت لحم مصر عن عظامها »(١٤٨) . وان « كل ما يقال عن الحب للمصريين والغيرة على مصالحهم والرغبة فى تأييد استقلالهم ، حديث خرافة وتمويه على عقول الأنام »(١٤٩) . وتبين (المقطم) أن كل ما تصرح به فرنسا من معارضتها للاحتلال الانجليزى ومطالبتها بالجلاء لن يزيد الانجليز الا تشبثا بمصر وان كل مواقفها « لم تخرج انجلترا من

مصر »(١٥٠) . وتنتقد (المقطم) بسخرية لاذعة احاديث فرنسا عن تحرير مصر ، فان فرنسا « تعلل النفس بتغير الاحوال فى الاستقبال وأنها تعد نفسها محررة لمصر ولكن لا يعلم احد من اى رق حررتها »(١٥١) .

ولكى تبرهن على التقدم الذى افادت مصر منه فى عهد الاحتلال ، فانها تعقد المقارنات بين احوال مصر ، وأحوال تونس والجزائر فى ظل الاحتلال الفرنسى لهما « فالكساد ضارب أطنابه فى أسواقهما الآن والزراعة متعسرة الاحوال بسبب ما الم بتونس من الجدب واصاب اراضيها من عوارض العسر . وقد كان من تأثير ذلك أن النفوس انقبضت والآمال تقلصت والازمة اشتدت »(١٥٢) ، وأن « كل من قابل تونسيا وسأله عن احوال بلاده ووعده أن كلامه لا يتعداه الى غيره سمع كلاما يوجع الفؤاد ويفتت الأكباد »(١٥٣) . وتورد أقوالا عن الأحوال فى الجزائر وما « يسامه اهلها العرب من الخسف والعسف » على يد الاحتلال الفرنسى لها(١٥٤) .

ولكى تبين قوة بريطانيا ومقدرتها العسكرية أمام فرنسا وغيرها ، تنشر (المقطم) بحثا احصائيا عن قوة الدولة الانجليزية والدولة الفرنسية ، لتخرج منه بنتيجة عجز فرنسا عن التصدى لبريطانيا والوقوف امامها فى اية مواجهة بينهما(١٥٥) .

حادى عشر : فكرة الغربى المتقدم والشرقى المتخلف :

ونشرت (المقطم) عددا من المقالات تحت عنوان « الشرقى والغربى »(١٥٦) ، تتحدث فيها عن الاختلافات فى التربية والتنشئة الاجتماعية ومناهج الحياة وطرائق التعلم التى تسهم فى بناء شخصية كل منهما . وذلك للوصول الى الغاية التى تسعى اليها

الصحيفة ، من دعوة المصريين الشرقيين الى الافادة من حضارة الانجليز الغربيين وتقدمهم . وهى دعاية غير مباشـــرة للاحتلال تستخدمها (المقطم) لتدعيم خطها الســـياسى الاحتلالى وحملاتها الصحفية المتكررة .

ثانى عشر : اســـلوب الرواية الهزلية :

وتستخدم (المقطم) اسلوب الروايات الهزلية القصيرة ، لبث افكارها الســـياسية من خلالها ، ومنها ما جاء تحت عنوان « برح الخفاء وانكشف الستار »(١٥٧) . وابطالها « احد الاعيان . وفرنسى . وصاحب جريدة معارضة للاحتلال » . وبأسلوب ساخر تهاجم (المقطم) تعهدات فرنسا بعد حادثة فشودة موجهة هجومها « للفرنسى » وكان « احد الأعيان » ، كما قدمته الرواية مؤيدا للانجليز يصرخ « فلتعش فكتوريا ـــ فلتعش بريطانيا يامســــيو فشودة » . أما صاحب الجريدة فتصوره (المقطم) انسانا حزينا لفشل فرنسا ، ينسل بصمت ويتألم لانقطاع العون المادى له !

ثالث عشر : الشعر من وسائل الدعاية السياسية :

ولعلم (المقطم) بأهمية الشعر كوسيلة للتأثير فى النفوس خاصة فى ذلك الزمن الذى كان فيه الشعر بضاعة ادبية رائجة ، يتقبلها الناس بشغف وتنال لديهم الحظوة الكاملة ، لما يتميز به الشعر من موسيقى تؤثر فى عاطفة المتلقى ووجدانه ، فقد لجأت اليه ، واستخدمت فى ذلك شاعرين كبيرين هما أحمد نسيم وولى الدين يكن بالاضافة الى عدد كبير من الشعراء المغمورين الذين تباروا فى مديح الاحتلال وعميده . ولم يدعوا مناسبة تمر ـــ بغض النظر عن حجم تلك المناسبة وأهميتها ـــ دون الاطناب فى ذكر مناقب المحتلين وفوائد احتلالهم وعظمة ملوكهم وأمرائهم .

فهاهو احمد نسيم يهنىء ملكة الانجليز بعيد ميلادها بقصيدة على صفحات (المقطم) يقول فيها :

فما حسن يوم صفت فيه قصـــائدى
بمدح كـــرام ليس لى عنهم ســـــلو

وهنـــــات فكتوريا بها بقـــــدومه
وبت وقلبى من هموم العنا خـــــلو

فيا ربة الشــــــرقين دومى بعـــــزة
يجدد فى أيام ميلادك الصـــفو(١٥٨)

وكانت عودة كرومر من لندن بعد قضائه اجازة الصيف فيها ، مناسبة لدى الشاعر نفسه ليسطر قصيدة مفرقة فى المديح والثناء والشكر يقول فيها :

تغربت حينا طال كالشــــــــهر يومه
ويارب يوم كان اطول من شــــــهر

نوالك فى كفى وشـــــكرك فى فمى
فقل لى متى اقضى حقوقك من شكرى

فلولاك لم تخطـــر ببالى قصـــــائد
ولم أتعلم فى الصبا صنعة الشعر(١٥٩)

ويهنئه بعيد ميلاده فيقول :

كرومر لا زلت خـــــير الـــــورى
ولا زلت تحظى بشــــــكرانها

بك ابتسمت مصـــر بعد العنا
ولاح الســــــرور لقطــــــانها

وراء الغبى جـــلاء ومـــا
سـواك جلاء لأحزانها(١٦٠)

وينتهز أحمد نسيم الزيارة التى قام بها ولى عهد انجلترا لمصر فى عام ١٩٠٦ ، ليكيل له المديح والاعجاب ، فهو البدر الذى تحيط به الكواكب ، والغيث الذى يبلل جوانح مصر بالمطر .. وهكذا ..

لمحت ركبـــك بالاجـــلال يقـــترب
وانت كالبدر ســـارت حوله الشـــهب

حللت ارضـــا اذا تاهت بزائرهـــا
تيه الجـــلال فـــلا بدع ولا عجـــب

قد زارهـــا الغيث فابتلت جـــوانحها
وهزها فى حماك الســـعد والطـــرب

يا ابن المليـــك الذى عـــزت برايتـــه
هذى البـــلاد وذاك الجحفل اللجب(١٦١)

وعندما يغادر كرومر مصر بصفة نهائية ، لا تنسى (المقطم) أن تفتح صفحاتها للشعر والشعراء ، يتبارون فى ذكر صـــفاته وشمائله وآثاره (الناصعة) وأياديه (البيضاء) على مصر التى جعلها كرومر بلادا تمطر الذهب كما تصور أحمد نسيم فى قصيدة الوداع الكرومرية ، وهى طويلة نقتطف منها ما يلى :

يا منقذ القطـــر لا ينسى لك النيل
يدا لها فى فم الاصـــلاح تقبيل

انا نودع فيـــك العـــرف اجمعـــه
وما لنـــا غير حســـن الصـــبر تعليل

جعلت مصـــر بلادا أمطـــرت ذهبـــا
فتربها بمـــذاب التبـــر مبـــلول

لو كان بالناس عـــــدل ما قضى عمر
رب العــدالة فيهم وهو مقتـــول

فســـر مع اليمن مصـــــحوبا بأدعية
يحف ركبك تعظيم وتبجيـــــل(١٦٢)

ويأخذ الشــــــاعر ولى الدين يكن مكان أحمد نسيم فى مدح الاحتلال ورجاله والثناء على ملوك الانجليز وامرائهم ، لأن نسيم تحول عن هذا الاتجاه وبدأ يواكب الحركة الوطنية ومعـــــاركها بقصائده .

ويقول ولى الدين يكن فى قصيدة مهداة الى الملك ادوارد السابع (ملك بريطانيا العظمى وامبراطور الهند) :

فروق ومن فيها عليـــــك يســـــلم
ومصـــر ومن فيها بتاجك يقســـــم

لك المنعة الدنيا التى لو ســــما لها
سواك انثنى عن نيلها وهو مرغم(١٦٣)

وعند وفاة هذا الملك الذى تقسم مصر بمن فيها بتاجه كما يقول يكن ، ينعاه الشاعر بقصيدة يبلغه فيها حزن النيل والأهرام وبكاءهما عليه :

وداعا ايها الملــك الجليـــــل
دنا ســـــفر ومهدت السبيل

ســــــتحملك النجائب نحو ملك
كهذا الملــك لـــكن لا يزول

وعرش ليس ترقـــاه المنــــايا
وتاج فوق راســــك لا يميـــل

بكى (التايمز) صاحبه المفدى
فجـــاوبه هنا هرم ونيــل(١٦٤)

٣ ـ الدعــــاية المضــــادة :

وبرعت (المقطم) فى توجيه الدعاية المضادة التى تتركز فى الهجوم على الخصوم وتفنيد دعاوى الخصوم ، لاحباط الدعاية التى يقومون بها من جانبهم ، وكانت حريصة من أجل انجاح دعايتها على التركيز على الأشــــخاص بهدف عزلهم عن جماهيرهم ، وبهدف تفريدهم بحيث تسهل محاربتهم وسحب البساط الشعبى من تحت اقدامهم ، كما حدث فى الدعاية المضادة الموجهة ضد مصطفى كامل ومحمد فريد وغيرهما من قادة الحركة الوطنية .

وكان من اسلحتها المستخدمة فى هذا الصدد مهاجمة مواطن الضعف لديهم واللجوء الى السخرية بهم وبأعمالهم واظهارهم بشكل لا يليق بالقادة والزعماء .

ومن اساليب الدعاية المضادة التى استخدمتها (المقطم) أيضا ، الهجوم المتواصل على الصحف المعارضة للاحتلال ، فكانت تقذفها بأقسى الاتهامات وبالفاظ مسفة . وكان هذا الهجوم المستمر صادرا عن ادراك (المقطم) لخطورة هذه الصــــحف على مركز الاحتلال ، وخطورة دورها فى تعبئة الرأى العام ضـــــده ، فى الوقت الذى تسعى فيه (المقطم) الى أن تكون الأرض ممهدة تماما للاحتلال ولرجاله وأعماله وافكاره . ونقدم فيما يلى نموذجـــين للدعاية المضادة التى مارستها (المقطم) .

اولا : السخرية من مصطفى كامل :

كانت (المقطم) بالاضافة الى موقفها السياسى المعلن تجاه الحركة الوطنية وتجاه قيادتها ، لا تكتفى بالتعليق السياسى فقط ، بل تلجأ الى اسلوب السخرية اللاذعة ، لاظهار خصومها بمظهر من لا قيمة له ولا تأثير . فنجدها تهزأ بمجهودات مصطفى كامل الساعية لجلاء الانجليز فتصفه (بالهجاص) و « محرر مصر نمرة ٢ » الى ان تقول « تم تحرير مصر وغدا يرحل اللورد كرومر »(١٦٥). وذلك فى الوقت الذى كان فيه كرومر يتسلط على مقدرات مصر ولا تبدو فى الأفق ما يبشر بامكان ازاحته عن موقعه .

وتقابل (المقطم) مسعى مصطفى كامل لمقابلة امبراطور المانيا بمعاونة سفير تركيا فى برلين ، لشرح وجهة نظره حول القضية المصرية ، تقابله بسخرية فتقول : « اصبح تحرير مصر امرا لا ريب فيه »(١٦٦) . حتى وكالة (هافاس) الفرنسية للأنباء لم تسلم من هجوم (المقطم) عليها بسبب نشرها لخبر عن مرض مصطفى كامل ، فهذا يعتبر فى عرف (المقطم) من الاخبار المضحكة ولكن « الظاهر أن الذين ينتقون أخبار هذه الشركة فى باريس شبان اغرار لا يميزون بين الغث والسمين ولا يفرقون بين الأنباء التى تهم والأخبار المضحكة »(١٦٧) .

وترفض (المقطم) الدخول فى حوار مع صاحب (اللواء) واجابته عن عدد من الأسئلة التى طرحها حول الأوضاع السياسية فى مصر ، لأن (المقطم) ترى فيها « مماحكات صبيان » ، وتطلب منه أن يبحث عن غيرها لمحاورته « لأننا ان كنا نرى من الواجب علينا ان نمزق طبل هجصه فذلك لا يوجب علينا ان نجاوبه على هذيانه وهوسه »(١٦٨) . وتبلغ السخرية من مصطفى كامل مداها

عندما تقول (المقطم) عنه انه «بغدادى الأصل ــ كما يقولون ــ وقد أصبح وطنيا فزعيما للوطنية فحامى حمى الوطن فرئيسا للأمة فأميرا لها »(١٦٩) .

ثانيا : الهجوم على الصحف المعارضة للاحتلال :

وتستخدم (المقطم) اقسى الفاظ السباب والمهاترة ضد الصحافة المعارضة لها وللاحتلال . فقد دارت بينها وبين (المؤيد) معركة حول رسالة « الشيخ سليمان هزاع » التى نشرتها (التيمس) ابان فيها تأييده للاحتلال مما جعله عرضة لهجوم (المؤيد) وموضع ثناء (المقطم) . فالمؤيد « يخلق التهم الباطلة ويكذب . ولا ذمة تحرم عليه الكذب . وينم ويفترى ولا مروءة تصونه من الدناءة والوشاية »(١٧٠) ، وانها تربا بنفسها عن الالتفات الى صاحب امتياز (المؤيد) والالتفات الى اقوال «غر عاش فى المثالب والنمائم» ولكنها تقصد بهجومها « دفع دسائس شرذمة من الموظفين ، وبعبارة اخرى الشركة التجارية السياسية صاحبة (المؤيد) وحاميته التى تنفث سم الحباب وتبث آراءها من وراء الحجاب »(١٧١) . وترى ان كل ما تتعرض اليه من اتهامات من جانب (المؤيد) « لا أصل لها ولا باعث عليها » . ولكن دافعها الحقيقى هو « مرض الغرض او الحسد وقلة الذمة »(١٧٢)) . اما « الشيخ سليمان هزاع » الذى سبح بحمد الاحتلال وعدد فوائده فى رسالته فهو فى راى (المقطم) برىء من تهم (المؤيد) الموجهة ضده ، وان الظلم يسيطر على كل سطر من سطوره تجاهره(١٧٣) .

وتطلب (المقطم) من قرائها عدم الاكتراث بالمؤيد « بعد افترائه وبذائه وطول اعتدائه » . وبعد أن « عرف قدره وقدر شرذمته التجارية السياسية عند عقلاء الأمة المصرية »(١٧٤) . وتدعو (المقطم) الوزارة الى عدم مد (المؤيد) بالأخبار المناهضة

للمحتلين[١٧٥] . وكانت (المؤيد) مقربة من الخديوى ورئيس نظاره رياض باشـــا . ولكن الموقف من (المؤيد) يتغير فى عهد وزارة مصطفى فهمى التى حاولت فرض حصار اخبارى عليها وخصوصا فى حملة السودان الأمر الذى نتج عنه تلك الحادثة المشـــهورة المسماة بحادثة التلغرافات[١٧٦] .

وقد اتسمت معارك (المقطم) مع الصحف الفرنسية التى تصدر فى مصر بنفس الحدة بل بأعنف منها ، وخصوصا مع صحيفة (لوبسفور اجبسيان) . فتخاطب البسفور قائلة « فكفاك تغريرا بنا ودعنا والانجليز فانهم أشـــرف بكثير من صـــاحب بناما والسويس »[١٧٧] . أما (صاحب الاهرام) فان (المقطم) تقول انها لا تريد الرد على اتهاماته لها بأن انجلترا تستخدمها لترويج مصالحها . وذلك لأنه « لا يليق (بالمقطم) ان يحط اصحابه الى منزلة صاحب الأهرام فيقابل بينهم وبينه أو يحمل عليه كما حمل هو عليهم » فهى تراه يقوم « بالتجسس والرياء واخفاء الحقائق » وان هذه الخصال غير الحميدة ملأت جيوبه بالمال واعطته الألقاب وحلت صدره بالنياشين[١٧٨] .

* * *

يتضح لنا هنا الدور الذى قامت به (المقطم) كصحيفة احتلالية تؤدى دورها بشكل مدروس ومنظم فى خدمة الدعاية الســـياسية للاحتلال . سواء بشكل مباشر بالدعوة الصريحة للتسليم للاحتلال وبالاشادة المستمرة بأعمال رجال الاحتلال وافكارهم ومشاريعهم ، واخراجها الى القراء بأسلوب المبالغة الشديدة والتضخيم والاثارة أو بشكل غير مباشر كالدعوة للغة المحتلين ولمدارســـهم وللكتب المؤلفة عنهم والاشادة بأصدقائهم من المصريين وكذلك اســـلوب المقارنات بين الحرية المحدودة التى منحها عميد الاحتلال للصحافة لتحقيق أهدافه وحماية أبواقه كصحيفة (المقطم) والأوضـــاع

التى كانت تعيشها الدولة العثمانية فى عهد الحكومة الحميدية من قهر واستبداد ، وذلك لتحسين صورة الاحتلال أمام الشعب المصرى . ورأينا من خلال ما عرضناه من أساليب الدعاية التى اتبعتها (المقطم) كيف برعت فى تكرار الأفكار التى تقدمها والالحاح عليها وفى تبسيط هذه الأفكار وجعلها فى قوالب واضحة ، وكيف أبرزتها فى شعارات تتفق وسياستها الاحتلالية .

هوامش الفصل الرابع

(١) دوميناك ، جان مارى ، الدعاية السياسية ، ترجمة صلاح مخيمر وعبده ميخائيل رزق ، الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٠ ، ص ٨٩ .

(٢) حسنين عبد القادر ، الرأى العام والدعاية وحرية الصحافة ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٦٢ ، ص ١٢٤ .

(٣) محمد عبد القادر حاتم ، الاعلام والدعاية ، الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٢ ، ص ١٣٩ .

(٤) أحمد بدر ، الاتصال بالجماهير والدعاية الدولية ، دار القلم ، الكويت ، ١٩٧٤ ، ص ١٥٢ .

(٥) حسنين عبد القادر ، الرأى العام والدعاية ، ص ١٥٠ .

(٦) خليل صابات ، الصحافة رسالة واستعداد وفن وعلم ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٧ ، ص ٣١٢ .

(٧) المقطم ٩ نوفمبر ١٨٩١ .

(٨) المقطم ١٢ مايو ١٨٩٣ .

(٩) المقطم ٥ يناير ١٨٩٤ .

(١٠) المقطم ٢١ فبراير ١٨٩٤ .

(١١) المقطم ٨ يوليو ١٨٩٧ .

(١٢) المقطم ٣١ يوليو ١٨٩٧ .

(١٣) المقطم ٩ يناير ١٩٠٠ .
(١٤) المقطم ٩ فبراير ١٩٠٠ .
(١٥) المقطم ٧ يوليو ١٩٠٠ .
(١٦) المقطم ٢١ مارس ١٩٠٨ .
(١٧) المقطم ٤ يونيو ١٨٨٩ .
(١٨) المقطم ٨ يونيو ١٨٨٩ .
(١٩) المقطم ١٠ يونيو ١٨٨٩ .
(٢٠) المقطم ١١ يونيو ١٨٨٩ .
(٢١) المقطم ١٦ نوفمبر ١٨٨٩ .
(٢٢) المقطم ٢٦ نوفمبر ١٨٨٩ .
(٢٣) المقطم ٢ يناير ١٨٩٠ .
(٢٤) المقطم ٢١ أكتوبر ١٨٩١ .
(٢٥) المقطم ٥ ديسمبر ١٨٩١ .
(٢٦) ٢٥ اغسطس ١٨٩٢ .
(٢٧) المقطم ٢٤ اكتوبر ١٨٩٣ .
(٢٨) المقطم ١٩ يناير ١٨٩٨ .
(٢٩) المقطم ٥ ديسمبر ١٩٠٥ .
(٣٠) المقطم ٣٠ يونيو ١٩٠٨ .
(٣١) المقطم ٨ ؛ ٩ اكتوبر ١٨٨٩ .
(٣٢) المقطم ٢٧ يناير ١٨٩٠ .
(٣٣) المقطم ٢٠ اغسطس ١٨٩٧ .
(٣٤) المقطم ٣ فبراير ١٨٩٨ .
(٣٥) المقطم ٦ أكتوبر ١٨٨٩ .
(٣٦) المقطم ٣ نوفمبر ١٨٩٣ .
(٣٧) المقطم ١٠ يناير ١٨٩٤ .
(٣٨) المقطم ٢٩ يوليو ١٨٩٧ .
(٣٩) المقطم ١٣ مايو ١٨٩٢ .
(٤٠) المقطم ١٥ يناير ١٨٩٤ .
(٤١) المقطم ٢٧ يونيو ١٩٠٦ .
(٤٢) المقطم ١٨ فبراير ١٨٩٠ .
(٤٣) المقطم ١٧ اكتوبر ١٨٩٤ .
(٤٤) المقطم ٤ فبراير ١٨٩٥ .

(٤٥) المقطم ١١ فبراير ١٨٩٥ .
(٤٦) المقطم ٢٠ مايو ١٩٠٣ .
(٤٧) المقطم ١٨ يناير ١٩٠٦ .
(٤٨) المقطم ١٧ يناير ١٩١٢ .
(٤٩) المقطم ١١ مايو ١٩٠٣ .
(٥٠) المقطم ٢٨ ديسمبر ١٩٠٦ .
(٥١) المقطم ١١ يوليو ١٨٩٢ .
(٥٢) المقطم ٢٢ أكتوبر ١٨٩٢ .
(٥٣) المقطم ٣ مارس ١٩٠٤ .
(٥٤) المقطم ٢٩ يناير ١٩٠٦ .
(٥٥) المقطم ٢٥ مايو ١٩٠٨ .
(٥٦) المقطم ١٣ يوليو ١٩١٤ .
(٥٧) المقطم ١١ ديسمبر ١٨٩٠ .
(٥٨) المقطم ٥ فبراير ١٨٩١ .
(٥٩) المقطم ١٩ يونيو ١٨٩١ .
(٦٠) المقطم ٩ مايو ١٨٩٢ .
(٦١) المقطم ٢٤ مايو ١٨٩٢ .
(٦٢) المقطم ٢٧ مايو ١٨٩٢ .
(٦٣) المقطم ٢٨ نوفمبر ١٨٩٢ .
(٦٤) المقطم ٢٠ يناير ١٨٩٤ .
(٦٥) المقطم ٩ مارس ١٨٩٤ .
(٦٦) المقط ٤ مارس ١٨٩٧ .
(٦٧) المقطم ٩ يناير ١٨٩٩ .
(٦٨) المقطم ١٩ ابريل ١٩٠٥ .
(٦٩) المقطم ١٢ ابريل ١٩٠٧ .
(٧٠) المقطم ١٣ ابريل ١٩٠٧ .
(٧١) المقطم ٢٢ ابريل ١٩٠٧ .
(٧٢) المقطم ٤ مايو ١٩٠٧ .
(٧٣) المقطم ٥ مايو ١٩٠٧ .
(٧٤) المقطم ٧ مايو ١٩٠٧ .
(٧٥) المقطم ١٤ مايو ١٩٠٧ .

(٧٦) المقطم ٢٨ فبراير ١٨٩٠ .
(٧٧) المقطم ٢٤ أغسطس ١٨٩١ .
(٧٨) المقطم ١٠ نوفمبر ١٨٩١
(٧٩) المقطم ٢٢ يوليو ١٨٩٢ .
(٨٠) المقطم ٢٢ يناير ١٨٩٤ .
(٨١) المقطم ٢١ مارس ١٩٠١ .
(٨٢) المقطم ٣١ مارس ١٩٠٥ .
(٨٣) المقطم ٢٠ ابريل ١٩٠٦
(٨٤) المقطم ٧ سبتمبر ١٨٨٩ .
(٨٥) المقطم ٢٤ مايو ١٨٩٢ .
(٨٦) المقطم ٢١ يونيو ١٨٩٤ .
(٨٧) المقطم ١٨ نوفمبر ١٨٩٦
(٨٨) المقطم ٢٢ يونيو ١٨٩٧ .
(٨٩) المقطم ٢٤ يناير ١٩٠١ .
(٩٠) المقطم ٢٥ يناير ١٩٠١ .
(٩١) المقطم ٢٥ يناير ١٩٠١ .
(٩٢) المقطم ٢٦ يناير ١٩٠١ .
(٩٣) المقطم ٩ أغسطس ١٩٠٢ .
(٩٤) المقطم ٥ يناير ١٨٩٥ .
(٩٥) المقطم ٢٢ فبراير ١٨٩٥ .
(٩٦) المقطم ١٢ ابريل ١٨٩٨ .
(٩٧) المقطم ٢٢ فبراير ١٩٠٥ .
(٩٨) المقطم ١١ نوفمبر ١٩٠٨ .
(٩٩) المقطم ١٤ يونيو ١٩١٢ .
(١٠٠) المقطم ١٣ فبراير ١٨٩٧ .
(١٠١) المقطم ٤ يناير ١٨٩٨ .
(١٠٢) المقطم ١ أغسطس ١٩٠٣ .
(١٠٣) المقطم ٢١ أغسطس ١٩٠٣ .
(١٠٤) المقطم ٦ فبراير ١٩٠٦ .
(١٠٥) المقطم ٢٩ أكتوبر ١٩٠٦ .

(١٠٦) المقطم ٧ نوفمبر ١٩٠٦ .
(١٠٧) المقطم ١٩ نوفمبر ١٨٨٩ .
(١٠٨) المقطم ٢١ نوفمبر ١٨٩٠ .
(١٠٩) المقطم ١٨ فبراير ١٨٩١ .
(١١٠) المقطم ١٨ مايو ١٨٩١ .
(١١١) المقطم ١٧ ابريل ١٩٠٠ .
(١١٢) المقطم ٢٠ أغسطس ١٨٩٦ .
(١١٣) المقطم ٢٢ فبراير ١٨٩٧ .
(١١٤) المقطم ٢١ يناير ١٨٩٢ .
(١١٥) المقطم ٢٩ نوفمبر ١٨٩٢ .
(١١٦) المقطم ١٨ يناير ١٨٩٣ .
(١١٧) المقطم ٢٦ يناير ١٨٩٤ .
(١١٨) المقطم ٢٧ يناير ١٨٩٤ .
(١١٩) المقطم ٢٥ يناير ١٨٩٩ .
(١٢٠) المقطم ٢٧ يناير ١٨٩٩ .
(١٢١) المقطم ١٦ مايو ١٩٠٠ .
(١٢٢) المقطم ٩ يناير ١٩٠٤ .
(١٢٣) المقطم ١٩ يناير ١٩٠٤ .
(١٢٤) المقطم ٦ يونيو ١٨٨٩ .
(١٢٥) المقطم ٢٠ يونيو ١٨٨٩ .
(١٢٦) المقطم ٢ يونيو ١٨٩٠ .
(١٢٧) المقطم ٢٣ اغسطس ١٨٩٠ .
(١٢٨) المقطم ١٣ يناير ١٨٩٠ .
(١٢٩) المقطم ٢٣ ديسمبر ١٨٩٣ .
(١٣٠) المقطم ١٢ يناير ١٨٩٤ .
(١٣١) المقطم ٣٠ يناير ١٨٩٤ .
(١٣٢) المقطم ٢٦ يونيو ١٨٨٩ .
(١٣٣) المقطم ١٣ فبراير ١٨٩٤ .
(١٣٤) المقطم ١٧ يونيو ١٨٩٤ .
(١٣٥) المقطم ١٨ سبتمبر ١٨٩٤ .

(١٣٦) المقطم ٢٨ فبراير ١٨٩٦ ·
(١٣٧) المقطم ٥ أكتوبر ١٨٩٦ ·
(١٣٨) المقطم ١٤ يناير ١٨٩٧ ·
(١٣٩) المقطم ٣١ يوليو ١٨٩٧ ·
(١٤٠) المقطم ٢٠ يوليو ١٨٩٨ ·
(١٤١) المقطم ١٩ يناير ١٩٠٠ ·
(١٤٢) المقطم ١٦ ابريل ١٩٠٠ ·
(١٤٣) المقطم ١٩ اغسطس ١٩٠١ ·
(١٤٤) المقطم ٢٣ اكتوبر ١٩٠٣ ·
(١٤٥) المقطم ١٩ سبتمبر ١٩٠٥ ·
(١٤٦) المقطم ٣ مايو ١٩٠٦ ·
(١٤٧) المقطم ١١ مايو ١٩٠٦ ·
(١٤٨) المقطم ٨ يوليو ١٨٨٩ ·
(١٤٩) المقطم ٧ يناير ١٨٩٠ ·
(١٥٠) المقطم ١٢ نوفمبر ١٨٨٩ ·
(١٥١) المقطم ٤ يونيو ١٨٩٠ ·
(١٥٢) المقطم ١٨ يناير ١٨٩٠ ·
(١٥٣) المقطم ٤ فبراير ١٨٩٠ ·
(١٥٤) المقطم ٢٤ فبراير ١٨٩٠ ·
(١٥٥) المقطم ١٥ آكتوبر ١٨٩١ -
(١٥٦) المقطم ٢٨ ، ٢٩ ابريل ١٨٩١ ·
(١٥٧) المقطم ٣ مايو ١٨٩٩ ·
(١٥٨) المقطم ٢٥ مايو ١٨٩٩ ·
(١٥٩) المقطم ٥ اكتوبر ١٩٠٠ ·
(١٦٠) المقطم ٢٦ ديسمبر ١٩٠٠ ·
(١٦١) المقطم ٣٠ مارس ١٩٠٦ ·
(١٦٢) المقطم ٤ مايو ١٩٠٧ ·
(١٦٣) المقطم ٢١ أكتوبر ١٩٠٨ ·
(١٦٤) المقطم ٢١ مايو ١٩١٠ ·
(١٦٥) المقطم ٢٧ اغسطس ١٩٠٢ ·

(١٦٦) المقطم ٨ يوليو ١٩٠٥ .

(١٦٧) المقطم ٨ يناير ١٩٠٧ .

(١٦٨) المقطم ٩ يناير ١٩٠٧ .

(١٦٩) المقطم ١٧ أكتوبر ١٩٠٧ .

(١٧٠) المقطم ٣ أكتوبر ١٨٩٣ .

(١٧١) المقطم ٥ أكتوبر ١٨٩٣ .

(١٧٢) المقطم ٦ أكتوبر ١٨٩٣ .

(١٧٣) المقطم ١٢ أكتوبر ١٨٩٣ .

(١٧٤) المقطم ٢٠ أكتوبر ١٨٩٣ .

(١٧٥) المقطم ٢٢ نوفمبر ١٨٩٣ .

(١٧٦) وقد وقعت هذه الحادثة خلال الحملة المصرية لفتح السودان عندما حالت السلطات دون نشر أخبار الحملة فى الصحافة الوطنية فى محاولة لضربها واضعاف شوكتها ، ولكن صاحب المؤيد استطاع بوسائله الخاصة الحصول على برقيات الحملة المتبادلة بين ناظر الحربية وقائد الحملة . ونشر البرقية الأولى فى ٢٨ يوليو ١٨٩٦ وفيها أسرار خطيرة عن حالة الجند البائسة ومرض الكوليرا الذى اجتاح بعضهم الأمر الذى اثار غضب الحكومة ولجأت الى التحقيق ، ولكنها لم تتمكن من معرفة السر الكامن وراء هذه البرقية . وواصل الشيخ على يوسف تحديه لهذه السلطات بنشره برقية أخرى فى ١٥ أكتوبر ١٨٩٦ ، ادعت المقطم أنها خاصة بها ؛ الأمر الذى دعا الى التحقيق معه ومع موظف بادارة تلغراف الأزبكية يدعى توفيق كيرلس . ولكن المحكمة قضت ببراءة الرجلين . ولم تفلح المقطم بمقالاتها التحريضية المتوالية فى التأثير على سير المحاكمة . وكانت تنشرها تحت عنوان : « سرقة التلغراف » .

(١٧٧) المقطم ١٨ ديسمبر ١٨٩٣ .

(١٧٨) المقطم ١٢ أغسطس ١٨٩٧ .

الفصل الخامس

المقطم وثورة سنة ١٩١٩

انطــــلاق الثــــورة :

تابعت (المقطم) الأحداث المتلاحقة التى شهدتها مصر منذ قيام السلطة العســــكرية البريطانية بالقاء القبض على الزعماء الأربعة سعد زغلول واسماعيل صدقى ومحمد محمود وحمد الباسل ونفيهم الى مالطة . فقد « كان هذا العمل الذى ارتكبته السلطات البريطانية بمثابة الشرارة التى فجرت الثورة المصرية الكامنة ، والتى طالما انتظرتها جماهير الشعب للتعبير عن آمالها ومطالبها واحتجاجا على الوان السخرة والاستغلال الذى خضعت له طيلة فترة الاحتلال البريطانى »(١) . ولم يكد يترامى نبأ القبض على سعد وصحبه ، حتى أخذت ســــمات الغضب ترتسم فى محيط العاصمة وتسرى منها الى الأقاليم . وبدات الثورة بمظاهرات سلمية الفها الطلبة يوم الأحد ٩ مارس ، اذ اضربوا عن تلقى الدروس وخرجوا من مدارسهم وساروا بادىء الأمر فى نظام وســـكينة تتقدمهم أعلامهم وهم يهتفون بحياة مصر والوفد المصرى وسعد ، وسقوط الحماية البريطانية(٢) .

وقد ســجلت (المقطم) انباء هذه المظاهرات تحت عنوان « المظاهرات فى العاصمة) قائلة ان « كل من يتتبع هذه المظاهرات يتأسف من وقوعها ومن ترك الطلبة لدروسهم والاشتغال بمثل هذه

الأمور التى تعطل اوقاتهم وتضر بمستقبلهم على غير طائل ، فيحسن بآباء التلاميذ أن ينصحوهم بالتفرغ الى دروسهم والاشتغال بها عن كل امر آخر »[٣] . فقد كانت دار (المقطم) نفسها هدفا لهجوم الطلبة المتظاهرين الذين هاجموها وهم يطوفون فى الشوارع انتقاما من خطتها السابقة فى الدعاية للاحتلال[٤] . وقد روى (مارشال) قصة مخاطبة الدكتور فارس نمر لمحمود سليمان باشا (والد محمد محمود باشا) لمساعدته فى جنى القطن فى مزارعه بعد ان رفض الفلاحون ذلك . وقد استجاب محمود باشا سليمان لغصن الزيتون الذى تقدم به صاحب (المقطم)[٥] .

وواصلت (المقطم) متابعة تطورات «المظاهرات فى العاصمة» معبرة عن تألمها لمهاجمة الممتلكات ، ومن خروج المتظاهرين عن الأهداف السلمية التى انطلقوا من اجلها فى بداية حركتهم « وصار اهم مظاهر الحركة بعد ذلك انصراف الرعاع الى الاعتداء على المخازن ومحال الأعمال وتكسير مركبات الترامواى وقلع الأشجار فى الشوارع وتحطيم الواجهات وسلب ما تصل اليه أيدى الرعاع »[٦] . فقد تطورت الحالة الى العنف « عندما اخذت السلطات البريطانية تعتدى على المتظاهرين العزل من السلاح مما ادى الى سقوط الكثير منهم صرعى برصاص الانجليز . فقد فاضت روح السخط وانفجر بركان الغضب ، وانقلبت المظاهرات الى ثورة عارمة استخدمت فيها جميع وسائل النضال ، واشتركت فيها جميع عناصر الأمة وانطلقت شرارتها الى جميع انحاء البلاد »[٧] . ويقول العقاد : ان « الباعث الأكبر الى التحطيم والتخريب كان اندفاعا جامحا بغير قصد مرسوم ، اندفاع الساخط يحار فيما يصنع وهو ساخط »[٨] .

واصبحت (المقطم) تنشر احداث الحركة تحت عنوان « أخبار المظاهرات » بعد انتشارها الى سائر انحاء الأقاليم

المصرية . ولم تعد تقتصر على العاصمة ، مشيرة الى ما يرد اليها من « مكاتبى المقطم فى جهات القطر المصرى المختلفة » فى الاسكندرية وشبين الكوم وزفتى وطنطا وتلا وبنى سويف والزقازيق(٩) . فقد وقفت الامة المصرية بطبقاتها وطوائفها وعناصرها المختلفة من فلاحين وباشوات، اميين ومتعلمين، مسلمين واقباطا ، رجالا ونساء من خلف قيادة الثورة تدافع بشجاعة كبيرة وبتضحية هائلة عن المبادىء التى تمثلها(١٠) . كما أن شمول الحركة التى فجرها الطلاب لكل طبقات الشعب قد اصاب السلطة العسكرية للاحتلال بالذعر الأمر الذى جعلهم يتدخلون بعنف لقمع الحركة ويصدرون الأوامر والانذارات والتهديدات لمن يحاول مخالفة دعوتهم بمنع التظاهر والتجمع(١١) ، الامر الذى حدا (بالمقطم) الى القول بأن « الأمل معقود الآن بحكمة عقلاء الأمة » الذين تقع عليهم مسئولية دفع « هذه الكارثة عن الوطن العزيز ، وحقن دماء الأبرياء والاهتداء الى حل للمشاكل الحالية على وجه يرضى الأمة ويقى البلاد شر الفتنة ويمهد السبيل لرد الاتفاق والوئام مع الحكومة البريطانية »(١٢) .

وكتبت (المقطم) عن « السكك الحديدية المصرية والمصائب التى حلت بها » قائلة انه ما كان يخطر ببالنا ان مصر « تنكب فجأة اشد نكبة ، وتضرب ضربة توهن قوتها وتحل عزيمتها وترجعها القهقرى مراحل عديدة فى سبيل التقدم والعمران .. فما كان اغنانا عن تلك الفتنة التى اضرمت فى مصر نار الشر وتركت هذا القطر محطا للحرق والسلب والقتل والنهب وقلبت راحته ورفاهته رأسا على عقب »(١٣) . ولم يكن فى حسبان (المقطم) بالطبع ان تتطور (المظاهرات) الى هذا العنف والاتساع والشمول ، بل ان تأخذ شكل الثورة ، كما أن الوفد لم يكن يتوقع « عندما بدات المظاهرات الأولى عقب القبض على سعد زغلول باشا وصحبه ، أن هذه

المظاهرات سوف تتطور الى ثورة عارمة تكتسح البلاد من اقصاها الى ادناها »[١٤] . ليس هذا فحسب ، بل ان مظاهرة الطلبة الأولى وقعت « على خلاف النصيحة التى سمعها الطلبة من بعض اعضائه الذين بقوا فى القاهرة بعد اعتقال سعد واصحابه الثلاثة »[١٥] . وقد روى محمد محمود باشا أن نسخة من جريدة (المقطم) كانت تشير الى قيام المظاهرات رآها سعد بمالطة وعقب عليها بأن هذا دس خصيصا فى نسخة (المقطم) التى وصلتهم لكى يوجد الانجليز مبررا لاطالة اعتقالهم فى مالطة فهذا الحدث فى نظره بعيد الاحتمال[١٦] . وكانت (المقطم) هى الصحيفة المصرية الوحيدة التى سمح لسعد ورفاقه بقراءتها فى مالطة[١٧] .

وصـــول اللنبى :

فاجأت حوادث الثورة الحكومة الانجليزية والجمهور البريطانى ووقعت منهما موقع الدهشة والاستغراب وقررت حكومة لندن استدعاء السير ونجت واستبدال مندوب آخر به أكثر شكيمة وأقوى بأسا واقدر على مواجهة الثورة وقمعها[١٨] . وكان هذا المندوب هو الجنرال اللنبى الذى نشرت (المقطم) خبر وصوله بعنوان « وصول فخامة نائب الملك فوق العادة .. وكان فى انتظاره جم غفير من الكبراء والعظماء » . وكانت « الشوارع مكتظة بجماهير الأهالى والأجانب وهم يصفقون تحية لفخامته وتيمنا بمقدمه »[١٩] . وقد تحسن الموقف سريعا بوصوله ، ولكن هذا الحريق الهائل المنتشر على أوسع نطاق لم يكن من السهل اطفاؤه فى لحظة واحدة ، لذلك فقد أصبحت مهمة الجنرال اللنبى الأولى هى استعادة هيمنة الحكومة المدنية والتقليل الى أبعد حد من عوامل الفوضى والعنف ، ومن ثم كانت اتصالاته مع القيادات السياسية المصرية سعيا لتحقيق التسوية[٢٠] . وقد أقنعته اجتماعاته بالوزراء المصريين وغيرهم بضرورة اتخاذ اجراء عاجل لتهدئة الحالة[٢١] .

ونشرت (المقطم) البلاغ الرسمى المتضمن « خطاب فخامة نائب الملك الى اعيان مصر » ، والنداء الذى وجهه اعيان البلاد وزعماؤها الى الامة يدعونها فيه الى التزام الهدوء والسكينة . « وقد امتنع البعض عن التوقيع على هذا البيان لانهم رأوا فيه انتحارا للقطر واماتة لعواطف اهله »(٢٢) ، فان « السياسة التى اتبعها اللورد اللنبى كانت سياسة اكثر دهاء ، فقد اتبع منذ وصوله الى مصر سياسة السيف والدبلوماسية . فبينما ترى للاجراءات العسكرية أن تحدث مفعولها فى اخماد الثورة بالحديد والنار ، فقد لجأ الى ازالة اسباب الثورة عن طريق التفاوض مع رجال الوفد وزعماء البلاد »(٢٣) .

ونشرت (المقطم) ، دون تعليق ، خطاب اللورد كيرزون وزير الخارجية البريطانية فى مجلس نواب بلاده ، حول القضية المصرية، والذى وصف فيه الثورة المصرية بأنها حوادث سطو اكثر منها حركة سياسية ، وان الشىء الوحيد الذى يغتبط له هو تصرف كثير من الموظفين المصريين ، وهو الخطاب الذى اثار استياء الموظفين مما جعلهم يضربون عن العمل ، فأثار اضرابهم « حماسة الجماهير لانه حادث فذ فى حياة مصر القومية »(٢٤) . وقد تابعت (المقطم) أخبار الاضراب دون محاولة تفسير بواعثه ، فتحدثت عن قيام « بعض الموظفين والمستخدمين بالاضراب عن العمل فى بعض الوزارات » و « اقفل كثير من المخازن والدكاكين وجانب من القهوات . وكان الباعة الجائلون أقل عددا منهم فى الأيام الأخرى »(٢٥) .

الافراج عن سعد وسفر الوفد الى باريس :

ولكن اللنبى ، فى محاولة للتهدئة ، يبرق فى ٣١ مارس الى حكومة بلاده ينصح باطلاق سراح زغلول وزملائه والسماح لهم بالسفر الى اوروبا . فكانت هذه التوصية منه صدمة للحكومة

البريطانية . لقد ارسلوا رجلا قويا ليخضع لهم شعبا عاصيا لكن أول اقتراح قدمه لهم تساهل سبق أن رفضوه مرتين ، ولكن كان من الصعب على الحكومة البريطانية أن تتغاضى عن نصيحة الرجل الذي أعطته كل السلطات التامة لمعالجة الموقف . فوافقت على اقتراحه على مضض منها . وأعلن اللنبى فى ٧ ابريل الافراج عن زغلول وزملائه الثلاثة والسماح لهم بالتوجه أينما يريدون[٢٦] . وقد أسهم الوزراء السابقون فى الوصول الى هذه النتيجة ، حيث أوضحوا للنبى أن اطلاق سراح سعد ورفاقه يشكل خطوة ضرورية لتحسين الأوضاع الداخلية فى البلاد ، وأن ازالة حالة الاضطراب هى الوسيلة المثلى نحو تشكيل الوزارة المصرية[٢٧] .

ونشرت (المقطم) أخبار الافراج عن سعد فى مكان بارز من الصفحة الثانية المخصصة للأخبار المحلية تحت عنوان « بشرى — السفر لجميع المصريين ولسعد زغلول باشا ورفاقه » قائلة : « فلتهنأ البلاد بانفراج الأزمة وليعقد الجميع الخناصر على خدمة هذا القطر العزيز » ، وأن ما حدث كان « بشرى لنا لمطابقته رأينا وللأمة المصرية باجابة رغباتها » موضحة أن رأيها « كان دائما مطابقا لرأى الذين يريدون السماح بالسفر للوفد ولكل من شاء السفر أيضا خلافا لكل من يزعم ان راينا غير ذلك . وهذا الرأى لم نقتصر على حفظه فى صدورنا بل جاهرنا به مرار ، وخصوصا عند أولى المقامات التى تقدم وتؤخر فى هذه المسألة » . بل أكثر من ذلك تتحدث (المقطم) عن دور مارسته لصالح الوفد ، ولمصلحة التحول الكبير الذى حدث ، وذلك بحكم صلاتها الوثيقة بسلطات الاحتلال طبعا ، فتقول : « انه بينما كان الغوغاء يهاجمون ادارة (المقطم) ويكسرون زجاجها وشبابيكها كما فعلوا بغيرها ايضا . وبينما كان اللصوص فى الأرياف يهاجمون مزارع احد اصحاب (المقطم) وينهبونها كان اصحاب (المقطم) يجدون فى السير ذهابا

وايابا بين اعيان الوطنيين وســــواهم لاصلاح ذات البين وتأليف الوزارة والتساهل الذى يرضى الوطنيين ، ويجبر خاطر الوفد ايضا وقد قضى اصحاب (المقطم) فى ذلك اياما كما يشهد به غير واحد من الذين استعانوا بهم على قضاء هذه الغاية الوطنية »(٢٨) . ومن منطلق هذا التحول الذى شهد اول تجاوب للصحيفة مع الأمانى الوطنية ، كان نشرها لأخبار « مظاهرات الفرح والسرور فى العاصمة » ، حيث خرجت المدينة كلها الى الشوارع والميادين والطرق « فما كانت العين تقع الا على مراكب كبيرة وصغيرة تروح وتجىء فى الشوارع والميادين حاملة الرايات والرياحين وهى تهتف لمصر هتاف الفرح والسرور »(٢٩) .

وقد استتبع قرار الافراج عن سعد ورفاقه ، تشكيل وزارة رشدى الرابعة ، بعد ان بقيت البلاد بدون وزارة طيلة أحداث الثورة ، لأن « الوزارة خلال هذا الشهر كانت رمزا للاستجابة للمطالب الوطنية بمعنى ان تشكيل وزارة جديدة كان من المستحيل اتمامه دون هذه الاستجابة »(٣٠) . وقد استقبلت (المقطم) هذه الوزارة بالترحيب قائلة ان « البلاد تدعو اليوم جميع ابنائها الى خدمتها النافعة ووزراؤنا بحمد الله من اكرم من أنجبتهم البلاد وقد عرفوا بصادق الخدمة فيما مضى واشتهروا بالغيرة الوطنية والحكمة والاخلاص »(٣١) . وتمنت للوفد المسافر الى أوروبا النجاح فى مهمته (لخدمة القطر واهله) ، قائلة ان اعضاء الوفد « كما هو معلوم للجميع من اكبر اعيان هذا القطر ورجاله المفكرين المحبين لوطنهم وقومهم الحائزين لثقة الأمة المصـــــرية »(٣٢) . وتابعت الصحيفة اخبار المظاهرات والاضرابات فى البلاد . فقد « كان الظن حين تألفت وزارة رشدى باشا الرابعة ان يهدأ الموظفون ولا يعودوا الى الاضراب .. ولكن روح الاضراب تجددت فيهم بعد تأليف الوزارة »(٣٣) . ولم تفلح جهــود الوزارة فى وقف هذه

المظاهرات والاضرابات برغم النداءات المتتابعة بضرورة الكف عن الاضراب والعودة الى العمل فى الدوائر والمصالح الحكومية ، وكانت نتيجة ذلك استقالة وزارة رشدى . وقد توقف اضراب الموظفين بصفة نهائية بعد استقالة الوزارة وبعد الانذار الذى وجهه اللنبى بضرورة العودة الى العمل .

ولم تعلق (المقطم) على استقالة الوزارة وتوقف الاضراب ، كما انها وقفت صامتة ازاء اعتراف الدكتور ويلسون رئيس الولايات المتحدة الامريكية بالحماية البريطانية على مصر ، وواصلت نشر الاوامر الصادرة عن السلطة العسكرية بمقتضى الأحكام العرفية او البلاغات المنشورة فى الجريدة الرسمية ، ومنها أمر اللنبى بأن يتولى وكلاء الوزارات مهام الوزراء بعد استقالة الوزارة(٣٤) . وذلك بعد ان أحجم الزعماء عن تاليف وزارة تصطدم بروح الثورة التى تسود البلاد . وقد استمرت الحال كذلك لمدة شهر بعد استقالة وزارة رشدى ، حتى شكل محمد سعيد باشا وزارته فى ٢١ مايو وذلك بعد اقناعه من جانب اللنبى طيلة الأسابيع الأربعة التى عاشتها البلاد بدون وزارة(٣٥) . ويقول الرافعى ان هذه الوزارة كانت اولى الوزارات التى تالفت بعد الثورة على اساس الانفصال عن الحركة الوطنية ومناهضتها والاستخفاف بها . فلا غرو أن قوبلت بالاستياء والسخط ، لأن تشكيلها لم يسبقه تفاهم على برنامجها ، بحيث تساير الحركة الوطنية ولا تعرقلها ، ولم يخفف تيار الاستياء ما أعلنه سعيد باشا من أن وزارته ادارية لا تمت الى السياسة بسبب ، وهو أول من ابدع فكرة الوزارة الادارية ، وهى بدعة تنطوى على الخداع والمراوغة . ولم تكن هذه التسمية لتحجب الحقيقة الواقعة ، وهى أن عمل الوزارة بطبيعته عمل سياسى قبل كل شىء(٣٦) .

وقد الحبت (المقطم) من جانبها على هذه الصبغة الادارية للوزارة والمتمثلة بتدبير « امور الامة وقضاء حاجاتها المحلية ، وعدم التعرض للمسائل السياسية الكلية ذات العلائق الدولية »(٣٧) . وهذا فى رايها يرضى « عقلاء الأمة على اختلاف اميالهم وآرائهم » اذ « ان هناك شبه اتفاق فى الراى على وجوب توجيه هممهم الآن الى شئونهم المحلية من زراعية وتجارية واقتصادية ونحوها لكيلا تترك فى حيز الاهمال والاغفال ويعقبها العطل والضرر على اهل القطر »(٣٨) . وايدت (المقطم) ما اقدمت عليه الوزارة ، لامتصاص السخط والاستياء اللذين قوبلت بهما من تقرير العلاوات للموظفين لتحسين احوالهم المعيشية ، لكى يواجهوا تكاليف الحياة الباهظة(٣٩) . كما اشادت بجهود سعيد باشا للتخفيف من الأحكام الصادرة بحق بعض المواطنين فى حوادث الثورة ، ومنها حادثة قطار ديروط التى قتل فيها عدد من ضباط الجيش البريطانى ، وجنوده ، و كذلك جهوده لنقل اختصاصات المحاكم العسكرية الى السلطات المدنية ، والغاء الرقابة على المراسلات بين مصر والخارج قائلة : ان « جمهور المصريين الذى يميل بطبعه الى السكينة والسلام ، يتلقى بمزيد السرور بشرى الغاء القوانين الاستثنائية ورجوع الاحوال الى ما كانت عليه قبل الحوادث الأخيرة »(٤٠) . وعلقت على بلاغ ادارة المطبوعات حول « حوادث القتل بقطار ديروط » بقولها ان الضباط والجنود الانجليز قد « قتلوا بشكل من اشنع الاشكال اثناء عودتهم من الاجازة من الوجه القبلى بالقطار »(٤١) .

معاهدة الصلح :

تابعت (المقطم) اخبار (معاهدة الصلح) واستعداد مدن القطر للاحتفال بها واقامة « معالم التزيين فى حدائقها احتفالا بعيد الصلح السعيد »(٤٢) . واعتبرت توقيع المعاهدة مقدمة لسلام

الانسانية التى تسعى للهدوء والسكينة واحلال الهناء بدلا من الشقاء(٤٣) . وذلك فى الوقت الذى تضمنت هذه المعاهدة التى سميت بمعاهدة فرساى ، اسوأ الشروط بالنسبة لمصر واهمها اقرار الحماية البريطانية على مصر . ولما وردت الأنباء الى مصر بامضاء هذه المعاهدة قررت الحكومة ابتهاجا بها اطلاق مائة مدفع ومدفع فى كل من القاهرة والاسكندرية وبورسعيد . وعطلت الوزارات والمصالح فى جميع نواحى القطر ، يوم الاثنين ١٤ يوليو . ومن المتناقضات حقا أن تبتهج الحكومة المصرية لمعاهدة من اهم شروطها بالنسبة لمصر اقرار الحماية التى فرضتها انجلترا عليها ، اما الشعب المصرى فقد قابل امضاء المعاهدة بالوجوم والسخط والحزن العظيم لما فيها من اهدار لحريته واستقلاله(٤٤) .

ونشرت (المقطم) تفاصيل الاحتفالات التى اقيمت بمناسبة امضاء معاهدة الصلح ومن ذلك الحفلة التى أقامها اللنبى وكانت « من أبهج الليالى فى دار الحماية »(٤٥) . أما العاصمة فقد « لبست زخرفها وبدت بأفخر زينتها »(٤٦) . وكان يوم عيد الصلح الذى احتفلت البلاد رسميا به « يوما مشهودا بأعياده وحفلاته » . وطارت الطيارات أسرابا فى سماء العاصمة فكان ذلك « من أبهج ما راته العين »(٤٧) .

وقد كان من نتائج امضاء معاهدة الصلح تساهل السلطة العسكرية البريطانية فى بعض المطالب التى طلبتها الوزارة مثل الغاء الرقابة على المطبوعات ومنها الصحف ابتداء من اول يوليو ١٩١٩ ، عقب توقيع معاهدة الصلح(٤٨) ، غير أن التعليمات التى وزعت على مديرى الصحف مع بيان الغاء الرقابة اخذت باليد اليسرى ما اعطته باليد اليمنى ، لقد اصبحت بمقتضى هذه التعليمات رقيبة على نفسها ، وهذا اصعب انواع الرقابة فالصحف ممنوع

عليها ان تنشر اى مادة ثورية ولا اى مادة تحرض على احداث فتن او تنطوى على عدم الاعتراف بالمركز السياسى الحالى فى القطر المصرى . فكأن هذه الاجراءات كانت صورية اذ لم يكن يسمح للجرائد بأن تنشر ما يتنافى والتعليمات التى وزعت عليها بعد اعلان الغاء الرقابة(٤٩) .

الوفـــد المصـــرى :

اشارت (المقطم) ، للمرة الأولى لأخبار الوفد المصرى فى باريس ، فى الحديث الذى أجراه مندوبها مع عضوى الوفد العائدين الى مصر : اسماعيل صدقى ومحمود ابو النصر حول الخلافات الداخلية فى الوفد ، دون أن يوضح هذان العضوان طبيعة هذه الخلافات التى ادت الى أول انشقاق عن الوفد المصرى(٥٠) .. ولكن خروج صدقى وابو النصر ، كان مبنيا على اعتقادهما بأن الموقف بعد موافقة مؤتمر الصلح على الحماية البريطانية على مصر ، يحتم على الوفد ان يسعى للتفاهم مع انجلترا ، بالاضافة الى سبب مباشر آخر تمثل فى احتجاجهما على نشر فظائع القوات العسكرية البريطانية فى مصر فى حوادث نزلة الشوبك والعزيزية ، التى وصلت الى الوفد كاملة من عبد الرحمن فهمى مدعمة بالصـــور والمستندات والتى قام الوفد بنشرها على العالم(٥١) . وقد نشرت (المقطم) بعض أطراف المساجلات التى دارت بين هذين العضوين واللجنة المركزية للوفد دون تدخل من جانبها(٥٢) .

وكانت (المقطم) قد اشارت ايضا للمرة الأولى الى اللجنة المركزية للوفد ، بمناسبة بعض (التلغرافات) المتبادلة بين هذه اللجنة وسعد زغلول التى نشرت قسما منها ، وكانت تصلها على شكل بيانات من اللجنة المركزية للوفد بتوقيع رئيسها محمود سليمان باشا وكان اهمها البيانات التى تشيد بموقف لجنة الشئون الخارجية

بمجلس الشيوخ الامريكى المؤيد للقضية المصرية ، هذا الموقف الذى استحق تأييد كثير من الهيئات والشخصيات فى مصر عبروا عنه (بالتلغرافات) التى نشرت (المقطم) جانبا منها(٥٣) .

وكان سعد باشا قد أوكل لهذه اللجنة مهمة تدعيم الجبهة الداخلية لضمان وحدتها وتماسكها والتفافها حول الوفد « فلم يكن يقلقهم كثيرا وجود الوفد فى باريس وانما كان مصدر قلقهم الوحدة الوطنية التى تلتف حول الوفد وقتذاك » ، وكان ذلك « من اخطر المسئوليات التاريخية التى القيت على عاتق اللجنة المركزية فى مصر وعلى عبد الرحمن فهمى بالذات »(٥٤) ، بالاضافة الى دورها فى قيادة الجمهور وابلاغه بتطورات الأحداث فى نفس الوقت الذى كان فيه سعد زغلول ورفاقه يقومون بخدمة القضية المصرية فى باريس(٥٥) .

ونلاحظ ان (المقطم) ، قد دأبت فى هذه الفترة على عدم ابداء رأيها فى تطورات الأحداث مكتفية بما تنشره من اخبار الوفد المصرى وبعض بيانات اللجنة المركزية للوفد ، بعد ان كانت تتصدى بقوة لحوادث العنف التى صاحبت انطلاق الثورة المصرية . ويعزز هذا الرأى ما اورده (الكولونيل ح.س. سايمز) فى تقريره عن الصحف المصرية للفترة ما بين منتصف سبتمبر الى ١٩ اكتوبر ١٩١٩ الذى قال ان موقف الصحف الاجمالى مايزال معاديا لبريطانيا ، اما صحيفة (المقطم) فقد « هوت الى مرتبة الصمت التام تقريبا »(٥٦) .

لجنـــة مـــلنر :

ورد الحديث على صفحات (المقطم) عن بعثة ملنر فى بيان اللجنة المركزية للوفد الذى يقر فيه « الامة على الخطة التى رسمتها لنفسها ، وهى مقاطعة لجنة اللورد ملنر مقاطعة تامة »(٥٧) . كما

تابعت الصحيفة اخبار مظاهرات الاحتجاج على اللجنة التى «اخذت منذ ٢٤ اكتوبر تصطبغ بصـــــبغة العنف وتلجا الى التعبير عن معارضتها بالمظاهرات ، ولهذا شهدت الاسكندرية حوادث خطيرة اعادت الى الاذهان حوادث مارس الشهيرة »(٥٨) . وقد سجلت (المقطم) مظاهر العنف التى حدثت فى الاسكندرية والمصادمات التى وقعت بين البوليس والمتظاهرين الذين كانوا يهتفون « لمصر والاستقلال » . وقد اعتدى بعضهم على الاماكن والمحال فوصفتهم بالرعاع ، وقالت ان « الهياج لايزال عاما للمدينة »(٥٩) . ونوهت بالاجتماع الذى عقده الاعيان مع محافظ العاصمة واستقر رأيهم على دعوة الجمهور للكف عن التظاهر ، قائلة « ولعل هذه المهمة التى يبديها حضرات الاعيان تسفر عن النتيجة المطلوبة . وينصرف الجمهور الى الاكتفاء باحتجاجات الوفد وعقلاء الامة بالطـــرق المشروعة »(٦٠) . ولكن المظاهرات تتجدد بعنف بعد البيان الذى اذاعته دار الحماية فى ١٤ نوفمبر عن قرب قدوم اللجنة والمهمة التى ستضطلع بها وقد رد الوفد المصرى ببيان على بلاغ دار الحماية اشـار فيه الى مخالفته لقواعد الحق والعدل ولارادة الشـــعب المصرى والروح الاستقلالية السائدة فى العالم(٦١) .

اما (المقطم) ، فقد خرجت عن صمتها تجاه الحالة الراهنة ، وعلقت على بلاغ دار الحماية مؤيدة بطريقة او باخرى لما جاء فيه عن خطة بريطانيا فى مصر ومهمة ملنر والشكل الذى تدمته الحكومة البريطانية لحمايتها على مصر ، فنراها تقول ان الحكومة البريطانية اوضحت « انها تقصد من بسط حمايتها على مصر القيام بواجب خطير الشأن تعده فى المنزلة الاولى من اعتبارها بالنسبة الى هذا القطر ، وهو ان تحميه من كل تعد يفاجئه من خارجه » « فتتفرغ حكومته لترقية شئونه وتدبير امور رعيتها ويحول اهله كل جهدهم الى تحسين احوالهم واحوال عيالهم » ، « ثم انه يستفاد من نص

البلاغ علاوة على ما تقدم ان الحكومة البريطانية مصممة على شد أزر الحكومة المصرية فى انشاء نظام دستورى لمصر » اما مهمة اللجنة فتتمثل « بمشاورة رجال مصر فى أمر ذلك النظام ومعاونتهم فى وضع سننه وقوانينه »(٦٢) .

وقد استقالت وزارة محمد سعيد احتجاجا على لجنة ملنر ، وشكل يوسف وهبة باشا الوزارة التالية . وقصد الانجليز من هذا التعيين ضرب الحركة الوطنية فى أقوى مراكزها الا وهى وحدة عنصرى الأمة ، تلك الوحدة التى تعتبر من اروع انجازات ثورة ١٩١٩ وحركة الوفد المصرى ، وكان رد عبد الرحمن فهمى على ذلك ان جمع اللجنة المركزية على الفور ، وعين مرقس حنا عضو اللجنة وكيلا للجنة ورئيسا بالنيابة ، وذلك فى مكان رئيسها ووكيلها اللذين ابعدا خارج القاهرة ، كما اسرع عبد الرحمن فهمى الى اتخاذ الكنيسة المرقسية مركزا من مراكز الثورة(٦٣) وهكذا احبطت الخطة الانجليزية لايقاع الفتنة بين المسلمين والأقباط . وغنى عن الذكر ان الفضل الأول فى احباطها انما يعود الى انها عجزت عن التنفس فى الجو القومى الذى كانت تعمل فيه الحركة الوطنية(٦٤) . وقد شهد عهد هذه الوزارة مجىء ملنر بكل المد الوطنى الذى واجه هذا المجىء مما استتبعه أن تعرض أعضاؤها الى سلسلة من الاعتداءات لم يتعرض لها أعضاء اية وزارة سابقة(٦٥) .

وازاء المقاطعة المحكمة التى اقامتها الأمة حول ملنر ، لم تستطع (المقطم) أن تدعو لكسر هذا الحصار صراحة ، ولكنها لجأت الى التلميح واسلوب الرسائل الواردة من القراء ، فضلا عن الغمز واللمز لعدم جدوى المقاطعة ، فهذه رسالة يدعو كاتبها الى التعقل وعدم الاندفاع فى مواجهة اللجنة وعدم مقابلتها بالعنف لاسيما انها قادمة لا محالة . وانها ليست آتيه « بالأسطول والسيف

والمدفع » بل « آتية تبادلكم الافكار ولتعرف منكم ما يجب عليها ان تعرفه »(٦٦) ورسالة ثانية يدعو فيها مرسلها اعضاء الوفد المقيمين بالقاهرة لمفاوضة لجنة ملنر « فان اتفقوا فبها ، وان لم يتفقوا فلا ضرر » . ويناشدهم « الحكمة وعدم التسرع فما لا يدرك كله لا يترك كله »(٦٧) وكتبت تعليقا على شكل حوار ، قالت ان احد مخبريها سمعه من بعض الناس الذين يتحدثون عن المقاطعة وجاء فيه على لسان احدهم « فاذا قالوا لنا قاطعوا التجار الانجليز ، او لا تشتروا بضاعة انجليزية ، قلنا انهم يوصوننا بذلك لأنه يمكننا ان نستغنى عن بضائع الانجليز ببضائع غيرهم ، ولكن ما معنى قولهم لنا قاطعوا الأطباء الانجليز الذين يطببون مرضانا الفقراء مجانا ؟ »(٦٨) . وقدمت (المقطم) تعريفا بشخصية ملنر واعضاء بعثته ، وذكرت ان البعض يقوم بتهديد اصحاب المحال فى الأحياء الوطنية لاجبارهم على اغلاقها احتجاجا على لجنة ملنر « فبثت العيون للقبض على كل من يحاول ذلك لمحاكمته امام المجالس العسكرية »(٦٩) . واشارت للمظاهرات التى قامت فى الاسكندرية وقالت ان عددا من برقيات الاحتجاج قد وصلتها ، ولكنها لم تنشر شيئا منها(٧٠) . وتحدثت عن توسط (رسل بك) حكمدار العاصمة لدى السلطة العسكرية للافراج عن بعض الطلاب المعتقلين «اجابة لتوسل آبائهم وذويهم ، وتعهدهم بردعهم عن اتيان ما يخالف اوامر الحكومة »(٧١) . واشارت لدخول البريطانيين الجامع الأزهر وسحبهم منه ، واحتجاج علماء الأزهر الى معتمدى الدول على ذلك(٧٢) . وقد حركت هذه الحادثة فى نفوس علماء الأزهر الجهر برايهم فى الموقف السياسى عامة ، فوضعوا بيانا اعربوا فيه عن ان الحل الوحيد للاضطراب السائد فى البلاد هو ان تفى الدولة الانجليزية بوعودها وتعترف للبلاد بالاستقلال التام اى انهم شاركوا الامة فى معظم مطالبها السياسية(٧٣) . فكسبت الحركة الوطنية

على الفور الى جانبها السلطات الدينية العليا فى الأزهر وكان الانجليز يعتقدون انها من الجهات الموالية(٧٤) .

وقد استنكرت (المقطم) حادثة الاعتداء على رئيس الوزراء يوسف وهبة التى قام بها شاب قبطى هو عريان يوسف سعد قائلة « ان الأمة المصرية باسرها ستقابل هذه الجناية بما تستحقه من السخط والاستياء الشديد سواء نظر اليها من الوجهة الدينية والأدبية او من جهة تأثيرها السياسى هنا وفى سائر البلدان .. وحرام ان تشوه القضية المصرية بمثل هذه الجنايات التى لا يجنى منها سوى الخسارة العظيمة لوطن لا يتمنى له ابناؤه الا الخير والتقدم »(٧٥) . واشادت (المقطم) بجهود « قادة الأمة فى مصر وكبار رجالها وفى مقدمتهم الوزراء السابقون .. لخدمة القضية المصرية وتحقيق امانى الأمة . وقد شرح الذين اجتمعوا منهم بجناب اللورد ملنر هذه القضية شرحا وافيا وراوا من لينه وتساهله فى حديثه معهم عنها ما قوى آمالهم بتحقيق مساعيهم ، وافضى الى اصدار منشور جناب اللورد ملنر ، الذى وسع فيه دائرة المناقشة فى القضية المصرية » ، وان (ثقات الامة) الذين حادثوا ملنر اكدوا لها انه « أعرب عن رغبته التامة فى الاتفاق مع الأمة المصرية بعقد يعقد بين انجلترا ومصر »(٧٦) .

فقد استطاعت لجنة ملنر محادثة بعض الوزراء السابقين ، وكان رشدى باشا وعدلى باشا وثروت باشا محور مساعيها ، فكتبوا الى سعد باشا بتفاصيل كل شىء وبمبلغ ما ظهر من لورد ملنر من الاستعداد وبرايهم فى ذلك(٧٧) ، ولكن ملنر لم يستطع النفاذ الى الجماهير الشعبية لسبر غورها ، ومعرفة اسباب انتفاضتها فقد كانت المقاطعة شاملة ليس ضد اللجنة مجتمعة فى القاهرة فحسب ، بل ازاء كل فرد من افرادها يحاول التنقل على

مسئوليته فى الاقاليم . وبدا أن هناك هيئة دقيقة التنظيم قادرة على مراقبة تحركات جميع الأعضاء ، وبخاصة الذين يحاولون منهم الذهاب الى القرى والاتصال بالفلاحين(٧٨) . وقد ثمن سعد باشا هذه الوقفة الشجاعة للأمة فى نداءاته للجنة المركزية ، هذه الوقفة التى اثبتت « أن المسالة ليست لعب اطفال بل جد أمة »(٧٩) . فقد كان ملنر يقابل فى اى مكان يرتاده فى القاهرة بنظرات مقطبة تنم عن مشاعر غير ودية . وكلمات الصداقة التى فاه بها لم تجد صداها المناسب . فان مصر لم تكن تتحدث الا بلسان زغلول(٨٠) .

وقد استقالت وزارة يوسف وهبة ، وشكل محمد توفيق نسيم الوزارة التى خلفتها فى مقاعد الحكم . « وكانت هذه الوزارة استمرارا لوزارة يوسف وهبة باشا وهى من الوزارات التى اصطنعتها السراى ، وقامت على اساس الاستخفاف بالحركة الوطنية ومناهضتها ، فلا غرو أن قوبلت بالسخط العام »(٨١) . اما اللورد ملنر فقد عاد الى لندن فى مارس سنة ١٩٢٠ ، لكى يبدأ فى اعداد التقرير الذى سيقدمه الى الحكومة البريطانية عن مهمته ، فى الوقت الذى أدرك فيه المعتدلون من المصريين «أن من المستحسن الاتصال باللجنة قبل أن تكتب تقريرها »(٨٢) . ولم يجد الوفد المصرى فى باريس عضدا فى مهمته ، فقد أوصدت دونه أبواب مؤتمر الصلح(٨٣) . وقد بادر ملنر بارسال المستر هرست احد أعضاء لجنته الى باريس ليدعو الوفد للمجىء الى لندن للمفاوضة مع اللجنة ورأى الوفد قبل ان يلبى الدعوة ايفاد ثلاثة من اعضائه وهم : محمد محمود وعبد العزيز فهمى وعلى ماهر « ليتبينوا مبلغ استعداد الحكومة البريطانية نحو المطالب القومية » . وبعد محادثة ملنر استقر « راى الوفد على قبول دعوته والذهاب الى لندن للمفاوضة»(٨٤) . وبذلك تكون معركة المقاطعة قد انتهت بقبول الوفد وقبول لجنة ملنر ، التفاوض للوصول الى اتفاق يحقق كلا من استقلال مصر وصيانة مصالح بريطانيا(٨٥) .

مفاوضـــات ســـعد ــ مــلنر :

كان ترحيب (المقطم) شديدا بهذه الخطوة من جانب الوفد ، قائلة « ومما يقوى املنا بنجاح المسعى اذا سلكنا فيه سبيل الحكمة واعتصمنا بالسداد فى السياسة ، أن سعد باشا زغلول اصبح معروفا عند الأمة الانجليزية حق المعرفة » ، وان أقوال ملنر وغيره من الساسة الانجليز تدل « على أن الراى العام البريطانى يعد زغلول باشا الآن لسان حال فريق كبير من الأمة المصرية ، وممثلا لهم فى رأيهم ، وناطقا بلسانهم وبناء على ذلك يود الانجليز ان تكون لهم صلة به وبغيره من وجوه الأمة المصرية الذين يعبرون ايضا عن آراء قوم منها قصد الوصول الى حل للعقدة الحالية والحكم فى القضية المصرية »(٨٦) . ومن الثابت أن لجنة ملنر لم تكن تميل فى بداية الأمر الى الاعتراف بقوة الوفد ، ولا بأنه يمثل الأمة ، ولكنها أخذت تتحول عن رايها تلقاء ما كانت تسمعه من عدلى باشا وزملائه(٨٧) .

وقد رات (المقطم) فى سفر مندوبى الوفد من باريس الى لندن خروجا بالقضية المصرية « من حيز القول الى حيز الفعل ، وقع موقع القبول والارتياح عند الجمهور المصرى من اكابر خاصته الى اصاغر عامته »(٨٨) . وضاعفت اهتمامها بنشر بلاغات اللجنة المركزية ، كما نشرت حديثا لسعد باشا أجراه مراسلها فى باريس ، أعلن فيه سعيه لتحقيق اهداف الأمة بما لا يخرج عن حدود توكيلها للوفد(٨٩)) . وأوضحت (المقطم) انها ستدخل معترك الحديث عن القضية المصرية ، لأن التحول الجديد نقل القضية من محور الجدال والمنازعات الى دائرة الفعل(٩٠) . وكررت الصحيفة نشر الاحاديث المنسوبة لسعد باشا ، مما ادى الى مساجلة عنيفة بينها

وبين اللجنة المركزية للوفد ، بسبب هذه الاحاديث التى أحدثت « ضجة فى البلاد »(٩١) . واضطرت اللجنة المركزية الى الاتصال بسعد وسؤاله عن صحة هذه الأحاديث ، فاجاب بانه لا يعرف مراسل (المقطم) . ولم يتقدم اليه أحد بهذه الصفة ، وتستطيع اللجنة تكذيب كل ما نشر على لسانه ويخالف مبدأ الوفد ، وقد اوضحت (المقطم) ان المراسل لم يتقدم لسعد باسمها لأنه مندوب جريدة الديلى اكسبريس البريطانية(٩٢) . وخاطبت أقطاب اللجنة المركزية معاتبة بقولها ، ان (المقطم) لم « يجن يوما ذنبا عليكم ولا على لجنتكم ، ولا قاوم لكم عملا ولا عارض الوفد فى القضية المصرية لا قولا ولا فعلا ، ولا نشر عن لسان رئيس الوفد كلمة تخالف مبداه أو مبداكم ، ولا فتح عليه يوما بابا لعتبكم منذ أنشئت لجنتكم ، فكيف ترضون أن أفرادا معلومين من لجنتكم يضعون رئيس الوفد فى موضع معرض للمؤاخذة والنقد »(٩٣) . وواصلت خطتها بنشر تصريحات سعد بعد وصوله الى العاصمة البريطانية ، فنقلت تصريحه لرويتر الذى اكد فيه على أن مصر المستقلة تبقى دائما صديقة لبريطانيا العظمى وحليفتها الصادقة الولاء ، وانه لا تنافر بين استقلال مصر والمصالح البريطانية(٩٤) . وكان ذلك باعثا (للمقطم) للتحدث عن اعتدادها برايها وخطتها التى سارت عليها منذ زمن بعيد ، وكيف « ان السياسة المثلى التى تقضى بها مصر مصلحتها ويعود منها الخير على المصريين ، وهى سياسة الوئام وحسن التفاهم مع المحتلين » . واشارت لخطأ الحكومة البريطانية بمنعها الوفد من السفر قبل انفجار حوادث مارس ١٩١٩ ، وانه لولا هذا الخطأ لسافر الوفد الى لندن ووجد فيها « صدرا رحبا ، وعاد منها ظافرا شاكرا ، ولم يحصل مما اضر مصر وأمسى ذكره عبرة من العبر » . وترى ان الحكومة البريطانية باطلاق سراح سعد وسفر الوفد تكون قد اصلحت خطأها ، وان الوفد كان عليه ان يتخذ من لندن وجهته بدلا من باريس ، التى اضاع فيها الوقت

والجهد متوهما « ان المسالة المصرية عادت فأصبحت مسألة دولية » . ولكن الوفد عاد وادرك « ان المسالة المصرية ليست مسألة دولية بل مسالة مختصة بالدولة الانجليزية ، وأن القضية المصرية لن تحل ومصر لن تنال منها مناها ، الا اذا عرضت على المحكمة المختصة بها ، وهى المحكمة البريطانية للنظر فيها ولسماع اقوال المصريين بشأنها »(٩٥) .

ونشرت (المقطم) لمراسلها (اللندنى) قوله ان المفاوضات غير الرسمية بين لجنة ملنر والوفد المصرى قد انتهت بانتظار تشكيل « لجنة ممثلة للأمة المصرية يمكن للحكومة البريطانية أن تفاوضها رسميا » . وعقبت على ذلك بقولها ، انه بالرغم من تأكيد الصحافة المحلية على أن الوفد انما ذهب الى لندن ممثلا للأمة المصرية فان (الثقات) يقولون ان الحكومة البريطانية انما تفاوض الوفد كما تفاوض غيره من أعيان المصريين ، فوزراء مصر كلهم أو بعضهم يمكن أن يشكلوا عنصرا آخرا اذ القصد تكون لجنة جامعة لأعظم ما يتيسر جمعه من الآراء الممثلة لآراء الأمة بحيث يكون الاتفاق الذى يعقد بين هذه اللجنة والحكومة البريطانية اتفاقا جامعا لرضا الجمهور ومانعا لشكوى فريق منهم(٩٦) . ولم يكن هذا الذى ذكرته (المقطم) منفصلا عن الموقف البريطانى فى ذلك الوقت .

وعلقت على قول سعد باشا للجنة المركزية بأن تشكيل اللجنة التى تحدثت عنها (المقطم) فيه اضعاف لصفة « الوفد ويمس كرامة القومية المصرية » ، قائلة ، ان ذلك يضعف صفة الوفد « اذا اعتبر معاليه أن الوفد وحده هو الممثل للأمة المصرية كلها ولا شريك له فى ذلك ، ولكن يلزم معاليه بعد هذا الاعتبار أن يثبت للأمة المصرية أن الحكومة البريطانية رضيت أن تفاوض الوفد بهذه الصفة اذ المفهوم والمنقول عن أعاظم الثقات أن الحكومة البريطانية

لم تعترف للوفد المصرى بهذه الصفة .. واما قوله ان ذلك يمس كرامة القومية المصرية فلا يكاد يصدق أن مراده منه هو أن يعد ضم آخرين من سراة مصر واعيانها ووجوهها واصحاب الراى الأصيل فيها الى اللجنة ماسا بكرامة القومية المصرية .. وكيف يعقل أن وطنيا مجربا مثل رئيس الوفد يعترض على اشتراك فريق من أبناء مصر الكرام مع الوفد المصرى فى عقد الاتفاق النهائى مع الحكومة البريطانية ؟ »(٩٧) .

وقد تمخضت المفاوضات عن تقديم ملنر لمشروع طلب الى اعضاء الوفد المصرى المفاوض مناقشته وابداء الراى فيه ، فرأى فريق منهم الموافقة عليه ، وراى سعد « ان قبول المشروع بالصورة التى هو عليها فيه خروج على التوكيل الذى قيدت الامة به مهمة الوفد » . وبدات انياب الخلاف تهدد بالانقسام بين الفريقين . وهنا برزت فكرة تحكيم الأمة فى المشروع(٩٨) ورضى ملنر ورفاقه عن هذه الفكرة لان المناقشة التى تقع فى مصر تمكنه من سبر غور الراى العام المصرى ، وان يقارن — على حد قوله — بين قوة المعتدلين وقوة المتطرفين من اعضـــاء الحركة الوطنية(٩٩) واتفق الوفد مع اللورد ملنر على تأجيل المفاوضات حتى تتم هذه الاستشارة التى كانت فى ذاتها مكسبا للحركة الوطنية لأنها رجوع من الوفد الى الأمة وتثبيت لمبدا (الأمة مصدر السلطات) الذى هو أساس النظام السياسى الصحيح(١٠٠) . واعلنت (المقطم) ترحيبها بهذه الخطوة ، قائلة ان مجىء مندوبى الوفد الى مصر لهذا الغرض « يطابق ما يراه عقلاء القطر ، وما يتمناه كل ذى مصلحة حقيقية فيه . ولا ريب عندنا ان الأمة تقابل عمل الوفد هذا بمزيد الاستحسان وتتلقى ما تعلمه من اعضاء الوفد بالشكر والامتنان »(١٠١) .

وانطلقت (المقطم) من هذه التطورات المستجدة على القضية المصرية لتشرح مسلسل علاقاتها بالانجليز ، بعد أن وصلت مصر

بالمشروع البريطانى الجديد ، مرحلة جديدة تختلف كلية عما كان عليه الوضع منذ بداية الاحتلال البريطانى ، « فقد كانت مصالح مصر ومصالح اهلها جميعهم فى عهدة الانجليز كل تلك السنين .. وكان الانجليز هم الذين يسهرون عليها ويحمونها ويسالون عنها . وهم الذين يديرونها ويديرون شئون القطر على الوجه الذى يختارونه لترقيتها ، وهم الذين يمدحهم العالم على ترقيتها اذا ارتقت ويذمهم على تأخرها وانحطاطها اذا تأخرت وانحطت . فكأن المصالح المصرية كانت فى عداد المصالح البريطانية بهذا الاعتبار أو من هذا القبيل . و (المقطم) كان — ولايزال — يعتقد أن الانجليز مخلصون فى غيرتهم على خير مصر ، وراغبون فعلا فى ترقية مصالحها وانه لا خوف على مصالحها منهم . واذا بدر منهم قصور او وقع خطأ فى بعضها فما ذلك عن سوء قصد منهم ولكن الانسان عرضة للقصور والنقصان ، والكمال لله وحده . ولذلك كانت سياسة (المقطم) مبنية على اعتقاده هذا ، وخطته مطابقة لحسن ظنه بالانجليز ولثقته بصدق مقاصدهم . وكان مبدؤه تقوية روابط الثقة بينهم وبين المصريين . وحض المصريين على شد أزرهم فى تدبير شئون مصر حبا بخير اهلها وترقية لمصالحها . فخالف (المقطم) باتباعه مبداه هذا سياسة كثيرين من الذين كانوا يرون أن مراقبة الانجليز لحكومة مصر وبقاء مصالح مصر فى عهدتهم ، ضرر على مصر واهلها وتعطيل لمصالحهم . وكانوا يذمون ما يمدحه (المقطم) ويعارضون فى سياستهم سياسة (المقطم) . ويوهمون العامة بان (المقطم) لا يدافع عن مصالح مصر ، وانما يدافع عن مصالح الانجليز ، وهى تهمة اقل ما يقال فيها ان الوهم سداها والباطل لحمتها ، اذ اقوال (المقطم) كلها تثبت ان غرضه انما كان الدفاع عن مصالح مصر المنوط بالانجليز حفظها وترقيتها والسهر عليها . هذا ما كان منا حتى جد الاتفاق الذى اهتزت له مصر اليوم وستصبح مصر بمقتضى هذا الاتفاق ، متى تم ، مستقلة بامورها

عن انجلترا ، وتصبح مصالح مصر خارجة عن عهدة الانجليز وملقاة على عاتق اهلها .. ولما كان مبدأ (المقطم) خدمة مصر بالحق وترقية مصالحها بالصـــدق فمبدؤه هذا سيقضى عليه أن يناقش الانجليز حساب كل علاقة بين مصر وبينهم ، كما يناقش غيرهم بلا فرق ولا تمييز وان يدافع عن مصالح مصر ، فى كل حساب أو اتفاق يقع بين مصر وبينهم ، ولا يراعى فى الدفاع عن مصالح مصر وخير أهلها رضا كبير أو صغير بل يقوم بالواجب عليه علما منه انه بخدمة مصالح مصر واهلها يخدم نفسه واصحابه وأولادهم وعيالهم الذين هم من جملتهم »(١٠٢) .

وقامت بنشر ما يرد اليها من القراء حول المشـــــروع تحت عنوان « الآراء فى مشروع الاتفاق » . كما قدمت شروحا لبنود المشروع ، وقالت ان « مصر تنال بالمعاهدة اكثر الأمانى الجلى التى كانت تتمناها وكان معظم الناس لا يكادون يؤملون تحقيقها ، لأن مصر تصبح بعد هذه المعاهدة دولة مستقلة ملكية دستورية حائزة لجميع مزايا الاستقلال » . وهذا لا يعنى — كما تقول — عدم وجود مادة أو مادتين فى المشروع بحاجة الى امعان النظر فيهما من كل وجوههما وجلاء حقيقتهما للأمة(١٠٣) . وبعد أن نشرت العديد من آراء الجمهور حول المشروع قالت ، اما « الآراء التى جاءتنا مقرونة بالتحفظات فكثيرة جدا .. وأما رسائل المعارضة فأقل جدا مما تقدم »(١٠٤) ، وأن جميع الرسائل « طافحة بالاعراب عن الثقة بالوفد والشكر له على جهاده العظيم»(١٠٥) . وكانت نتيجة هذه الاستشارة ان فريقا من المصريين وخاصة الحزب الوطنى قد أعلن رفضه التام للمشروع ، وفريقا حبذ قبوله ، ولكن الاتجاه العام كان يميل الى قبوله ان عدل على اســـــاس (تحفظات) مختلفة(١٠٦) . وغادر اعضاء الوفد مصر الى باريس فى اوائل اكتوبر ١٩٢٠ . وهناك اوفد اللورد ملنر مندوبا خاصا لدعوة الوفد

الى موافاته بلندن لاتمام المفاوضات ، وعلى ذلك قرر الوفد تلبية الدعوة ، وان يصحبه عدلى باشا يكن ، فسافر أعضاء الوفد الى لندن على دفعتين(١٠٧) .

وعلقت (المقطم) على بدء الجولة الثانية من المفاوضات بقولها ، ان موقف الوفد فى زيارته الثانية للندن اثبت وأمتن من موقفه فى زيارته الأولى بعد الذى ظهر من شعور الأمة المصرية والرأى العام البريطانى فى مشروع الاتفاق ورغبة الفريقين فى التفاهم وتوطيد قواعد الوئام والسلام « وعندنا أنه مادام الاخلاص رائد الفريقين فيما يسعيان له من الاتفاق لمصلحة مصر وبريطانيا العظمى فلا يعجزان عن الوصول الى صيغ تعبر عن مرامى التحفظات التى حملها المندوبون معهم فى هذا القطر »(١٠٨) . ولكن الرياح جرت بما لا تشتهى سفينة (المقطم) ، فقد قطعت المفاوضات يوم ٩ نوفمبر ١٩٢٠ ، فى اجتماع عاصف عقد بين أعضاء الوفد ولجنة ملنر حيث تلا اللورد ملنر مذكرة صرح فيها بعدم قبول المناقشة فى (التحفظات) التى ابدتها الامة المصرية ، وترك المجال مفتوحا لمناقشاتها فى مفاوضات رسمية(١٠٩) . ولكن الوفد يغادر لندن عائدا الى باريس ، وهناك يجتمع بكامل هيئته ويقرر الا يدخل المفاوضات الرسمية على اساس مشروع ملنر قبل تعديل هذا الأساس بالتحفظات التى أبدتها الأمة(١١٠) .

الخلافات داخل الوفد :

ظهرت الخلافات والانقسامات بوضوح فى صفوف أعضاء الوفد خلال فترة تواجدهم فى باريس ، وأدى الى تفاقمها « فساد العلاقة بين سعد رئيس الوفد وعدلى يكن ، الذى كان يقوم بدور الوساطة بين الوفد ولجنة ملنر »(١١١) . وأشارت (المقطم) الى ما تتداوله بعض الصحف فى كل من مصر وبريطانيا ، حول الخلافات

بين رئيس الوفد وعدد من اعضائه(١١٢) . ورددت اصداء الترحيب الذى استقبل به عدلى لدى عودته الى مصر ، ونشرت التلغرافات التى تشيد بجهوده فى خدمة القضية الوطنية ، مع الوفد المحبوب وسائر اعضائه الذين « ضحوا معكم كل مرتخص وغال فى تحقيق رغبات الأمة »(١١٣) . ودعت (المقطم) الى عدم الاستعجال فى اصدار الأحكام القاطعة على هذا الطرف او ذاك ، فالمسألة المصرية خطيرة الشأن ويتوجب أن يكون الموقف فيها « موقف تعاون على تحقيق مصلحة مصر القائمة على مشيئة شعبها وضمان هذه المصلحة بخير ما تضمن به مصالح الشعوب »(١١٤) .

وقد ادت الخلافات الناشبة داخل الوفد الى عودة عدد من اعضائه الى القاهرة ، وهم : احمد لطفى السيد ومحمد على علوبة ومحمد محمود وحمد الباسل وعبد العزيز فهمى ، فتقول (المقطم) ، ان الآراء « قد تضاربت فى الغرض من قدوم حضرات الأعضاء القادمين وكثر القال والقيل . وعندنا ان خير ما يفعله الجمهور الآن انتظار وصول حضراتهم والبيان الذى ينشرونه على الأمة فى موضوع مهمتهم »(١١٥) . وبعد وصولهم واعلانهم التمسك بالغاء الحماية وبجميع تحفظات الأمة قالت انها « مصلحة مصر فاحرصوا عليها ولا تدعوها عرضة للخسارة او الضياع فقد قطعت الأمة كبرى المراحل ولم يبق سوى صغراها ، ولكنها لا تقطعها بسلام الا اذا ظل الاتحاد شعارها والتعاون رائدها »(١١٦) ونشر هؤلاء الأعضاء وزملاؤهم الذين يقيمون فى مصر بيانا الى الامة يؤكدون فيه على وحدة الوفد تحت قيادة الرئيس الجليل .

ولم يكن الامر فى حقيقته متفقا مع ما اذاعه اعضاء الوفد ، فقد كانت الخلافات عميقة وكان سعد قد ودع زملاءه بشعور الغيظ والأسف ، واراد ان يسبق الأعضاء العائدين الى القاهرة فى اخذ

المبادرة لنفسه وحتى يسمم الجو امامهم فى مصر فارسل تلغرافه المشـــهور (نبتت فكرة) الذى يحذر فيه أعضـــاء لجنة الوفد المركزية من ان العائدين يرون الدخول فى مفاوضات مع الحكومة البريطانية بعد تشكيل حكومة مصرية موثوق بها بلا شرط ولا قيد . وقد كان لهذه البرقية ابلغ الأثر فى توسيع هذه الخلافات بل انها كانت من العوامل الرئيسية التى دفعت هؤلاء الأعضاء وغيرهم الى تأييد عدلى يكن فى خلافه مع سعد زغلول وتخليهم فيما بعد عن عضوية الوفد المصرى(١١٧) . ولم تتدخل (المقطم) مباشرة فى الحديث عن هذه الخلافات وبواعثها ، ولكنها نشرت أقوال الصحف البريطانية مثل (المورننج بوست) و (التايمز) اللتين تحدثتا عن انفصال هؤلاء الأعضاء ونفاد اموال الوفد واكتشاف « ان لا فائدة ترجى من الاستمرار على القواعد التى يصر زغلول باشا على اتباعها »(١١٨) .

في هذه الأثناء ، قدم ملنر تقريره الى حكومته ، التى سمحت بنشره فى ١٩ فبراير سنة ١٩٢١ ، وقد أوردت (المقطم) ابرز الافكار التى تضمنها التقرير وقالت انه « منحى جديد فى سياسات الشعوب » ، وســـــيكون « علما يهتدى به فى فيافى السياسة الدولية » . ودعت اقران ملنر من أعضاء الوزارة البريطانية الى الاقتداء به « فيواصلوا السعى للتوفيق بين البلدين ويحكموا بناء صرح الشرق الأوسط على عواطف الولاء والصداقة بين الشعب المصـــرى الناهض المطالب بحقوقه والشعب البريطانى »(١١٩) . والواقع أن هذا التقرير يعتبر وثيقة سياسية بارعة ترسم الأسباب التى ادت الى الحركة المصرية فى سنة ١٩١٩ بصراحة ودقة ثم ترسم السياسة التى يجب على الحكومة البريطانية ان تتبعها فى مصر(١٢٠) . فقد كانت هى المرة الأولى التى تثمن فيها الحركة الوطنية المصرية بصدق من قبل هيئة بريطانية رسمية(١٢١) . وقد

راى ملنر بوضوح ان الامبراطورية البريطانية لا تستطيع الاحتفاظ بمصالحها الحيوية وهى تواجه العداء الدائم من الشعب المصرى وأن عليها ان تفوز بثقته الى حد ما(١٢٢) . وعلى اثر دراسة الوزارة البريطانية — وزارة المستر لويد جورج — تقرير اللورد ملنر قررت اعتبار الحماية التى اعلنتها على مصر علاقة غير مرضية ، ودعوة مصر الى الدخول فى مفاوضات رسمية ، وقد ابلغ اللورد اللنبى هذا القرار الى السلطان فؤاد فى خطاب ارسله اليه فى ٢٦ فبراير سنة ١٩٢١ . وكان هذا الاعتراف حجة جديدة كسبتها مصر فى ميدان النضال(١٢٣) . لكن هذا التبليغ له الى جانب هذه الصورة القانونية البحتة صورة عملية . فهو يطلب الى مصر ان تعد المدة لاقامة علاقاتها مع انجلترا على اساس جديد . وهو يطلب الى صاحب العرش فى مصر ان يعين من يتولى المفاوضة لتصوير هذا الأساس الجديد وتفصيله . ولن يتولى ذلك الا وزارة تكون موضع ثقة الأمة التى اظهرت — فى غير لبس و لاايهام — انها لن ترضى عن استقلالها بديلا(١٢٤) . وكانت وزارة عدلى الذى كلف بتشكيلها فى ١٦ مارس ١٩٢١ بضغط من المندوب السامى البريطانى ، نظرا لأن بريطانيا املت فيه الوصول الى توقيع المعاهدة نظرا لاتساق فكره مع مسلكه ومساعيه ايا كان نوعها(١٢٥) . والظاهر ان ما قام به عدلى باشا يكن من وساطة بين لجنة ملنر والوفد المصرى وما بذله من جهد فى اثناء مباحثات الهيئتين ، للتوفيق بينهما وتذليل الصعوبات ، رشحه فى نظر الحكومة الانجليزية ليكون الزعيم المصرى الذى يقبل التسوية فى جوهرها(١٢٦) .

وقد دفعت هذه التطورات برمتها سعدا الى التفكير الجدى فى العودة الى مصر ، فنراه يقول لسكرتيره محمد كامل سليم ان المعركة كلها قد انحصرت داخل مصر فلا معنى لبقائنا هنا فى باريس ولا يمكن ان ادير معركة بالبرقيات الموجزة الغالية الثمن

او الرسائل المطولة التى لا يقرؤها الا اصحابها ومن حولهم من الأصدقاء . ما هكذا يكون الكفاح ولا هكذا تدار المعارك(١٢٧) ، فقد صدمته هذه الأخبار — كما يقول الجود — وهو فى باريس لأنه كان يعتبر نفسه الممثل الوحيد للشعب ، فأدرك حقيقة الموقف واعلن بدء الحرب(١٢٨) . وبقرار سعد زغلول العودة الى مصر تبدأ صفحة جديدة فى الكفاح الوطنى للشعب المصرى فى نضاله من أجل اهدافه القومية .

* * *

وهكذا ، فعندما انطلقت الثورة كانت (المقطم) ماتزال وفية لنهجها الاحتلالى القديم ، فرأت فيها فتنة شديدة ونكبة كبرى ، وفى مشعلى نيرانها رعاعا همهم السلب والنهب والتخريب ، وعندما بدأت تتحدد ابعادها وتتضح آثارها تجاوبت (المقطم) معها الى حدما ، وتحدثت عن مشيئة الامة ورغباتها . ولكنها ، بالرغم من التجاوب المحدود ، فقد ظلت فيما تكتبه ، منسجمة مع السياسة البريطانية وفق المتغيرات الجديدة التى طرات على الموقف البريطانى ازاء مصر والدور الذى لعبته الثورة المصرية فى احداث هذه المتغيرات دون أن تغفل بالطبع ما فرضته هذه المتغيرات من اهتمام بالامانى القومية المصرية .

هوامش الفصل الخامس

(١) عبد الخالق لاشين ، سعد زغلول ودوره في السياسة المصرية ، دار العودة ، بيروت ، ومكتبة مدبولى ، القاهرة ، ١٩٧٥ ، ص ١٩٩ .

(٢) عبد الرحمن الرافعي ، ثورة ١٩١٩ ، جـ ١ ، مؤسسة دار الشعب ، القاهرة ، ١٩٦٨ ، ص ١١٧ .

(٣) المقطم ١١ مارس ١٩١٩ .

(٤) Young, George, Egypt, London, 1930, P. 239.

(٥) Marshall, J.E. The Egyptian Enigma 1890 — 1928, London, 1928, P. 28.

(٦) المقطم ١٢ مارس ١٩١٩ .

(٧) عبد العظيم رمضان ، تطور الحركة الوطنية في مصر ١٨ ـ ١٩٣٦ ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٨ ، ص ١٢٥ .

(٨) عباس محمود العقاد ، سعد زغلول سيرة وتحية ، مطبعة حجازى ، القاهرة ، ١٩٣٦ ، ص ٢٢٨ .

(٩) المقطم ١٤ ـ ١٥ مارس ١٩١٩ .

(١٠) عبد الخالق لاشين ، سعد زغلول ، ص ٢١٠ .

(١١) عاصم عبد المطلب ، دور الطلبة المصريين في الحركة الوطنية ١٩١٩ — ١٩٥٢ ، رسالة دكتوراه ، غير منشورة ، آداب القاهرة ، ١٩٧٨ ، ص ٤٨ .

(١٢) المقطم ٢١ مارس ١٩١٩ .

(١٣) المقطم ٢٤ مارس ١٩١٩ .

(١٤) عبد العظيم رمضان ، تطور الحركة الوطنية ، ص ١٤٤ .

(١٥) عباس العقاد ، سعد زغلول ، ص ٢٢٩ .

(١٦) عاصم محروس عبد المطلب ، دور الطلبة المصريين ، ص ٥١ .

(١٧) عبد الخالق لاشين ، سعد زغلول ، ص ٢١٨ .

(١٨) عبد الرحمن الرافعى ، ثورة ١٩١٩ جـ ١ ، ص ١٦٦ .

(١٩) المقطم ٢٦ مارس ١٩١٩ .

(٢٠) Lloyd, Lord, Egypt Since Cromer, Vo. 1, London, 1933, PP. 302 — 303.

(٢١) مؤسسة الأهرام ، ٥٠ عاما على ثورة ١٩١٩ ، ص ٢٨٥ .

(٢٢) عبد الخالق لاشين ، سعد زغلول ، مرجع سابق ، ص ٢٢٨ .

(٢٣) عبد العظيم رمضان ، تطور الحركة الوطنية ، ص ١٤٩ .

(٢٤) عبد الرحمن الرافعى ، ثورة ١٩١٩ ، جـ ١ ، ص ١٧١ ، ١٧٢ .

(٢٥) المقطم ٣ ابريل ١٩١٩ .

(٢٦) المارشال ويفل ، اللنبي فى مصر ، ترجمة على ابراهيم الأقطش ومصطفى كامل فودة ، مكتبة مدبولى ، القاهرة ، د.ت ، ص ٤٤ .

(٢٧) Newman, E.W. Polson, Great Britain in Egypt, London, 1928, P. 223.

(٢٨) المقطم ٨ ابريل ١٩١٩ .

(٢٩) المقطم ٩ ابريل ١٩١٩ .

(٣٠) يونان لبيب رزق ، تاريخ الوزارات المصرية ، ص ٢٠٩ — ٢١٠ .

(٣١) المقطم ١٠ ابريل ١٩١٩ .

(٣٢) المقطم ١١ ابريل ١٩١٩ .

(٣٣) عبد الرحمن الرافعى ، ثورة ١٩١٩ ، جـ ٢ ، مؤسسة دار الشعب ، القاهرة ، ١٩٦٩ ، ص ١٠ .

(٣٤) المقطم ٣٠ ابريل ١٩١٩ .

(٣٥) Chirol, Sir, Valentine, The Egyptian problem, London, 1920, P. 205.

(٣٦) عبد الرحمن الرافعى ، ثورة ١٩١٩ ، جـ ٢ ، ص ٢٥ .

(٣٧) المقطم ٢٣ مايو ١٩١٩ .

(٣٨) المقطم ٢٤ مايو ١٩١٩ .

(٣٩) المقطم ١٠ يونيو ١٩١٩ .
(٤٠) المقطم ١٠ يوليو ١٩١٩ .
(٤١) المقطم ١١ يوليو ١٩١٩
(٤٢) المقطم ٢٦ يونيو ١٩١٩ .
(٤٣) المقطم ١ يوليو ١٩١٩ .
(٤٤) عبد الرحمن الرافعي ، ثورة ١٩١٩ ، ج ٢ ، ص ٣١ .
(٤٥) المقطم ١٢ يوليو ١٩١٩ .
(٤٦) المقطم ١٤ يوليو ١٩١٩ .
(٤٧) المقطم ١٦ يوليو ١٩١٩ .
(٤٨) عبد الرحمن الرافعي ، ثورة ١٩١٩ ، ج ٢ ، ص ٣١ .
(٤٩) خليل صابات وسامي عزيز ويونان لبيب رزق ، حرية الصحافة في مصر ، مكتبة الوعي العربي ، القاهرة ، ١٩٧٢ ، ص ٣٢٢ — ٣٣٥ .
(٥٠) المقطم ١٣ اغسطس ١٩١٩ .
(٥١) محمد أنيس ، دراسات في وثائق ثورة ١٩١٩ ، ج ١ ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٣ ، ص ٣٦ — ٣٧ .
(٥٢) المقطم ٢٣ سبتمبر ١٩١٩ .
(٥٣) المقطم ١٩ اغسطس ، ٣٠ اغسطس ، ١ سبتمبر ، ٢ سبتمبر ١٩١٩ .
(٥٤) محمد أنيس ، دراسات في وثائق ثورة ١٩١٩ ، ص ١٢ .
(٥٥) Zayrd, M.U. Egypt's Struggle for Independence, Beirut, 1965, P. 88.
(٥٦) مؤسسة الاهرام ، ٥٠ عاما على ثورة ١٩١٩ ، ص ٣٨٥ .
(٥٧) المقطم ٨ اكتوبر ١٩١٩ .
(٥٨) عبد العظيم رمضان ، تطور الحركة الوطنية ١٨ — ٣٦ ، ص ٢٢٦ .
(٥٩) المقطم ٣١ اكتوبر ، ١ نوفمبر ١٩١٩ .
(٦٠) المقطم ٧ نوفمبر ١٩١٩ .
(٦١) المقطم ١٧ نوفمبر ١٩١٩ .
(٦٢) المقطم ١٨ نوفمبر ١٩١٩ .
(٦٣) محمد أنيس ، دراسات في وثائق ثورة ١٩١٩ ، ص ٥٠ — ٥١ .
(٦٤) عبد العظيم رمضان ، تطور الحركة الوطنية ، ص ٢٢٩ .
(٦٥) يونان لبيب رزق ، تاريخ الوزارات المصرية ، ص ٢١٧ .

(٦٦) المقطم ٢٦ نوفمبر ١٩١٩ (محمد توفيق السيد أباظة) .
(٦٧) المقطم ٢٧ نوفمبر ١٩١٩ (على الجوهرى — قلبوب) .
(٦٨) المقطم ٦ ديسمبر ١٩١٩ .
(٦٩) المقطم ٩ ديسمبر ١٩١٩ .
(٧٠) المقطم ١١ ديسمبر ١٩١٩ .
(٧١) المقطم ١٣ ديسمبر ١٩١٩ .
(٧٢) المقطم ١٥ ديسمبر ١٩١٩ .
(٧٣) عبد الرحمن الرافعى ، ثورة ١٩١٩ ، ج ٢ ، ص ٧٨ — ٧٩ .
(٧٤) محمد انيس ، دراسات فى وثائق ثورة ١٩١٩ ، ص ٤٥ .
(٧٥) المقطم ١٦ ديسمبر ١٩١٩ .
(٧٦) المقطم ٣ يناير ١٩٢٠ .
(٧٧) محمود ابو الفتح ، المسألة المصرية والوفد ، القاهرة ، د.ت ، ص ٢٣٥ .
(٧٨) Chirol, Sir Valentine, Op. Cit., PP. 263 — 364.
(٧٩) المقطم ٣ مارس ١٩٢٠ .
(٨٠) Elgood, P.G. The Transit of Egypt, London, 1928, PP. 254 — 255.
(٨١) عبد الرحمن الرافعى ، ثورة ١٩١٩ ، ج ٢ ، ص ٩٣ .
(٨٢) المارشال ويفل ، اللنبى فى مصر ، ص ٦٥ .
(٨٣) عبد الرحمن الرافعى ، ثورة ١٩١٩ ، ج ٢ ، ص ٩٥ .
(٨٤) عبد الرحمن الرافعى ، ، ص ٩٦ .
(٨٥) عبد العظيم رمضان ، تطور الحركة الوطنية ، ص ٢٧٤ .
(٨٦) المقطم ٢٢ مايو ١٩٢٠ .
(٨٧) محمود أبو الفتح ، المسألة المصرية والوفد ، ص ٢٣٤ .
(٨٨) المقطم ٢٧ مايو ١٩٢٠ .
(٨٩) المقطم ٥ يونيو ١٩٢٠ .
(٩٠) المقطم ١٢ مايو ١٩٢٠ .
(٩١) أحمد شفيق ، حوليات مصر السياسية ، تمهيد ، ج ١ . مطبعة شفيق باشا ، القاهرة ، ١٩٢٦ ، ص ٧٠٩ .
(٩٢) المقطم ١٦ يونيو ١٩٢٠ .
(٩٣) المقطم ١٧ يونيو ١٩٢٠ .

(٩٤) المقطم ٥ يوليو ١٩٢٠ .

(٩٥) المقطم ٩ يونيو ١٩٢٠ .

(٩٦) المقطم ١٤ يوليو ١٩٢٠ .

(٩٧) المقطم ١٦ يوليو ١٩٢٠ .

(٩٨) عبد العظيم رمضان ، تطور الحركة الوطنية ، ص ٢٩٤ .

(٩٩) محمد شفيق غربال ، تاريخ المفاوضات المصرية البريطانية ، ج ١ ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٢ ، ص ٨٣ .

(١٠٠) عبد الرحمن الرافعى ، ثورة ١٩١٩ ، ج ٢ ، ص ١٠٦ .

(١٠١) المقطم ٢١ أغسطس ١٩٢٠ .

(١٠٢) المقطم ١١ سبتمبر ١٩٢٠ .

(١٠٣) المقطم ١٥ سبتمبر ١٩٢٠ .

(١٠٤) المقطم ٢٣ سبتمبر ١٩٢٠ .

(١٠٥) المقطم ٢٤ سبتمبر ١٩٢٠ .

(١٠٦) محمد شفيق غربال ، تاريخ المفاوضاب المصرية — البريطانية ، ص ٧٧ .

(١٠٧) عبد الرحمن الرافعى ، ثورة ١٩١٩ ، ج ٢ ، ص ١٢١ .

(١٠٨) المقطم ١٤ أكتوبر ١٩٢٠ .

(١٠٩) مؤسسة الاهرام ، ٥٠ عاما ثورة ١٩١٩ ، ص ٤٨٠ .

(١١٠) عبد الرحمن الرافعى ، ثورة ١٩١٩ ، ج ٢ ، ص ١٤٢ .

(١١١) مؤسسة الاهرام ، ٥٠ عاما على ثورة ١٩١٩ ، ص ٤٤٨ .

(١١٢) المقطم ٢٧ أكتوبر ١٩٢٠ .

(١١٣) المقطم ١ ديسمبر ١٩٢٠ .

(١١٤) المقطم ١٨ ديسمبر ١٩٢٠ .

(١١٥) المقطم ٢٤ يناير ١٩٢١ .

(١١٦) المقطم ٢٧ يناير ١٩٢١ .

(١١٧) مؤسسة الاهرام ، ٥٠ عاما على ثورة ١٩١٩ ، ص ٤٤٩ .

(١١٨) المقطم ٤ فبراير ١٩٢١ .

(١١٩) المقطم ٢٢ فبراير ١٩٢١ .

(١٢٠) محمد حسين هيكل ، مذكرات فى السياسة المصرية ، ج ١ ، مكتبة

النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٥١ ، ص ١١١ .

(١٢١) Zayid, M.Y., Egypt's Struggle For Independence, Op. Cit., P. 92.

(١٢٢) Berque, Jacques, Egypt : Imperialism and Revolution, London, 1972, P. 318.

(١٢٣) عبد الرحمن الرافعى ، ثورة ١٩١٩ ، ج ٢ ، ص ١٤٧ — ١٤٨ .

(١٢٤) محمد حسين هيكل ، مذكرات فى السياسة المصرية ، ج ١ ، ص ١١٥ .

(١٢٥) عبد الخالق لاشين ، سعد زغلول ، ص ٢٢١ .

(١٢٦) محمد شفيق غربال ، تاريخ المفاوضات ، ص ٨٢ .

(١٢٧) محمد كامل سليم ، أزمة الوفد الكبرى سعد وعدلى ، كتاب اليوم ، دار أخبار اليوم ، القاهرة ، ١٩٧٦ ، ص ١٨٧ .

(١٢٨) Elgood, P.G., The Transit of Egypt, Op. Cit., PP. 277 — 278.

الفصـــل الســـادس

المقطم وتصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢

معـــركة ســـــعد وعدلى :

شاركت (المقطم) فى الابتهاج العام بعودة سعد ، واستمداد الأمة لاستقباله كابن كريم من أبنائها الذين انجبتهم مصـــــر لخير مصر(١) . وكتبت يوم وصوله تقول ان الأمة المصرية قد ضفرت هذه الأيام « أكاليل الغار واخذت تضعها على مفارق الذين تريد تكريمهم اعترافا منها بفضلهم وجميل سعيهم وصـــدق خدمتهم .. واليوم تضع الأمة اكليلا خالدا من هذه الأكاليل على مفرق ابن كريم من أبنائها المجاهدين وتكرم معه كل مجاهد فى خدمتها وكل مدافع عن قضيتها .. وترحب مصر اليوم برئيس وفدها ورافع صوتها فى مشارق الأرض ومغاربها »(٢) . وقالت ان استقبال الاسكندرية لسعد سيظل « فى تاريخها مذكورا بجلال حفـــــلاته مأثورا بعظم وقائعه ، وسيحدث الذين شهدوه الذين سمعوا بخبره ، فيصفون لهم ما رسخ فى اذهانهم من صور الجلال ومظاهر البهجة والسرور، وآيات الاتحاد التى تتجلى به عظمة الشعوب »(٣) . ونشـــــرت نصوص الخطب التكريمية التى القيت احتفالا بقدوم سعد وخطابه الذى رد به على مستقبليه وقال فيه : ما سعد وأصحابه بالأنبياء فيكم اتوا بالمعجزات ، ولا هم بأولياء أتوا بمكرمات بينكم ولكنهم افراد منكم وهم خدام مبادئكم . ووصفت استقبال القاهرة لسعد بانه « يوم القاهرة العظيم حيث اجتمعت مصر فى القاهرة لتكريم

أبن مصر الكريم وطاب فيها الاجتماع فكانت العاصمة القطر ، وكأن القطر العاصمة فى كل مدينة من مدنه وقرية من قراه ، مثل ما فيها من الشعور والعواطف »[٤] . ولم تكن (المقطم) مبالغة فى وصفها لاستقبال مصر لسعد ، فقد اتفق كل الذين كتبوا عن ذلك اليوم بأن الاستقبال كان منقطع النظير ، خرج فيه الشعب عن بكرة ابيه لتحية رئيس الوفد والهتاف باسمه بما لم تشهد له مصر نظيرا فى تاريخها من قبل[٥] .

وقد ملك سعد ناصية الموقف من ساعة وصوله الى شاطىء الاسكندرية وثبت فى عالم العيان لمن كان فى شك من الأمر أن هذا الرجل اقوى قوة فى سياسة مصر القومية ، وأن كل اتفاق بين مصر وانجلترا يتم على الرغم من هذا الرجل او مع اغفال شأنه وتهوين خطره مستحيل[٦] . وقد بدأ سعد فور عودته بالتباحث مع الوزارة حول الشروط التى يقبل على اساسها اشـــــتراكه فى المفاوضات الرسمية ، وتتمثل هذه الشروط بأن تكون الغاية من المفاوضات الوصول الى الغاء الحماية بوجه عام وتحقيق الاستقلال الدولى والداخلى لمصر ، والغاء الأحكام العرفية ، وأن تكون للوفد اغلبية المفاوضين وكذلك الرئاسة . ولم يكن ثمة خلاف بين سعد وعدلى على الشرطين الأول والثانى ، أما عن الشرط الثالث وهو الخاص بالغاء الأحكام العرفية والرقابة على الصـــحف قبل البدء بالمفاوضات ، فلم يكن فى مقدور الوزارة الغاء الأحكام العرفية ، لأن هذه الأحكام قد أعلنت بقرار من السلطة العسكرية البريطانية ، فكان لابد من موافقة هذه السلطة على رفعها اما الشرط الرابع المتمثل بالرئاسة ، فقد شكل الخلاف الجوهرى بينهما[٧] .

وتابعت (المقطم) قصة الخلاف منذ بدايته ، وحاولت أن تظهر بمظهر المحايد بين الطرفين ، وأن تكون عادلة فى الاهتمام بأفكار

كل طرف منهما وبياناته ، وركزت على الدعوة الى الاتحاد والرجوع الى الامة . فنراها تقول : « لدى الأمة المصـــرية اليوم بيانان خطيران تاريخيان احدهما لوزارة الثقة وآخر للوفد المصرى بلسان معالى رئيسه ، وبيت القصيد فيهما انهما يدوران على محور واحد ، وهو أن الأمة هى المرجع الأعلى فى مصيرها ولها دون سواها القول الفصل فى تقرير هذا المصير »(٨) . ودعت الى مواجهة الأزمة التى بدأت بالتصاعد بين الوفد والوزارة باستخدام «الحصافة والدراية وسـعة الصدر وبعد النظر » فان « لكل من هاتين الهيئتين ماضيا يشـهد لهما بالجهاد العظيم فى خدمة مصر وسكانها والدفاع عن القضية المصرية ، وكل منهما مؤلف من افراد عرفوا بطول الباع وبعد النظر وصدق الوطنية »(٩) . وقالت اننا ندع مسألة تأليف الوفد الرسمى والخطة التى تتبع فى ذلك وكيفية ادارة المفاوضات « لحكمة اقطابنا الذين وضـــعت الأمة ثقتها فيهم »(١٠) ، فالغاية العظمى يجب الا تكون موضع خلاف مادام الوفد والوزارة العدلية يعلنان التزامهما بما تقرره الأمة(١١) . ولكن (المقطم) سرعان ما تخرج عن حيادها بعد اعلان سعد اصراره على موقفه من مسألة الرئاسة بقولها : « ويرى بعض الذين ذاكرونا فى هذا الموضوع على أثر ما سمعوه من تصريح معاليه أن العرف المرعى بين الدول لا يجيز أن تكون الرئاسة لغير الوزارة اذا كانت داخلة فى المفاوضات ومهما يكن من الامر فالقضية المصرية قضية جدية لا يجوز تأجيلها لاعتبارات كالاعتبارات المتقدمة »(١٢) .

وحاولت (المقطم) التقليل من شأن منصـــب رئاسة الوفد الرسمى « فرئيس الوفد الرسمى يجب ان لا تكون سلطته اكثر من سلطة زملائه ، فلا يبرم ولا يحل الا باجماع الهيئة وبموافقة اغلبيتها، وليس له أن ينطق بلسانها من غير رضاها . فهو والحالة هذه عنوان سلطة الوفد ، ولكنه ليس بصاحب هذه السلطة وليس له

أن يستأثر بها » . وأما سعد « هذا الرجل الفرد الذى صار اسمه عنوانا للنهضة المصرية واحبته الامة حبا يقرب من العبادة فجعلته رجلها الأوحد وبطلها الامجد ، ان هذا الرجل نال فى القلوب مرتبة سامية ليس فوقها مرتبة ، فكل منصب يتقلده انما يكون دون هذه المرتبة التى له فى القلوب . وله فى شخصيته ما يجعله عديم الند والنظير » . وبناء عليه ، فانه يلزم اتباع ما هو معروف من الأصول المرعية التى « يحافظ المشتغلون بالسياسة عليها أتم محافظة تفاديا من وقوع الاشكال وتكراره »(١٣) . وهى تقصد بذلك أن يتولى رئيس الوزارة رئاسة الوفد الرسمى . ودعت سعدا صراحة الى التخلى عن مطالبه بقولها : « والامة ولها الحق تنتظر من سعد أكثر مما تنتظر من سواه ابداء اخلاصه لأنها منحته ما لم يمنحه أحد من قبل فما أولاه أن يضحى شيئا طفيفا ذاتيا ان وجبت التضحية لانقاذ بلاده ومقابلته جميل الأمة بمثله »(١٤) .

ونشرت بيان بعض أعضاء الوفد الذين يحتجون فيه على تفرد سعد باتخاذ المواقف المعارضة لاجماع الوفد وخاصة فيما يتعلق باعلانه عدم الثقة بالوزارة ، مؤكدين من ناحيتهم ثقتهم بوزارة عدلى(١٥) . كما أبدت الاقتراحات الداعية لرأب الصدع التى تقدم بها عدد من الشخصيات والهيئات . ولكن الضجة التى رافقت انزعاج الأمة وانقسامها أضاعت معها « الكثير من الاقتراحات والأصوات التى سعت لحسم الخلاف بما لا يضيع على الأمة حقا من حقوقها »(١٦) . وتساءلت الصحيفة قائلة « أين محبو وطنهم ؟ وأين أصحاب الكلمة المسموعة فى هذا الوطن ؟ وأين أرباب العقول الراجحة والآراء الناضجة ؟ وأين ذوو الحمية والغيرة القومية يجمعون الشمل ويرأبون الصدع ؟ »(١٧) .

وقالت انه « لو صرف المشتغلون بقضية مصر اليوم هذا الجدل الذى ينفقونه فى تسويغ ما يفعله كل فريق منهم وما يراه ، لو

صرفوه فى راب الصدع وجمع الشمل لكان لهم من القوة ما يذلل الصعاب ويلاشى العقبات ويجعل مصر بمأمن من مغبة الخلاف وعواقب الشقاق »(١٨) .

ودعت المصريين بعد ازدياد موجة المظاهرات التى تلت اعلان تاليف الوفد الرسمى ، الى ان يصوغوا لمصر تاج الوطنية وان يرفعوا على راسها تاج الوحدة القومية فهى العلاج الناجع وهى الدواء النافع(١٩) .

ونشرت خطاب سعد الى السلطان الذى يستنكر فيه ما يتعرض له المتظاهرون من قمع على ايدى رجال الحكومة الذين « ينكلون بالناس تنكيلا » وبلاغ مجلس الوزراء الذى ينفى ما وصفه بالمزاعم غير الصحيحة لسعد(٢٠) . فقد اشتد الجدال بين الطرفين وسارت جموع المتظاهرين ضد الوزارة ، فتدخل البوليس بالعصى اولا ثم اضطر الى استعمال السلاح عندما قامت المظاهرات تنادى بسقوط يكن الخائن(٢١) . وكان سعد بطبيعة الحال يشجع هذه المظاهرات علنا ويتخذها عنوانا صادقا على تأييد الأمة له ونبذها من لا يسلمون بزعامته(٢٢) .. وكان اشد المظاهرات عنفا فى الاسكندرية التى شهدت اشتباكات بين المصريين والأجانب راح ضحيتها عدد كبير من الفريقين ، واعربت (المقطم) عن اسفها لهذه الحوادث المحزنة ، ورحبت بنداء سعد الذى طالب فيه الجماهير بالهدوء والرزانة فى معاملة الجميع ، ودعت الصحيفة الأجانب الى العمل والتصرف بما تقتضيه مصلحة القطر ، وان يساعدوا فى اطفاء نار ليس فى مصلحة احد اتساع نطاقها وتطاير شررها(٢٣) . ورحبت بما جاء فى بلاغ اللنبى من دعوة المصريين « الى التبصر فى حقائق الأمور واتباع مقتضى الدواعى الوطنية السامية فى تقدير اخلاص سياسة الصداقة حق قدره بين مصر

وبريطانيا » واعتبرتها « دعوة جديرة بالاعتبار » قائلة ان « هذه الحقيقة قد تجلت للمصـــريين والبريطانيين وهى الســـر فى قرار الحكومة البريطانية عدم تقييد الفريقين المتفاوضـــين بقيود وعدم حصر مواضيع البحث رغبة فى ادراك الغاية التى ينشدها الفريقان من انشـاء اتفاق وطيد الدعائم ثابت الاركان »(٢٤) .

وقامت (المقطم) بنشر رسائل التأييد والثقة للوزارة العدلية، وكذلك الرسـائل التى تمتدح خطة سـعد زغلول وتؤيدها بالاضافة الى اخبـــار الوفود القـــادمة من اقاليم البلاد المختلفة تحمل التأييد لكلا الطرفين ، سعد وعدلى ، أو الوفد المصرى والوزارة العدلية ، هذا بعض ما تضمنته تلك الرسـائل ، فعدلى يتصف بعفة النفس والكرامة واحترامه الشديد لنفسه(٢٥) . وســـعد « ملء الافواه والقلوب واسم سعد بين حنايا الضلوع يجله الأمير ويحترمه الكبير ويحبه الصغير »(٢٦) . وثالث يرى أن سلطان سعد مقصور على جماعة قليلة تحرك الجماهير البسيطة بأســـــاليب لا محل لذكرها »(٢٧) .

ولكن سعد فى رأى كاتب رابع هو « وكيل الامة فى المطالبة بالاستقلال التام لوادى النيل » وأنه « خير من وفى لأمته بعهد عاهدها وعاهد الله عليه »(٢٨) . ورسـالة تقدم محاولة توفيقية بين طرفى النزاع تدعو لتأييد الوزارة فى مهمتها التفاوضية مع الحفاظ على زعامة ســـــعد وتوكيله عن الامة حيث لا تناقض بين هاتين الناحيتين قائلة « احفظوا للزعيم مكانه .. ولكن ناصروا من يسعى لخير البلاد »(٢٩) .

ونشرت الصحيفة الاحتجاجات التى انطلقت من سائر الهيئات والاحزاب المصرية ردا على تصريح تشرشل وزير المستعمرات البريطانية الذى اعلن فيه ان الوقت لم يحن بعد لجــلاء الجيوش

البريطانية عن مصر « خشـــية ان يقضى الرعاع فى القاهرة والاسكندرية على حياة الجاليات الأجنبية وينهار صرح الاصلاحات التى تمت على يد الادارة البريطانية » كما تحدثت عن (اجتماع عظيم) عقد فى دار الأمير عزيز حسـن وشـارك فيه سـعد والشخصيات الوطنية ، للاحتجاج على تصريح الوزير البريطانى حيث وقف « صاحب المعالى سـعد باشا واندفع يخطب على الحاضرين وكانوا كلهم آذانا صاغية ، وقد ظل ساعة كاملة يتكلم بصوت جهورى والحاضـرون يؤمنون على كلامه ويقـاطعونه بالاستحسان » وبعد انتهاء الاجتماع ودع الحاضرون سـعدا « بالتصفيق والتهليل .. وانصرفوا جميعا وهم يهتفون لمصـر ولمعالى سعد باشا وللاستقلال التام »(٣٠) .

مفاوضـات عدلى ــ كيرزون :

فى هذه الظروف التعسة من انقسـام الأمة وبعد مذبحة الاسكندرية وتصريح تشرشل السابق ، سافر الوفد الرسـمى برئاسة عدلى باشا من الاسكندرية فى يوم اول يوليو ١٩٢١ ليجرى المفاوضات مع بريطانيا(٣١) . ونشرت (المقطم) وقائع توديع الوفد الرسمى التى تضمنت كلمة لعدلى ردا على تحية الخطباء له(٣٢) ، وكلمة لأحد الكتاب يعرب فيها عن تمنياته بالنجاح لعدلى فى هذه المهمة التى تحملها وقطع بها عهدا بينه وبين الأمة(٣٣ . وتعليقا يقول كاتبه ان « يوم توديع الوفد كان يوما مشـهودا فيه تجلت الوطنية والقومية بأبهى معانيها فان اعلان الثقة العامة بالوفد من جميع طبقات الأمة لا ينكره عاقل .. وهذا المظهر الجليل لم يسبق له مثيل »(٣٤) .

وكتبت الصحيفة فى مقالتها الافتتاحية تقول : « ان الركن الاكبر فى القضية المصرية بل فى قضية كل بلاد من بلدان الشرق الأدنى انما هو اهل البلاد انفسهم وان مصالح المصريين ومستقبلهم

ومستقبل اولادهم من بعدهم هو حجر الزاوية فى كل ما يعمل لادارة شئونهم وتنظيم احكامهم ، وان سائر المصالح ومصالح سائر الناس فى مصر يجب أن تكون تابعة لمصالحهم القومية .. فقد علمنا الاختبار أن السعادة والفوز لا يأتيان من الخارج ، ولكنهما ينشآن من الداخل »(٣٥) فواجب مصر الآن يحتم تعزيز موقف الوفد المفاوض باسم مصر فاذا « نطق بلسانها وجب أن ينطق بلسان فصيح ولفظ صريح يسمعه الانجليز ويقفون منه على مطالب الأمة المصرية الحقيقية اى اقل ما تقبله هذه الأمة للاتفاق مع انجلترا فاذا سعينا الآن لاحباط مساعيه اضعفنا موقفه واستفاد الانجليز مما يرون فينا من الشقاق »(٣٦) ، ففى « يد هذه الأمة أن تشدد ساعد وفدها بما تظهر من حكمة واتحاد كلمة كما ان فى يدها أن تضعف عزيمته ، ويلوح ان الفرصة سانحة اليوم وان الانجليز يريدون حل مشاكلهم الخارجية ليتفرغوا لأمورهم المالية والاقتصادية الداخلية فاذا ايدت الأمة الوفد بما تبدى من التضامن والاتحاد وحسن النية فانها تخدم قضية مصر فى ظرف ملائم خدمة جليلة . وقد لا تسنح هذه الفرصة ثانية الا بعد مدة اخرى »(٣٧) .

ونشرت (المقطم) بيان اعضاء الوفد (المنفصلين) اخيرا ، يشيرون فيه الى خطورة اعتبار بريطانيا العظمى حكما وهى الخصم، وهم يقصدون بذلك المهمة التى كلف بها (مكرم عبيد) من قبل الوفد المصرى لنشر دعاية مضادة لعدلى فى بريطانيا . وكذلك بعثة (سوان) البرلمانية البريطانية التى دعاها سعد لزيارة مصر(٣٨) .

ورد كاتب وفدى على هذا البيان بقوله : « ان المنشقين كانوا من الذين تعرفوا بهؤلاء الأحرار وعدوا الاستعانة بهم غنما كبيرا للبلاد . فما بالهم أصلح الله حالهم انقلبوا يعدونهم مستعمرين ويعدون سعيهم ضارا باستقلالها ؟ »(٩٢) . كما أبدى سعد دهشته

لهذا الموقف المعارض للبعثة البريطانية فى خطاب قال فيه : « عجبا عاجبا من الوزارتين يستحلون ان يلتمسوا من الانجليز الوظائف التى يتربعون فيها والسلطة التى يتصرفون بها فى ارواح اخوانهم ودمائهم وكراماتهم ويعدون كل هذا سائغا فى قانون الوطنية ولكن الشكوى من ارتكاب الظلم الفاحش، من ذلك كله لمن له القدرة على رفعه جريمة لا تغتفر وخيانة وطنية »(٤٠) .

والى جانب ما كانت الصحيفة تنشره من خطب سعد التى يلقيها امام زائريه والمحتفلين به والرسائل المؤيدة لسياسته ، كانت تنشر ايضا الرسائل المؤيدة للوزارة والتى تهاجم سعدا بضراوة ، ومن ذلك ما جاء فى احداها « نعلنك باستيائنا الشديد منك ومن خطتك الحاضرة التى افقدتك ثقتنا ، لاننا لم نكن ننتظر منك أن تطلب وساطة الانجليز فى شأن من شئوننا الداخلية ، لذلك نعلنك بسحب توكيلنا منك »(٤١) .

وتبلغ حدة الهجوم على سعد ذروتها فى قول احدهم « ان اعيان البلاد وسراتها ما سحبوا ثقتهم من الزعيم الا لما هالهم وافزعهم من استحضاره لجنة من حزب العمال لاجراء تحقيق وفى ذلك افتئات على روح النظام والقانون ، بل فى ذلك الخروج على حق سلطان البلاد والتعدى الصريح على حكومتنا المصرية ، وهى منا ونحن منها »(٤٢) .

ويشتد الهجوم على سعد ليتحول الى هجوم على جوهر المبادىء التى ينادى بها ، فيكتب « محب للاستقلال » تعليقا يقول فيه : انه لا يوجد بلد فى العالم متمتع بهذا الاستقلال التام « وهل فى المسكونة مملكة يصح ان يقال انها مستقلة استقلالا تاما . ولا يسهل على المتعنت ان يجد فى استقلالها غمزا فيوجه اليه الانظار ، ويتخذه تعلة اذا اراد وصف استقلالها بانه غير تام ؟ »(٤٣) .

ويرى أحد الكتاب انه لا جدوى من مجيء بعثة (سوان) التى لم تسمعنا الى هذا الوقت كلمة واحدة « تتعلق برفع الحماية عن مصر والتجاوز عن استقلالها المغصوب »(٤٤) ، بينما يقول كاتب آخر ان (سوان) وزملاءه هم « من دعاة الحرية والمساواة والانصاف ، وليعلم الذين يحملون عليهم انهم انما يسيئون بذلك الى وطنهم »(٤٥) . وعند وصول هذه البعثة الى البلاد كتبت (المقطم) تعليقا دعت فيه (سوان) ولجنته الى « رفع صوت مصر والمناداة بحق استقلالنا التام » ، ولكنها قالت اننا « نكره منكم التدخل فى شئوننا الداخلية »(٤٦) . ونشرت مقالات متصلة للدكتور طه حسين بعنوان « سعديون وعدليون » ينتقد فيها سعدا وانصاره ، قائلا ان عدلى فى راى العدليين « سفير ليس غير فاما سعد فزعيم ورئيس وامين على الحقوق وممثل لسلطان الأمة فى نظر اصحابه فأنت ترى مقدار الفرق بين هذين الفهمين السياسيين وانت ترى أن النظرية السعدية لا تمثل اقل من الاستبداد المطلق والطغيان الذى ليس فوقه طغيان . وان النظرية العدلية لا تمثل أكثر من الديمقراطية فى احسن صورها واصح أشكالها »(٤٧) .

ويقول الدكتور طه حسين ايضا « ان مصدر هذا الانقسام الذى نحن فيه الآن انما هو منافسة سعد لطائفة من وجوه الأمة وقادتها » .

ويرد عليه كاتب وفدى قائلا ان سعدا يستحق المكانة التى يحتلها فى نفوس الأمة وان هجوم طه حسين عليه يعكس آراء عدلى ومشايعيه(٤٨) .

فى هذه الأثناء ، كانت الصحيفة تتابع فى تقاريرها الاخبارية جولات سعد فى بعض مديريات مصر وما يلقاه من ترحيب فيها . ولكن هذه المظاهر التكريمية لم تخل مما يشوه بهجتها خصوصا ما حدث من اقتتال الفرقاء فى اسيوط مما كان موضع اسـف

(المقطم) وتألمها لهذا الانقسام « وهذا الشقاق الذى قوض اركان الاتحاد والاتفاق وتفاقم شره حتى صرنا نخشى ان يوقع المداوة فى الامة وان يحول دون تقدم البلاد فى الاستقبال ولو نالت الاستقلال التام ، اذ لا استقلال حقيقيا حيث الشقاق ضارب اطنابه والضغائن تقطع اوصال الأمة » . وقالت : « ان لكل مصرى صادق الوطنية ان ينادى الزعيمين العظيمين فى هذه الامة ، ويقول لتكن فاجعة اسيوط والدماء التى سالت فيها والأرواح التى ذهبت الى باريها ، فدى لاتحاد قلبيكما واتفاق كلمتكما ، وقربانا لرجوع الصلح والسلام اليكما والى حزبيكما ، وكفى الامة انقساما وكفى البلاد اضطرابا ، فاورداها مناهل السلام والوئام ، وضحيا بكل عزيز وغال عليكما فدى للاستقلال التام »(٩٤) .

ونشرت (المقطم) (تلغرافات) يحتج فيها مرسلوها على رحلة سعد فى الاقاليم ، واخرى بالاحتجاج « على الوزارة العدلية التى قتلت روح الحرية بأعمالها »(٥٠) ، وبلاغ ادارة المطبوعات الذى يتضمن امر وكيل الداخلية بمنع سعد باشا من مواصلة زياراته لعواصم المديريات(٥١) .

وينعت احد الكتاب سعدا وانصاره بالمعارضين المشاغبين الساخطين الناقمين ، الذين يخرجون على وزارتهم « البارة الصالحة الساهرة على مصالحهم ويكفرون بمفوضيهم الذين يكابدون المشاق من اجلهم ، ويغمطون حق رئيسهم عدلى الهمام وطبيب الأمة اللبق والرفيق »(٥٢) .

وينصح كاتب آخر بعقد هدنة بين الطرفين « تلتف فيها القلوب وتنتظم ، حتى يأتى الينا مشروع الاتفاق ، وعندئذ تعلم الأمة من اساء اليها ومن احسن ، وتبدى حكمها فى جو من الصداقة والاتحاد »(٥٣) .

ويفسر كاتب من انصار الوزارة احداث اسيوط بانها جاءت لاثبات وجودهم واستعراض قوتهم ، فان « فى مصر سعديين اقوياء وفى مصر عدليين اقوياء ، والعدليون يعترفون بوجود خصومهم ويقدرونه فى حياتهم العملية فيحسبون لمارضتهم حسابا واما السعديون فيجحدون خصومهم ويسرفون فى هذا الجحود ولولا هذا الاسراف ما وقعت حوادث الصعيد »(٥٤) .

ولم تغفل الصحيفة متابعتها اليومية لأخبار الوفد الرسمى ومفاوضاته فى لندن ، وكانت تنشرها تحت عنوان « المبالة المصرية » . وذكرت فى معرض متابعتها هذه أن المفاوضات « ستكون احسن لمصر .. وأن غدا لناظره قريب »(٥٥) . ولكن أخبار المفاوضات التى توالت بعد ذلك ، حملت نبأ اخفاقها وعدم اتفاق الطرفين على مشروع المعاهدة ، فكان ذلك موضع اشادة أحد الكتاب بموقف عدلى وحفاظه على حقوق البلاد ، حيث « وضح الحق لذى عينين فلم يبق سبيل للابهام ، فهل رأينا فى عدلى مصريا غيورا على كرامة مصر ضنينا بشرفها ، أو رأينا فيه انجليزيا يفاوض انجليزيا وتابعا يفاوض متبوعه ، أو مدينا يفاوض دائنا ، فيغضى حياء ويذعن لكل ما يريد ، ولو أن فيه استعباد امته وهلاكها ؟ »(٥٦) .

وكان فشل المفاوضات فى الظاهر ، بسبب اصرار بريطانيا على الاحتفاظ بحاميتها العسكرية فى مصر ، ولكن السبب الحقيقى لهذا الفشل هو ان زغلول كان باستطاعته وفى نيته ، أن يحبط اية معاهدة يعقدها عدلى ، حتى لو كانت فى جانب المصالح المصرية(٥٧) . فقد بدأت المفاوضة مع اللورد كيرزون وزير خارجية بريطانيا ، فى ١٢ يوليو بالحديث عن سعد زغلول . وانتهت بعد اربعة اشهر بالحديث عنه ايضا ، كان سعد اذن شبحا مخيما على المفاوضات ، وكان بوصفه ممثلا للحركة الوطنية صاحب القرار

المصرى فيها(٥٨) . ويكاد يكون من المؤكد أن الفشل الذى لقيه عدلى باشا فى تلك المفاوضات ، قد فاق كل ما جال بخياله أو حسب له حسابا(٥٩) . لقد كانت مفاوضات مرهقة حقا ، أظهر خلالها عدلى باشا من ضبط النفس وقوة الحجة ما استحق به اعجاب من يدرس تلك الوثائق بروح الانصاف . ولكن كيرزون بنى مقترحاته وملاحظاته كلها على شىء واحد ، هو انه لا يثق بمصر ولا بالمصريين(٦٠) . وجاء مشروعه أسوأ من مشروع ملنر واكثر قيودا ، وامعن فى العدوان على استقلال مصر والسودان(٦١) . ولم يستطع وفد المفاوضة ان يقبل المشروع ، والا «لاستقبلنا بغير ما نود ونشتهى»، حسبما ذكر عدلى مرة فى مفاوضاته(٦٢) .

اما (المقطم) ، فقد جددت دعوتها الى الاتحاد ، الذى تستطيع الأمة بواسطته مواجهة الموقف الحاضر ، لأنه لا يقتصر فى فوائده على تعزيز حق مصر فى نزاعها مع بريطانيا ،بل لأنه يؤثر فى حياة الشعب الاجتماعية والاقتصادية(٦٣) . ودافع احد الكتاب عن عدلى الذى قطع المفاوضات « محتفظا بحقوق بلاده وكرامة قومه ، وسيعود الى وطنه حاملا امانة أمته ، تحفه الوطنية الحقيقية وتحيطه الكرامة وعزة النفس »(٦٤) . ونشرت نداء سعد الى الأمة ، يدعوها فيه أن تقر فى بيوتها يوم وصول الوفد الرسمى وترك الشوارع خالية امام أعضائه الذين أساءوا الى الوطن(٦٥) .

وقدمت (المقطم) تحليلا سياسيا لمحور السياسة البريطانية فى مصر ، قائلة ان « ما يتم الاتفاق عليه من التغيير والتبديل والتحوير والتعديل فى شئون مصر ونظامها وأحوالها ، يكون تدريجا ، والانتقال لا يكون دفعة واحدة . ورأى الحكومة البريطانية على ما فهمنا هو انها تعد هذه السياسة واجبة الاتباع لكيلا تتأثر مصالح الخلق ولا يفضى الانتقال دفعة واحدة الى تقلقل

فى الأحوال ، وفى سير الأمور والاعمال . هذا هو رأى الحكومة البريطانية كما فهمناه »(٦٦) .

ونشرت (المقطم) «الوثائق الثلاث» . وهى مشروع كيرزون ورد عدلى وتبليغ اللنبى الى السلطان يوم ٣ ديسمبر(٦٧) . ودعت « أقطاب الأمة واهل العلم والمعرفة والآراء الثابتة فيها » أن يمدوا الأمة بآرائهم السديدة « للعمل على تحقيق الرغبة وادراك الأمل »(٦٨) . ووجهت حديثها لرجال السياسة البريطانيين قائلة : « ان تحقيق آمال المصريين لا يضير بريطانيا ولا يمس مصالحها بسوء ، بل يكسب الشعب البريطانى صداقة شعب يتوق أن تتاح له الفرص ليثبت للعالم كفاءته ، ويحمل نصيبه فى حمل الواجب عليه فى توطيد السلام ورفع منارة الحضارة »(٦٩) .

وبعد استقالة عدلى التى بناها على عدم تحقيق برنامجه فى المفاوضات ، جددت (المقطم) دعوتها الى الاتحاد فى سبيل الاستقلال ، لأن استقلال مصر هو بيد ابناء مصر(٧٠) .

وشهدت مصر موجة من الغضب العارم بعد قرار السلطة العسكرية البريطانية ، بنفى سعد زغلول ، بعد ان رفض انذار السلطة بالامتناع عن القيام بأى نشاط سياسى ، ورده عليها بأن « للقوة أن تفعل بنا ما تشاء افرادا وجماعات » .

وانطلقت المظاهرات الغاضبة على ابعاد سعد ، فتابعت الصحيفة احداثها ، وافردت مساحات واسعة على صفحاتها لاحتجاجات الهيئات المختلفة على هذا الاجراء(٧١) .

وكان احتجاج البلاد بهيئاتها وطوائفها وافرادها على هذا التصرف الجائر اجماعيا(٧٢) . وقالت (المقطم) ان الأمة اصدرت بهذه (الفتوى الاختيارية) قرارها « فى أمر مصيرها وفى ادارة

شئونها ، وجاهرت بعزمها على أن تعتمد على نفسها دون سواها فى تسيير دفة سفينتها ، واقامة الأدلة والبينات على حقها الصريح فى دعواها هذه »(٧٣) ، وانها لابد « سائرة فى سبيل الاستقلال . وقد قطعت مراحل منه .. وكلما قطعت مرحلة من مراحل الطريق صارت اقوى مما كانت على مواصلة السير »(٧٤) . فهذه الاحتجاجات انما تمثل « صوت الشعب الذى يرتفع فوق الأصوات، ماعدا صوت الخالق الجبار » ، الصوت الذى يدوى « فى انحاء هذا الوادى العزيز ، ويبلغ دويه الى اقاصى الأرض مرتفعا بالدعوة الى الحق وقارعا الآذان والقلوب بطلب النزول على أحكام العدل »(٧٥) .

واعقب استقالة الوزارة العدلية وقبولها أزمة وزارية ، بسبب معارضة الجماهير تشكيل وزارة جديدة احتجاجا على نفى زعيم الوفد ورفاقه الى سيشل ، حاولت (المقطم) خلالها ابراز وجهات النظر المتعارضة ، ولكنها وقفت الى جانب تاليف الوزارة بشكل غير مباشر فتقول : « اتفقت هيئات الأمة المحدودة كالوفد المصرى ونقابة المحامين والبيئات النيابية التى اعلنت قرارها على المعارضة فى تأليف وزارة تحت أحكام الوثائق الثلاث المشهورة ، وفى ظل الأحكام العسكرية واشتهر هذا الاجماع عند الخاص والعام . ولكن بعض الكتاب كتب الينا يقول ان الوفود التى تقصد سراى عابدين لرفع احتجاجها الى عظمة السلطان على الوثائق المذكورة ، ونفى وكيل الأمة رئيس وغدها وابعاد جماعة من صحبه وزملائه وتنفيذ الأحكام العسكرية على المنوال الذى تنفذ به .. وتطلب من عظمته ان يتدخل فيها بنفسه ، ان هذه الوفود يقال لها أن عظمة السلطان ملك دستورى يسير الأمور بمجلس الوزراء ، فلا يسعه أن يخرج عن حكم دستور البلاد ، ويدخل فى أمور كهذه الا بالوسيلة التى اعدها هذا الدستور ، وهى الهيئة الوزارية»(٧٦).

ونشرت (المقطم) عددا من الرسائل التى تحمل وجهات نظر متعارضة ، يؤيد بعضها عبد الخالق ثروت فى تشكيله للوزارة القادمة ، ويعترض البعض الآخر على هذا الاجراء ، ويدعو القسم الثالث الى التفكير بروية فى معالجة المشاكل وعدم التسرع والغضب(٧) . ومن الواضح ان دعوة (المقطم) لتاليف الوزارة بشكل مباشر وصريح كانت تصطدم برغبة الجماهير القاطعة بعدم تاليف هذه الوزارة ، الامر الذى جعل الصحيفة تلجأ الى هذا الأسلوب غير المباشر ، والزعم بأن بعض الكتاب يقول كذا وكذا .

وكان المندوب السامى البريطانى قد شدد قبضته على البلاد ، واصدر أوامره لوكلاء الوزارات للقيام بمهام الوزراء فى وزاراتهم ، فتخاطب الصحيفة أقطاب الحكومة البريطانية بضرورة تذليل المصاعب أمام مصر ، وادراك « أن صداقة مصر وهى حرة مستقلة اثمن واعظم فائدة من فرض سياسة لا تطابق روح نهضتها ومقتضيات العصر »(٧٨) . فى هذه الأثناء ، خطرت فكرة المقاومة السلبية لأذهان الكثيرين لتكون سلاحا تشهره الأمة فى وجه السياسة البريطانية ، ولقيت هذه الفكرة مجالا واسعا من دراسة المفكرين والباحثين ، وتمخضت عن تنظيمها ووضعها فى حيز التنفيذ فأصدر الوفد قرارا فى ٢٣ يناير ١٩٢٢ ، بتنظيم هذه المقاومة ، وجعلها على نوعين ، عدم التعاون والمقاطعة .. وبعد أن نشرت الصحف قرار الوفد بالمقاومة السلبية ، اعتقلت السلطة العسكرية يوم ٢٥ يناير الأعضاء الذين وقعوا عليه ، وسجنتهم فى قصر النيل . وعطلت الصحف التى نشرت هذا القرار وهى : الأخبار والمحروسة والنظام والأمة والمقطم ، ثم عادت فأذنت لها بالظهور(٧٩) . واعربت (المقطم) بعد عودتها للصدور ، عن شكرها للأمة « على ما ابدت من العطف على (المقطم) فقد طوق فضلاؤها جيده بفضلهم ومعروفهم ، مما سيظل منقوشا على قلوب أصحابه ومحرريه ،

فالقلم يعجز عن أن يفيهم حقهم من الثناء ، والله المسئول أن يجزيهم عنا خير الجزاء ، وأن يحقق امنية مصـــر العظمى ويبلغها غايتها الكبرى بمنه وكرمه »(٨٠) .

وكان ثروت قد وضـــــع شروطا معينة جعل موافقة بريطانيا عليها شرطا لقبوله تأليف الوزارة . وقالت (المقطم) انه مصـــر عليها ومتشبث بها ، واذا ما رفضـــــت الحكومة البريطانية هذه الشروط « نهيهات أن تحل القضية المصرية أو أن يسكن ثائر الأمة ، وأن تعود مصر الى الصفاء وتجديد عهود الوفاء . اذ كل من فى مصر يرى يوميا بعينيه ويسمع بأذنيه أن الأمة المصرية غير راضية حتى عن شروط ثروت باشا ، وأن المعارضين لايزالون اكثر كثيرا من الموافقين والمؤيدين ، وأن شبان الأمة يأبون تلك الشروط كل الاباء ، وأن الصوت الغالب يصيح صباح مساء رافضا كل وزارة بلا جدال ولا مراء ، وأن ثروت باشا لم ينج من أعظم الأخطار على اشتراطه تلك الشروط الا بمساعدة الأقدار ، فكيف لو رضى أن يحيد عنها ، أو أن ينقص منها »(٨١) . وتحدثت عن عزم اللنبى على السفر الى بريطانيا لمباحثة حكومة بلاده التى لم توافق بعد على شروط ثروت ، والتى اقتنع هو بها واشار عليها بالموافقة، ونشرت (المقطم) هذه الشروط بعدما استطاعت الحصول عليها ، وعقبت عليها بقولها : « هذه هى شروط ثروت باشا ، وغنى عن البيان انه اذا قبلتها الحكومة البريطانية بعد الاجتماع بمعتمدها ومن معه افضت الى تغيير خطير الشـــأن وابدال كثير من النظامات والأحكام ، فلابد والحالة هذه من أن تقرر كلها بمحررات ووثائق رســـمية تحفظ على الدوام عند الحكومة البريطانية والحكومة المصرية »(٨٢) . واكدت أن التقدم فى المسالة المصرية أمر « ظاهر للعيان بدليل ما نرى فى مصر من أجماع الآراء والاتحاد على المطلب واتجاه المساعى فى جهة واحدة ، وما نشهد من الاهتمام بها فى

الأقطار الأخرى ولاسيما أنجلترا »[٨٣] ، مشيرة الى أن شروط ثروت قد وقعت وقعا عظيما فى النفوس ، بعدما اطلعوا عليها فى المقطم امس »[٨٤] .

وقد « شهد المحنكون فى السياسة ان ثروت باشا أوجد بذلك مخرجا من المازق الذى باتت القضية المصرية فيه بعد الوثائق الثلاث الرسمية ، وانه فتح للعودة الى المفاوضة بابا كان سيظل مغلقا الى ما شاء الله لولاه ، واعترفوا لمعاليه بالبراعة والدهاء فى معالجة المعضلة المصرية »[٨٥] ، فقد استطاع بحكمته ومهارته ان يضم الى جانبه اللورد اللنبى وكبار الساسة الانجليز فى مصر ، واستطاع مع كل هذا الا يعرض العرش المصرى لخطر ما ، بل صانه وحفظه . فلم يكن الخلاف بين صاحب العرش والانجليز ، وانما كان بين معتمدهم ووزارتهم . واستطاع ثروت باشا أن يقف ومعه الأمة من ورائه بعيدين عن كل تعاقد أو التزام بشىء ، حتى تكسب البلاد ما تضمنته السياسة العملية الجديدة التى استفدناها من تطوراتنا الأخيرة ، وهى وجهة النظر المصرية ، وبعبارة اخرى ما اشترطه ثروت باشا لتأليفه الوزارة[٨٦] .

وقدمت الصحيفة متابعة اخبارية يومية لمحادثات اللنبى وجولاته السياسية مع رئيس وزرائه لويد جورج ، ووزير خارجيته اللورد كيرزون . وذلك تحت عنوان « من يوم ليوم على أسلاك التلغراف » وأكدت اتفاق وجهات النظر فى بريطانيا ، حول الخطة القادمة المسألة المصرية[٨٧] . وقالت ان الامر الذى يستوقف النظر « هو اطلاق يد اللورد اللنبى فى مفاوضة الزعماء المصريين وتعيين من يعده أو يعدهم من هؤلاء الزعماء أكثر المصريين كفاءة للتكلم باسم مصر كلها » . وطالبت

المصريين بالتريث حتى تنجلى الأمور ، وعدم الخوض فى المسائل حتى تظهر الحقيقة كاملة(٨٨) . وكانت حصيلة رحلة اللنبى السياسية فى بريطانيا ، اصدار الحكومة البريطانية للتصريح المعروف فى تاريخ القضية المصرية باسم تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ ، والذى دخلت مصر به مرحلة جديدة أخرى فى طريقها نحو آمالها المشروعة فى التحرر والاستقلال .

تصريح ٢٨ فبراير :

ابدت (المقطم) اهتماما ملحوظا بما احاط بصدور تصريح ٢٨ فبراير من تغييرات سياسية على صعيد العلاقة التى تحكم مصر ببريطانيا ، فبعد ان نشرت نص تصريح الحكومة البريطانية المرفق به « الخطاب الموجه من الحكومة البريطانية الى عظمة السلطان »(٨٩) . القت على التصريح ما اسمته بنظرة عمومية قائلة ان بريطانيا ادت ما عليها ، ولسان حالها يقول أن الكلمة الآن لمصر ، وعلى ممثلى الأمة ان يجاهروا برايهم الآن بعد أن ينعموا النظر فيما هو معروض عليهم(٩٠) . وفى القراءة الثانية لهذا التصريح البريطانى ، قال ان الأمة « كسبت هذه المرة شيئا محسوسا ظاهرا لم يكلفها احرازه التنازل عن شىء مما تطالب به ولم ترتبط بشىء للحصول على ما حصلت عليه، ففى طاقتها أن تحرز ما قدم لها الآن ، وتواصل المطالبة بما بقى حتى تنال كل غايتها وتحقق كل أمنيتها بهمة ابنائها واتحاد كلمتها »(٩١) . فهذا التغيير كان مكسبا جزئيا لمصر ، وميزته انه اعلان من جانب واحد وهو انجلترا ،وليس فيه ارتباط أو قبول ، من جانب مصر ، اى ان مصر لم تتقيد بموجبه بأى قيد ، ولا تنازلت عن اى حق ، ولا تقيدت بالتحفظات الواردة فيه(٩٢) . واول ما يبدو فيه أن الانجليز قد اضطروا الى اصداره اضطرارا ، ليتفادوا وضعا تصير فيه الحكومة مستحيلة ،

على خد تعبير اللنبى فى مراسلاته مع كيرزون ، وأن ما حدث فى ربيع ١٩١٩ عندما استحالت الحكومة ، كان امرا أوجب على البريطانيين الحرص على تفادى تكراره مستقبلا بأى شكل ، ومن هنا كان انهاء الحماية والاعتراف باستقلال مصر ، امرا اضطر اليه مصدرو التصريح ، وهو كسب للحركة الوطنية المصرية لاشك فيه . وما كان يمكن انتزاع هذا الاعتراف منهم لولا الثورة(٩٣) . وكان تصريح ٢٨ فبراير الحد الفاصل فى تاريخ العلاقات بين بريطانيا ومصر ، وهو أعظم عمل قدمه اللنبى فى تاريخه السياسى(٩٤) . وبدا انه بصدوره بعد فترة وجيزة من نفى سعد زغلول قصد به اعطاء المصريين المعتدلين الفرصة الكافية لتثبيت أقدامهم ليتمكنوا من اقامة روابط الصداقة مع بريطانيا حسبما ورد فى التصريح ، وبما يعزز الاستعداد للتوصل الى معاهدة حرة بين الطرفين(٩٥) . وربما يفسر ذلك عدم ترحيب الأكثرية الساحقة من الشعب به ، فكانت فى حالة عصبية توحى اليها الحذر الشديد من السياسة الانجليزية ، ولاسيما أن مهد لهذا التصريح بنفى سعد باشا وزملائه ، وقد التزمت معظم الصحف المصرية جانب التحفظ فى التعليق عليه ، ولكنها اتفقت على امر واحد ، وهو ان السياسة الجديدة ، لم تحقق لمصر كل آمالها ، وانما هى خطوة فى سبيل تلك الآمال(٩٦) . أما الوفد فقد شن على تصريح ٢٨ فبراير حملة شعواء(٩٧) . وقد وصفه سعد زغلول بأنه أكبر نكبة على البلاد(٩٨) . لا سيما ان التحفظات التى أرفقت بالتصريح سلبت استقلال مصر جوهره الأساسى ولمست كافة جوانب الحياة فيها(٩٩) . ومع ذلك فقد أخذت مصر على اثر تصريح ٢٨ فبراير فى ترتيب حياتها الجديدة ، ففى أول مارس اعلن ثروت باشا تأليف وزارته الجديدة ، وفى يوم ١٥ مارس اعلن السلطان فؤاد نفسه ملكا على مصر ، وأبلغت الحكومة المصرية

معتمدى الدول الأجنبية ، ان مصر قد اصبحت دولة مستقلة ذات سيادة ، وان ولى أمرها اتخذ لنفسه اقب صاحب الجلالة ملك مصر(١٠٠) .

وقد اعربت (المقطم) عن اغتباطها لما تشهده البلاد من تحول فى الموقف السياسى بقولها : « ان ما تم حتى الآن هو فاتحة عصر جديد لهذا القطر العزيز »(١٠١) . وتحدثت فى اعدادها الصادرة فى هذه الفترة عن الاحتفالات التى تشهدها مصر بمناسبة أعياد الاستقلال واخبار الوفود القادمة الى العاصمة من سائر انحاء البلاد لتهنئة الملك ورئيس وزرائه . كما نشرت الكلمات والقصائد المعبرة عن اهمية المناسبة ، وهى تعكس الموقف الرسمى المصرى ، فى حين ان الشعب لم « يشارك الحكومة الابتهاج بهذا الاعلان ، وكان موقفه سلبيا مشرفا ، اذ لم يجد تحقيقا لمظاهر الاستقلال الصحيح ، بل راى على العكس انه رغم هذا الاعلان فان الاحتلال البريطانى قائم والأحكام العرفية الأجنبية مبسوطة ، وانجلترا مستبقية تحفظات تهدم قواعد الاستقلال، والسودان مفصول عمليا عن مصر ، فلا غرو ان قوبلت مظاهر الابتهاج واطلاق المدافع بالفتور والاعراض »(١٠٢) .

وبدا ثروت العمل على استكمال شكل النظام الجديد فقرر تكليف لجنة حكومية بوضع الدستور ضاربا برأى الوفد والحزب الوطنى عرض الحائط ، ولكنه اراد أن يوفر لها الصفة التى تفتقرها ، فقرر ان تضم ممثلين عن طوائف الأمة المختلفة(١٠٣) . ولكن الوفد والحزب الوطنى لم يكونا ممثلين فيها ، لانهما لم يقبلا الاشتراك فى عضويتها(١٠٤) . وقد حمل الوفد بعنف على لجنة الدستور ودعاها لجنة الأشقياء مناديا بأن الدستور يجب أن تضعه هيئة سياسية تنتخبها الأمة(١٠٥) .

وفى أثناء عمل لجنة الدستور هذه شـــهدت البلاد خلافات حادة بين الحكومة وانصـــارها من جهة ، والمعارضـــة التى اعتبرت الاســـتقلال ناقصـــا بل وهميا ، كما اعتبرت الوزارة غير امينة على تحقيق الامانى الوطنية ، من جهة ثانية ، وافردت (المقطم) على صـــفحاتها حيزا للمســـاجلات العنيفة التى دارت بين الطرفين ، الوزاريين والمعارضـــين ، اتخذت شكل المواجهة الســابقة بين السعديين والعدليين ، ومن ذلك رسالة تعتبر أن الاسـتقلال الممنوح لمصـــر « لا فائدة فيه بل ضرره محقق » . وأن الذين يتولون وضع الدستور هم « فئات لم تنتخبها الأمة لوضع قواعد دستورية لا تتفق مع مصلحة مصر »(١٠٦) ورسـالة ثانية تهاجم المعارضـة وتدافع عن الوزارة بعنوان « ما دمتم تتهمون فلا مفر من اعتزالكم » . ومما قالته ان « مسالة الدستور تكليف القى على عاتق الوزارة ، فلم ترض الا أن تراعى حق الأمة ما استطاعت فالفت لجنة الثلاثين وهاهى ذى اعمالها شاهدة على انها صالحة لما انتدبت له »(١٠٧) . وثالثة تهاجم الكتاب (الوزاريين) الذين زعموا أن الأمة راضية باستقلال اليوم الملفق الذى أسفر عن « اتفاق يقصـــد به التغرير بالشـــعب وصـــرفه عن المطالبة بحقه الطبيعى »(١٠٨) . ورابعة تدافع عن الوزارة واعمالها ، فالدستور « تسنه لجنة مؤلفة من ثلاثين عضـوا معظمهم يقدر حق قدره فى نظر العقلاء واهل الراى » والوزارة الحاضرة « لا تتاخر ابدا عن تقديم حســـابها وعرضه على نواب الامة يوم البرلمان وهى عالية الراس طلقة الجبين مطمئنة النفس »(١٠٩) . هذه الوزارة التى « تنجى الأمة من ذل الحماية وعار الاستعباد وتنتشلها من حضيضها الى سماء الحرية والاســـتقلال »(١١٠) . وقد نشـــرت هذه المســـاجلات على الصفحتين الثالثة والســـابعة من (المقطم) المخصصتين لرســـائل القراء وآرائهم فى هذه الفترة ، بينما ركزت فى مقالاتها الافتتاحية على المشـــكلات الاقتصـــادية والاجتماعية

والقضايا الدولية ، وكانت الصحيفة تلجأ لهذه الطريقة كلما اتسعت شقة الخلافات الداخلية ، فتبدى حرصها على الحياد وعدم ترجيح كفة جبهة على اخرى ، وذلك ايثارا للسلامة وتجنب الصدام مع مشاعر الأغلبية ، علما بانها نشرت عددا كبيرا من الرسائل المؤيدة للحكومة بتوقيعات غير كاملة بما يوحى بتدخلهـــا فى التعبير عن رايها الذى يميل الى الاعتدال بشكل غير مباشر .

وشهد عهد وزارة ثروت حوادث اغتيال متعددة ضد الموظفين البريطانيين فى مصر ، الامر الذى دفع الحكومة البريطانية الى ارسال مذكرتى احتجاج وتحذير للحكومة المصرية فى مايو ويوليو سنة ١٩٢٢ . وتقول (المقطم) تعقيبا على المذكرة البريطـــانية الثانية ، ان على حكومة مصر أن توضح فى ردها على المذكرة البريطانية أن « الامة المصرية تنفر من هذا الاعتداء » وأن « اجماع الحكومة والصحافة والكتاب والأقطاب الذين نطقوا بلسان الأمة على استهجان هذه الجنايات يعبر عن راى البلاد ، ويدل على أنها غير راضية عن هذه الفعال وأن الذين يرتكبونها لا يعبرون عن ميل الأمة ولا يعملون بمشيئتها »(١١١) . ويرى احد انصـــار الوزارة فى ذلك مناسبة للهجوم على المعارضين وتبرير اجراءات الحكومة القمعية ضدهم ، قائلا :« كيف تســـعى الحكومة لرفع الأحكام العسكرية أو وقفها مع تعدد حوادث الاعتداء على الانجليز ؟ كيف تستطيع الوزارة الفوز بما تطلبه من ازالة هذه الأحكام مع ما هو ظاهر من بوادر الفوضى السياسية التى يتعمد البعض خلقها وهم اولئك الذين يسعون لمصلحتهم الخاصة ؟» «وكيف لا تمنع الوزارة عقد الاجتماعات مع ماهو ظاهر لها من النيات السيئة نحوها؟»(١١٢)، ويقدم أحد الكتاب تبريرا لتدخل الانجليز فى شئون مصر وتهديداتهم لها بسبب ما وصفه « بالحملة المجرمة الشريرة » من الاعتداءات ضد افراد الانجليز ويرد على صحيفة (الأخبار) التى تنمى على

الحكومة سكوتها ازاء هذه التهديدات البريطانية بقوله : « حقا ان الانجليز تداخلوا واتخذوا اجراءات جديدة وان هذا التدخل مؤلم ولست اشك فى ان الوزارة وانصارها أشد الناس فى ذلك ألما » « ولكنى ابشر من الآن جريدة الاخبار ومن يذهب مذهبها ، بأن تداخل الانجليز سيكون اكثر واكثر ، ولا تملك صده ومنعه هذه الوزارة ولا اية وزارة غيرها ، ولا الامة المصرية مجتمعة بعضها وبعضها ، ومن شرقها الى غربها ومن شمالها الى جنوبها ، اذا ظلت هذه الحملة المجرمة الشريرة على حالها ،ولم نتآزر جميعا على وضع حد لها حتى لا يسفك بيننا الدم البرىء ، ولا يعتدى فينا على الرجل الآمن »(١١٣) . ونشرت بيانا لجماعة أطلقت على نفسها اسم (أصدقاء الواجب) ادانت فيه الاعتداءات ضد البريطانيين تحت عنوان « الامة المصرية : ليتق الله فى الوطن المعتدون »(١١٤) .

وكانت وزارة ثروت تواجه صعوبات داخلية جمة أهمها عدم توافر علاقات الصداقة والمودة بينه وبين الملك فؤاد ، لاسيما انه وصل الى رئاسة الوزارة بغير اختيار الملك فضلا عن عدم شعبيته وحالة الاضطراب التى شهدتها الاقاليم . وكانت من بواعث الشكوى فى عهده(١١٥) . ولكن (المقطم) لم تشر صراحة الى المشكلات التى تواجه الوزارة واكتفت فقط بالحديث عن « انفراج أزمة وزارية » بفضل جهود ثروت باشا . وقالت ان « الأيام المقبلة كفيلة باظهار الخدمت الجليلة المنتظرة من وزارة ثروت باشا الى البلاد والأمة اذ لا يخفى ما وراء استقالتها من المتاعب والمشاق التى ليست فى مصلحة البلاد ولاسيما فى هذه الأيام العصيبة »(١١٦) . وفى معرض دفاعها عن الوزارة تقول (المقطم) للذين يعترضون على بعض مواد الدستور ان هذا الدستور الذى يسن الآن ليس دستورا ابديا ففى طاقة الأمة أن تعدله وتنقحه

طبقا لما يبدو من حاجاتها ورغباتها . واعلنت توقفها عن نشـــر الرسـائل الحزبية التى تزيد من حدة الخلاف بدلا من الوصول الى تفاهم الفريقين ، الوزاريين والمعارضين ، واكدت ترحيبها بالكتابات غير الحزبية التى لا تزيد الانقسـام اتساعا ، فهى منذ نشاتها ــ كما تقول ــ صحيفة تبتعد عن الأحزاب والسياسة الحزبية . وكان يهمها « مصـــــلحة القطر بقطع النظـــر عن اليد التى تاتى بهذه المصلحة »(١١٧) .

حـــزب الاحـــرار الدســـــتوريين :

تابعت (المقطم) اخبار السعى لتاليف الحزب الجديد الذى سيتبع خطة عدلى باشا « فى السعى لتحقيق امانى الأمة الحقيقية بالطرق الدستورية والتمسك بالسياسة التى بنى عليها التغيير فى مركز مصـــــر القومى الذى « يحبذ عقد اتفاق وطيد حقيقى مع بريطانيا العظمى يوفق بين المصالح الجوهرية للبلادين »(١١٨) . واكدت رغبتها فى الامتناع عن نشر ما يصلها من رسائل تهاجم الحزب الجديد الذى يزمع انصار عدلى تاليفه ، لأنها لا تعرف حجم الخطأ والصواب فيما يقوله كتاب هذه الرسائل ، ودعت الى انتظار اعلان برنامج الحزب لكى تتضح حقيقته ويصـــــبح الحكم عليه منطقيا(١١٩) . ونشرت (لوكيلها الاسكندرى) ما اعتبره برنامجا للحزب الجديد الذى تسمى بحزب الأحرار الدســـــتوريين واتخذ (السياسة) لصـــــاحب امتيازها الدكتور حافظ عفيفى ، ناطقة بلسانه(١٢٠) . وقد تأسس الحزب رسميا فى أكتوبر ١٩٢٢ بدعم من وزارة ثروت ومعاونتها وتالف من الاعضاء المنفصلين من الوفد ومن معظم المخالفين لسعد زغلول ، ولذلك حمل منذ تاليفه طابع العداء لسعد والوفد(١٢١) .

ويقول الدكتور هيكل انه على اثر الحملات التى شهدتها البلاد منذ اختلف سعد وعدلى . وكان اتهام انصار عدلى بخيانة الوطن أيسر ما تجرى به اقلام الكتاب المؤيدين لسعد ، فقد تألف الحزب الجديد لدفع هذه التهم الباطلة ولمقاومة اثرها فى أذهان الشعب(١٢٢) ، جاعلا مهمته الأولى الدفاع عن الدستور والعمل لسرعة صدوره فضلا عن التمهيد لايجاد تكتل سياسى حزبى يدخل الانتخابات القادمة مناهضا للوفد(١٢٣) .

وقد قوبل الحزب الجديد بالسخط الشديد . وكانت احاديث الانتقاد له تتداول فى كل مكان(١٢٤) . ورأى الشعب فيه هيئة معاونة للاحتلال وطعنة موجهة للثورة ، ومما زاد فى سوء استقبال الناس للحزب الجديد ، ان تأليفه تم وسعد زغلول وصحبه مبعدون خارج البلاد(١٢٥) . وقد عكس برنامج الحزب طبيعة البرجوازيين الكبار لأنه كان يمثل الأغنياء واصحاب الأراضى ثم بعض الأرستقراطيين من سلالة العائلات التركية النبيلة مما كان يحتم اتصالهم بالقصر وارتباطهم بالملك(١٢٦) .

وقد نشرت (المقطم) بيان الوفد المصرى حول الحزب الجديد، قال فيه ان القائمين عليه استغلوا فرصة ابعاد سعد واعتقال أعضاء الوفد . وعهدوا الى رجال الوزارة بمهمة الضغط على اهل البلاد بكافة الوسائل ليضمنوا عددا معينا من المشتركين ، وقسطا وافيا من المال لادارة شئونهم(١٢٧) . كما نشرت رسالتين للقراء بخصوص حزب الأحرار الدستوريين ، احداهما تهاجمه والثانية تمتدحه ، وفى الأولى قال كاتبها « ومما يقضى بالعجب ويضحك الثكلى تماديهم فى غيهم ومكابرتهم فى تأليف حزب يعلم الله أن حياته لن تطول وانه كسابقه الحزب الحر عن قريب مندثر ، وأن مصر التى أعجب العالم بوطنيتها لن يجوز عليهامثل تلك الحيل الصبيانية

فتسلم حياتها لقوم جمعوا مال جريدتهم بالقوة من اهل البلاد ، مع ما تلقاه من ازمة شديدة وعسر وضيق » .

اما الثانية فيقول صاحبها « ظهر عدلى باشا بحزبه الحر الدستورى فكان كمهد اصدقائه به وفيا رزينا معتدل الراى ثابت الايمان فى حب وطنه ، مترفعا عن الشخصيات ، بعيدا عن كل ريب وقد جاءت خطبته وافية من الوجهة السياسية والاجتماعية»(١٢٨) .

ونشرت (المقطم) عددا من التلغرافات التى تشيد بعدلى وبوطنيته وبخطبته التى « تتدفق اخلاصا وحكمة »(١٢٩) . وسجل أحد اتباع حزب الأحرار الدستوريين عتابه (للمقطم) على نشرها رسالة القارىء التى هاجم فيها حزبه فترد عليه بانها انما فعلت ذلك عملا بحرية الصحافة . وان الكتاب هم الذين يتحملون مسئولية ما يرد فى كتاباتهم ، وان الراى العام هو المحكمة الرئيسية التى تحكم على كل ما يصدر عن أصحاب الأقلام علما بانها لا تسمح بذلك النشر الا فى أضيق الحدود نظرا لرغبتها فى التزام عدم الحزبية ، وفى أن ترى الاتحاد فى صفوف الامة بدلا من الانقسام(١٣٠) .

وقد حدا بها هذا التنبيه الى نشر المديد من التلغرافات المؤيدة لحزب الأحرار والتنويه بوصول الكثير من التلغرافات « عن تحبيذ مبادىء حزب الأحرار الدستوريين وتنشيط هذا الحزب على السير على الخطة التى رسمها لنفسه وتمنى التوفيق لها »(١٣١) . ومع ذلك ، فان (المقطم) لم تسجل موقفا واضحا من تأليف حزب الأحرار الدستوريين ، وكان من الطبيعى ، وسط الغضبة الوفدية العارمة ، التى استقبل بها انشاء هذا الحزب . أن يكون ترحيب (المقطم) به حذرا للغاية لا تنم عنه سوى اشارات بسيطة .

وقد تصدت (السياسة) للرد على مهاجمة الصحف الأخرى لحزب الأحرار الدستوريين عقب اعلانه وخاصة الصحف المناصرة لسعد زغلول فكتب محمد توفيق دياب يفند حجة الذين يقولون ان انشاء حزب الأحرار الدستوريين يفرق الأمة ، فقال : « كيف يزعم زاعم أن فى تأليف حزبنا اضعافا لوحدة الأمة او عملا على تفريقها؟ أليست الأحزاب على تعددها خدمة للأمة ؟ ومن ذا يقول ان كثرة الخدم تنقص من سعادة المخدوم ؟ » . كذلك تصدى الدكتور هيكل لهذا الهجوم فأعلن ان هجوم الوفد على حزب الأحرار الدستوريين ليس له من سبب سوى « رغبة سعد زغلول فى احتكار زعامة البلاد رغم انه ليس كفئا لها »(١٣٢) .

وبعد أسبوعين من انشاء الحزب تم اغتيال حسن عبد الرازق واسماعيل زهدى عضوى مجلس ادارته فكان لهذه الجريمة اثر بليغ فى اشعال الخصومة الحزبية فى البلاد(١٣٣) . وكتب الدكتور طه حسين مقالا افتتاحيا فى (السياسة) حمل فيه الوفد والصحف المناصرة له مسئولية الحادث بعمليات التهييج التى مارسها ضد حزب الأحرار الدستوريين(١٣٤) . اما (المقطم) فتعبر عن أسفها واستنكارها لهذه الجناية التى « كان لها رنة اسف فى جميع الدوائر على اختلاف الطبقات فلا تذكر فى مكان الا قابلها الناس بأشد عبارات الذم والاستهجان فعسى هذه الحادثة المحزنة أن تكون منبها وباعثا على السعى لازالة ما فى الصدور والتعاون والتعاضد فى خدمة الأمة والبلاد بروح الصفاء »(١٣٥) . وقالت ان هذه الجناية « تنذر بخطر يجب على الجميع السعى بجد واجتهاد لتلافيه ومنعه من الاستفحال فلا تخلو امة من متعجلين يعتقدون أن الله نصبهم لتقويم المعوج واصلاح الفاسد ، بما يخطر لهم من الوسائل وما يعرض لهم من أقرب الوسائط . وقد يرسخ فيهم هذا الظن حتى يصير فى حكم العقيدة ، وهذا خطر يتعين على كل وطنى

صادق الوطنية ان يعمل على ازالته »[١٣٦] . ونشرت بيان عدلى باشا رئيس الحزب الى الأمة يدعوها فيه الى الوقوف فى وجه هذه الأعمال المؤسفة حفاظا على الحرية وعلى الرجال الذين يبذلون كل شىء فى خدمتها[١٣٧] .

دستور ١٩٢٣ :

بعد اسقاط القصر لوزارة ثروت بادر الملك بتشكيل وزارة توفيق نسيم التى كان كل ما فيها يتسم قبل اى شىء آخر بالولاء للقصر ، وكانت فى عمرها القصير الذى زاد على شهرين قليلا ، تتحرك من نفس المنطلق ، منطلق الولاء للملك ، وهى فى حركتها هذه قد عادت اغلب القوى الأخرى ، مما عجل بانهاء وجودها . وفى مواجهة هذا الموقف تقرر تاليف وزارة ادارية مهمتها معالجة الشئون الادارية العادية ، دون المسائل السياسية الى حين ظهور ما يدل على تخفيف حدة الأحكام العرفية أو الغائها كلية . وقد رشح الملك يحيى ابراهيم ، وزير المعارف فى الوزارة المستقيلة ، على اساس انه يمكنه التعاون معه ، لاعتقاده بامكان السيطرة عليه اكثر من اى سياسى بارز آخر . وقبل الانجليز هذا الترشيح لأنه يخرجهم من مأزق بقاء البلاد بدون وزارة . ولكن لا يلبث يحيى باشا ان يثبت للجميع انه ليس الرجل الذى عرفوه أو تصوروه . وقد استغل هذه الميزة منذ اللحظة الأولى فأعلن مع تعيينه أنه غير قانع بمجرد ادارة الأعمال ، ولكنه ينوى اعلان الدستور باصدار قانون الانتخابات وقانون التضمينات . وفى انسجام واضح بينه وبين الانجليز توالت القرارات وكان أولها قرارات حكومة لندن بالافراج عن سعد زغلول وذلك بعد اقل من اسبوعين من توليه الوزارة فى ٢٧ مارس[١٣٨] .

وقد اشادت (المقطم) بجهود يحيى باشا للافراج عن سعد زغلول قائلة ان الله شاء « أن يحقق هذه الأمنية الكبرى فى عهد الوزارة الابراهيمية وبحكمتها وحسن سياستها ، فى صلاتها مع فخامة المندوب السامى البريطانى ، الذى اكتسب ثناءها وثناء الأمة معها بمبادرته الى الموافقة على اطلاق سراح معالى سعد باشا من جبل طارق »(١٣٩) . ونشرت تعليقا بتوقيع (سعدى) يشيد فيه برئيس الوزارة الذى جعل من بواكير أعماله « فك اعتقال الرئيس » مما يؤكد أنه « وزير نزيه »(١٤٠) . وطالبت بعودة المنفيين فى سيشل وجميع المبعدين السياسيين الى « وطنهم واهلهم وخلانهم . فقد حان زمان اعادة النظر فى أمرهم وتلبية رغبة الأمة فى اعادتهم الى وطنهم ، فان ذلك مطابق لمقتضى العدل والانصاف ومساعد على تهدئة الخواطر ومقدمة حسنة لما يرجو الكل من تعاون جميع ابناء مصر على انجاح نظام الحكم الجديد الذى تستعد له مصر الآن والذى سيكون فاتحة عصر جديد من الحرية والهناء والصفاء»(١٤١).

وكان اصدار الدستور فى ١٩ ابريل ١٩٢٣ ، فاتحة هذا العصر الذى تحدثت عنه (المقطم) . وقد احتلت أخباره العنوان الرئيسى (المانشيت) فيها ، ونشرت التلغرافات المرسلة الى الملك ورئيس وزرائه بهذه المناسبة ، من عدد من الهيئات والشخصيات المصرية مهنئة بصدور الدستور « هنا الله الأمة بنعمه ومزاياه » . وقالت الصحيفة مرحبة بالدستور : « نعم ان الأمة المصرية أصبحت بعد سن هذا الدستور بلادا متمتعة بكل ما تتمتع به اسمى الأمم المتمدنة الراقية من نعم الحرية والاستقلال وحرمة الأرواح والأعراض والأموال وقوة الدفاع عن حقوقها وعدم تكليفها القيام بغير واجباتها » . وقد فوضت الأمة لوضع الدستور «جماعة من صفوة أبنائها ونخبة رجالها فوضعوا دستورا جامعا زبدة الدساتير حاويا احدث نظاماتها حافظا للأمة اجل حقوقها معينا اهم

واجباتها » ولكن العبرة « بكيفية انتفاعنا بهذا الدستور وطرق استعمالنا لأحكامه فى طرق الصواب حتى تجنى الأمة ثماره وترتقى بتتبع آثاره »(١٤٢) . وتحدثت عن الابتهاج العام باعلان الدستور ونشرت كلمة عدلى باشا فى اعضاء مجلس ادارة حزب الأحرار الدستوريين التى رحب فيها بالدستور واثنى على الملك فؤاد ، وبيان الوفد المصرى الذى ينتقد الوزارة لاصدارها دستورا ناقصا لا ينص على كون السودان جزءا من مصر ، فضلا عن الانتقاص من الحريات الشخصية وكذلك حرية الاجتماع والصحافة .

أما (المقطم) فقد أكدت أن الدستور المصرى صار « حقيقة واقعة . وبعدما قطعت مصر هذه المرحلة يجب ان تتجه انظارها الى ما يليها من المراحل التى لابد من قطعها اتماما لشروط نظام الحكم النيابى ، وتنفيذ هذا الحكم وتطبيق قواعده »(١٤٣) . ونشرت رسالة لأحد القراء تضمنت هجوما مقذعا على المعارضين وهم الوفديون بالطبع ، وذلك فى معرض حديثه عن الدستور الذى « لم نر فيه مسخا ولا تشويها كما كانت تزعم الجرائد المغرضة ، وقد اعتقدنا الآن ان نيتهم سيئة من جهة الوزارة ، وانهم لا يقصدون الا النيل منها واظهارها بمظهر الضعف والجبن ، وما ذلك خدمة للأمة وغيرة على مصلحتها ، وانما لأن الوزارة قد تربعت فى الكراسى التى يعبدونها ، ويضحون وطنهم وأمتهم فى سبيل الوصول اليها »(١٤٤) .

وقد انتقد الدستور لدى صدوره فى مواضع متعددة ، ولكن هذه الانتقادات لم تتجاوز النشر فى الصحف أو الخطابة فى المجتمعات . وفهم أن الوفد سيشترك فى الانتخابات . وكان هذا الموقف من جانبه سببا فى حملة الأحرار الدستوريين عليه ، اذ كيف يستنكر الوفد التصريح والدستور ، ثم يشترك فى تنفيذهما ؟

وقد رد سعد زغلول على ذلك رده المشهور : ان الاستنكار شىء والتنفيذ شىء آخر(١٤٥) . ولم يكن ذلك تضليلا من الوفد أو خيانة لأهدافه ، بل كان اسلوبا اتبع تلقائيا لمعالجة التناقض بين جماهيرية الحزب الواسعة والمصالح الراسمالية المحدودة التى تحكم قيادته ، والتى كانت ثورية وقتها . ومن جهة ثانية ، فذلك اسلوب تميز به الوفد لحل التناقض بين استراتيجية الثورة (أهدافها الكاملة) وتكتيكات قيادتها التى تراعى الظروف العملية للواقع الحالى وموازين القوى السياسية . وذلك فى وقت لم يكن الفكر السياسى فيه قد بلغ النضج بحيث يضع الفواصل بين الأمرين ، فكان ذلك يتم بصورة تلقائية . وتختلط الأهداف الآجلة والفردية بالمواقف المختلفة للطبقات التى يضمها الوفد(١٤٦) .

المعركة الانتخابية :

كانت الانتخابات البرلمانية هى الخطوة العملية لما تضمنه الدستور من التعبير عن سلطة الأمة ممثلة فى مجلسى النواب والشيوخ . وقد تابعت (المقطم) هذه المعركة بعد اذاعة قانون الانتخاب (رقم ١١ لسنة ١٩٢٣) ، حيث أوضحت أنه لم يبق الآن سوى تعيين مواعيد الانتخابات والشروع فى اتخاذ التدابير التمهيدية التى نص القانون عليها لاجراء الانتخابات(١٤٧) . ونوهت بما تلمسه من « الرغبة العامة فى انجاح أول تجربة برلمانية صحيحة عندنا وشعور الجميع بأن عبء ذلك يقع على افراد الامة نفسها »(١٤٨) . واعتبرت الصحيفة ان هذا التحول السياسى يعد انتقالا من الدور السلبى الى الدور الايجابى فى العمل الوطنى ، وان تحقيق ما بقى من الأمانى يعتمد على هذه الخطوة البرلمانية القادمة ، ولم يخل عدد من اعدادها فى هذه الفترة من الحديث عن (حركة الانتخابات) وبيانات لجان الوفد واسماء أعضائها وكذلك الحفلات الانتخابية لكل من احزاب الوفد والوطنى والاحرار الدستوريين .

ولكن (المقطم) تعبر عن دهشتها لصدور قانون الاجتماعات والمظاهرات فى نفس الوقت الذى تستقبل الامة فيه الحكم النيابى البرلمانى(١٤٩) . وقالت ان الامة اجمعت « على مطالبة الحكومة بأن تقف فى الانتخاب موقف الحياد . ووعد اقطاب الحكومة وعدا قاطعا بمراعاة هذه الأمنية .. فتبقى على الامة ولاسيما مفكريها وقادة الراى العام فيها ان يسهروا على جعل الانتخاب بين المرشحين وانصارهم منافسة شريفة مشروعة »(١٥٠) . وبعد عودة سعد الى البلاد وكذلك اعضاء الوفد الذين كانوا مبعدين الى سيشل ، ومع اشتداد المنافسة الحزبية استعدادا للانتخابات ، اصبحت صفحات (المقطم) ساحة لأطراف هذه المعركة بما تنشره من بيانات انتخابية وخطب سياسية يسعون من خلالها الى التاثير فى جماهير الناخبين والأنصار ، والتقليل من اهمية الخصوم مع كل ما تضمنته هذه الخطب والبيانات من صنوف الهجوم القاسى ولاسيما ما يتعلق منها بالطعن فى وطنية الخصوم والتشهير بعلاقاتهم بسلطات الاحتلال . وقد حظيت بيانات الوفد وخطب سعد بمكانة بارزة على صفحات (المقطم) ، لأنها بتقديرها الواقعى لقوة اطراف اللعبة السياسية تعرف تماما حجم الوفد وقوة زعيمه وشدة تعلق جماهير الشعب به . وهو ما يتفق مع خطة الصحيفة فى ايثار السلامة ومسايرة مشاعر الغالبية العظمى من الشعب .

فان الحفلات التى استقبل بها سعد لدى عودته اكدت زعامته للأمة وتعلقها به والتفافها حوله « وجاءت برهانا جديدا على انه اقوى شخصية فى البلاد »(١٥١) . وباعتراف الدكتور هيكل فان الاستقبال الذى حظى به سعد جعل الدستوريين يفكرون فى امر الانتخابات من جديد بعد ان كانوا يقدرون انهم سيحصلون على الاغلبية فى البرلمان الأول ، فقد « انتقل الامر من النظر الى سعد على انه زعيم سياسى ، وله رايه الذى يناقش ، الى انه نبى

الوطنية المرسل من قبل السماء ، والذى يجب أن تعنو الجباه له »(١٥٢) . ولكن (المقطم) آثرت فى معرض افساحها المجال وانما (لحركة الانتخابات) الا تتدخل من ناحيتها بالتعليق الى هذا الجانب او ذاك من اطراف المعركة الانتخابية ، وخصصت مقالاتها الافتتاحية لمناقشة السياسات المحلية المتفرقة البعيدة عن موضوع الساعة ، وهو موقف دابت على اللجوء اليه فى مثل هذه الظروف . وواصلت هذا الاسلوب طيلة فترة الاستعداد ليوم الانتخابات ، التى شهدت خطبا عنيفة لسعد ضد عدلى وثروت وبالعكس .

اما يوم الانتخابات فكان « يوم الشعب ويوم العهد ويوم الوكالة وحمل الأمانة » الذى « طالما تاقت النفوس الى بلوغه نقابله بملء الاستبشار وعظيم الآمال راجين أن يكون فاتحة خير وهناء وتقدم وارتقاء »(١٥٣) . ومصر بهذه الخطوة تنتقل « من دور الى دور ، وبعدما كان مجلس النواب امرا منتظرا تجسم اليوم فى نظر الأمة فصار حقيقة واقعة » « أما نتيجة الانتخابات من حيث علاقتها بالمنتخبين من مرشحى الأحزاب الاربعة فقد جاءت مطابقة لما كان يتوقعه المطلمون على بواطن الأمور المتتبعون لسير الحركة الانتخابية ففاز مرشحو الوفد فوزا عظيما جدا وأحرزوا النجاح الباهر فى دوائر الانتخاب » « فنحن نزف التهنئة للذين فازوا برضا الأمة وتشرفوا بالنيابة عنها ، سائلين الله أن يمدهم بروح منه ، ليحسنوا هذه النيابة ويؤدوا الأمانة ، ويجعلوا برلمان مصر الأول عنوان الجد والنشاط ومباراة للوطنية الصادقة »(١٥٤) . وكانت هذه الانتخابات بمثابة حكم أصدره الشعب على القيم الحقيقية للأحزاب والقوى التى تقدمت تلتمس ثقته . وهكذا تركزت كتلة الشعب تركيزا ظاهرا فى الوفد وزعيمه سعد زغلول (١٥٥) .

وكانت هذه النتيجة بالنسبة للأحرار الدستوريين صدمة

قابية ، وربما يرجع السبب فى هذا الفوز الى التنظيم الدقيق للوفد فى كل ارجاء مصر ، ليس باعتباره حزبا سياسيا يخوض معركة ضد منافسين ومعارضين ، بل باعتباره شعبا بأسره رغب فى تحقيق الاستقلال التام ووجد فى الوفد المصرى ، كتجمع سياسى وهيئة شعبية اداة لتحقيق هذا المطلب ، ولم تتغير نظرته للوفد عام ١٩٢٣ كثيراً عن تلك النظرة التى سبق له النظر بها اليه عام ١٩١٩/١٨ ، بالرغم من الظروف المختلفة التى احاطت ليس فقط بالوفد ولكن كذلك بمصر والقضية المصرية ذاتها ، وربما يرجع ذلك الفوز الذى احرزه كذلك الى شخصية سعد زغلول وتعلق الجماهير بها(١٥٦) . وقد اظهر سعد وأتباعه عداء خفيفا للبريطانيين خلال المعركة الانتخابية ، ولكنهم ركزوا نيرانهم ضد المعارضين المحليين الرئيسيين للوفد وهم الأحرار الدستوريون الذين يقودهم عدلى(١٥٧) .

سعد ورئاسة الوزارة :

اوردت (المقطم) قول سعد زغلول لمندوب (رويتر) ردا على سؤاله ان كان سعد يقبل تاليف الوزارة حسبما يفرضه المسلك الطبيعى فى مثل هذه الظروف ، قوله بأننى « ساعمل عندئذ ما اراه واجبى نحو الامة » . وحرصت الصحيفة على نشر رأى الدوائر البريطانية فى حصول الوفد على الأغلبية فى الانتخابات واحتمالات هذا الفوز ، ومن ذلك ما قالته (رويتر) عن استقبال الدوائر البريطانية « لفوز الزغلوليين فى الانتخابات بسكينة ، وعندها انه مادامت الأمور التى تحتفظ بها فى التصريح البريطانى لمصر للمفاوضة مرعية ومحترمة فللمصريين ان يختاروا الحكومة التى يشاءونها »(١٥٨) . ويقول (مارلو) : لقد ظهر مع هذه الأغلبية الكاسحة التى تقف وراء سعد بعض الامل بأنه سيكون مستعدا

للتخلي عن (الديماغوجية) وان يكرس نفسه للمسائل الادارية من ناحية ولتنظيم علاقات مصر ببريطانيا من ناحية أخرى(١٥٩) .

وأعلنت (المقطم) انها تقف فى صف المطالبين بتسلم سعد زغلول رئاسة الوزارة ، فقد « رأينا الواجب علينا أن نخرج عن خطة الحياد والعزلة التى كنا التزمناها حتى يزول الشقاق وتجتمع كلمة الأمة ، وأن نجاهر صريحا بأننا من جملة الذين يلحون على معالى الرئيس الجليل فى تأليف الوزارة واننا لا نرى لمعاليه مسوغا يبرر احجامه عن تأليفها » ، وذلك فى تعليق لها بعنوان « الوزارة وزعيم الأمة » ، وهو العنوان الذى واصلت به حملتها لترسيخ هذه الفكرة وحمل سعد على تنفيذها . وأوضحت أن « المصلحة العمومية » تحتم قبول سعد لهذه المهمة لأن « البلاد قادمة على نظام جديد لم يتهيأ لها التمرن عليه والتمرس فيه ، وهو نظام دقيق محكم ولكنه محفوف بالمصاعب والمتاعب » وانه « ان لم يكن الوزير جامعا بين الكفاءة وقوة الحجة وشدة المعارضة من جهة ، والهيبة وعلو المنزلة والنفوذ من جهة أخرى كان نجاحه فى التجربة الجديدة التى نحن قادمون عليها من أعسر الأمور » .وتساءلت « ومن أجمع لهذه الصفة والكفاءات من معالى الرئيس ؟ ومن أنفذ منه كلمة عند نواب الأمة اليوم واعلى هيبة وأسمى منزلة ، سواء كان من جهة الميل والمحبة او من جهة الوقار والاعتبار ؟»(١٦٠) .

وقالت انه يتوجب نزع تلك الفكرة القديمة القائلة بأن الحكومة « هيئة غريبة خارجة عن جسم الأمة حتى لا نقول ان الحكومة شبيهة الخصم للأمة تحكمها بقوتها وجبروتها وتخضعها رغم انفها لهواها ومشيئتها » بل يجب النظر اليها فى العهد الجديد باعتبارها « هيئة مختارة من رجال الأمة خاضعة لمشيئتها نازلة على ارادتها » . واذا ما ساد هذا المفهوم الجديد فان « خير من تلقى اليه مقاليد

الحكم فى هذه الأيام ، هو خير من تثق به الأمة ، وخير من يستخلصه نوابها ويقدرونه قدره ، ويحترمون رأيه ويعترفون بكفاءته ومقدرته. وقد اظهرت الانتخابات الأخيرة ان سعدا هو الرجل الذى وضعت الأمة فيه كل ثقتها والذى يصح ان يقال انها اجمعت على تفويض امرها اليه »(١٦١) . وقدمت تحليلا لفلسفة الحكم فى مختلف الأنظمة خلصت فيه الى ان « القاء مقاليد الوزارة الى زعيم اكبر الأحزاب السياسية فى المجالس النيابية قاعدة مقررة فى جميع الحكومات النيابية البرلمانية »(١٦٢) . ونشرت عددا من الرسائل المؤيدة للفكرة ومعارضيها ،فيقول المؤيدون : اذن فليتقدم سعد باشا لتقلد اعباء الحكم(١٦٣) . ويقول المعارضون « نستحلفكم بالوطن لا تقبلوا الوزارة واحتفظوا بزعامة البرلمان »(١٦٤) . ولكن كفة تأليف سعد للوزارة ترجح ، فتستقيل وزارة يحيى ابراهيم ، الذى لم ينجح فى الانتخابات التى اشرف على ادارتها مما اثبت نزاهته وحيدته ويكلف الملك سعدا بتأليف اول حكومة دستورية فى مصر ، فكان ذلك « اول كسب للحركة الوطنية واول هزيمة للسياسة البريطانية فى نطاق تصريح ٢٨ فبراير ، فلم يتحقق لواضعى التصريح ان يحصلوا على معاونة الرجال (ذوى النفوذ) لأن معاونيهم لم يصيروا من ذوى النفوذ ولا امكن للتصريح ان يقويهم على حساب الوفد » (١٦٥) . وبتشكيل حكومة سعد زغلول تبدأ صفحة جديدة فى تاريخ القضية المصرية .

هوامش الفصل السادس

(١) المقطم ١ ابريل ١٩٢١ .

(٢) المقطم ٤ ابريل ١٩٢١ .

(٣) المقطم ٥ ابريل ١٩٢١ .

(٤) المقطم ٦ ابريل ١٩٢١ .

(٥) محمد كامل سليم ، ازمة الوفد الكبرى ص ١٩٨ ، ومحمد حسين هيكل ، مذكرات فى السياسة المصرية ، جـ ١ ، ص ١١٩ وويفل ، اللنبى فى مصر ص ٦٧ .

(٦) عباس محمود العقاد ، سعد زغلول سيرة وتحية ، ص ٢٥٣ .

(٧) عبد الرحمن الرافعى ، فى أعقاب الثورة المصرية ، جـ ١ ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٩ ، ص ٩ .

(٨) المقطم ٧ ابريل ١٩٢١ .

(٩) المقطم ١٢ ابريل ١٩٢١ .

(١٠) المقطم ١٦ ابريل ١٩٢١ .

(١١) المقطم ١٩ ابريل ١٩٢١ .

(١٢) المقطم ٢٤ ابريل ١٩٢١ .

(١٣) المقطم ٢٦ ابريل ١٩٢١ .

(١٤) المقطم ٢٩ ابريل ١٩٢١ .

(١٥) المقطم ٣٠ ابريل ١٩٢١ .

(١٦) لاشين ، سعد زغلول ودوره فى السياسة المصرية ، ص ٣٢٤ .

(١٧) المقطم ١٢ مايو ١٩٢١ .
(١٨) المقطم ١٤ مايو ١٩٢١ .
(١٩) المقطم ٢١ مايو ١٩٢١ .
(٢٠) المقطم ٢٢ مايو ١٩٢١ .
(٢١) احمد شفيق باشا ، مذكراتى فى نصف قرن ، ج ٣ ، دار مجلتى للطباعة والنشر ، القاهرة ، د.ت ، ص ٢٧٥ .
(٢٢) محمد حسين هيكل ، مذكرات فى السياسة المصرية جـ ١ ، ص ١٢٢ .
(٢٣) المقطم ٢٥ مايو ١٩٢١ .
(٢٤) المقطم ٢٧ مايو ١٩٢١ .
(٢٥) المقطم ٢ يونيو ١٩٢١ .
(٢٦) المقطم ٧ يونيو ١٩٢١ .
(٢٧) المقطم ٧ يونيو ١٩٢١ .
(٢٨) المقطم ١٤ يونيو ١٩٢١ .
(٢٩) المقطم ١٥ يونيو ١٩٢١ .
(٣٠) المقطم ١٦ يونيو ١٩٢١ .
(٣١) عبد العظيم رمضان ، تطور الحركة الوطنية فى مصر ١٨ — ١٩٣٦ ، ص ٣٣٧ .
(٣٢) المقطم ٣ يوليو ١٩٢١ .
(٣٣) المقطم ٦ يوليو ١٩٢١ .
(٣٤) المقطم ١٠ يوليو ١٩٢١ .
(٣٥) المقطم ١٢ يوليو ١٩٢١ .
(٣٦) المقطم ١٦ يوليو ١٩٢١ .
(٣٧) المقطم ١٩ يوليو ١٩٢١ .
(٣٨) المقطم ١٢ اغسطس ١٩٢١ .
(٣٩) المقطم ٢٦ أغسطس ١٩٢١ .
(٤٠) المقطم ٢٧ أغسطس ١٩٢١ .
(٤١) المقطم ٣ سبتمبر ١٩٢١ .
(٤٢) المقطم ١٣ سبتمبر ١٩٢١ .
(٤٣) المقطم ١٦ سبتمبر ١٩٢١ .
(٤٤) المقطم ١٨ سبتمبر ١٩٢١ .
(٤٥) المقطم ٢٠ سبتمبر ١٩٢١ .

(٤٦) المقطم ٢٣ سبتمبر ١٩٢١ .
(٤٧) المقطم ٢٩ سبتمبر ١٩٢١ .
(٤٨) المقطم ٥ أكتوبر ١٩٢١ .
(٤٩) المقطم ١٦ أكتوبر ١٩٢١ .
(٥٠) المقطم ١٨ أكتوبر ١٩٢١ .
(٥١) المقطم ٢١ أكتوبر ١٩٢١ .
(٥٢) المقطم ٢٥ أكتوبر ١٩٢١ .
(٥٣) المقطم ٢٦ أكتوبر ١٩٢١
(٥٤) المقطم ٢٧ أكتوبر ١٩٢١ .
(٥٥) المقطم ٢٧ أكتوبر ١٩٢١ .
(٥٦) المقطم ٨ نوفمبر ١٩٢١ .
(٥٧) **Marlowe, John, Anglo-Egyptian relations 1800 — 1953, London, 1954, P. 246.**
(٥٨) طارق البشرى ، سعد زغلول يفاوض الاستعمار ، ص ٤٨ — ٤٩ .
(٥٩) عبد العظيم رمضان ، تطور الحركة الوطنية فى مصر ١٨ — ١٩٣٦ ؛ ص ٣٣٧ .
(٦٠) محمد شفيق غربال ، تاريخ المفاوضات المصرية البريطانية ، ص ٩٠ .
(٦١) عبد الرحمن الرافعى ، فى أعقاب الثورة المصرية ، ج ١ ، ص ٢١ .
(٦٢) طارق البشرى ، سعد زغلول يفاوض الاستعمار ، ص ٥٣ .
(٦٣) المقطم ٢٢ نوفمبر ١٩٢١ .
(٦٣) المقطم ٢٧ نوفمبر ١٩٢١ (أحمد الماجدى) .
(٦٥) المقطم ٢ ديسمبر ١٩٢١ .
(٦٦) المقطم ٢ ديسمبر ١٩٢١ .
(٦٧) المقطم ٤ ديسمبر ١٩٢١ .
(٦٨) المقطم ٦ ديسمبر ١٩٢١ .
(٦٩) المقطم ٨ ديسمبر ١٩٢١ .
(٧٠) المقطم ١٣ — ١٥ ديسمبر ١٩٢١ .
(٧١) المقطم ٢٤ — ٢٥ ديسمبر ١٩٢١ .
(٧٢) عبد الرحمن الرافعى ، فى أعقاب الثورة المصرية ، ج ١ ، ص ٣٠ .
(٧٣) المقطم ٢٧ ديسمبر ١٩٢١ .
(٧٤) المقطم ٢٨ ديسمبر ١٩٢١ .

(٧٥) المقطم ١ يناير ١٩٢٢ .
(٧٦) المقطم ٧ يناير ١٩٢٢ .
(٧٧) المقطم ٢٠ ، ٢١ يناير ١٩٢٢ .
(٧٨) المقطم ٢١ يناير ١٩٢٢ .
(٧٩) عبد الرحمن الرافعى ، فى اعقاب الثورة المصرية ، ج ١ ، ص ٣٣ ، ٣٨ .
(٨٠) المقطم ٢٨ يناير ١٩٢٢ .
(٨١) المقطم ٢٩ يناير ١٩٢٢ .
(٨٢) المقطم ٣١ يناير ١٩٢٢ .
(٨٣) المقطم ١ فبراير ١٩٢٢ .
(٨٤) المقطم ١ فبراير ١٩٢٢ .
(٨٥) المقطم ٥ فبراير ١٩٢٢ .
(٨٦) المقطم ٧ فبراير ١٩٢٢ .
(٨٧) المقطم ١٨ فبراير ١٩٢٢ .
(٨٨) المقطم ١٩ فبراير ١٩٢٢ .
(٨٩) المقطم ١ مارس ١٩٢٢ .
(٩٠) المقطم ٢ مارس ١٩٢١ .
(٩١) المقطم ٣ مارس ١٩٢٢ .
(٩٢) عبد الرحمن الرافعى ، فى اعقاب الثورة المصرية ، ج ١ ، ص ٤٨ .
(٩٣) طارق البشرى ، سعد زغلول يفاوض الاستعمار ، ص ٦٣ .
(٩٤) المارشال ويفل ، اللنبى فى مصر ، ص ٧٢ .
(٩٥) Marlowe, John, Anglo-Egyptian Relations,, Op. Cit., P. 260.

(٩٦) احمد شفيق باشا ، مذكراتى فى نصف قرن ، ج ٣ ، ص ٢٩٠ — ٢٩١ .
(٩٧) مؤسسة الاهرام ، ٥٠ عاما على ثورة ١٩١٩ ، ص ٥١٤ .
(٩٨) يونان لبيب رزق الوزارات المصرية ، ص ٢٤٥ .
(٩٩) Zayid, M.Y., Egypt's Struggle For Independence, Op. Cit., P. 108.

(١٠٠) عبد العظيم رمضان ، تطور الحركة الوطنية ١٨ — ١٩٣٦ ، ص ٢٧٢ .
(١٠١) المقطم ١٧ مارس ١٩٢٢ .
(١٠٢) عبد الرحمن الرافعى ، فى اعقاب الثورة المصرية ، ج ١ ، ص ٦٠ .
(١٠٣) عبد العظيم رمضان ، تطور الحركة الوطنية ١٨ — ٣٦ ، ص ٢٧٤ .

(١٠٤) عبد الرحمن الرافعي ، في أعقاب الثورة المصرية ، جـ ١ ، ص ٦٢ .
(١٠٥) مؤسسة الاهرام ، ٥٠ عاما على ثورة ١٩١٩ ، ص ٥٢٤ .
(١٠٦) المقطم ١ يوليو ١٩٢٢ .
(١٠٧) المقطم ٢ يوليو ١٩٢٢ .
(١٠٨) المقطم ٢ يوليو ١٩٢٢ .
(١٠٩) المقطم ٣ يوليو ١٩٢٢ .
(١١٠) المقطم ٧ يوليو ١٩٢٢ .
(١١١) المقطم ٢٥ يوليو ١٩٢٢ .
(١١٢) المقطم ٢٦ يوليو ١٩٢٢ .
(١١٣) المقطم ٢٠ أغسطس ١٩٢٢ .
(١١٤) المقطم ٢٠ اغسطس ١٩٢٢ .
(١١٥) **Lloyd, Lord, Egypt Since Cromer, Vo. 11, London. 1934, P. 70.**
(١١٦) المقطم ١٦ اغسطس ١٩٢٢ .
(١١٧) المقطم ٢٣ اغسطس ١٩٢٢ .
(١١٨) المقطم ٣٠ أغسطس ١٩٢٢ .
(١١٩) المقطم ٩ سبتمبر ١٩٢٢ .
(١٢٠) المقطم ١٦ سبتمبر ١٩٢٢ .
(١٢١) عبد الرحمن الرافعي ، في اعقاب الثورة المصرية ، جـ ١ ، ص ٦٩ .
(١٢٢) محمد حسين هيكل ، مذكرات في السياسة المصرية ، جـ ١ ، ص ١٤٨ .
(١٢٣) مؤسسة الأهرام ، ٥٠ عاما على ثورة ١٩١٩ ، ص ٥٢٧ .
(١٢٤) أحمد شفيق ، مذكراتي في نصف قرن ، جـ ٣ ، ص ٥٩٣ .
(١٢٥) محمد زكي عبد القادر ، محنة الدستور ، ط ٢ ، مكتبة مدبولي ، القاهرة، ١٩٧٣ ، ص ٤٦ .
(١٢٦) جاكوب لانداو ، الحياة النيابية والأحزاب في مصر ، ص ١٧٤ .
(١٢٧) المقطم ٢ نوفمبر ١٩٢٢ .
(١٢٨) المقطم ١١ نوفمبر ١٩٢٢ .
(١٢٩) المقطم ١٤ نوفمبر ١٩٢٢ .
(١٣٠) المقطم ١٥ نوفمبر ١٩٢٢ .
(١٣١) المقطم ١٧ نوفمبر ١٩٢٢ .

(١٣٢) فاروق ابو زيد ، ازمة الديمقراطية فى الصحافة المصرية ، مكتبة مدبولى القاهرة ، د.ت ، ص ١٢٣ — ١٢٤ .

(١٣٣) مؤسسة الأهرام ، ٥٠ عاما على ثورة ١٩١٩ ، ص ٥٣٧ .

(١٣٤) فاروق أبو زيد ، ازمة الديمقراطية فى الصحافة المصرية ، ص ١٢٤ .

(١٣٥) المقطم ١٨ نوفمبر ١٩٢٢ .

(١٣٦) المقطم ٢٢ نوفمبر ١٩٢٢ .

(١٣٧) المقطم ٢٤ نوفمبر ١٩٢٢ .

(١٣٨) يونان لبيب ، تاريخ الوزارات المصرية ، ص ٢٥٠ — ٢٥٧ .

(١٣٩) المقطم ١ ابريل ١٩٢٣ .

(١٤٠) المقطم ٤ ابريل ١٩٢٣ .

(١٤١) المقطم ١٧ ابريل ١٩٢٣ .

(١٤٢) المقطم ٢١ ابريل ١٩٢٣ .

(١٤٣) المقطم ٢٤ ابريل ١٩٢٣ .

(١٤٤) المقطم ٢٦ ابريل ١٩٢٣ .

(١٤٥) محمد زكى عبد القادر ، محنة الدستور ، ص ٥٢ — ٥٤ .

(١٤٦) صلاح زكى ، الفكر الديمقراطى والحياة النيابية فى مصر ، مركز النيل للاعلام ، القاهرة ، ١٩٧٩ ، ص ٢٥٢ .

(١٤٧) المقطم ٢ مايو ١٩٢٣ .

(١٤٨) المقطم ٣ مايو ١٩٢٣ .

(١٤٩) المقطم ٢ يونيو ١٩٢٣ .

(١٥٠) المقطم ١٢ يونيو ١٩٢٣ .

(١٥١) عبد الرحمن الرافعى ، فى أعقاب الثورة المصرية ، ج ١ ، ص ١٢٩ .

(١٥٢) محمد حسين هيكل ، مذكرات فى السياسة المصرية ، ج ١ ، ص ١٦٩ .

(١٥٣) المقطم ١٢ يناير ١٩٢٤ .

(١٥٤) المقطم ١٥ يناير ١٩٢٤ .

(١٥٥) محمد زكى عبد القادر ، محنة الدستور ، ص ٥٤ .

(١٥٦) عبد الخالق لاشين ، سعد زغلول ودوره فى السياسة المصرية ، ص ٢٤٩ .

(١٥٧) Marlowe, John, Anglo-Egyptian Relations, Op. Cit., PP. 263 — 266.

(١٥٨) المقطم ١٦ يناير ١٩٢٤ .

(١٥٩) Marlowe, John, Anglo-Egyptian Relations, Op. Cit., P, 264.

(١٦٠) المقطم ٢٢ يناير ١٩٢٤ .

(١٦١) المقطم ٢٤ يناير ١٩٢٤ .

(١٦٢) المقطم ٢٦ يناير ١٩٢٤ .

(١٦٣) المقطم ٢٦ يناير ١٩٢٤ .

(١٦٤) المقطم ٢٧ يناير ١٩٢٤ .

(١٦٥) طارق البشرى ، سعد زغلول يفاوض الاستعمار ، ص ٧٢ .

الفصل السابع

المقطم و « وزارة الشعب »

الترحيب بالوزارة :

رات (المقطم) أن التحول السياسى الذى جاء بوزارة الشعب الى الحكم ، انما هو لمصلحة مصر التى تتوافر لقضيتها عناصر النجاح « فالنهضة القومية لا تزال على أشدها والحماسة الوطنية مضطرمة فى النفوس ، وللبلاد ملك جاهر بأنه يريد لها الاستقلال والحكم الدستورى ، وللأمة زعيم كفء استحق باخلاصه وسداد رأيه وثباته ثقتها الاجماعية ، وهو مالا يتفق وجوده كل يوم » ، يضاف الى ذلك الوزارة الانجليزية القائمة المؤلفة « من رجال آراؤهم أقرب الى الاستقلال من آراء سواهم من مواطنيهم »(١) . وهى تقصد حكومة حزب العمال التى وصلت الى الحكم فى نفس الوقت برئاسة المستر (ماكدونالد) . وسجلت الصحيفة مظاهر الابتهاج الذى عم البلاد لتاليف الوزارة الجديدة والمظاهرات التى خرجت لتأييد الوزارة ورئيسها وقالت : « ان الوزارة الجديدة هى وزارة الأمة بالمعنى المفهوم من هذا التعبير فى البلدان ذات الأحكام النيابية ، فقد اختير اعضاؤها من نواب الأمة فى مجلس النواب الا واحدا منهم وهو نسيم باشا فانه عضو مزكى من مجلس الشيوخ » . ودعت جميع ابناء الشعب « أن يعقدوا الخناصر على السعى للنجاح وجعل عصر الدستور عصر خير وصفاء ، فقد

صارت شئوننا بيدنا وامرنا عائدا الينا وآن أوان العمل فحى على الفلاح »(٢) .

وقد بدا سعد زغلول فى الحق يومها فى ذروة النجاح ، وكانت له اليد العليا فى السياسة المصرية ، بينما غلب الضعف على الأحرار الدستوريين وبقية الأحزاب الأخرى ، حتى الملك لم يطمع فى معارضته ، فوق صداقة الحكومة البريطانية له وميلها اليه ، وفى نفس الوقت قوبل أول طلب لزغلول من البريطانيين بالعفو عمن كانوا لا يزالون فى السجون ممن صدرت ضدهم أحكام المجالس الحربية البريطانية بترحيب عده الكثيرون فى مصر ترحيبا زائدا بل لقد وافقت الحكومة البريطانية على عفو أبلغ فى كرمه مما طلبه زغلول أو توقعه(٣) .

وقد جرت محاولات واضحة من جانب البريطانيين لبناء جسور من التفاهم والثقة مع الوزارة السعدية وذلك منذ الأيام الأولى فى حياة هذه الوزارة(٤) ، مع عملية الافراج عن المسجونين السياسيين التى تابعت (المقطم) أحداثها ، وزفت « بشرى نجاح وزارة الأمة فى معالجة هذه المسألة التى اهتمت بها البلاد أشد الاهتمام »(٥) . وقد اعربت الجماهير عن ارتياحها الكبير لهذا الاجراء وعدته فاتحة خير للوزارة(٦) .

وقالت (المقطم) انها تضم صوتها الى أصوات المهنئين والشاكرين راجية « أن تظل وزارة الأمة موفقة فى مناصبها فائزة فيما تسعى له من الخير للبلاد وسكانها فى جميع مقومات الحياة برعاية جلالة الملك ومعونة الأمة » .

ولعل ما قامت به الحكومة فيه الرد الحاسم على الذين يتعجلون انجازاتها، فهى لم تضع « بيانها الشهير الذى تقدمت به الى العرش والأمة ذرا للرماد فى العيون بل أن الاعتقاد عام

بأن الوزارة ستسعى بكل ما اوتيت من قوى واهمها قوة تأييد الأمة لها لتحقيق ما تضمنه البيان من الامور »(٧) .

ولعل جسور التفاهم التى اقامها البريطانيون مع الوزارة تفسر ترحيب (المقطم) الزائد بها .

الشيوعية والاضرابات العمالية :

تحدثت (المقطم) عن حركة شيوعية فى مصر تقف وراء اضراب العمال فى الاسكندرية ، وقالت ان الحكمة « تقضى بخنق هذه الحركة فى مهدها ومنع انتشارها » ، لاسيما « ان هناك أيديا غريبة فى الخارج تسعى لاثارة حركة شيوعية فى مصر تكون قطب دائرة حركة أوسع تشمل بلدان الشرق الأدنى .. فاذا كان للعمال المعتصبين فى الاسكندرية شكوى صحيحة فهذه يجب نظرها وتلافيها طبقا لقواعد الحق والانصاف . أما اقلاق خاطر الأمة بدعوى شيوعية يشد زرها من الخارج كما نعتقد ، فهذا ما لا تسلم الأمة به ولا تسكت الحكومة عليه »(٨) . ووصفت دعاة الشيوعية بأنهم (دجالو الاجتماع) الذين يسببون القلاقل والاخلال بالنظام(٩) .

وقالت (المقطم) ان ادارة الأمن العام تكاد « تتفرغ لمكافحة حركة البلشفية بعدما ظهر انها تأصلت فى بعض الدوائر وصار لها أنصار ومجندون بين بعض الطبقات المتعلمة » ، وان الذين زاروا رئيس الحكومة من الأعيان « تمنوا لو أن الحكومة تجتثها من أصلها حتى لا تقوم لها قائمة فيما بعد »(١٠) .

وقد ربطت الصحيفة بين الأوضاع الاقتصادية الصعبة وعلاقتها بانتشار الأفكار الشيوعية ، فبعد أن نجحت الحكومة « بجميع قواها الادارية والقضائية لقمع هذه الحركة وكبح جماح

الداعين اليها ، ففازت باستئصالها قبل ان تتاصل جذورها » ، فان الحكومة مطالبة باستئصال الأسباب الاقتصادية التى تشـــدد ساعد الشــــيوعية والاشــــتراكية المتطرفة .. كتوفير الاعمال للعاملين .. وتسهيل المعيشـــة للجمهور ، ومنع ارهاقه بالغلاء المصطنع والضرب على أيدى الذين يطلبون الربح الفاحش بطرق الاحتكار وغيرها »(١١) . ولم تقصر حكومة سعد زغلول فى مواجهة الاضرابات التى انتهزتها لمحاربة الحزب الشيوعى المصرى وقياداته وكذلك اتحاد النقابات العام الذى قامت بحله ومصادرة أوراقه ، اما لماذا وقف سعد هذا الموقف المتشدد من الحركة اليسارية ، فنرى أن ذلك يرجع أساسا الى عزوف سعد تماما عن مجرد التفكير فى الأفكار الاجتماعية أو الاشتراكية لأن المعركة الأساسية فى تصوره كانت سياسية بالدرجة الأولى(٢١) واذا كان موقف (المقطم) هنا منسجما مع مواقف حكومة سعد باشا ، فانها ظلت على موقفها هذا المناهض للشيوعية حتى آخر أيام صدورها ، ولم يرد ذكر التنظيمات الشيوعية على صفحاتها الا مقرونا بالمطاردات الحكومية لهـــا .

افتتـــاح البرلمـــان :

وكان الاحتفال بافتتاح البرلمان ، مجالا لابداع محررى الصحيفة فى تسجيل أهمية هذا الحدث ، الذى قدموا وقائعه بأسلوب أدبى ، فاليوم « يوم مصر ، أدام الله لمصر العز والنصر تطرب فيه النفوس ويطيب فيه نظم قلائد الشعر ، ويفوح عبير اريجه كما يعبق شذا الزهر ، كلله الندى عند طلوع الفجر » .. وقدمت للتغطية الاخبارية ليوم الافتتاح بالأسلوب ذاته ، فقد « أصبحنا امس والجو صحو والهواء عليل والشمس ساطعة ، وعاصمة المملكة المصرية تموج كأنها البحر الزاخر بالجنود القادمة من ثكناتها فى أطراف المدينة تسير سيرا عسكريا منظما تخفق فوق رؤوسها بنودها » . وبعد

ان تلتقط الصحيفة أنفاسها تكتب تعليقا سياسيا تقول فيه ، ان « مصر فى فاتحة عصرها الدستورى الجديد ، لتبسط يدها الى جميع الأمم بسط الصديق الصدوق . وتدعو الجميع الى مشاطرتها سرورها وابتهاجها بنهضتها التى تتمثل اليوم لناظريها ، وفى ضميرها ، وتتجلى لعيون القريب والبعيد بمجلسها النيابى »(١٣) .

فقد كان يوم البرلمان يوم فرح عظيم فى القاهرة ، وثابرت الجماهير فيه على زئير مستمر من الهتافات حتى بلغت بها الحماسة درجة الجنون عندما بدت لأعينهم العربة الملكية وفيها الى جوار الملك فؤاد مليكهم ، زغلول معبودهم ، من تحدى الاستعمار البريطانى ، ومن قاد الجماهير وشجعها على طلب الاستقلال ، والذى نفى مرتين ، اما الآن فها هو ذا رئيس للوزراء(١٤) كما انها المرة الأولى منذ بدء الاحتلال البريطانى ، التى تشهد فيها مصر هيئة تمثيلية نيابية صحيحة(١٥) .

وكان هذا البرلمان اول مظهر نظامى لبروز سلطة الشعب كقوة مؤثرة فى الحكم ، بل كالقوة الوحيدة التى لها حق الحكم(١٦) .

واوضحت (المقطم) ان ما أورده خطاب العرش عن «تحقيق الامانى القومية بالنسبة لمصر والسودان ينطوى على المعنى المنشود ، فان المعروف والمشهور هو ان للأمة فى هذا الموضوع أمنية معينة صريحة واضحة ، فعمل الحكومة والبرلمان سيكون منصرفا الى تحقيق هذه الامنية الجليلة الصريحة » . وقالت ان هذا البرلمان « يبدأ عمله وله قوتان يندر أن يتمتع بهما برلمان آخر ، الأولى اتفاق الامة كلها على الغاية التى تطلبها ، والآخرى اتحاد القوى على نيل هذه الغاية العظمى »(١٧).

وتولت الصحيفة نشر الاسئلة البرلمانية ، واجوبة الوزراء عليها ، والاقتراحات المقدمة من الأعضاء ، وغير ذلك ، مما يتصل بجلسات البرلمان التى دابت على نشر مداولاتها منذ بداية الانعقاد .

حـــوادث الاعتداء على البريطانيين :

استنكرت (المقطم) بشدة بالغة حوادث الاعتداء التى تعرض لها عدد من الضباط والجنود البريطانيين فى الاسكندرية ، وحادثة مصرع الضابط الانجليزى فى (هليوبوليس) ، قائلة اننا «نستطيع ان نجزم من الآن بأن الامة المصرية على بكرة أبيها تمج هذه الجنايات وتستنكرها ، ســواء أكان الباعث عليها شخصيا ام غير شخصى »« والأمة « تعرف فوق ذلك ان سلاحها الوحيد هو الحق . وانها بهذا السلاح تنال مطالبها وتبلغ مرامها ، فان وجد بينها فرد او افراد يعتقدون أن ســــلاح الحق لا يكفى ، فهؤلاء يمتهنون الحق ويغمطون القوة الأدبية قدرها ، ويبخسون المبادىء السامية مقامها، ويجهلون عبر التاريخ ، او يتجاهلونها ، ولكن الأمة لا تقيم لأمثالهم وزنا ، ولا تقبل منهم رأيا ، ولا تصغى اليهم بسمعها ، بل هى تنكرهم وتسىء الظن بهم وترتاب فى أمرهم ، اذ قد يكونون اعداء لها فى ثياب أصدقاء ، فاذا لم يكونوا كذلك فهم مرضى بعقولهم ، فالعقاب دواؤهم والقانون خير مطهر للمجتمع منهم »(١٨) .

ولا نجد فى قاموس الاستنكار ما هو أشـــــد عنفا من هذا الأسلوب الذى عالجت به (المقطم) هذا الموضوع ، وربما استندت فى ذلك الى خطة الاعتدال التى بدت فيها الوزارة الشعبية فى بداية عهدها ، بالبيانات المعتدلة التى ادلى بها رئيسها فى البرلمان المصرى والتى سعى من خلالها الى كبح جماح المعارضة ، التى كانت تدفعه الى مواجهة مع الوجـــــود البريطانى ، وقد رأى اللنبى فى تلك

البيانات دليلا على روح رجل الدولة ، وانها قد اتصفت بصراحة محببة ، ويعرب المندوب السامى عن امله ان يظل هذا النهج رائدا لسياسة الوزارة المصرية(١٩) .

طـــــريق المفاوضـــــات :

من هنا ، كان تركيز (المقطم) على دفع الحكومة المصرية ، باتجاه المفاوضة مع الحكومة البريطانية « ومباحثتها والتفاهم معها لاقناعها بما لمصر من الحقوق الطبيعية التى لا تحتمل نزاعا فى ان تتمتع بالحياة المستقلة الجديرة بها دون ان يكون عليها وصاية او حماية او ما شاكل ذلك .. وكل محاولة لاحباط السياسة المشار اليها وكل ميل الى عرقلة خطواتها ، تعتبر اعتداء على ارادة الأمة نفسها ، وانتقاضا على سياستها التى رضـيتها واقرتها وانابت زعيمها فى تنفيذها وانتخبت نوابها على قاعـدتها »(٢٠) . ولن « يكون من المستحيل » على المفاوضين المصريين « كسبه قلوب المفاوضين الانجليز والوصول الى الاتفاق معهم على اساس احترام الحقوق المتبادلة ، بلا تطفيف ولا حيف . اذ ان الغاية التى ينشدها الفريقان هى ان تكون انجلترا ومصر صديقتين متحالفتين تحالفا وديا مبنيا على رضاء كل منهما وشعوره بانه لم يغبن ولم يهضم له حق »(٢١) . ودعت الى توافر « حسن النية » لانجاح المفاوضات المقبلة « اذ انه خير للفريقين أن يجتمعا ليتفاهما ويحلا ما بينهما من العقد والمشاكل بروح الصداقة من ان يجتمعا لهذا الغرض بروح الخصومة والغيرة والمنافسة . فقد جربت هذه الطريقة غير مرة فى السنوات الأخيرة ، فاسفرت تجربتها عن الفشل والحبوط فى كثير من المواقف »(٢٢) .

وانتقدت (المقطم) موقف المعارضة فى البرلمان ، التى تبدى « الاعتراض لذات الاعتراض » ، مؤكدة انه يجب الا يغيب عن

ذهن زعماء هذه المعارضة اهمية « ظهور الامة كلها كتلة واحدة وجبهة متحدة تشد ازر مفاوضها »(٢٣) . كما انتقدت سيل الأسئلة البرلمانية التى تنهال على الحكومة قائلة : اننا « نسال الحكومة عما تصنع ، فهلا سالنا الامة عن نصيبها من العمل » مبينة ان « النجاح الذى يتوق اليه كل مقيم فى هذا القطر لا تتوافر أسبابه ولا تدرك مراميه الا اذا توثقت عرى التعاون بين الهيئة الحاكمة والهيئة المحكومة »(٢٤) .

وناقشت (المقطم) الموضوعات المعلقة بين مصر وبريطانيا . وقالت « ولا خلاف فى ان الهوة متسعة والشقة مترامية بين الأساس الانجليزى والأساس المصرى ، ولكن شرعة المفاوضات انما شرعت لمعالجة هذه الحالة وتقريب المسافة بين مطالب الفريقين بقدر الامكان »(٢٥) ، وانه لا مجال للخوف على الأمانى القومية ، فان اى اتفاق يتم التوصل اليه سيعرض على البرلمان المصرى ، كما انه لا مجال لمجاراة الفئة التى تقول بعدم التفاوض ، لأن مجاراتهم ستجعل امورنا القومية والدولية المرتبطة باستقلال البلاد معلقة ، وانه لا خوف على القضية الوطنية مادامت فى يد « هذه الوزارة المؤلفة من مصريين وطنيين بينهم زعيم النهضة العظيمة »(٢٦) . ولم يخل عدد من أعدادها لهذه الفترة من الأخبار والتحليلات التى تؤكد فيها على الرغبة المشتركة لدى كل من مصر وبريطانيا الدخول فى مفاوضات ودية وحرة . وكذلك بيان مناسبة الظروف الراهنة لاجراء المفاوضات استنادا لمكانة سعد زغلول لدى الشعب المصرى ، ووجود وزارة العمال فى دست الحكم فى بريطانيا ، وهى تمثل « حزبا طالما عطف هو وزعماؤه على مصر وقضيتها »(٢٧) .

احـــداث الســــودان :

لكن هذه الحماسة التى ابدتها (المقطم) لمفاوضات قريبة بين سعد والمسئولين البريطانيين لم يكن الواقع يسعفها لتصبح حقيقة ملموسة خصوصا مع بروز أحداث السودان بشكل حاد . ففى ٨ مايو ارسل (ستاك) الى (اللنبى) يخطره أن الدعاية المصرية تتصاعد فى السودان ، مما صار له أثره فى هياج مدن الشمال خاصة ، ونصحه بوجوب مواجهة هذه الحالة باجراءات محددة . وفى تلك الفترة كانت حكومة السودان تجمع توقيعات من رؤساء القبائل والرؤساء الدينيين ، تعلن الولاء لها ولبريطانيا ضد مصر وتنشط العناصر الموالية لمصر فى حركة مضادة ، وواجهت الحكومة البريطانية الموقف المصرى بتصريح افصح فيه اللورد (بارمور) بمجلس اللوردات فى ٢٥ يونية عن ان الحكومة البريطانية لا تنوى ترك السودان أو التفريط فى مركزها فيه ، فقوبل التصريح بموجة عاصفة من الاستياء والاحتجاج فى مصر ، عبرت عنها المظاهرات التى ازدحمت بها شــــوارع القاهرة فى ٢٧ يونية ، وعبر عنها مجلس النواب فى ٢٨ يونيو ، حيث القى سعد بيانا هاجم فيه التصريح البريطانى ، ثم قدم استقالته فى ٢٩ يونيو . وكان من الطبيعى أن يقف البرلمان وراء سعد مدعما موقفه وان يضطر الملك الى رفض استقالته مما علق عليه اللنبى بقوله ان هدف سعد من تقديم استقالته هو ان يعود الى الحكم فى مظاهرة يشترك فيها الملك والبرلمان والشعب ليعلم الانجليز أن الأمة كلها وراءه(٢٨) .

وقد تابعت (المقطم) احداث السودان التى كان لوصولها لمصر « رد فعل شديد فى نفوس النواب ترتب عليه صــــدام بين المعارضة والحكومة تبودلت فيه العبارات الحادة »(٢٩) . وقالت (المقطم) ان قضية مصر « تقوم على اعتبار وادى النيل كلا لا يتجزا

فليس فيه سيد ولا مسود وليس فيه مالك ولا مملوك بل بلاد واحدة وامة واحدة »(٣٠) . ومصـــــر التي « لا يفوتها ما هو دائر فى السودان ، والتى احاطت علما بكل ما يقع لا تتنازل عن حقوقها ولا تزال تعتبر السودان جزءا حيويا من هذا الكل الذى نظمه النيل وانشأ فيه شركة طبيعية لا سبيل الى فصم عراها »(٣١) .

وتساءلت (المقطم) عن مصير المفاوضات بعد التصريحات التى صدرت بخصوص السودان من جانب المسئولين فى كل من القاهرة ولندن فوجهت عتابها لبريطانيا قائلة : « وهل من مصلحة بريطانيا ان يشتد هياج الخواطر فى مصر والســــودان ، هذا الاشتداد والقطران متلاصقان ، وبينهما من العرى والروابط ما لا يخفى على اشد الانجليز جهلا بشئون السودان »(٣٢) . فلا يصح « ان يقال ان مصر التى تجاهر بأن مصــــر والسودان جزءان لايتجزآن من وادى النيل .. ستعد السودان مستعمرة تستبيح اموالها واهلها وتأكل جنى تعبهم وتلتهم خيرات بلادهم »(٣٣) .

وشــــاركت المقطم فى الموقف الذى وقفه البرلمان والامة بطوائفها المختلفة فى رفض استقالة ســـــعد الذى ســـافر الى الاسكندرية لعرضها على الملك « فعبرت له الأمة خلال رحلته بكامل هيئاتها وافرادها عن تأييدها وثقتها به ورغبتها فى بقائه »(٣٤) . وذلك « لصيانة حقوق الأمة التى هو خير امين عليها » كما قالت لجنة الطلبة التنفيذية فى بيانها الذى نشرته الصحيفة ، وقالت (المقطم) انه ليس من مصلحة وادى النيل وقضية مصر ان يستقيل سعد « فى هذا الأوان ، والبلاد تريد منه مواصلة الجهاد ، وهو ينادى به ، والجميع متفقون على انه قابض على ناصية الزعامة والقيادة »(٣٥) . ورحبت بقراره برجوعه عن الاستقالة ، حيث تبددت السحب « وصفا الجو الآن لمواصلة العمل » ، فمصر اليوم

لها « عرش ووزارة وبرلمان ، وهذه الهيئات الثلاث التى تمثل قوى البلاد ، ومشيئتها ورغبتها لا تعجز عن البحث عن الوسائل التى ترى انها تحقق امانى البلاد »(٣٦) . وجددت سعيها لدفع سفينة المفاوضات الى الأمام بقولها : « اننا لا نرى وجها للخسارة اذا حبطت المفاوضة ، وكل ما يمكن أن يقع هو ان الحالة بعدها تكون كما كانت قبلها من دون ان تتقيد مصر بقبولها او الاعتراف بصحتها او برضاها عنها بل ان لمصر على كل حال ربحا ، وهو ان المفاوضة ستلفت انظار العالم الى قضية مصر وقضية السودان »(٣٧) .

محـــاولة اغتيـــال ســـعد :

واشارت (المقطم) للاستعدادات التى ستجرى فى الاسكندرية لتوديع سعد بعد ان استقر عزمه على السفر الى لندن « بعدما يتم استشفاؤه فى غيشى بفرنسا »(٣٨) . ولكن سعدا قبل أن يبرح العاصمة الى الاسكندرية يتعرض لمحاولة اعتداء على حياته ، فيثير هذا الحادث سخطا عارما فى البلاد وتسجل الصحيفة تفاصيل المحاولة ، ويكون العنوان الرئيسى كالتالى : « جان اثيم يطلق رصاصة مسدس على دولة سعد باشا فى محطة مصر — الجرح سطحى بحمد الله فلتطمئن الأمة » .

وتكتب (المقطم) تعليقا بعنوان (شلت يداه) عن الجانى عبد اللطيف عبد الخالق تقول فيه : « اننا لم نكن نتصور أن يقوم فى مصر من يفكر فى ان يمد يد الأذى الى كريم ، تعده الأمة زعيمها المتفانى فى خدمتها القائم على راس نهضتها المرجو لاكمال السير فى قضيتها الذى وقف حياته وقواه على العمل لها مســـتهدفا للمخاطر غير معتد بما يضيع من الأنفاس ، ومايتعرض له من المحن . فكانما شاءت العناية الا ينقصه من اكاليل الجهاد هذا الاكليل ، وهو اكليل الاعتداء على حياته الثمينة التى يفديها الألوف ومئات

الالوف بأعز ماعندهم »(٣٩) . وطالبت بمقاومة هذا الشكل من اشكال العنف التى لا مسوغ لها بعد أن اصبحت البلاد تعيش فى ظل قواعد الدستور واحكامه ، وبعد ان أصبحت « قرارات الأمة فى ادارة شئونها الداخلية والخارجية تصدر من الهيئة التى اختارتها الأمة للنيابة عنها ، ولهذه الهيئة وحدها ان تحكم فى صحة سياسة الحكومة وأعمالها ، ولها دون سـواها ان تسأل عنها وللأغلبية الصوت المسموع »(٤٠) . فالجريمة هذه كانت سياسية خالصة هدفها فى المحل الأول منع سعد من السير فى طريقه نحو دخول المفاوضات مع الحكومة البريطانية ، وقد دبرت هذه الحادثة جمعيات الحزب الوطنى فى برلين ، حيث كان المتهم يواصل دراسة الطب بها(٤١) .

وتحدثت (المقطم) عن يوم خروج سـعد من المستشفى بعد شـفائه من جراحه ، فكان « يوما مشـهودا فى القاهرة وكان يوم سرور وابتهاج ترددت فيه أصـوات الفرح فى أنحاء العاصمة . وتوالى فيه الهتاف من كل جانب تيمنا بخروج الرئيس من المستشفى ، ودلالة على التئام جروحه وشفائه وعودته الى ميدان العمل والجهاد »(٤٢) . وكتبت تعليقا على البرقيتين المتبادلتين بين سـعد والملك فؤاد بمناسبة نجاة سعد من الحادثة تقول فيه « كأنما العرش مثل يمثل الامة بعواطفها وميولها وشـعورها ، فلا غرو اذا عرفت الأمة للعرش هذا الفضل » . اما ما جاء فى رد سعد على الملك فانه العاطفة « التى تجيش فى صـدور الأمة المصـرية ، كلما ذكرت مآثر البيت العلوى الكريم ورات الملك الدستورى يشاركها فى آمالها ومطالبها وغاياتها ، ويشعر لشعورها فيحزن لحزنها ويفرح لفرحها وينطق باسـمها بما يطابق ما فى ضميرها من الالهام »(٤٣) .

ودعت (المقطم) - بمناسبة اعلان سعد زغلول عزمه على السفر الى اوروبا للاستشفاء واجراء المفاوضات - جميع فئات الأمة الى تأييده فى مهمته ومنحه الثقة الاجماعية ، وعدم تضييع الجهود « فى الانقســـــام الداخلى مهما كان مقداره ، ولا الترامى بالتهم والتعبير بالحجج »(٤٤) . وطــالبت (ماكدونالد) رئيس الوزارة البريطانية ، أن يقدر هو وزملاؤه والحزبان المعارضان فى بريطانيا دقة الموقف قبل الاقدام على المفاوضات ، ويتنبهوا الى عمق الاتحاد بين الحكومة والأمة فى مصر ولاسيما حكومة ســـعد باشا الذى سينطق اسم مصر والسودان « فلا يخطئوا فى تقدير رغبة مصر ولا فى مبلغ نفوذ سعد فى الأمة ، لان كل خطأ من هذا القبيل يؤول الى حبوط المفاوضة حتما وليس معنى هذا أن مصر تابى الاتفاق فهى تريده ، ولكن على قواعد حقة يقتنع بها الشـعب .. هذا اذا فرضـــــنا جدلا احتمال عقد اتفاق كهذا وهو ما لا يخطر للباحث على الاطلاق »(٤٥) . وكأن الصحيفة كانت تعرف مسبقا نتيجة المفاوضات باصدارها هذا الحكم ، الذى بنته بالطبع على حسابات دقيقة أهمها معرفتها لشخصية ســـعد ومكانته الزعامية ومطالبه الحاسمة وما تنتظره الأمة منه وحدود ما سوف يسلم به ، وما تعرفه أيضا عن الحدود التى تقف عندها اية حكومة انجليزية فى هذا الظرف من مســــيرة العلاقات مع مصـــــر ، حتى لو كانت حكومة العمال التى يراسها ماكدونالد .

تفاقم احـــــداث الســـــودان :

مرة ثانية يعود مسرح الأحداث فى السودان الى التازم ، بسبب ما تعرض له جنود اورطة السكة الحديدية المصـــرية فى عطبرة من هجوم مسلح على ايدى عساكر البيادة الراكبة بقيادة القوة البريطانية وما ادى اليه ذلك الهجوم من خسائر فى الأرواح بين افراد القوة المصرية(٤٦) ، قابلت مصر اخبارها بشـــــعور

الالم والاستياء . وقالت (المقطم) ، ان ما حدث « يجب أن يكون منبها لأقطاب الدولتين المصرية والبريطانية على وجوب التعجيل بحل هذه العقدة وتقرير مصير السودان على المنوال الذى يريح ضمائر أهله ويقرر لمصر حقوقها التاريخية المعروفة » وهذا لايتسنى الا بالمفاوضات والتعجيل بها(٤٧) . وأوضحت ان هذه الأحداث اكدت حقيقة « ان شعور مصر لايزال كما كان فى عنفوان نهضتها ، وان القلوب متحدة على كل ما يمس جوهر القضية المصرية أو قضية وادى النيل » ومصر « لا تبغى الاعتداء على بريطانيا ولا يخطر هذا الخاطر لها » وكل ما تريده هو « الاتفاق على ما فيه صون حقوقها وعدم ضياعها »(٤٨) . ولكن (المقطم) انسجاما مع خطتها السياسية التى تعتمد اسلوب التفاهم والملاينة مع الانجليز فانها تعود فى غمرة الانفعالات التى تعتمل بها نفوس المصريين ازاء ما يجرى فى السودان الى القول بضرورة توافر حسن النية لحل الأزمة الحاضرة « واستئناف الخطة السابقة المؤدية الى المفاوضة لحسم كل خلاف ، فبها وحدها تتبين الحقائق ويظهر للملأ حقيقة الموقف الذى تنوى كل من الدولتين الوقوف فيه»(٤٩) . وقد استصوبت موقف الحكومة المصرية فى معالجة الأزمة الناشبة ، هذا الموقف الذى كان يتعرض للهجوم الشديد من المعارضة ، نوابها وصحافتها ، مما جعل (المقطم) تطرى موقف الحكومة وتعتبره الاسلوب الأمثل ، علما بأن الحكومة المصرية أرسلت مذكرة احتجاج الى الحكومة البريطانية وصفتها الصحيفة بانها « اول احتجاج من نوعه فى تاريخ مصر الحديث » ، أما اتهام الحكومة بالاستكانة والتقصير فهو برايها « لا يطابق الواقع بعد الاحاطة بجميع ظروفه » . واكدت على أن « المشاكل السياسية التى من هذا النوع لا تبت بضربة سيف بل لابد فيها من التذرع بالوسائل السياسية ودخول البيوت من ابوابها »(٥٠) . فقد « اعتمدت مصر منذ بدء حركتها الوطنية على الأساليب السلمية والوسائل

المشروعة ، ومازالت ترى ان حصـــولها على ما بقى من حقوقها مرهون بالأساليب عينها راجية ان يتغلب روح العدل والانصاف فى بريطانيا العظمى على ما سواه . وان تتسع صدور الساسة هناك للأمانى الحقة التى يعرب عنها المصريون والسودانيون فيسهل حل المشكلة وتوطيد العلاقات السياسية المستقبلة بين البلدين على اساس الود والاحترام المتبادل »[51] . وكررت دعوتها الى الانجليز للدخول فى المفاوضة « لان مصالحهم فى السودان وفى مصر وفى الشرق لا تصان بقوة الجيوش اكثر مما تصان بمصافاة المصريين والاعتراف لهم بحقوقهم فان ذلك يحولهم الى اصدقاء مخلصـــين يســـهرون على مرافق الانجــليز ســـهرهم على مرافقهم الخاصة فيتوفر على انجلترا ما تعانيه من هذه المشاكل »[52] ، وذلك فى الوقت الذى كانت فيه الحكومة البريطانية تضع الخطط لطرد الجيش المصـــرى من السودان بعد احداث التمرد التى قام بها ، وبعد اشـــتداد ســاعد الحركة الوطنية فى السودان . فقد اجتمع فى لندن كل من المندوب السامى فى مصر اللنبى والحاكم العام للسودان السير لى ستاك والمستر ماكدونالد ، لبحث الخطوات اللازمة لمواجهة الخطر فى السودان ، وقد قر رأى المستر ماكدونالد فى هذا الاجتماع على انه اذا رفضت الحكومة المصرية أن تتصرف بأمانة فى السودان ، فان حكومته سوف تطالبها بمغادرته كلية ، وفى هذا الاجتماع أخذ اقتراح انشـــاء قوة دفاع ســـودانية خالصة فى الســـودان فى التبلور ، ولمواجهة ما يتطلبه تأليف هذه القوة من نفقات اضافية فى الميزانية السودانية ، أشـــير بضرورة الاســـراع فى تنمية موارد الســـودان الاقتصـــادية وزيادة مساحة الأطيان المنزرعة قطنا ، وهذه الخطة التى اشترك فيها اللورد اللنبى شخصيا سوف نراه يقوم بتنفيذها بحذافيرها بعد مقتل السردار مباشرة دون ان ينتظر تعليمات حكومته[53] .

وتابعت (المقطم) اخبار المذكرات المتبادلة بين الحكومتين المصرية والبريطانية حول أحداث السودان ، وقالت ان الأسلوب الأمثل هو « طرح المسألة بحذافيرها على بساط مفاوضة حرة غير مقيدة كالتى بسطها دولة سعد باشا واظهر استعداده لدخولها على قاعدة المساواة لا على قاعدة قوى أمام ضعيف »(٥٤) . وبينما كانت الصحيفة تواصل دعوتها لبريطانيا لفتح باب المفاوضات مع مصر لحل كافة المشاكل المعلقة التى زادتها حوادث السودان تأججا ، تخرج تصريحات منسوبة لماكدونالد يتهم فيها الحكومة المصرية بأنها وراء أحداث السودان وان بريطانيا ستعزز مركزها فى السودان ، وأن لا جلاء للقوات البريطانية عن مصر(٥٥) ، فيكون لهذه دويها فى مصر ، ويقابلها سعد زغلول بالصمت ، وتعتبرها (المقطم) اغلاقا لباب المفاوضات من جانب بريطانيا ، بينما كانت المفاوضات خطة مقررة من جانب مصر ورئيس حكومتها ، الذى سبق أن اعلنها فى تصريحاته عندما برزت المشكلة السودانية فى شهر يونية بقوله « ان المفاوضة خير وسيلة يتوسل بها لحل مشكلة السودان »(٥٦) . ولكن ماكدونالد ينفى ما نسب اليه ، فترحب (المقطم) بهذا النفى وتقول انها كانت مندهشة بالفعل لصدور مثل هذا التصريح عن ماكدونالد رجل السلام ، ولكن مادام الأمر كذلك ، فان عليه أن يوجه الدعوة لسعد باشا وتحديد ميعاد بدء المفاوضة حتى « تسير الأمور فى طريقها الطبيعية وتعود المياه الى مجاريها .. صحيح أن حوادث السودان قد عكرت الجو ولكن مهمة رجال السلام فى العالم هو أن يبددوا الغيوم المتكاثفة ويزحزحوا العقبات القائمة ويصلحوا ما افسدته الأهواء والشهوات فى ساعات الانفعال »(٥٧) .

محـــادثات ســـعد ــ ماكدونالد :

ورحبت (المقطم) باقتراب بدء المفاوضـــات قائلة « ان كل مصرى يحب بلاده حبا حقيقيا ، ويرجو من صميم قلبه أن تستقر امورها على قرار وطيد لتتوافر لها أســـباب التمتع باستقلالها والانتفاع به ، يقابل هذا النبأ بالسرور والاستبشار ويشاركنا فى التمنى بتحقيق هذا الحادث الســـعيد ، وهو اجتماع الوزيرين الصديقين اجتماعا يسود محادثتهما فيه روح الاخلاص والولاء ، لعلهما يتمكنان فى هذا الاجتماع من وضـــع اسس المفاوضـــة الرســـمية الموفقة »(٥٨) . وتحدثت عن المشـــكلات التى تواجه ماكدونالد رئيس الوزارة البريطانية التى لا يســـتطيع اغفالها ، وهو بصدد اتخاذ موقف نهائى من المشاكل المعلقة مع مصـــر ، متمثلة بالمواقف المتشددة لخصـــومه ومعارضـــيه من زعماء حزبى المحافظين والأحرار(٥٩) .

وفى الوقت الذى كان سعد يهم فيه بالتباحث مع ماكدونالد ، كانت المعارضـة الداخلية فى مصر ، عبر صـــحيفة (السياسة) الناطقة بلسان الأحرار الدستوريين ، تشن ضده حملة قاسية ، وقد تصدت (المقطم) للرد على السياسة ، دفاعا عن الحكومة وعن المفاوضات مؤكدة على أن سعدا « قد سلك خطة رشـــيدة وسار على سياسة سديدة باعتزامه الذهاب الى لندن للمساعدة فى تبديد الغيوم .. ولو لم يفعل ذلك لعد مقصرا فى الواجب عليه نحو بلاده » . ونشرت جماعة الأحرار الدستوريين الذين ينتقدون حكومة الشعب ويهاجمونها على صفحات جريدتهم (السياسة) فتطلب (المقطم) من (السياسة) أن توجه هجومها لو ارادت الى الكاتب نفســـه وليس اليها ، وطلبت منها الكف عن تمحكها بالمقطم واصحابها ، وأن عليها « أن تدرك من سكوتهم الطويل عن تحرشاتها

واغضائهم عن ترهاتها أنهم لا يرون فائدة من مجادلتها ولا مزية ادبية من منازلتها بل السكوت عنها من قبيل الاحتراز عن العبث في الكلام »(٦٠) . وكانت (السياسة) قد حملت بعنف على (المقطم) وأصحابها ومحرريها والطعن فى وطنيتهم والتذكير بماضيهم الى جانب الاحتلال وذلك بسبب تأييد (المقطم) لحكومة سعد ولمفاوضاته مع الانجليز ، وابدت (السياسة) استعدادها لنشر ما كانت تكتبه (المقطم) فى الحماية « وخيرها العميم »(٦١) .

ولكن (المقطم) تواصل حديثها عن مهمة سعد فى العاصمة البريطانية ، فتدعو الأمة الى مشاركة ابنها البار هذه المسئولية « فتلزم السكينة وتجنح الى الهدوء ، تريثا لما تسفر عنه المحادثات ولا تعرقل مساعيه بالانقسام والمشاحنة والمهاترة والضوضاء »(٦٢). وقامت بنشر ما يرد اليها بواسطة (مكاتب المقطم الخصوصى) فى العاصمة البريطانية من (تلغرافات) حول تحركات سعد ولقاءاته مع المسئولين ورجال الصحافة ، وذلك تحت عناوين بارزة، كما دأبت طيلة أيام تواجد الزعيم المصرى فى لندن ومباحثاته مع ماكدونالد على التحدث عن جو الصداقة الذى يسود المحادثات والرغبة المشتركة لكلا الزعيمين لانجاحها برغم صعوبة الموقف ، مشيرة الى ان « المسألة السودانية لاتزال هى الصخرة الكبيرة التى تأخذ على السفينة مسالكها ويجتهد الربابنة والبحارة فى محاولة النجاة منها كل بحسب وجهة نظره »(٦٣) . فالبريطانيون الذين كانوا يرون فى السودان الذى يديرونه جيدا نتاجا خالصا لهم وانه من شئونهم وحدهم ، وهو ما عبروا عنه بعبارة « مسئوليتنا فى السودان » صدموا كما يقول (فابيونمى) عندما قدم المصريون مطالبهم الخاصة بالسودان (بشكل متطرف) كما صدم المصريون فى الوقت نفسه عندما وجدوا البريطانيين يعتبرون مطالبهم هذه غير معقولة(٦٤) ، فقد نظر المصريون الى ما جاء فى مشروع

ماكدونالد بخصوص السودان باعتباره ترديا وانحدارا عن اى موقف سابق لانه كان يعنى صراحة ، فصل السودان تماما عن مصر لصالح الانجليز لا لصالح السودانيين(٦٥) .
وقد ناقشت (المقطم) التشدد الذى يبديه العسكريون البريطانيون حول المواصلات الامبراطورية بقولها « ان سعد باشا لا يضمر شرا لانجلترا ولا تخفى عليه اهمية مواصلاتها الامبراطورية ولكنه يريد أن يقدم ضمانا على صون هذه المواصلات أثبت وأبقى من الضمان الذى يفكر فيه خبراؤهم العسكريون ، يريد سعد باشا أن يقدم صداقة مصر وود مصر واخلاص مصر ومحالفة مصر »(٦٦) . فليس « غريبا ولا بعيدا أن تجتمع مرافق بريطانيا ومصر فى صعيد واحد اذا كانت النيات طاهرة والمقاصد مستقيمة والمطامع غير المشروعة منبوذة فليست مصر عدوة لانجلترا ولا هى تزاحمها فى سيادة البحار ولا فى أسواق العالم »(٦٧) .

وكان الدافع لهذا الأسلوب ما انتهت اليه المحادثات من فشل فى الوصول الى نتيجة توفق بين مطالب الفريقين ، ولكن (المقطم) لاترى فى ذلك فشلا تاما ، فهى تقول : « وليس انتهاء المحادثات بهذه الصورة دليلا على أن المحادثة لم تكن لازمة .. فانها أفادت الجانب المصرى فائدة عظيمة فأوقفته على أبعد مدى تذهب اليه وزارة العمال فى كل نقطة من نقط الخلاف وبصرته بما هى مستعدة للتسليم به من المطالب المصرية ، وبالحوائل التى تحول بينها وبين التسليم ببقية هذه المطالب وذلك كله من غير أن يكون قد سلم بشىء او نزل عن شىء »(٦٨) . وعلى مصر أن تقف « موقف العمل الهادىء المستمر فى سبيل الحصول على الحق من طرقه السلمية المشروعة »(٦٩) .
واستنكرت (المقطم) حملة الصحافة البريطانية ضد سعد

باشا وقالت : « اننا نبرىء الشـــــعب الانجليزى من تبعة مطاعن هذه الصـــــحف .. ونمتز أنها مخالفة لمبادئه وآدابه وأخــلاقه السامية »[٧٠] . هكذا .

وقد ردت (المقطم) على بعض الأصـــوات البريطانية التى تتساءل عن خطوة مصر القادمة ، بعد فشل مباحثات ســـعد وماكدونالد ، والتى تبدى تخوفها من عودة المصريين للعنف بأنه « عند مصــــر عشــرات من الوســائل القانونية ، عندها نشــر الدعوة بين الشـــعوب المتمدنة ولاســيما بين الشعب الانجليزى نفسه وعندها الملاقات الحســـــنة التى توثق عراها مع الدول ، وعندها اعداد نفسها بمعدات الرقى والتقدم والنهوض .. وعندها الصبر والحكمة والأناة وبعد النظر »[٧١] .

ويصل سعد باشا الى مصر ، فتسجل (المقطم) اعجابها بحرصه على مطالب مصــــر وتمســـــكها بها ، فقد « خرج من عاصمة الانجليز ومن عرين الأسد البريطانى وقضـــية مصــــر ســـليمة وسلاحها غير مفلول ولا ملتو وعاد الى أمته يوصـــــيها بمضاعفة الجهاد وتوثيق الاتحاد » . وانتهزت (المقطم) مناسبة زيارة سعد للملك فؤاد بعد وصوله لتسجيل ترحيبها الشديد بهذا اللقاء الذى يدل على متانة الرباط الذى يحكم صلات الأمة بالعرش[٧٢] .. وأيدت المعانى التى وردت فى خطاب ســــعد زغلول عن وحدة الصفوف فى مصر والعمل بروح قومى غير حزبى[٧٣] .

ولكن فشل المباحثات المصرية الانجليزية كان فرصة مواتية للقصر ليتخلص فيها من سعد زغلول ومن الحكم الدستورى معا ، لقد أدرك ان الحكومة البريطانية يسرها كل السرور أن يختفى هذا العهد ، وتنقضى تلك التجربة الدستورية التى سببت لها كل المتاعب فى مصر وفى الســـــودان . وقد جد عامل مشــــجع

جديد عندما سـقطت حكومة العمال البريطانية فى الانتخابات التى جرت فى آخر اكتوبر ، وتولت وزارة المحافظين الحكم(٧٤) .
هنا عزم سعد زغلول على اتخاذ اجراء سريع يحقق به هدفين كبيرين ، الأول ، أن يشعر الملك بعجزه عن ازاحته من منصبه مادام متمتعا بثقة الامة ممثلة فى البرلمان والثانى أن يستغل ظروف الأزمة كلها فى تدعيم الحياة الدستورية ، ففى يوم ١٥ نوفمبر قابل سعد زغلول الملك فؤاد وقدم اليه استقالته ، وأعلن استقالته للنواب والشيوخ وأفهم زائريه منهم أن سبب الاستقالة هو دسائس السراى ، وكانت هذه التصريحات بمثابة اشارة الانطلاق .
فما لبثت ان نظمت فى اليوم التالى مظاهرات خطيرة امتلأت بها شوارع القاهرة وانطلقت الى ميدان عابدين وهى تهتف (سعد او الثورة) . وبينما كانت هذه الجماهير تتدفق الى ميدان عابدين ، كان سعد زغلول يتوجه الى الملك ليقدم اليه شروطه لسحب استقالته ، وقد استغرقت المناقشة بين الملك وسعد زغلول ساعتين ، وكان ميدان عابدين فى خلالها يموج بالجموع الصاخبة ، وهى تردد نداءها السالف الذكر . ولم يجد الملك مفرا من الخضوع، وعندئذ خرج سعد الى الجماهير يبشرها بانفراج الأزمة(٧٥) .

وقد تابعت (المقطم) موضوع استقالة سعد ثم رجوعه عنها ، دون أن تشير بالطبع الى تلك المظاهرات الهاتفة لسعد او الثورة ، مشيرة الى الاجماع الشعبى الذى يرى « أن الرئيس يجب أن يظل على رأس الوزارة ويواصل تسيير امور البلاد وادارة دفة سياستها الداخلية والخارجية » خصوصا أن (الجالس على العرش) والبرلمان وكافة الهيئات السياسية والشعبية فى البلاد وقفت « كرجل واحد تناشد الرئيس الا يفلت من يده زمام الأمر ، ولا يتخلى عن منصب الحكم » . فقد استغرب الناس هذه الاستقالة فى وقت تتمتع فيه « الوزارة بثقة البلاد وتأييد البرلمان ورضا

العرش وحقهم ان يستغربوا اذ يندر أن يتاح لوزارة من هذه الثقة والتاييد ما أتيح للوزارة السعدية التى يراسها زعيم البلاد الذى تتجه اليه الأنظار لتحقيق الأمانى ، ونحن نتجاوز هذا الاستغراب الى القول بأنه لو تخلى سعد باشا عن الوزارة لصدمت البلاد صدمة عظيمة » . وهى « تأبى ان يلقى هذا العبء على عاتق سواه »(٧٦) . ولم يكن ذلك مبالغة من (المقطم) ، فقد خرج سعد من هذه الأزمة قويا مؤيدا ، « وقد بدا بعد انتهاء المعركة أن البلاد قد اقبلت على عهد جديد تكون فيه كلمة الملك هى الدنيا ، وكلمة الأمة هى العليا ، ولكن هذا الأمل لم يعش أكثر من يومين ، ففى اليوم الثالث ١٩ نوفمبر ١٩٢٤ قتل السير لى ستاك سردار الجيش المصرى وحاكم السودان فى احد شوارع القاهرة ، ودخلت الحركة الوطنية بذلك فى طور جديد »(٧٧) .

مصرع السردار واستقالة الوزارة :

وكانت الصدمة عظيمة بالفعل ، كما قالت (المقطم) ، فقد استقال سعد على أثر اغتيال السردار ، وكانت استقالته « حادثا هز كيان الشعب وصدمة أضعفت الى حد ما الاحساس بالنصر الذى سبق الى اذهان الشعب غداة دعى سعد غلول لتولى الحكم »(٧٨) . وقد حملت (المقطم) بعنف على مرتكبى حادثة السردار ، وأعلنت استنكارها واستنكار البلاد قاطبة لهذا الحادث، قائلة : « وقد أجمع الناس على اختلاف مذاهبهم وأحزابهم ومقامهم على استفظاع الجناية واستنكارها » فان « هؤلاء السفاحين لم يقتصروا على ذلك بل تعدوه الى تكدير جو العلاقات السياسية وتعمدوا الاضرار بالقضية المصرية فى ساعة يريد فيها المصريون أن تكون علاقاتهم بجميع الناس على خير مايرام فالجناية مزدوجة ولهذا كان وقعها فى النفوس عظيما . . ولا ادل على صحة ما قلناه هنا ما شهده الناظر عصر الأربعاء من شمول الغم والأسف لجميع

الدوائر من البـــــلاط الملكى الى دوائر الحكومة والبرلمان فمجالس الخاصة ومجتمعات العامة .. وكانت علامات الكدر الشديد بادية عى وجه الرئيس الجليل . وكان يبدى أسفه وشـــــدة استنكاره للجناية لجميع الذين حادثوه »(٧٩) . ودعت (المقطم) الصحف الانجليزية الى عدم الباس الجريمة « ثوبا سياسيا عاما » والى أن « تتانى ريثما تفرغ الحكومة المصرية من التدابير الدقيقة المشددة التى اتخذتها لضبط الجناة ومعرفتهم والتحقيق معهم .. فيتيسر حينئذ ابداء حكم صـــــحيح ويتبين الدافع الحقيقى لهذه الفعلة الشنيعة »(٨٠) .

وكان يوم تشييع جنازة السردار « يوم حزن وحداد فى مصر » واجتماع « تكريم لرجل من كبار مصر واعاظم حكومتها ، واجتماع احتجـــــاج على فعلة يعدها المجتمعون اعتداء على نظــام الهيئة الاجتماعية التى لا تقوم لها قائمة اذا تجاوز الأفراد حدود حريتهم الى التعدى على حرية سواهم ونصبوا أنفسهم منصب القضـــاء والتنفيذ »(٨١) . وتابعت (المقطم) ما استجد من تطورات فى أعقاب مصرع السردار ، ومن ذلك تبليغ الحكومة البريطانية الموجه لمصر ورد الحكومة المصرية عليه وجواب اللورد اللنبى لسعد زغلول وكلمة سعد باشا فى مجلس النواب عند تلاوة رد الحكومة ، وعدد من تلغرافات الاحتجاج ضد التبليغ البريطانى وخبر استقالة سعد زغلول وقبول الاستقالة . وناقشـــــت مسالة التبليغ البريطانى والرد المصرى ، فأخذت جانب الحكومة المصرية ، سواء فى النقاط التى ردت عليها مصر بالموافقة والايجاب ، أو تلك التى كانت موضـــــع الرفض والتحفظ ، وخصـــوصا مسالتى السودان وماء النيل(٨٢) .

وتكاد تتفق المصادر ، حتى البريطانية منها ، على فداحة تلك المطالب وابتعادها ، أو معظمها ، تماما عن كل ما يمكن أن يطلب

فى ظروف مماثلة[٨٣] . ولكن السياسة البريطانية وقتذاك كانت تسعى للاطاحة بوزارة سعد زغلول نفسها التى كانت قد اتخذت الاجراءات الهادئة لتصفية اداة الاستعمار فى مصر ، والى جانب ذلك كان التفكير قد بدأ يتطور فى هذا الوقت ، للتخلص من الوجود المصرى فى السودان على اساس ان هذا الوجود هو الذى سبب المتاعب التى لقيها البريطانيون فى السودان خلال عام ١٩٢٤ . وهكذا لم تكن حادثة السردار السبب الأساسى لتقديم الانذار المشهور الى الحكومة المصرية وانما هى قد منحت فقط المناخ المناسب لتقديم هذا الانذار[٨٤] . ولعل اصدق وصف للمدى الذى وصلت اليه السياسة الانجليزية فى تداخلها بالشئون المصرية ما ذكره (العقاد) عن سعد زغلول الذى كان يقول كلما ذكرت وزارة الشعب الأولى وازمتها ومعضلاتها « ان عيبنا الاكبر فى تلك الوزارة اننا اخذناها جدا وصدقنا اننا مستقلون »[٨٥] .

هوامش الفصل السابع

(١) المقطم ٢٩ يناير ١٩٢٤ .

(٢) المقطم ٣٠ يناير ١٩٢٤ .

(٣) المارشال ويفل ، اللنبي في مصر ، ص ١٠٩ ، ١١٠ .

(٤) يونان لبيب ، تاريخ الوزارات المصرية ، ص ٢٧٠ .

(٥) المقطم ٩ فبراير ١٩٢٤ .

(٦) عبد الخالق لاشين ، سعد زغلول ، ص ٣٦٢

(٧) المقطم ١٠ فبراير ١٩٢٤ .

(٨) المقطم ٢٦ فبراير ١٩٢٤ .

(٩) المقطم ٢ مارس ١٩٢٤ .

(١٠) المقطم ٥ مارس ١٩٢٤ .

(١١) المقطم ٨ أبريل ١٩٢٤ .

(١٢) عبد الخالق لاشين ، سعد زغلول ، ص ٣٧٧ — ٣٧٩ .

(١٣) المقطم ١٦ مارس ١٩٢٤ .

(١٤) المارشال ويفل ، اللنبي في مصر ، ص ١١١ .

(١٥) **Zayid, M.Y., Egypt's Struggle Fof Independence. Op. Cit., P. 116.**

(١٦) محمد زكي عبد القادر ، محنة الدستور ، ص ٥٤ .

(١٧) المقطم ١٧ مارس ١٩٢٤ .

(١٨) المقطم ٢٤ ابريل ١٩٢٤ .
(١٩) يونان لبيب ، تاريخ الوزارات المصرية ، ص ٢٧١ ، ٢٧٢ .
(٢٠) المقطم ٢٥ ابريل ١٩٢٤ .
(٢١) المقطم ٢٧ ابريل ١٩٢٤ .
(٢٢) المقطم ٨ مايو ١٩٢٤ .
(٢٣) المقطم ٩ مايو ١٩٢٤ .
(٢٤) المقطم ١٠ مايو ١٩٢٤ .
(٢٥) المقطم ١١ مايو ١٩٢٤ .
(٢٦) المقطم ١٣ مايو ١٩٢٤ .
(٢٧) المقطم ٢٧ مايو ١٩٢٤ .
(٢٨) طارق البشرى ، سعد زغلول يفاوض الاستعمار ، ص ١٤٧ ، ١٤٨ .
(٢٩) عبد العظيم رمضان ، تطور الحركة الوطنية فى مصر ١٨ — ١٩٣٦ ، ص ٤٤٢ .
(٣٠) المقطم ٢٤ يونيو ١٩٢٤ .
(٣١) المقطم ٢٥ يونيو ١٩٢٤ .
(٣٢) المقطم ٢٧ يونيو ١٩٢٤ .
(٣٣) المقطم ٢٨ يونيو ١٩٢٤ .
(٣٤) عبد الخالق لاشين ، سعد زغلول ، ص ٢٩٣ .
(٣٥) المقطم ١ يوليو ١٩٢٤ .
(٣٦) المقطم ٢ يوليو ١٩٢٤ .
(٣٧) المقطم ٨ يوليو ١٩٢٤ .
(٣٨) المقطم ١٠ يوليو ١٩٢٤ .
(٣٩) المقطم ٢٤ يوليو ١٩٢٤ .
(٤٠) المقطم ١٧ يوليو ١٩٢٤ .
(٤١) عبد الخالق لاشين ، سعد زغلول ، ص ٣٩٥ .
(٤٢) المقطم ١٩ يوليو ١٩٢٤ .
(٤٣) المقطم ٢٠ يوليو ١٩٢٤ .
(٤٤) المقطم ٢٢ يوليو ١٩٢٤ .
(٤٥) المقطم ٢٣ يوليو ١٩٢٤ .
(٤٦) المقطم ١٣ اغسطس ١٩٢٤ .
(٤٧) المقطم ١٤ اغسطس ١٩٢٤ .

(٤٨) المقطم ١٥ اغسطس ١٩٢٤ .
(٤٩) المقطم ١٧ اغسطس ١٩٢٤ .
(٥٠) المقطم ١٩ اغسطس ١٩٢٤ .
(٥١) المقطم ٢٣ اغسطس ١٩٢٤ .
(١٥٢) المقطم ٢٧ اغسطس ١٩٢٤ .
(٥٣) عبد العظيم رمضان ؛ الجيش المصرى فى السياسة ١٨٨٢ — ١٩٣٦ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ؛ القاهرة ، ١٩٧٧ ، ص ١٧٧ .
(٥٤) المقطم ٣ سبتمبر ١٩٢٤ .
(٥٥) المقطم ٤ سبتمبر ١٩٢٤ .
(٥٦) المقطم ٥ سبتمبر ١٩٢٤ .
(٥٧) المقطم ٦ سبتمبر ١٩٢٤ .
(٥٨) المقطم ١٠ سبتمبر ١٩٢٤ .
(٥٩) المقطم ١١ سبتمبر ١٩٢٤ .
(٦٠) المقطم ١٧ سبتمبر ١٩٢٤ .
(٦١) المقطم ١٧ سبتمبر ١٩٢٤ .
(٦٢) المقطم ٢٤ سبتمبر ١٩٢٤ .
(٦٣) المقطم ٢ اكتوبر ١٩٢٤ .
(٦٤) **Fabunmi, L.A., The Sudan In Anglo-Egyptian Relations 1800 — 1956, London, 1960 , P. 76.**
(٦٥) طارق البشرى ؛ سعد زغلول يفاوض الاستعمار ، ص ١٦٩ .
(٦٦) المقطم ٤ اكتوبر ١٩٢٤ .
(٦٧) المقطم ٤ اكتوبر ١٩٢٤ .
(٦٨) المقطم ٥ اكتوبر ١٩٢٤ .
(٦٩) المقطم ٧ اكتوبر ١٩٢٤ .
(٧٠) المقطم ١٠ اكتوبر ١٩٢٤ .
(٧١) المقطم ١٥ اكتوبر ١٩٢٤ .
(٧٢) المقطم ٢٢ اكتوبر ١٩٢٤ .
(٧٣) المقطم ٢٦ اكتوبر ١٩٢٤ .
(٧٤) عبد العظيم رمضان ؛ تطور الحركة الوطنية فى مصر ١٨ — ١٩٣٦ ، ص ٤٥٧ .
(٧٥) عبد العظيم رمضان ؛ تطور الحركة الوطنية ؛ ص ٤٥٩ — ٤٦١ .

(٧٦) المقطم ١٩ نوفمبر ١٩٢٤ .

(٧٧) عبد العظيم رمضان ، تطور الحركة الوطنية ، ص ٤٦١ .

(٧٨) محمد زكى عبد القادر ، محنة الدستور ، ص ٦١ .

(٧٩) المقطم ٢١ نوفمبر ١٩٢٤ .

(٨٠) المقطم ٢٢ نوفمبر ١٩٢٤ .

(٨١) المقطم ٢٣ نوفمبر ١٩٢٤ .

(٨٢) المقطم ٢٥ نوفمبر ١٩٢٤ .

(٨٣) عبد الخالق لاشين ، سعد زغلول ، ص ٤٢٢ .

(٨٤)يونان لبيب الحقيقة التاريخية وراء حادثة السردار ١٩٢٤ ، مجلة الهلال عدد سبتمبر ١٩٦٨ .

(٨٥) عباس محمود العقاد ، سعد زغلول سيرة وتحية ، ص ٤٣٩ .

القســم الثــانى :

الفصــــل الأول

المقطم ومشكلات الحيــاة الدستورية ١٩٢٤ ـ ١٩٣٦

وزارة زيور وانقاذ ما يمكن انقاذه :

عهدت السراى الى احمد زيور بتشكيل الوزارة الجديدة فى نفس اليوم الذى قبلت فيه استقالة سعد باشا « ويلاحظ أن سلطة السراى انتعشت على اثر قبول استقالة سعد زغلول ، ويظهر أن سلطة الاحتلال على عادتها أرادت أن تؤدب الكتلة الشعبية فأطلقت الأمر للسراى ، ومن هنا جاء اختيار أحمد زيور رئيسا للوزارة ، وهو رجل مسالم للاحتلال والسراى ، ومجرد موظف ارتقى حتى بلغ منصب الوزارة ، فلا شأن له بالشعب ولاشأن للشعب به »(١) . وكان مفهوما من طابع وزارته وطريقة تأليفها انها ستكون صنيعة لدار المندوب السامى ثم للسراى ، وصار هدفها فى سياستها عامة هو العمل على استرضاء الانجليز واستبقاء عطفهم عليها(٢) . وقد وصفه احد رجالهم بانه مؤمن بالصداقة الانجليزية ، وبذلك كان بطبيعته ومظهره الرجل المطلوب للخروج بمصر من هذا الموقف الصعب ، وكان له من الراى الصائب ، ما يفهم به أن السياسة الوحيدة لمصر هى موافقتها على المطالب البريطانية بغير سؤال(٣) . وقد قبل زيور جميع المطالب البريطانية التى تضمنها الانذار الموجه للحكومة المصرية عقب مصرع السردار ، سواء المتعلق منها بالسودان او بمصر . « وبتسليم وزارة زيور باشا بكل هذه الأمور ، تكون مصر قد وقعت فى قبضة النفوذ

الانجليزى تماما ، ويكون استقلالها الداخلى قد انكمش الى ما كان عليه قبل اصدار تصريح ٢٨ فبراير تقريبا . فقد سقطت ادارة المصالح الحيوية فى البلاد فى قبضة السلطات البريطانية فى مصر عن طريق المستشارين المالى والقضائى والقسم الأوروبى للأمن العام »(٤) . وقد ضم زيور فى البداية الى وزارته اثنين من الوفديين هما احمد محمد خشبة وعثمان محرم ، وذلك ذرا للرماد فى العيون ولكن نتيجة لسياسة الاستسلام الكامل لمطالب الانجليز التى عبر زيور باشا عنها بعبارة (انقاذ ما يمكن انقاذه » ، استقال هذان الوزيران بعد تشكيل الوزارة بخمسة ايام فقط(٥) .

اما (المقطم) فتستقبل زيور باشا بالاشادة بحكمته وخبرته ، فقد « تألفت الآن وزارة جديدة فيها نخبة من رجال مصر وعلى راسها وزير مشهود له بصدق الوطنية وبعد النظر ، تقلب فى مناصب القضاء والادارة والسياسة والنظام النيابى والذين يعرفونه يشهدون له بالنزاهة والغيرة وصدق الوطنية » . وهذه الوزارة الجديدة « تضع نصب عينيها المصلحة العامة وتتخذها شعارا لها فى بيانها الوزارى الذى ستعرضه على البرلمان ، وفيما تباشر من الأعمال معتمدة على تأييد العرش وتعضيد الأمة لها أى على الاتحاد المصرى المتين الذى طالما حل مشكلات مصر وأخرجها من معضلاتها »(٦) . ولكن وزارة زيور تستصدر مرسوما بتأجيل انعقاد البرلمان شهرا قاصدة بذلك الا تتقدم الى البرلمان ببيان برنامجها . وتجرى ايضا عملية اعتقال عبدالرحمن فهمى ومحمود فهمى النقراشى ومكرم عبيد من اقطاب الوفد ، فيقابل ذلك كله باحتجاج الهيئات الوفدية والوطنية التى نعت على الحكومة صمتها ازاء تغلغل النفوذ الانجليزى فى الادارة الداخلية ولا تجد (المقطم) امام هذه الأحداث الا ترديد نصيحتها بالتذرع بالاتحاد والارتفاع بالمسألة « من مستوى الحزبية والشعور

الشخصى الى مستوى القومية ، وأن تجرد عن العوامل الخاصة وتسير فى وجهتها العامة وأن يشدد ساعد الذين يسعون لحل العقدة وصون مصلحة مصر وحقوقها بكل ما تستطيع الأمة موالاتهم فى المعونة »(٧) . وتساءلت (المقطم) قائلة « اليس الأسلم والأفضل الآن ان نتأنى حتى نرى ما تفعله هذه الوزارة الجديدة لاخراج مصر من الورطة الصعبة التى ورطتها فيها بعض قصار النظر فى عواقب الأمور »(٨) . وهكذا تحولت المعركة ضد الانجليز الى معركة ضد الوفد والشعب الذى يسنده ، وشغل القصر وزعماء المعارضة عن مصلحة البلاد فى تلك اللحظة الشديدة الحرج باثارة الخصومة الحزبية وتفتيت الموقف الداخلى . ومما ساعد هذه القوى المعادية للوفد على اجتراح فعلتها ، الصدى العظيم الذى أحدثه مقتل بريطانى كبير له مركز السردار لى ستاك ومكانته ، وما تبعه من سقوط اول وزارة دستورية تحت ثقل اعتداء بريطانى جسيم على استقلال البلاد(٩) .

وفى هذا السياق ، كان تحذير (المقطم) للمصريين بأن « اقل زلة نزلها قد تؤدى بنا الى أشد محنة نبتلى بها . وخير نصيحة نرى من الواجب علينا أن ننصح بها اخواننا بنى وطننا وبناته الا نأتى قولا ولا فعلا نتورط به فيما نكرهه »(١٠) . وذلك وسط المشاعر الوطنية الغاضبة لخروج وحدات الجيش المصرى فى السودان ، الذى ابى « ضباطه وجنوده ان يغادروا مراكزهم الا اذا تلقوا امرا بذلك من الحكومة المصرية ووقفوا موقف مقاومة جديرة بالثناء »(١١) . وكان رفضهم الانسحاب « مما الهب مشاعر السودانيين ، فقد انتابت العاصمة المثلثة هزة من الفرح وسارع الأهالى الى اظهار تأييدهم وعزمهم على الانضمام الى القوات المصرية فى اية

لحظة ، فقد سئموا ظلم الانجليز والضرائب الباهظة والذل الذى اعتراهم وانزله الانجليز عليهم »[١٢] . ولكن وزارة زيور قررت باتفاقها مع السراى سحب الجيش المصرى من السودان ، وعهدت الى وزير الحربية صادق يحيى باشا أن يبعث برسالة الى ضباطه وجنوده بوجوب الاذعان لهذا الأمر[١٣] .

وقد نشرت (المقطم) اقتراحا لأحد القراء يطالب فيه باستخدام الجيش العائد من السودان لنشر الأمن واستتبابه فى الاقاليم المصرية[١٤] . ولم تتوان الحكومة عن تنفيذ ذلك فقد نقل العديد من الضباط العائدين الى البوليس وخفر السواحل بهدف تشتيتهم[١٥] .

وناقشت (المقطم) الركنين اللذين بنت الوزارة عليهما أسس اتفاقها الجديد مع المندوب السامى البريطانى . وكان « من أول نتائجه خروج الجنود البريطانيين من جمرك الاسكندرية » ، وهما « حكم الضرورة والرغبة فى حسن التفاهم » ، بقولها : « انه لو كان لها الخيار فى الأمر لما اختارت أن تتنازل عن شىء مما قضت به القوانين والاتفاقات السابقة وانها فضلت أن تبذل شيئا تقول فى المذكرة الايضاحية انه ليس ذا بال على تعريض البلاد لبقاء حالة ليس بقاؤها فى مصلحة الأمة ، واجتنابا لطلبات أخرى تمليها القوة ولا قبل لمصر باتقائها »[١٦] .

وادعت (المقطم) أن الحكومة « بذلك بذلت مجهودا كبيرا للاحتفاظ بكثير مما كان الانجليز مصممين على أخذه »[١٧] . ووجهت حديثها للمعارضة الوطنية قائلة : « ولا نعترض على النقد المشروع لأعمال الحكومات والوزارات والأحزاب السياسية ولا نعارض فى مناقشتها الحساب فهذا حق للأمة ولكل فرد من افرادها فى ظل الحكم الدستورى .. غير أن بين هذا النقد

المشروع المباح الواجب وبعض ما نحن فيه الآن بونا شاسعا»(١٨).
وقد أصدرت الحكومة مرسوما بحل البرلمان فتقول (المقطم) انه « مادام الحكم سيكون للأمة فى هذا النزاع الذى يأسف كل محب لمصـــر على وقوعه بين هاتين الهيئتين فى اول عهد الدستور فان الهم الاكبر يجب ان يوجه الآن الى اطلاق حرية الانتخاب حتى يكون الاستفتاء الذى تبغيه الوزارة استفتاء صحيحا ، يعبر عن رأى الأمة ويعرب تمام الاعراب عن مشيئتها »(١٩) .

ولكن الشكوك كانت تحوم منذ البداية حول المناخ الذى سوف تجرى فى ظله المعركة الانتخابية المقبلة ، فقبل حل المجلس ، تم تعيين اســماعيل صـــــدقى « وكان من اقطـــاب حزب الأحرار الدستوريين وزيرا للداخلية وكان الغرض من تعيينه فى هذا المنصب تقوية الوزارة والاستعانة به فى تسخير الأداة الحكومية للعبث بالانتخابات التى بدت بوادرها تلوح فى الافق وقمع حــــركات المقاومة التى استثارها عدوان الانجليز واســـتسلام الوزارة امام مطالبهم الجائرة »(٢٠) . فقد رسخ فى العقل الشــــعبى المصرى ان ســـعد زغلول فى طريقه للعودة الى الســلطة ، من هنا كان الاســـــتعانة بصـــدقى لازالة هذه (الخرافة) بكل طاقاته وكانت تحركه لذلك عوامل الخوف والكراهية والانتقام ، ليس هو فحسب وانما الملك والأحرار الدستوريون أيضا .

وقد اعطى صدقى صلاحيات واســــعة للتصرف فى وزارة الداخلية(٢١) ، والحقيقة أن الانجليز كانوا فى ذلك الوقت يقودون الحملة ضـــــد الوفد فى طريقين : الطريق الأول مساعدة القصر واطلاق يده تماما فى هدم الوفد ، أما الطريق الثانى فهو محاولة ادانة الوفد كهيئة فى جريمة قتل السردار ، على أن هذه المحاولة من جانب الانجليز والحكومة لم تلبث ان أدت الى عكس المطلوب منها فى نفوس الشعب(٢٢) .

فقد صمم سعد على عدم الاستسلام وعاد الى الحياة السياسية راغبا فى خوض تلك المعركة ، متعددة الجبهات ، مصرحا ان هدفه من الاشتراك فى الانتخابات المقبلة انما هو بغرض انقاذ الدستور معربا عن ثقته في فوزه . ومن ناحية أخرى ، فقد تجنب سعد ، قدر الامكان ، الدخول فى اية صدامات جديدة مع بريطانيا حيث قد وضح له تماما مدى قدرتها على حرمان مصر من التمتع بنظامها الدستورى ، ومعنى ذلك أن سعد زغلول اقتنع بأن تكون معركته القادمة مع خصومه من المصريين(٢٣) .

المعركة الانتخابية وحل البرلمان يوم انعقاده :

وتحدثت (المقطم) عن ظاهرة المرشحين المستقلين للانتخابات ، واعتبرتها دليلا « على أن فريقا من الأمة أخذ ينفر من تطاحن الأحزاب ، دون الاتفاق على المبادىء السياسية والمصالح العمومية ، حتى صاروا يعدونه فى مضار وجود الأحزاب بالحالة الحاضرة والمصلحة الوطنية »(٢٤) ، وذلك فى الوقت الذى كانت تنشر فيه اسماء المستقيلين من الوفد ومن الهيئة الوفدية البرلمانية ، الذين كانوا يشيرون فى استقالاتهم الى أن الوفد « غير موال للعرش » أو « أنهم أخذوا على سعد اشياء أثناء حكمه ، مع أن السبب الحقيقى لخروجهم من الوفد هو الرغبة فى الانضمام الى الحزب الجديد والصعود معه»(٢٥) ، وهو حزب الاتحاد الذى فكر حسن نشأت فى تأسيسه لسببين : احدهما : ايجاد هيئة سياسية للمنشقين عن الوفد ، وثانيهما : خلق حزب منظم ذى طبيعة ملكية ولون محافظ(٢٦) .

وقد اشارت (المقطم) الى ما تكتبه الصحف البريطانية عن هذا الحزب الجديد الذى انضم اليه عدد من الوفديين المنشقين ، من امثال محمد الببلاوى ومحمد فهمى اللذين ذكرت (التايمز) انهما

« تخليا عن الهيئة الوفدية لانهما يرتابان فى اخلاص الوفد للعرش » فى الوقت الذى نشرت فيه (المقطم) بيان سعد زغلول الذى يؤكد فيه الولاء الخالص للعرش ، وعقبت عليه بقولها ان الجمهور سيقابله « بالارتياح والاطمئنان لأن الولاء للعرش من اركان هذه النهضة ومن أسباب ضمان نجاحها ولا يرجى لها فلاح الا اذا توافر التعاون بين العرش والامة مع المحافظة على كرامة العرش وهيبته والتمسك بأهداب الولاء للجالس عليه وصون المبدأ الذى يجعل العرش فوق الأحزاب »(٢٧) .

وتابعت (المقطم) نشاطات هذا الحزب وتحركات رجاله . ونشرت تلغرافات الولاء التى يقدمونها للقصر . وفى الوقت الذى كانت فيه المعركة الانتخابية محتدمة وقعت اشتباكات مسلحة بين انصار مرشحى الوفد والأحرار الدستوريين فى (المحلة الكبرى) سقط فيها عدد من القتلى والجرحى ، فتقول (المقطم) : « والذى نرجوه الآن هو ان يكون ما جرى فى المحلة الكبرى عبرة لجميع الأحزاب السياسية والمشتغلين بالسياسة والادارة من رجالنا فيسعى الجميع الى تضييق الخصومة السياسية باجتناب ما يوغر الصدور من الأقوال والكتابات ، التى تزيد نار هذه الخصومة اتقادا واضطراما »(٢٨) .

حاولت الصحيفة أن تكون منصفة لجميع الفرقاء خلال متابعتها لسير المعركة الانتخابية ، فهى تنشر اخبار الوفود التى تزور بيت الأمة ، وتلك الوفود التى تزور القصر الملكى ووزارة الداخلية ، معربة عن ثقتها وتأييدها للحكومة الحاضرة وما كانت تتخلله هذه اللقاءات من بيانات وخطب تتضمن الهجوم والاتهامات المتبادلة بين سعد زغلول والوزارة . فضلا عن متابعة اخبار الجولات التى يقوم بها وزير الداخلية صدقى باشا فى الأقاليم لتفقد سير المعركة الانتخابية .

وقد واصلت (المقطم) حملتها عن النظام الحزبى فى مصر ، لما يعانيه هذا النظام من تمزق وتطاحن على حد قولها ، واقترحت « العدول عن نظام الاحزاب عندنا الى ان يتقرر مصير مصر النهائى من الوجهة الدولية ثم تنشأ عندنا الأحزاب على كيفية ادارة شئوننا الداخلية ، وهى التى يقع الخلاف عادة بين الأحزاب على أفضل الوسائل التى يتوسل بها لرعايتها وترقيتها »(٢٩) . ولا يبعد ان يكون هذا الهجوم على الاحزاب المصرية عشية الانتخابات ، داخلا فى سياق الحملة القائمة ضد الوفد ، التى اشار بها الانجليز ونفذها القصر ، لاسيما أن الصحيفة تدرك ضعف حزب الاتحاد الملكى الذى لا يطاله لضعفه ومحدودية انتشاره مثل هذا الهجوم ، اما الأحرار الدستوريون فقد دأبت جريدتهم (السياسة) باستمرار على الطعن فى (المقطم) وفى وطنية اصحابها ، خصوصا ان (المقطم) كانت صوتا من أصوات حكومة سعد زغلول التى كانت حربا عوانا على الدستوريين(٣٠) .

وبعد ظهور نتائج الانتخابات وفوز الوفد بالأغلبية نشرت (المقطم) تعليق مراسل (رويتر) عيلها وقوله « أن وجه زغلول باشا يطفح سرورا وبشرا وهو عظيم الارتياح الى الفوز العظيم الذى احرزه ، وأن نتيجة الانتخاب خيبة امل عظيمة للحكومة التى توسلت بجميع وسائل التشديد التى تملكها ، وكان رجالها يتوقعون أيضا أن يقضوا على قوة الوفد وينزلوا زغلول باشا من مقامه ومرتبته »(٣١) . وذلك دون تعليق من ناحيتها على هذا الفوز، ولكنها وصفت الوزارة الجديدة التى شكلها زيور من الاتحاديين والدستوريين والمستقلين بأنها « وزارة فئة من الأحزاب »(٣٢) .

ثم اوردت (المقطم) قصة حل البرلمان الجديد الذى لم يزد عمره على تسع ساعات ، مبينة فى اخبارها أن سبب الحل يتمثل فى شعور وزارة زيور بالحرج بعد أن فاز سعد باشا برئاسة

مجلس النواب بأغلبية الأصوات على منافسه عبد الخالق ثروت .
وقالت ان المسألة كلها « تدور على محور واحد ، وهو العجز عن التوفيق بين الأحزاب ، ولما ايقنت الوزارة باستحالة هذا التوفيق وأن المجلس لا يؤيدها ، فعلت الأمر الطبيعى ، واستقالت ولما رفضت استقالتها طلبت من الملك حل المجلس »(٣٣) . ولا ندرى ما هى العلاقة بين فوز سعد برئاسة المجلس ومسألة التوفيق بين الأحزاب ، الا أن يكون هروبا من مواجهة الحقيقة التى تأكدت باقتناع الملك فؤاد « بأن اى محاولة من جانبه ليحكم مصر من خلال النظام الدستورى ، هى محاولة مقضى عليها بالفشل ، وأن الأمة المصرية لا تقبل حياة برلمانية مزيفة ، ولا تنخدع ، وادرك أنه لا يستطيع الانفراد بالحكم الا عن طريق ابطال النظام النيابى نفسه ما امكن الى ذلك سبيلا ، وهذا هو تفسير الاجراء الذى واجه به انتصار سعد زغلول فى مجلس النواب » ، وسرعان ما أخذ القصر على اثر ذلك يستأثر بكل السلطة فى البلاد(٣٤) .

وبدت المعركة لاول مرة ظاهرة للعيان . فقد وضح أن السراى لا تريد الوفد ولا زعيمه . وفى عبارة موجزة لا تريد الدستور ولا البرلمان ، وتألبت كل القوى الكارهة للموجة الشعبية، وحكمت حكومة زيور من غير برلمان ، زاعمة انها تعدل قانون الانتخاب ، وفى الوقت نفسه سارت فى مهاجمة خصومها والتنكيل بهم على اسوا صورة(٣٥) . والحق الذى لا مرية فيه ان حل هذا المجلس كان مخالفة صريحة لأحكام الدستور ، وانتهاكا صارخا لارادة الأمة ، وقد عملت الوزارة مجتمعة ، ومن خلفها القصر ، على اضعاف مركز سعد والوفد والتضييق عليهم ، مستخدمة فى ذلك شتى الوسائل والأساليب التى ضاق بها حتى خصوم الوفد انفسهم ، وهكذا بدا أن مصر اصبحت خالصة للحكم الأوتوقراطى ولنزعات الملك الاستبدادية(٣٦) .

اما (المقطم) فتكتب تحت عنوان « من لمصر اليوم للنجاة من هذه الحرب الأهلية ؟ » تقول : « نعم انها حرب اهلية ليس لدوامها اذا دامت والعياذ بالله سوى عاقبة واحدة يعرفها كل من طالع تاريخ الحروب الأهلية فى مختلف البلدان وشتى العصور ، عاقبتها ضعف القوى ووهن النفوس وتأصل الاحقاد واغفال مصالح البلاد ، وترك قضيتنا الكبرى معلقة فى الفضاء لانصراف العاملين الى ما جعلوه خطا غايتهم العظمى ومقصدهم الاكبر »(٣٧) .

وتابعت (المقطم) حملتها على الاسس التى تقوم عليها الأحزاب السياسية المصرية بقولها : « فليقل لنا الباحثون والمفكرون والمحققون اين وجوه الخلاف فى مناحى الاحزاب السياسية المصرية ؟ » . واذا كان الامر كذلك « فما الذى يمنع الزعماء من التعاون والتضافر ؟ الا ان العائق الوحيد فيما نرى هو انتفاء الثقة بين الزعماء والأحزاب »(٣٨) .

واكدت الصحيفة على اخلاصها للعرش وولائها للقصر، فى الوقت الذى زادت فيه سطوته واستبداده فى غياب الحياة الدستورية وعبرت عن ذلك فيما نشرته من اخبار وتعليقات ، فهذه دعوة سكرتير عام نقابة عمال السكك الحديدية ومصالح الحكومة للقيام بمسيرة تأييد وولاء للملك « كى يقوم العمال باظهار شعورهم نحو مليكهم المفدى وتمسكهم بلواء عرشه الامين »(٣٩) . وخبر تقديم مدير (بنى سويف) ثلاثمائة صورة من صور الملك لوضعها فى المدارس الابتدائية « بحيث يراها جميع الطلبة فى غدواتهم وروحاتهم فيهتفون بحياة جلالة الملك يوميا عند المجىء الى المدرسة والانصراف منها »(٤٠) .

ازمة كتاب « الاسلام واصول الحكم » :

قفزت الى سطح الحياة السياسية فى عهد وزارة زيور ، قضية الكتاب الذى الفه الشـــيخ على عبد الرازق تحت عنوان « الاسلام واصول الحكم » عرض فيه للخلافة الاسلامية ودلل على انها ليست من أصول الاســـلام ، وكانت الخلافة فى ذلك الوقت مطمح نظر الملك فؤاد بعد الغائها فى تركيا ، فثارت ثائرة الحكومة على الكتاب وصاحبه ، واوعزت الى هيئة كبار العلماء ان تبحث الكتاب وتحاكم المؤلف بوصف كونه من العلماء ، فحاكمته واصدرت حكمها باخراجه من زمرة العلماء ، وقد راى وزير العدل (عبدالعزيز فهمى) عرض الموضوع على لجنة أقسام القضايا بوزارة الحقانية ، الامر الذى ادى الى فصله من وزارة العدل لتصادم موقفه مع رغبة السراى(٤١) .

وقد تابعت (المقطم) قضية هذا الكتاب كمادة اخبارية ، ونشرت بعض المقالات والبحوث التى تناقش افكار المؤلف ، وتنبه لخطورة ما اورده على مبادىء الدين الاسلامى(٤٢) . وتحدثت عن الأزمة الوزارية التى نشأت عن خروج عبد العزيز فهمى رئيس الأحرار الدستوريين من الوزارة ، مشيرة الى ان الازمة توافرت عوامل تفجرها من قبل ولكنها برزت بوضوح عندما « توافر لها هذا الظرف الملائم بقضية الشيخ على عبد الرازق ، فكان من هذه القضـــية وملابساتها وما تفرع عليها ، عامل ادى الى انقســـام الحزبين المؤتلفين وخروج ممثل الحزب الذى يرى ان الاجحاف كان نصيبه من هيئة الوزارة(٤٣) .

وتوجهت (المقطم) الى الملك فؤاد تدعوه لمعـــالجة الأزمة الناشئة عن انهيار ائتلاف الحزبين خصـــوصا ان البرلمان غير موجود ، وقالت ان واجب جميع أصحاب الكلمة المســـموعة فى

البلاد المساعدة فى الوصول الى حل (العقدة) الحاضرة « فاذا لم يتقدم من ذكرنا الى الميدان ، أفلا يصح أن يعقد مجلس كمجالس العرش فى اوروبا من أقطاب البلاد اى من أمرائها ووزرائها السابقين وكبار القضاة السابقين ؟ »(٤٤) . وأوضحت الصحيفة ان ما جرى لم يخل من الفائدة ، فقد بين أهمية « الاعتماد على الدستور وتعزيز مقامه والأخذ بناصره والرجوع اليه فى الأعمال السياسية والادارية والفصل فيما قد يقع من الخلاف بين الأحزاب(٤٥) . ولكن هيهات للعرش ان يقبل حكم الدستور فى هذه الفترة التى تميزت بأوتوقراطية القصر ، فان السراى لم تكترث لهذه الانفصالات ، وسرعان ما ملأت الفراغات التى حصلت فى الوزارة ، وانضم الوزراء الجدد الى حزب الاتحاد ، فصارت الوزارة كلها من الاتحاديين ، وبذلك انفرد هذا الحزب بالحكم ، وصارت السراى تتدخل فى كل كبيرة وصغيرة من شئون الحكومة وأغلب الظن ان السراى لم تعمد الى هذه الخطوة الجريئة فى الاستغناء عن أحد هذين الحزبين اللذين كانا يسيران فى ركابها الا لاعتقادها انها ستكسب عطف الراى العام باستثارة عواطفه الدينية ضد كتاب عبد الرازق ولكنها لم تفلح(٤٦) .

وكانت (السياسة) جريدة الأحرار الدستوريين ، قد شنت حملة قاسية ضد الحكومة التى خرج الوزراء الدستوريون منها ، وكانت عناوين مقالاتها الافتتاحية كالآتى : « المتجر بدين الله خاسر » و « ازمة الدستور يجب أن تغضب لها الأمة جميعها » و « يتجرون بالدين » و « انفضح أمرهم » و « منافقون » و « تصفية حساب بين الأحرار الدستوريين وحزب الاتحاد » و « ياحسرة على الأخلاق »(٤٧) .

كما تعرض الأحرار الدستوريون لهجوم مماثل من جريدة (الاتحاد) الناطقة باسم حزب الاتحاد ، التى كانت « السياسة »

تصفها بجريدة « يحيى باشا » وهو رئيس حزب الاتحاد ونائب رئيس الوزارة المصرية ، التى جرت التغييرات الوزارية وهو يتولى مهام رئيس الوزارة بالنيابة ، بينما كان زيور يقضى اجازته فى اوروبا .

وصـــــول اللورد لويد :

حضر اللورد لويد الى مصر ، ليحتل الكرسى الذى غادره اللنبى ، فى دار المندوب السامى البريطانى ، ويوم وصوله كتبت (المقطم) تقول : « ان الأنباء الخاصة الواردة من بعض اقطاب السياسة المصرية فى الخارج تشير الى توقع التفاهم التام بين الحكومة المصرية وفخامة الورد جورج لويد بعدما اطلع على عدة تقارير ارسلت اليه ، وحادث نفرا من زعماء البلاد عن حالتها السياسية واتجاه الميول فيها »(٤٨) . وقد استقبل لويد بحفاوة بالغة . وزاد فى التعظيم من شأنه انه لم يقدم أوراق اعتماده الى الملك على خلاف ما كان متبعا قبل اعلان الحماية ، وسكتت الوزارة على هذا الوضع المهين ابتغاء الزلفى لدى المعتمد الجديد(٤٩) .

ونشرت الصحيفة رسالة لاحدى القارئات عن (مصر واللورد جورج لويد) تقول : « ولقد علمتنا التجارب أن الطفرة محال ، ومبدا الاستقلال التام او الموت الزؤام مشكوك فيه ، ولايمكن الأخذ به ، وما دام المثل القائل ـ عصفور فى اليد خير من اثنين على الشجرة ـ صحيحا ، فلم لا نسعى نحن معشر المصريين لافهام الانجليز أن مصلحة بلادنا تضطرنا لاخلاص المحبة لدولة بريطانيا ذات الاسطول القوى ، التى تكافئنا على اخلاصنا بدفع تعديات من تحدثه نفسه بالشر والفساد ، فى مقابل سماحنا لهم بمراقبة القناة مع استعدادنا لمد يد المساعدة عند الحاجة »(٥٠) .

ولم تكن هذه الدعوة لافهام الانجليز اخلاص المصريين ومحبتهم بعيدة عن الاطار العام لسياسة الصحيفة الثابتة . فبعد أن اشارت الى جو التفاؤل الذى احاط بمجىء اللورد لويد والاستقبال الحافل الذى جرى له ، عادت لتؤكد للمصريين أن الطريق الوحيد الى تحقيق آمالهم هو « احســان الأمور الداخلية » لأنه « ينشىء فى نفس بريطانيا الثقة التى تجعلها تميل ميلا حقيقيا الى حل كثير من المسائل المعلقة ، بالاعتماد على مصر نفسها فيها ، والتعويل على حسن ادارتها ، والشعور بالأمن التام فى كل ما يمهد اليها فيه من رعاية المصالح التى يعدها البريطانيون حيوية لهم »(٥١) .

تقــــارب الأحـــزاب المصـــرية

فى مواجهة الوزارة اللادستورية :

فى مواجهة تعسف الوزارة وممارساتها اللادستورية ، بدأت علامات التقارب تظهر بين الأحزاب المصـــرية ، الحزب الوطنى والأحرار الدستوريين مع الوفد « لأن الجميع اخذوا يصطلون بنار الاضطهاد والضغط وتقييد الحريات »(٥٢) . وكانت سياسة الوفد فى الفترة التى أعقبت طرد الأحرار الدستوريين قد تعرضت لتغييرين جذريين : الأول ، اتجاه الوفد فى توحيد الصفوف وسعيه لاقامة ائتلاف بين الأحزاب ، وكان من قبل يرفض هذه الفكرة رفضا باتا أما التغيير الثانى : فهو ميله لتحسين علاقاته مع الانجليز ، كمحاولة لكسب حيادهم فى المعركة الدائرة ضد الدستور(٥٣) ، فى هذه الأثناء كانت الصحافة الوفدية تدعو لعقد مؤتمر وطنى لبحث عودة الحياة النيابية ، فتقابل هذه الفكرة براى المقطم « بارتياح فى بعض الدوائر ، وبحيرة فى دوائر أخرى . ووقعت وقعا حســـنا فى نفوس الذين يأبون ان تكون الحزبية عقيدتهم الســـياسية لأنهم يلمحون من خلال الدعوة بابا قد يؤدى الى اعادة الاتحاد »(٥٤) ؛ فهو ترحيب حذر يحســب حســـابا لمن يتنادون لعقد المؤتمر ،

وللجالسين فى كراسى الحكم . الذين يحاولون تثبيت دعائمه برغم ارتفاع اصوات المعارضة ، ومحاولة جمع قواها وتنظيمها على سعة ما كان بين اطرافها من خلافات ، ومن ذلك كان اصدار الحكومة لقانون تنظيم الجمعيات السياسية بهدف فرض المزيد من القيود على العمل السياسى والاحزاب السائرة نحو الائتلاف مما احدث ردود فعل عنيفة فى صفوفها ووقوع مواجهة بينها وبين البوليس فى ذكرى عيد الجهاد .

وقد شهدت البلاد حلقة جديدة من حلقات هذه المجابهة ، تمثلت فى اجتماع البرلمان بمجلسيه فى (الكونتننتال) يوم ٢١ نوفمبر ، الذى اصدر قرارات اجماعية باعتبار دور الانعقاد موجودا بصفة قانونية وبعدم الثقة بالوزارة . ويقول (لويد) ان الأمر المهم بالنسبة لهذا الاجتماع ليس فى نتيجة مقرراته ولكن فى حقيقة انه للمرة الأولى يقوم اعضاء من الحزب الوطنى والأحرار الدستوريين والوفد بالاجتماع معا حول قضية عامة(٥٥) .

ورحبت (المقطم) « بمظهر الاتحاد الفعلى » الذى اظهرته الاحزاب المصرية ، وقالت انه « اذا لم تجن مصر من هذه الحركة البرلمانية سوى ما تقدم فحسبها هذا الربح العظيم »(٥٦) . واكدت على « أن الرغبة فى النظام الدستورى صارت عامة فى الأمة ، وان الشوق الى اعادة النظام البرلمانى اصبح شديدا »(٥٧) وبدا ان سعى الوفد لتحسين علاقاته بالانجليز وتحييدهم فى المعركة الدستورية كان مشجعا للمقطم لكى تقف الى جانب الوفد والأحزاب المصرية المتحالفة معه فى السعى لاعادة الحياة النيابية .

فى هذه الأثناء ، كانت دار المندوب السامى تضع حدا نهائيا لتدخلات حسن نشأت رئيس الديوان الملكى بالنيابة فى شئون الحكم ، وقد قوبل اقصاؤه عن السراى بابتهاج كبير فى البلاد لأن

الراى العام اعتبر هذا الحادث تمهيدا لعودة الحكم الدستورى . ولم يخفف من هذا الابتهاج ان جاء اقصاؤه بناء على التدخل البريطانى ، لأن الشعب ليس مسئولا عن هذا التدخل ، وانما المسئول هو السراى(٥٨) .

وينبغى ان نشير الى ان هذه الخطوة التى قام بها (لويد) ونعنى بها عزل نشأت كانت تتفق تماما ومطالب الأحزاب المصرية الثلاثة ، مما يؤكد أن السلطات البريطانية كانت قد قررت من جانبها التحرك نحو ايجاد حل للمسألة الداخلية المصرية . حيث أن ابعاد نشأت قد فسر على أنه يشكل خاتمة لنظام زيور وعهده غير الدستورى ، ولهذا فقد أصبح موضوع الوزارة الجديدة التى تتقلد السلطة محور الاتصالات التى تمت فى أعقاب ابعاد نشأت ، والتى شارك فيها المصريون من كافة الأحزاب ، والبريطانيون سواء بسواء(٥٩) .

وقد فتحت (المقطم) صدر صفحاتها للقراء لمناقشة الحالة الراهنة فى البلاد ، فكانوا بين محبذ لدخول الأحزاب المؤتلفة (الوفد والوطنى والأحرار) فى الانتخابات ، ومعترض على ذلك ، وبين مؤيد لبقاء البرلمان الحالى ، والمعطل رسميا ، وضرورة انتخاب برلمان جديد ، علما بأن هذه الرسائل لم يكن بينها رسالة واحدة تقف الى جانب الحكومة وقانونها الانتخابى الجديد(٦٠) .

ونشرت (المقطم) بيان الأحزاب المؤتلفة حول عزمها على مقاطعة الانتخابات ، وعقد مؤتمر وطنى لهذه الأحزاب لبحث الموقف واتخاذ القرارات المناسبة بشأنه(٦١) . وعقبت على هذا البيان بقولها ان مجىء برلمان لا تشارك هذه الاحزاب فيه بمعنى انه لا تتوافر

فيه صفة « تمثيل الامة كلها باكثرية واقلية ، كما هى فى المجالس النيابية »(٦٢) .

وتقرر الاحزاب المؤتلفة عقد مؤتمرها الوطنى يوم التاسع عشر من فبراير ، فتقول (المقطم) ان هذا الشهر سيشهد حوادث خطيرة وعظيمة الشأن « سيكون من شأنها تأثير عظيم فى مستقبل البلاد وحياتها الدستورية » . ودعت الحكومة الى عدم منع عقد المؤتمر لأن ذلك « لا يطابق روح الدستور الذى اباح للمصريين حق الاجتماع وحرية القول والكتابة فى ضمن دائرة القانون العام » . واذا كان المنع بحجة معارضة المؤتمر لها « فان المعارضة لها وخطباءها وكتابها لا يفتأون يحملون عليها حملات شعواء وينقدون سياستها نقدا شديدا ويزيفون خططها وقراراتها عملا بالمبادىء التى اقرها الدستور فى اباحة المناقشات السياسية ، والأخذ والرد فيها »(٦٣) .

واشارت (المقطم) لاجتماع عقده أعضاء مجلس الشيوخ فى النادى السعدى ، أعلنوا فيه رفضهم لقانون الانتخاب القائم ، واوضحوا انه اذا « كانت هناك أسباب خطيرة تستدعى استفتاء الشعب من جديد ، تجرى الانتخابات على مقتضى القانون الموافق للدستور » . فترحب (المقطم) بالموقف الوسط الذى وقفه الشيوخ، الذين كان « قرارهم هذا مطابقا لما كنا دائما نجاهر به وندعو اليه ، من وجوب اتحاد القوى على معالجة الأزمة الدستورية التى تزداد تعقدا كلما طال عليها الزمان ، واظهروا رغبة فى حل العقدة وخروج البلاد من المأزق الحالى »(٦٤) . وقالت ان اعضاء مجلس الشيوخ « يطلبون أن تكون اعادة الحياة النيابية بعقد البرلمان الحالى ، فاذا لم يتيسر ذلك لأسباب خطيرة ، وكان لا مندوحة عن استفتاء الشعب من جديد ، فهم يطلبون أن تجرى الانتخابات على مقتضى القانون الموافق للدستور ، أى القانون الذى اقره البرلمان

وصدر به المرســـوم الملكى ، كما هو المفهوم حتما من نص هذه العبارة ، وصدورها من اعضاء المجلس الذى وافق على القانون المذكور . ولا نزال نكرر الرجاء بأن تنتهز الفرصة الحاضرة لحسم النزاع والاتفاق على حل يطابق الرغبة العامة وينال الاجماع»(٦٥) . وان « ما بقى الى أن يعقد المؤتمر الوطنى ، لايزال يكفى اذا قوى العزم وحسنت النيات ، وبحث فى أنحاء موضوع الخلاف عن مخرج منه يختلف عن المخرج الذى يطلب بالصـــراع والنزاع »(٦٦) . وكتبت تعليقا بعنوان « كلمة وجيزة / خذ واعط » دعت فيه الوزارة الى اعتماد قانون الانتخاب الذى ســبق أن أقره البرلمان ، ودعت الأحزاب المؤتلفة الى المشاركة فى الانتخابات الجديدة لانشــاء برلمان جديد(٦٧) .

وقد ســـارت الامور وفق ما ارتأته (المقطم) ، واقترحه الشيوخ ، ونصح به (لويد) حكومة (زيور) ، التى سارعت عشية انعقاد المؤتمر الوطنى لاصدار بلاغ أعلنت فيه وقف العمل بقانون الانتخاب المعدل واجراء الانتخابات وفق القانون الذى صادق عليه البرلمان الأول « وهكذا استطاع اللورد لويد ، باجبار حكومة زيور باشا على قبول اقتراح الشيوخ ، أن يجرد المؤتمر الوطنى عند انعقاده فى يوم ١٩ فبراير ١٩٢٦ من أنيابه »(٦٨) .

واعتبرت (المقطم) هذا التبدل فى الموقف تغييرا مشهودا « فى اتجاه الحالة الحاضرة يرجى أن يؤول الى اتفاق الآراء على الخطة التى تتبع الى ان ياتى الحكم البرلمانى بالقول الفصل ، ومن الأمور المحققة أن الاقرار الجديد سيقع موقع الرضا والارتياح عند الأمة لما فيه من الدلالة على الاهتمام بالراى العام »(٦٩) . وقالت ان يوم ١٩ فبراير سيظل مذكورا بأمرين هما « الاتحاد على مصلحة الأمة .. والاجماع على تأييد القواعد الدستورية »(٧٠) .

وبعد اختتام أعمال المؤتمر وصدور مقرراته قالت ان المؤتمر قد اثبت « أن هذه الامة تريد دستورا نافذا ، ولا تكتفى بأن يكون هذا الدستور حبرا على ورق ، وتأبى ان يحيد عنه أحد ، واظهر ما جرى شدة تمسكها بهذه القاعدة »[٧١] . وكان سعد زغلول قد أكد فى خطابه أمام المؤتمر أهمية اتباع أسلوب الحكمة والاعتدال للوصول الى الاهداف الوطنية ، وهو ما تحدث عنه (لويد) موضحا دور الأحداث العاصفة التى وقعت عام ١٩٢٤ ، فى الوصول الى هذه السياسة بالاضافة الى الحالة الصحية لسعد التى جعلته يستخدم طاقاته بعناية تامة . فى الوقت الذى امتلكت فيه دار المندوب السامى — كما يقول — سلطة فعلية ومعترفا بها من قبل كافة الهيئات السياسية فى مصر[٧٢] .

وهكذا انتهت المعركة بين الديمقراطية والأوتوقراطية ، أو بين الاحزاب والقصر ، بضعف الفريقين ، وفاز الانجليز وممثلهم فى مصر اللورد لويد ، بالمكانة العليا والنفوذ المدعم[٧٣] ، وما يعنيه ذلك تلقائيا من فوز لسياسة (المقطم) الداعية لترسيخ التفاهم بين مصر وبريطانيا . وقد شاركت الأحزاب المؤتلفة بقيادة الوفد فى المعركة الانتخابية وحققت الفوز ، فتقول (المقطم) ، ان هذه النتائج جاءت « مؤيدة لحقيقتين ظهرتا قبل موعد الانتخاب وتجلتا فيه بأجل بيان احداهما شدة رغبة الأمة فى اعادة الحياة النيابية ، والأخرى اتجاه ثقتها فى وجهة معروفة مشهورة ، وهى الثقة التى ما برحت تبدو للعيان كلما سنحت الفرصة ، فقد كان الفوز تاما للوفد وانصاره ، والحزبين اللذين ائتلفا معه » .

وهذه الحقيقة الثانية جديرة بالاعتبار ، لما فيها من الدلالة الساطعة على مشيئة الامة وميلها ، ولابد من مراعاتها فى تقرير السياسات المقبلة تفاديا من وقوع المشكلات ، واجتناب المشادة التى كانت تقع فيما مضى بسبب محاولة اغفال هذه الحقيقة التى

عادت فتجلت للمرة الثالثة . فالوفد المصرى هو بلا نزاع الهيئة الحائزة لثقة الأمة ، والقطب الذى تدور عليه رحى الحركة السياسية فى مصر(٧٤) . وهذه الحقيقة الوفدية الكبيرة التى رسخت فى ضمير الأمة المصرية ، وعبرت عنها لم تغب عن ادراك (المقطم) طيلة السنوات الماضية من عمر الثورة المصرية التى برز فيها الوفد قائدا لمسيرة الاستقلال والدستور .

رئاســـة الوزارة بين ســـعد وعدلى :

تابعت (المقطم) الاتصالات التى جرت بعد انتهاء الانتخابات ، لتشكيل الوزارة الجديدة التى تخلف وزارة زيور ، وهى الاتصالات التى شارك فيها سعد وعدلى والقصر والمندوب السامى ، وكان التركيز فيها على ان عدلى هو الذى يشكل الوزارة ، ولكن تحولا سياسيا سريعا طرا على الموقف ، وهو مطالبة سعد برئاســـة الوزارة .

ومما ساعد على هذا التحول وجعل سعدا يصر على تشكيل الوزارة ، صدور الاحكام بتبرئة (أحمد ماهر والنقراشى) من جريمة الاشتراك فى اغتيال السردار ، هذا الأمر الذى « اوجد حالة سياسية جديدة منذ طرد الوفد من الحكم ، فقد احبط خطة الانجليز فى ادانة الوفد ورد اليه اعتباره » ، وهذا الوضع « لم يلبث ان بلغ بأزمة منصب رئيس الوزارة الى قمة التوتر ، فقد عدل سعد باشا عما كان قد اعتزمه من التخلى لعدلى باشا عن هذا المنصب ، وأصـــر على ممارســـة حقه الدستورى فى تولى الحكم»(٧٥) .

وقد أشارت (المقطم) لخبر الزيارة التى قام بها سعد باشا لدار المندوب الســـامى بدعوة من اللورد لويد واجتماعه به لمدة

ساعتين(٧٦) ، دون ان تتحدث عن مضمون الحديث الذى تناوله سعد باشا واللورد لويد ، ولكن لويد اورد حقيقة اجتماعه بسعد واللهجة المتغطرسة الاستفزازية التى بادره سعد بها ، على حد قوله ، الامر الذى جعله يطلب من حكومة بلاده ارسال بارجة حربية الى الاسكندرية ، لكيلا تتكرر الاضطرابات والخسائر فى الأرواح التى شهدتها مصر عام ١٩٢١(٧٧) ، مما دعا (المقطم) الى مخاطبة اقطاب مصر وزعمائها بضرورة معالجة المشكلة بما يضمن حقوق مصر والحيلولة دون تفاقم الأزمة « فليس فى الدنيا معضلة لا تحل اذا توسل الى حلها بالوسائل الصحيحة » . واوضحت اهمية توافر حسن النية لدى كل من طرفى المشكلة ، مصر وبريطانيا ، حتى يصلا الى الحل « اما هذه المشادة الحاضرة فليست فى مصلحتهما ولا هى مما يحسن بأقطاب السياسة التسليم باستمرارها لان خير السياسات ما استطيع به حل العقد وابرع الساسة هم الذين يذللون العقبات بالرأى الثاقب»(٧٨) .

ولكن سعد زغلول رأى لمصلحة بلاده ولمصلحة الحياة الدستورية ان يتراجع عن موقفه ، فتقول (المقطم) ، ان «المشاغل وكثرة المقابلات والمناقشات أثرت تأثيرها المنتظر فى صحة الرئيس الجليل فقضى عدة ليال متتابعة بالأرق وشعر بثقل عبء ذلك كله عليه حتى صار انصاره ومحبوه المحيطون به يشعرون انه لا يستطيع أن ينهض بعبء الوزارة الثقيل فى هذه الأيام »(٧٩) .

واشادت (المقطم) بالموقف المعتدل الذى ابداه النواب المصريون خلال الأزمة قائلة : « ان مصر الممثلة بنوابها اظهرت من الرزانة والاعتدال ما يحق لها أن تنتظر مثله من الحكومة البريطانية التى اشتهرت بمحافظتها على المبادىء الدستورية »(٨٠) .

وهذا الموقف الضعيف لسعد ، استفاد منه ، الى ابعد حد ، المندوب السامى البريطانى عندما حصل من سعد على تعهد او على الأقل تأكيد بعدم مناواة السياسة البريطانية ، والأهم من ذلك المطامع الاستعمارية البريطانية فى مصر ، وهى ما كان يطلق عليها فى ذلك الوقت بالمصالح البريطانية . وقد شكل ذلك التأكيد الذى منحه سعد ، وما انطوى عليه من مســـالمة واعتدال ليس فقط سياسة سعد بل سياسة الحكومة الائتلافية المصـــرية التى الفها عدلى يكن ، وكانت ثمرة ذلك الموقف ، مستندة الى قوة برلمانية هائلة يقودها ســــعد زغلول زعيم الائتــلاف وصـــاحب تلك السياسة(٨١) . وهذه السياسة هى التى دأبت (المقطم) على الدعوة لانتهاجها والحرص عليها ، وقد جاءت الأحداث الأخـــيرة لتؤكدها ، وتشكل نجاحا باهرا لمنطلقاتها(٨٢) .

وقد رحبت (المقطم) بوزارة عدلى ، وبافتتاح البرلمان ، وما تضمنه خطاب العرش عن توطيد النظام الدســـتورى والشـــئون الخارجية التى تدور بما بيديه سعد باشا من همة طيبة فى ادارة الجلسات هى موضع اعجاب الجميع(٨٣) . ولكن وزارة عدلى لا تعمر طويلا ، فقد اعلن عدلى باشا استقالة وزارته بانيا اسبابها على انتقادات النواب الشـــــديدة للحكومة ، فى اثناء نظر تقرير لجنة الميزانية ، وعدم موافقة المجلس على اقتراح بتقديم الشكر للحكومة على مساعدتها لبنك مصر ، مما اعتبرته الوزارة ماســـا بكرامتها ودافعا لها للتخلى عن الحكم(٨٤) .

وقد اوضـــحت (المقطم) انه ليس للانجليز اية علاقة بهذه الأزمة الوزارية ، وقالت ان « فخامة المندوب السامى لا يتعرض لمسالة ليس لدولته دخل فيها لأن استقالة الوزارة كانت بمعزل عن كل مسالة بريطانية »(٨٥) .

ازمة الجيش :

شكل عبد الخالق ثروت باشا الوزارة الائتلافية الثانية بعد أستقالة وزارة عدلى ، وقد مرت العلاقات المصرية البريطانية فى عهد هذه الوزارة بأزمة شديدة الحرج ، عرفت باسم (أزمة الجيش) تمثلت فى رفض الحكومة البريطانية قيام الحكومة المصرية باتخاذ الخطوات اللازمة لتطوير الجيش المصرى واجراء التعديلات على أنظمته ، باعتبار ذلك من المسائل المحتفظ بها فى التحفظات المرفقة بتصريح ٢٨ فبراير ؛ بينما أصرت مصر ووزير حربيتها احمد محمد خشبة على أن موضوع الجيش من المسائل الداخلية التى لا يحق لبريطانيا التدخل فيها . مما جعل (المقطم) تقول ان التحفظات او الأمور التى لم يتم الانتهاء من بحثها هى مصدر كل ما ينشأ من الخلافات بين البلدين ، ولذلك كان البت فيها مسألة ضرورية(٨٦) .

واشارت الى المذكرة البريطانية التى سلمها المندوب السامى لمصر ، حول موضوع الجيش المصرى ، وقالت : « ان الحكومة البريطانية ما كانت لتقدم على ما اقدمت عليه . وما كانت لتخلق هذه الأزمة لولا أن هناك أمرا او أمورا ترى أنها تقلق بالها وتبعثها على التعرض للمسألة بهذه الشدة التى شهدها الناس حتى ارسلت ثلاثا من اكبر بوارجها الى هذا القطر لتأييد وجهة نظرها أو لاضعاف ما قد تلقاه من المعارضة ، وعندها ما يكفيها من المشكلات الداخلية والخارجية » . وطالبت بحل المشكلة بين الفريقين بروح « سياسة حسن التفاهم » . واكدت أن المذكرة البريطانية «مصوغة بصيغة الود ، وقد روعيت فيها شروط المجاملات السياسية والأمل بحسن دوام صلات العلاقة بين الحكومتين والرغبة فى استدامتها »(٨٧) .

ولم يكن حديث (المقطم) عن الود والتفاهم يعكس واقع الحال الذى دعا الحكومة البريطانية الى التهديد بارسال البوارج الحربية الى الموانىء المصرية ، مما دل على أنه « صورة متكررة للاعتساف البريطانى بازاء مصر ، كما دلت على نية مبيتة من انجلترا على الا تمكن مصـــر من ان يكون لها جيش أو قوة دفاعيـــة اطلاقا »(٨٨) . ولـــكن (المقطم) ركزت على التأكيد بأن موقف الحكومتين خلال الاتصـــالات الدائرة بينهما لتطويق الأزمة يتمثل فى الرغبة المتبادلة « فى وقاية عــــلاقات الدولتين من أن تنهدم بســـبب هذا الحادث وأن الفريقين يتوقان من صميم الفؤاد الى اجتناب أسباب الشقاق »(٨٩) . وكررت قولها انها وطيدة الأمل « بالا يألو المسئولون من الجانبين جهدا فى حل الاشـــكال ولو فى الساعة الأخيرة ، وعدم تجسيم الخلاف ، فان الصلات بين الدولتين والبلدين أعظم شأنا من كل خلاف يقع بينهما على بعض منها »(٩٠) .

واشادت (المقطم) بما اظهره أقطاب مصر وزعماؤها من مرونة سياسية ، مما ساعد على حل الازمة ، فقد واجهوها « بروح الرغبة فى حلها حلا لا يترك فى اثره شيئا من الجفاء وما قد يجر فى ذيوله من العواقب ، بل انهم سعوا للجمع بين غايتين احداهما تقرير حق مصر فى ادارة شئونها الداخلية وتوثيق عرى التعاون وحسن التفاهم مع الدولة التى قضى القضاء بأن تكون لمصر أكبر صلة بها »(٩١) .

وقالت (المقطم) ان الحكومة البريطانية اعربت فى مذكرتها الاخيرة عن استعدادها للشروع فى المفاوضة فى الامور الاربعة المحتفظ بها ، وأن الحكومة المصرية ردت على ذلك فى مذكرتها بأن هذه المفاوضة تكون من أحب الامور اليها(٩٢) . فقد اضـــطرت

الحكومة المصرية ان تنزل على حكم الانذار البريطانى ، لأن ثروت باشا كان يمهد لسياسة حسن التفاهم التى يبتغى من ورائها أن يصل الى عقد معاهدة بين مصر وانجلترا(٩٣) . وانتهت على هذا النحر اخطر ازمة فى العلاقات المصرية البريطانية حول الجيش المصرى بعد تصريح ٢٨ فبراير ، بانتصار ساحق للمندوب السامى اللورد لويد(٩٤) .

وقد اختتمت (المقطم) متابعتها لفصول هذه الأزمة بالقول بأن « الدولتين أدركتا أن المشادة والجفاء ليسا خير الأدوات لفتل حبال العلاقات بين البلدين وان هناك أدوات اصلح من هذه ، وأن مصلحتهما فى الاتفاق اعظم جدا من مصلحتهما فى الخلاف ، وأن تعاونهما مستطاع اذا بنى هذا التعاون على المصالح الحقيقية دون المصالح الموهومة »(٩٥) . ولم يكن ما حدث سوى تطبيق دقيق لهذه السياسة التى دابت (المقطم) على الترويج لها .

محادثات ثروت التمهيدية فى لندن :

تحدثت (المقطم) عن الزيارة الملكية للعاصمة البريطانية ، التى ستشهد مباحثات سياسية تمهيدية يقوم بها ثروت وتمهد للمفاوضات التى يلزمها شرطان اساسيان للنجاح « اولهما صفاء النية من الجانبين واعتمادهما على تعاون صحيح يريدانه ويأبيان سواه من الحالات ، والثانى تعيين المصالح الحيوية لكل منهما وازالة كل تنافر بينهما »(٩٦) . وقالت ان « من حسن الحظ أن الجو السياسى بين مصر وبريطانيا صفا وراق بعدما تلبدت فيه غيوم الخلاف ، وهذا يبعث على تفاؤل الذين يحبون ان تعزز أركان الوفاق والوئام بين الدولتين والشعبين »(٩٧) .

واوضحت ان الاستقبال الحافل الذى جرى للملك فؤاد فى بريطانيا ، دل على أنها لا تضمر لمصر سوى « حب الصداقة وحبين

العاطفة » ، وانها « تريد ان تكون على خير صلة وعلاقة بمصر ، وهذا عين ما يريده المصريون ، كما قال ملكهم فى خطبته فى مادبة بكنهام ، وهى الخطبة التى وافقت عليها حكومته الدستورية »(٩٨) . وذكرت الصحيفة ان محادثات ثروت فى لندن كانت « مهمة شاقة وانه ما كان ليرجو هو او اشد الناس تفاؤلا بأن تقضى هذه المهمة على وجهها الأوفى ، اى بما يحقق جميع امانى مصر » ولكن ذلك « لا ينفى أن المحادثات التى دارت بين الفريقين لم تكن معدومة الفائدة »(٩٩) . ويتضح هنا مدى الحماسة التى تبديها الصحيفة لدفع مسيرة التفاوض وتحسين العلاقات بين مصر وبريطانيا .

وفاة سعد زغلول ونتائجها على المسرح السياسى :

تابعت (المقطم) باهتمام بالغ ، أخبار مرض سعد زغلول وهو يمضى اجازته فى (مسجد وصيف) ، وعودته الى القاهرة لمتابعة علاجه فيها ، ولكن وطأة المرض تشتد عليه ويتوفاه الله فى يوم ٢٣ أغسطس ١٩٢٧ ، فتكتب اخبار نعيه بعناوين كبيرة كالتالى : (مصاب مصر العظيم — ساعات سعد الأخيرة — مشهد الجنازة) وتحدثت عن الوجوم الذى خيم على البلاد والحزن العام على وفاة سعد . وفى الصفحة الأولى التى ظهرت محاطة باطار اسود عريض ، نشرت مقالا طويلا كتبه رئيس تحريرها خليل ثابت بعنوان « سعد زغلول رسول الوطنية ، وفقيد مصر والشرق » قال فيه : « رحل سعد فطويت برحيله صفحة مثيرة مجيدة من صحائف تاريخ مصر الحديث ، وخبا فى سماء هذا الوادى كوكب لامع سطع نوره فى فضاء الشرق فأنار القلوب وشدد الآمال والعزائم فى النفوس، واضاء الطريق لسالكيه فى هذه الشعوب التى تطمح الى نيل حقها فى الحياة ، وتصبو الى تقرير مصيرها . وانطفأ ذلك المشعل الذى كان منارة على ضفاف النيل يرسل اشعته الى الارجاء . وفقدت مصر اكبر ابنائها واحبهم الى قلبها واشدهم غيرة على عظمتها ،

فهى اليوم ثكلى كاسفة البال سائلة الدمع كسيرة القلب وقد وجفت الأفئدة لهول المصـــاب واصـــطكت الركب لعظم الخطب ، فصبر جميل وانا لله وانا اليه راجعون .. ما مات سعد وانما مات جسمه اما روحه فخالدة واما قدوته وتعاليمه ومبادئه ، واما صدق وطنيته وسمو همته وذكرى جهاده وجميل سـجاياه وصـفاته فمنقوشة على صفحات القلوب سجلها التاريخ له بحروف من ذهب، محاطة باكليل من الغار ، وسيتناقل الخلف عن السلف اخبارها ، ويقول الناس فى مستقبل الأيام كذا فعل ســعد وهذا ما قاله سعد »(١٠٠) . وطالبت زعماء مصر واقطابها بمواصلة الطريق الذى بداه سعد(١٠١) . ودعت الى ايجاد قيادة جماعية تستطيع ادارة سفينة البلاد وسد الفراغ الذى تركه سعد(١٠٢) .

وذكر (الوكيل الاسكندرى) للمقطم انه ســأل دار المندوب السامى عن صحة (الاشاعات) التى ترددت حول اعتراض الانجليز على اقامة التماثيل لسعد زغلول ، فاجيب بانها اشاعات « مخالفة كل المخالفة للعمل الذى عمله جناب المســتر هندرسن المندوب السامى بالنيابة وهو الذى سافر الى القاهرة خصـيصا لحضور ماتم المغفور له سعد باشا فلا يعقل بعد هذا ان نعارض فى اقامة تماثيل له »(١٠٣) وعقبت الصحيفة على ذلك بقولها « اننا لا نصدق الخبر لأنه لا يطابق ما نعرفه عن اخلاق البريطانيين » وان وزراء مصر ودار المندوب السامى كذبوا ايضا مثل هذه الأخبار وعبر الجمهور عن دهشته لها « ولهذا الاستغراب وتلك الدهشة من جاب الجمهور دلالة عظيمة وهى ان الشعب المصرى يريد ان يجرى مع بريطانيا على سياسة التفاهم والوئام ويتمنى من صميم فؤاده ان تسود المودة علاقات الشعبين وصلات البلدين فياسف لكل حادث يحتمل ان يعكر صفاء ما بينهما »(١٠٤) وعشية الاجتماع الاول للهيئة الوفدية بعد رحيل ســعد قالت : « والمامول ان تســفر هذه الاجتماعات والمفاوضات عن الغاية المنشودة فتستأنف مصر سيرها

بعد هذا الوجوم الذى عراها بوفاة القائد الكبير »[١٠٥] ووصفت اجتماع الوفد بانه كان ايجابيا واظهر ان « هذه الهيئة التى شاركت سعد فى حياته مصممة على أن تقتفى اثره بعد مماته »[١٠٦] . ونشرت عددا كبيرا من التلغرافات التى تهنىء مصطفى النحاس باشا بانتخابه رئيسا للوفد المصرى[١٠٧] كما قدمت تهنئتها للهيئة الوفدية « بحسن اختيارها لرئيسها الهمام الذى صحب سعدا وحفظ مبادئه واتخذها قاعدة لحياته السياسية والادارية واشتهر بين قومه بالنزاهة والاستقامة والنشاط فى العمل وتحمل فى سبيل وطنيته ما هو مذكور فى تاريخ هذه النهضة »[١٠٨] .وانتقلت الى القول بأن « أعظم مهامنا من الوجهة السياسية هو تقرير علاقاتنا ببريطانيا اولا وسائر الدول صاحبة الامتيازات بعد ذلك ثم توطيد اركان نظام الحكم الحالى فى مصر واستخراج خير النتائج منه »[١٠٩] . واشادت بالروح الذى ساد لقاء النحاس وثروت ، موضحة أن « نتيجة هذه المقابلة جاءت معززة لروح التفاؤل بتوكيد الائتلاف بين الوزارة والوفد »[١١٠] .

معاهدة ثروت ــ تشمبرلن :

رات (المقطم) فى متانة العلاقات التى تربط بين رئيس الوزارة وزعيم الوفد باعثا رئيسيا لدعم مسيرة المحادثات السياسية التى يعتزم ثروت استئنافها فى لندن ، فتقول ان ثروت باشا « يغادر مصر هذه المرة كما غادرها فى المرة الأولى مزودا بالثقة التامة ، وعالما ان وراءه امة ناهضة تنطق بلسان واحد وتتجه فى اتجاه واحد ، وان هذا يزيل ما عرا البريطانيين من الظنون بعد وفاة سعد وما كانوا يوجسون خوفا من وقوعه بعد رحيل الرجل الذى كان لسان مصر الناطق والمعبر عن مشيئتها أصدق تعبير»[١١١] .

وقالت ان التغلب على الصعوبات التى يمكن ان تنشأ عن

محادثات لندن يتطلب « حصافة ودهاء من ساسة الدولتين وحسن ظن وتفاهما وروح صداقة من الشعبين وادراكا صحيحا للمصالح الحقيقية التى لا يستطاع اغفالها ، وعدم اقحام ما ليس كذلك فيها اجتنابا للمشكلات »(١١٢) . وخاطبت المسئولين الانجليز قائلة : « هب ان كلمة المصريين لم تتفق فسداد الراى يقضى عليكم بالاستمرار على معالجة القضية المصرية بما يرضى الروح المصرى اجتنابا لمشكلات المستقبل ، ومنعا للتقلقل فى علاقات الدولتين »(١١٣) .

ولكنها تعرب عن ارتياحها للتصريحات التى اعلنها ثروت باشا والتى « تنم على ارتياح الى ما تم ، وحسن تفاؤل بما هو آت .. وهكذا ختم هذا الفصل التمهيدى فى لندن بما يدل على رضا الفريقين وارتياحهما وتعزيز سياسة التعاون والتفاهم على سياسة التنحى والابتعاد والتنافر »(١١٤) . وبعد عودة ثروت الى البلاد طالبت (المقطم) « بازاحة الستار ولو قليلا عما دار فى لندن من المحادثات لأن هذه المحادثات الخطيرة ذات علاقة شديدة بحياتها الحاضرة ومصيرها من جهة نظام الحكم والادارة والصلات الخارجية »(١١٥) .

فى اثناء ذلك ، كان الائتلاف الوزارى يتعرض لبعض المشكلات، فتنشر (المقطم) تصريحا للنحاس باشا يرد فيه على مقال (للسياسة) جريدة الاحرار الدستوريين ، يؤكد النحاس فيه على « أن الائتلاف متين لا تزعزعه اهواء الذين يريدون أن يصيدوا فى الماء العكر، او ان يتدخلوا بغير حق ولا فى غير مصلحة بين رئيس الوفد ورئيس الحكومة وهما اللذان بينهما كل ود وكل وئام وكل صفاء »(١١٦) . ورأت الصحيفة فى هذا التاكيد ما يبين أن « مصر تريد الائتلاف ، ارادته فيما مضى وهى تريده فى الحاضر وفى

المســـــتقبل » . وتزداد الحاجة الى هذا الائتلاف الآن « ورئيس حكومتها يفاوض الحكومة البريطانية فى مســـائل حيوية يجب أن يسمع فيها رأى مصر كلها وتعلم مشيئتها ككتلة واحدة »(١١٧) . وكانت (المقطم) فى خلال متابعتها الحديث عن الخلافات الداخلية ، تدعو الى اتباع سبيل الحكمة فى معالجتها لاحلال التفاهم التام بين الوزراء وغيرهم من الاقطاب .

وأوردت (المقطم) نماذج مما تكتبه الصحف البريطانية حول الأزمة الداخلية المصـــــرية وحول رفض الوفد لمقترحات ثروت وتشمبرلن لتسوية المسألة المصرية مع بريطانيا . ونشـــرت بنود مشروع المعاهدة المعروض على الوزارة والوفد المصرى ، وتحدثت عن مظاهرات طلابية امام بيت الأمة فى اثناء اجتماع الوفد بداخله ، تنادى بسقوط المعاهدة وبطلب الاستقلال التام(١١٨) . وقالت ان مسئولية رجال الوفد تحتم عليهم « ان يفحصـــوا ما امامهم من الاقتراحات بعين النقد الصحيح الذى يراد به ارتياد كل ما عساه ان يحقق الأمانى ويعزز حقوق مصر .. وقد ظهر لغير واحد من المتتبعين لسير المناقشة فى الوفد ان الجو جو تشاؤم ومعنى هذا أن قبول الاقتراحات فى شكلها الحاضر غير محتمل ولكن هل يكون معنى ذلك الرفض البات أو السعى للمحافظة على روح الرغبة فى التفاهم والاتفاق باختيار غير هذين الطريقين أى طريق القبول وطريق الرفض ؟ » ، وتابعت القول بأن « المفروض هو أن الحكومة البريطانية لا تعرض هذه المقترحات بصفة نهائية أو بصفة انها اقل ما تستطيع التسليم به ، فاذا صح هذا الفرض بالباب لم يقفل ومجال البحث والأخذ والرد لايزال متسعا ، وهذه الفرصة تسنح للناطقين باسم مصر ليقولوا كلمتهم ويبدوا رايهم ، حتى تقف عليه الدوائر البريطانية المسئولة »(١١٩) .

واوضحت (المقطم) ، بعد اعلان جميع الهيئات السياسية ، رفضها لمشـــروع المعاهدة المقترح ، ان هذا الموقف يدل على أن « مصر لا يسعها ان ترتبط بمعاهدة على هذا المنوال لأنها تطمع بخير منها مادام المطلوب منها هو أن تتقيد بنصوص معينة » ، ولكن الجهود التى بذلت لم تضع سدى بل اسفرت « عن نتائج كبيرة الشأن » ، وتمكنت الأحزاب البريطانية من أن تقف « على رأى مصر الصريح فى أمر العلاقات بين الدولتين » . وقالت اننا « من الذين يعتقدون أن الباب لم يقفل ، وأن مصـــــر وبريطانيا لا تريدان اقفاله »(١٢٠) .

اما لماذا رفض الوفد وجماهير الشعب المصرى مشـــروع معاهدة ثروت وتشمبرلن واعتبروه غير محقق للأمانى القومية ؟ وهل كان ثروت باشا مؤمنا بمشروعه ،او انه كان يتفق مع الرافضين له فى تحفظهم ازاءه ؟ فان محمد شفيق غربال يقول ان ثروت حمل على ذلك العرض حملا ؛ ضغط عليه ليفعل ذلك زملاؤه وحلفاؤه السياسيون ، كما ضغطت عليه ليفعل ذلك الحكومة الانجليزية ، ولكن ثروت كان يأمل من وراء هذا المشروع اولا فك التوتر على وجه ما ، وكان يأمل ثانيا ان يسترد لمصر على الاقل بعض ما فقدته من جراء الانذارات الانجليزية ، وهذا بصفة خاصة فيما يتعلق بالسودان ، وكان يأمل ثالثا ان يستخرج من مادة المفاوضـــــات والمحادثات ، صيغا واحكاما . ان لم تنظم العلاقات بين المملكتين تنظيما كاملا فعلى الاقل تهذب تلك العلاقات وتضبطها على اساس من العقل والانســــانية ، فتبعد عنها من ناحية ارتباك الفوضى والعاطفة ، ومن ناحية اخرى التهديد باستخدام السيف والمدفع من آن لآخر »(١٢١) وعلى اية حال ، فان ثروت قدم استقالته الى الملك فؤاد فى نفس اليوم الذى سلم فيه رد مصر برفض مجلس الوزراء لمشروع المعاهدة الى دار المندوب السامى ، مما أوحى الى

الذهن بأن ثروت لم يكن متفقا مع الوزراء على رفض المشروع .
وقد خسر ثروت من هذا الموقف خسارة ادبية كبيرة(١٢٢) .

وحاولت (المقطم) معالجة الموقف الدقيق الذى ترتب على استقالة الوزارة ، بقولها ان الذى يجب أن توجه الجهود اليه « هو اعادة النظر فى الأسباب التى بعثت مصر على عدم قبول المشروع والسعى من جانب بريطانيا لازالتها على قدر الطاقة ، أو تجزئة المشروع اجزاء يعنى بكل جزء منها على حدته ، ويكون كل واحد منها متمما لما يسبقه ، لأن تحديد هذه العلاقات لابد منه عاجلا أو آجلا لخير الفريقين اذا اريد اجتناب وقوع المشكلات ، ولهذا كنا نرى دائما أن سداد الراى يقضى بعدم اقفال الباب اقفالا نهائيا والحرص على سياسة الرغبة فى المودة والتفاهم والاتفاق ، وهو ما لا نزال نرجوه وندعو صحافة البلدين ولاسيما صحف بريطانيا الى ترويجه »(١٢٣) .

كما حاولت (المقطم) ايضا التخفيف من حدة الأجواء المصاحبة للمذكرة البريطانية التى تم تسليمها لمصر ، وقالت ان الأمر لا يعدو أن يكون تذكيرا من الحكومة البريطانية بانه « مادامت المحادثات لم تؤد الى اتفاق على حل النقط الأربع المحتفظ بها فهى ترى نفسها فى حل من التقيد بشىء من القيود التى وردت فى مشروع المعاهدة » وقالت ان الواجب يقضى على كل من مصر وبريطانيا السير فى طريق التفاهم « فقد عرفنا بالاختبار ان ما يمكن بلوغه والنفوس هادئة يكون اعظم واسرع منالا مما قد يدرك وهذه النفوس مضطربة هائجة »(١٢٤) ، فانه بالرغم من فشل مشروع المعاهدة الأخير فان ما بذل من جهود « لم يذهب سدى وان هذا الاتصال بين اقطاب البلدين وهو الاتصال الذى لم يكن له وجود قبل سنة ١٩١٩ ، ادى الى تعارف وتفاهم على أمور شتى هى فى ارفع مقام من الاهمية والاعتبار »(١٢٥) .

وزارة النحاس الاولى وازماتها :

بعد قبول استقالة ثروت شكل النحاس باشا وزارته الأولى ، وكانت ائتلافية كالوزارة المستقيلة ، وقد ووجهت بسلسلة من المتاعب منذ البداية ، بدأت بالمذكرة البريطانية الجديدة ، التى أثارت مسألة قانون الاجتماعات والمظاهرات ، ورد الحكومة المصرية عليها بأسلوب لا تنقصه الصراحة ، فتقول (المقطم) ان مصر « فوجئت بالمذكرة البريطانية المعلومة وفيها تحديد لمركز بريطانيا فى مصر ، بسطت فيه الحكومة البريطانية وجهة نظرها فيما تعده واجبا عليها من المهام سواء كان ذلك بالاستناد الى تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ ، أو دون استناد اليه ، فلم يكن بد للحكومة المصرية والحالة هذه ، من بسط وجهة نظرها هى أيضا فى هذا الموضوع ، ولاسيما ان المذكرة عقدت عقدة دستورية وحكومية لم تشر المذكرة الى كيفية حلها ، والتوفيق بينها وبين اعتراف الحكومة البريطانية باستقلال مصر وحرية تصرفها فى شئونها الا ما احتفظ به فى النقط الأربع المعلقة ..

وقد بسطت الحكومة المصرية المسألة بصراحة تامة تفاديا من تكرار وقوع الابهام لأن المذكرة عامة لم تعمد الى التخصيص ولو انها أشارت من طرف خفى الى التشريع المقصود بها فى الوقت الحاضر كقانون الاجتماعات والمظاهرات » وأضافت (المقطم) قولها ان « من الخطأ ان يحسب أحد ان الحكومة المصرية تبغى أن تتحدى بريطانيا وهى تعلم ما بينهما من البون الشاسع فى القوة والثروة فان الذين يسمعون اقوال رئيس الوزارة وزملائه لا يسمعون سوى عبارات الرغبة فى المودة والوئام ، فالرد الذى أرسلته الوزارة المصرية يجب الا يفهم منه أكثر مما حوى على نحو ما تقدم وليست الوزارة الحالية بأقل رغبة من غيرها فى الوصول الى اتفاق عملى يستطاع السير بموجبه ويمكن الاستناد اليه ويكفل له البقاء بما

يكسب من شعور الرأى العام المصرى بفائدته لمصر أو نفعه لبريطانيا »(١٢٦) . وقد تصاعدت الأزمة ، الأمر الذى جعل (المقطم) تحاول جاهدة البحث عن مخرج يمنع من الوصول بها الى ذروة الخطر ، فتقول « ان الذين يؤيدون نظرية السلام ويودون حل العقد والمشكلات يودون أن يعنى رجال السياسة من الجانبين فى حصر موضوع المناقشة تفاديا من تشعبها ولا يرون ما يلزم الدولتين بركوب متن الخلاف اذا عقدنا النية على معالجة الأمور بالحكمة وسداد الرأى »(١٢٧) . وتساءلت قائلة : « أما من سبيل الى اجتناب هذا وتوسيع المجال باطالة الوقت ولو قليلا لاعادة النظر فى موضوع الخلاف ؟ » « لماذا لا تعقد هدنة قصيرة لدرس الموضوع بغير روح النضال والنزال بل بروح الرغبة فى التفاهم ؟ ولا يدفع هذا بأن للكرامة مقتضياتها فقد بلغ من الذود عنها ما يضارع الاشتباك الحربى ولم يبق سوى المعركة المادية فلا يستطيع احد ان يتهم مصر بعد موقفها الأخير بالتنازل عن كرامتها ، ولا أن يرمى بريطانيا بالضعف والوهن »(١٢٨) .

ولكن الوضع يتطور باتجاه التفجير الخطير للموقف ، بتسليم انذار بريطانى للنحاس ، يتضمن وجوب سحب مشروع القانون فى البرلمان ، وان تأخذ الحكومة المصرية على نفسها عهدا بأن هذا القانون لا يصدر فيما بعد . فتدعو (المقطم) كافة المعنيين بالأزمة من الجانبين باتباع خطتها التى أعلنت عنها كثيرا ، وهى حل المشكلة « بالوسائل السلمية والأساليب السياسية » وبوجوب « بذل سعى جدى فى الساعة الأخيرة لمنع ما قد يقع اذا ظلت الامور جارية فى مجراها الأول عسى الفريقان ان يهتديا الى حل يصون كرامتهما ويوفق بين وجهتى نظرهما »(١٢٩) . وحدث ماطلبته الصحيفة فى حل يخفف حدة الأزمة فى الساعة الأخيرة ، حيث اقترحت الحكومة المصرية على البرلمان حلا مؤقتا نال موافقته ،

بتقرير ارجاء النظر في القانون الى الدورة البرلمانية القادمة ، وعلقت على هذا التطور الجديد بقولها ان الحكومة المصـــرية « بعدما اســـتهدفت وزارتها لاكبر أزمة ســـياسية عرفت بعد الثورة المصـــرية ، رات أن تثبت للناس انها لا تأبى البحث مع الحكومة البريطانية بغية الوصـــول الى توفيق بين وجهتى النظر ، اجتنابا للتصادم الذى بدت دلائله للعيان ، وعندنا أنها اصابت فى اختيار هذا الطريق ، ووقت البلاد قلقلة عظيمة ، مهما يكن من عواقبها الأخيرة ، فان مصـــر فى غنى عنها الآن » وطالبت بالكف عن « التحريض والاغراء » وبدعم موقف الحكومة والبرلمان « حتى لا تحملهما اهواء النفوس ونزعاتها على القذف بمســـتقبل الأمة ومصـــالح البلاد فى بحور الأخطار والمهالك ، فان الاصطدام بين مصر وانجلترا عاقبته على مصر معلومة يتقيها ابناؤها الصادقون ويكرهها اصدقاؤها المخلصون »(١٣٠) .

وهذا (التحريض والاغراء) الذى طالبت (المقطم) بالكف عنه ، كان يمارسه الأحرار الدستوريون ، المشتركون فى الائتلاف الوزارى ، « فان نجاح النحاس باشا فى الخروج من الأزمة دون أن يسحب القانون من امام البرلمان ــ كما طلبت الحكومة البريطانية ــ ودون أن يعترف بتصريح ٢٨ فبراير ، قد أدى الى تعزيز مركزه فى عينى الرأى العام ، وتوطيد اقدامه فى رياسته للوفد ، وكان معنى هذا ان راحت تفلت من الأحرار الدستوريين الفرصة لانتزاع القيادة من الوفد ، وهذا يفسر الحملة التى أخذوا يشنونها منذ ذلك الحين على النحاس ، واصفين موقفه من الأزمة بالضـــعف ، ومتظاهرين بالتطرف »(١٣١) .

واشارت (المقطم) لاستقالة محمد محمود وزير المالية ثم عدوله عن هذه الاســـتقالة ، فى الوقت الذى احتدمت فيه المعركة الصحفية بين (السياسة) صحيفة الأحرار الدستوريين ، وصحف

الوفد وعلى رأسها (البلاغ) واتخذت المواجهة بين الوفد والاحرار الدستوريين من البرلمان ساحة اخرى بالاضافة الى الصحافة ، ثم عاد محمد محمود ليقدم استقالته بصفة نهائية ، لأن سحب هذه الاستقالة « لم يكن اجراء مؤقتا يستطيع بعده هو والملك تدبير الأمور ، على نحو يسمح بسقوط الوزارة النحاسية او اسقاطها »(١٣٢) .

اما (المقطم) فتوضح الموقف الانجليزى مما يجرى فى مصر ردا على ما تقول انه اسئلة من القراء ، بقولها : « أما الذى نعرفه فهو ان الحكومة البريطانية تعد كل ما وقع عندنا حتى الآن من المسائل الداخلية البحتة التى لا تمس مصالحها ولا مصالح الأجانب فليس لها والحالة هذه وجه للتعرض للأمر بوجه من الوجوه ، أو رغبة فى التعرض له »(١٣٣) . وقد اتخذت الأزمة بعدا جديدا باستقالة الوزير الوفدى احمد محمد خشبة ، فتقول (المقطم) ، ان الأمة « الآن ترفع ابصارها الى الجالس على العرش وهى ترجو ان يعالج هذه المشكلة بحكمته السامية وحنكته المأثورة وهى امنية يرددها الجميع الآن »(١٣٤) . وقد عالج صاحب العرش هذه الأزمة باصدار « أول قرار فى التاريخ الوزارى باقالة الوزارة النحاسية الأولى »(١٣٥) .

واذا كانت (المقطم) قد حاولت تبرئة ساحة الانجليز من الأزمة التى عصفت بوزارة النحاس ، فانه فى اليوم التالى لاقالة النحاس باشا استرد النفوذ الانجليزى قوته ، فقد كان اول ما فعله اللورد لويد ان فرض على الملك فؤاد ، محمد محمود باشا بدلا من صدقى باشا(١٣٦) الذى كان قد وقع عليه اختياره لتشكيل الوزارة الجديدة ، وبهذا الانقلاب ضد الحياة الدستورية تبدا المعركة الدستورية الثانية .

حكومة اليد الحــــديدية :

حاولت (المقطم) فى الأيام الأولى لتأليف حكومة محمد محمود باشا ان تقف على الحياد بينها وبين الوفد وجمـــاهيره ، فتدعو الوزارة الى ان يتجه همها الأول الى تبديد هذه الغيوم « التى تلبد بها جونا القومى ، والعمل على تخفيف ما فى النفوس من مرارة ، وصد هذه الريح ريح الخصـــومة ، التى أخذت تعصـــــف فى البلاد »(١٣٧) . ولكنها تنتقل تدريجيا الى معسكر الوزارة واعمالها فتقدم تفسيرا لخطوة الحكومة بتأجيل انعقاد البرلمان تقول فيه لئنه « جاء مطابقا لما قيل عن رغبة الوزارة فى التوفيق بين وجهات النظر ، والسعى لتوحيد القوى لذا كان هنالك امكان وأمل بتوحيدها وهو ما لانزال نرجوه وهو بذاته دليل على احترام الدستور والنظام البرلمانى والا فان الوزارة كانت تستطيع ان تتقدم الى البرلمان ، وتطلب ثقته ، فاذا لم تفز بها — وهو ما كان منتظرا لو تقدمت فى الآونة الحاضرة — اضطرت الى اختيار أحد الأمرين اللذين ذكرناهما امس ، فاما ان تستقيل واما ان تلتمس من الملك حل مجلس النواب ، وهذا ما لا تريده كما يرى من اقوال رئيسـها ، فاختارت هذا الطريق الثالث لعل فيه ما يحول دون حدوث ذينك الأمرين ، ولاسيما ثانيهما »(١٣٨) . وقالت ان ما ينسب للوزارة من (أمور ونيات) يتعارض مع ما يؤكده اعضاؤها وانصارها ، والأمر متروك للمستقبل لجلاء الموقف على حقيقته « ولكن هذا كله لم يغن فتيلا عند الحزب المعارض لها ، فهو لا يفتأ يشهر عليها حربا عوانا بكل وسيلة ، ليزيفها فى عيون الجمهور ويجعل اعمالها عقيما ، ويحول دون مضيها فى الطريق الذى اختارت سلوكه وهى تعتقد ان فى ســـــلوكه نفعا للوطن وخدمة لأهله »(١٣٩) . وقد شهدت هذه الفترة حملات قاسية متبادلة بين النحاس باشا ورئيس الحكومة محمد محمود باشا ، فتطالب (المقطم) بوضـــــع حد لها

بقولها : « فهل يستحيل على الذين كانوا بالأمس اخوانا واخدانا ان يوجهوا جانبا من هذه القوى الى سعى آخر لحل العقدة القائمة بغير الحل الذى تدل الدلائل على الميل الى الأخذ به فان مصلحة مصر مصلحة عظيمة تستحق أن يبذل لها هذا الجهد »(١٤٠) .
وكمادتها ، كلما اشتدت حدة الصراع الداخلى ، تقدم تحليلا للموقف الانجليزى مما يجرى فى مصر ، فتقول ان « الانجليز ينتهزون كل فرصة تسنح لهم لأن يجاهروا صراحة بأنهم سالكون تجاه الحالة السياسية الحاضرة مسلك المحايد ، رغبة منهم فى عدم التعرض لشئون البلاد الداخلية »(١٤١) . ولكن الوزارة عمدت الى « كسب التأييد البريطانى ، على اعتبار أن هذا التأييد سوف يؤدى الى تدعيم موقف الوزارة تجاه القصر والحزب الشعبى »(١٤٢) .

وتعلن الوزارة حل مجلسى الشيوخ والنواب وايقاف تطبيق بعض مواد الدستور ، وتؤجل الانتخاب البرلمانى لمدة ثلاث سنوات فتبدى (المقطم) اسفها لأول وهلة ، قائلة ان هذا العمل قد ترك الأسف فى النفوس ، لتوقيف العمل « بهذه الأداة من أدوات الحكم بعدما كانت ضالة الأمة المنشودة وغايتها المطلوبة ، وبعدما سعت وبذلت ما بذلت فى سبيلها وجاهدت لأجل الفوز بها » ، ولكن الاهم هو « وجوب العمل على تلافى هذه الحالة والسعى لازالتها بأقرب ما يستطاع » ، ولكنها تعود الى القول — فى المقال نفسه — « نعم ان ثلاثة اعوام ليست شيئا مذكورا فى حياة الأمم ولكنها على كل حال يجب أن تحسب حسابا فى عصر النهضات والتقدم والارتقاء ، وهذا ما نبغيه ، وهو ان تتوسل مصر بكل ما فيها من قوة لاطراد تقدمها فى سبيل الحياة النيابية والاجتماعية والاقتصادية »(١٤٣) .

وقد قوبل تعطيل الدستور بالسخط والاستنكار فى أرجاء البلاد ، اذ هو حرمان للأمة من حقوقها التى كسبتها بعد جهاد طويل

وفيه القضاء على حرية الصحافة التى نالتها من قبل بعد نضال شاق مرير(١٤٤) .

وكان غضب الأمة شديدا على هذه الاجراءات وهذه الوزارة وقاومتها الامة بكل ما فى وسعها ، وشنت الصحافة عليها هجوما قويا(١٤٥) . ولكن (المقطم) ، مع ادراكها لخطورة ما اقدمت عليه الوزارة ، فانها تعتبره اجراء دفاعيا ضد حملات الوفد عليها ، اذ « لا يعقل أن انسانا يهاجم مخلوقا وينشب الأظافر فى عنقه ، ثم يقف هذا مكتوف اليدين والأغـــلال فى عنقه ، وقلنا ان الوزارة لا يخطر لعاقل أن تقبل الحمـــلات بالرضـــا الا اذا كانت عاقبة ذلك التفاهم ، وقلنا فى صريح القول أن الذين يلجأون الى دعوى الأغلبية هم المسئولون عن نتائج التصلب والتعنت ، وها قد صح كل ما قلناه ، وتمسكت الوزارة بما تراه يدفع عنها تلك الحملات المستمرة ، وما اعتقدت أنها تسير به فى مصلحة الوطن ، وان ظن كثيرون انه ضار به ، وهاهى ذى الوزارة جادة فى سيرها ثابتة فى عزمها ، لا تفتر لحظة عن تعزيز موقفها ، ولا يخفى ان لها انصارا يحبذون عملها ويقرونه ، كما أن لها خصوما ينقمون عليها هذه الخطة »(١٤٦) .

وهذا مؤشر واضح لتسويغ أعمال الحكومة وتحميل الوفد مسئولية دفعها لهذه الأعمال . وقد تقدمت الصحيفة برجائها الى « الذين يقولون ان لهم الأغلبية ، أن يتريثوا قليلا وان يقفوا عند هذا الحد ، وأن يترقبوا الغد وما سيفعله زملاؤهم ، فانهم وان رموهم بكل ما يرمون فهم اخوانهم بالأمس ، وموطن ثقتهم وموضع اعجابهم ، فعسى أن تصلح الأيام ما علق بنفوسهم . ونرجو من رجال الوزارة وعلى راسهم رئيسهم أن يفسحوا صـــدورهم وأن يقابلوا هذه التصرفات بالحذر من الوقوع فى الضرر ، وبالحكمة

وبعد النظر ، فلا يتمكن الخصم من اغتنام الفرص ، فيقع ما لا يرضاه المحبون فى عهدهم »(١٤٧) .

ولكن المعارك الكلامية بين الوزارة وخصومها لم تتوقف ولاسيما فى الخطب العنيفة لكل من النحاس ومحمد محمود ، وقد ابان النحاس فى احدى هذه الخطب ان رئيس الوزراء قد مسخ الدستور ، واصبح دكتاتورا يحكم بيد من حديد ، وهو يستند فى ذلك كله الى الانجليز(١٤٨) ، وذلك بخلاف ما حاولت (المقطم) اثباته .

واخذت حكومة محمد محمود تحاول ان تصرف الناس عن الدستور والبرلمان بالحديث عن الاصلاح الداخلى وردم البرك والمستنقعات واصلاح شئون الادارة والقضاء(١٤٩) . وايدت (المقطم) هذا الاتجاه بقولها ان الحكومة اذا ما « استمرت تبدى النشاط الذى تبديه الآن وجعلت شعارها العدل فى معاملة الرعية، وعنيت بشئون طوائف الشعب ، ووطدت اركان الأمن فان الشعب يؤيدها لانه يجد فيها ضالته المنشودة »(١٥٠) . وكانت تنشر ، بصفة مستمرة ، خطب محمد محمود فى الوفود التى تزوره لتأييد حكومته ، من اقاليم البلاد المختلفة(١٥١) .

ووصفت قرار الحكومة بعدم اشتغال الطلبة بالسياسة ، بأنه فى صالح الطلاب انفسهم ويدل على أن الحكومة بريئة القصد فى عملها تبغى الخير للطلبة جميعا(١٥٢) . وهذا التضييق الذى مارسته الحكومة ضد الصحافة على سبيل المثال ، انما إرادت به محاصرة الوفد « بضربه فى الهيئات والطبقات التى تؤيده . فقد اصدرت اوامرها الى الموظفين بعدم الاشتغال بالسياسة .. ولضرب مفكرى المدن والصحافة اعادت الحكومة العمل بقانون المطبوعات القديم الصادر فى سنة

١٨٨١ ،الذى يجيز تعطيل الصحف والغاءها اداريا ، والغيت رخص مائة صحيفة ، وانذرت عدة صحف من صحف المعارضة »[١٥٣] .

ولعل تاييد (المقطم) لسياسات الحكومة وتحبيذها لها كان امرا مزعجا للوفد ، وقد أوضح احد التقارير السياسية هذه الحقيقة وهو التقرير السياسى السرى المرفوع الى كبير الأمناء للملك وبتوقيع ا . جورجيتى ، وتاريخه ١٩٢٨/٩/١٨ . وجاء فيه « نتشرف باخبار معاليكم بأن رجال الوفد قد تاثروا تاثرا شديدا لايقاف جريدة البلاغ أربعة شهور ، لأنهم كانوا يغذونه دون ــ كوكب الشرق ــ بالمعلومات ، ويمدونه بالمساعدة حتى يضربوا به جريدة (المقطم) بعد الظهر »[١٥٤] .

مفاوضات محمد محمود وهندرسن :

اشادت (المقطم) بالرغبة التى ابداها محمد محمود ، لانتهاز مناسبة زيارته للعاصمة البريطانية « لتوثيق عرى الصلات الودية وهى الصلات التى ظلت قائمة بين البلادين منذ تولت الوزارة الحاضرة مقاليد الحكم »[١٥٥] . ودعت جميع القوى السياسية فى مصر الى شد ازر الحكومة واستغلال الفرصة السانحة الآن لتسوية المسائل المعلقة بين مصر وبريطانيا[١٥٦] .

وتحدثت (المقطم) عن الحفاوة التى يلقاها محمد محمود فى لندن نظرا لمكانته فى « نفوس الانجليز وهو خريج جامعة من اشهر جامعاتهم ، وله بينهم أصدقاء كثيرون ، وتقدير هؤلاء الأصدقاء وغيرهم من كبار الدولة البريطانية وعظمائها لمناقبه وصدق وطنيته وكرم محتده واعجابهم باعماله » فضلا عن انه « دل على الطريق الذى يؤدى سلوكه الى النجاح ، وهو طريق التفاهم وحسن النية من الجانبين »[١٥٧] .

واوضحت الصحيفة ان الشعب المصرى « لا يكره الاتفاق مع بريطانيا بل يتوق اليه من صميم قلبه ويسعى له » . ولكن الانجليز مطالبون بادراك ان مصلحتهم « تقوم على ترضية مصر فيما يتعلق بتحقيق أمانيها القومية ، فتكون ترسا لهم وصديقا مدافعا عن مصلحة امبراطوريتهم »(١٥٨) .

وكانت وزارة العمال البريطانية برئاسة ماكدونالد قد قفزت الى مقاعد الحكم فى الانتخابات البريطانية التى جرت فى أواخر مايو ، وأعلنت عن رغبتها فى حل المسألة المصرية .

وقامت (المقطم) بحملة صحفية مركزة تؤيد فيها المفاوضات التى يعتزم رئيس الوزراء ادارتها عن الجانب المصرى ، وتنتقد معارضيها ، وذلك بتوقيع (محايد) الذى يقول ان « الغيرة على الوطن والمعاونة الصحيحة على تحقيق آماله ، انما هى فى شد ازر هذا المفاوض وظهور الامة كلها بمعاونته ومناصرته » ولا «محل للخوف من اى اعتبار مادام مرد الأمر الى الأمة والى الامة وحدها »(١٥٩) . ويقصد بذلك معارضة الوفد لهذه المفاوضات ، حيث « ازعجته لدرجة كبيرة فكرة تفاوض الحكومة العمالية مع محمد محمود باشا وحاربها حربا شديدا »(١٦٠) . فى هذه الأثناء وقبل أن تبدا المفاوضات اتخذت الحكومة البريطانية اجراء مهما دل على رغبتها بدفع عجلة التسوية بين مصر وبريطانيا الى الأمام ، وتمثل باقصاء اللورد لويد عن منصبه كمندوب سام لبريطانيا فى مصر . وكان سقوطه يعنى فى الوقت نفسه سقوط تلك السياسة التى ارتبطت باسمه والقاضية بالتدخل فى الشئون المصرية . وكان معنى ذلك ببساطة أن تفتقد وزارة محمد محمود اهم دعائم استمرارها وهى دعامة تأييد دار المندوب السامى(١٦١) . وقد احتل خبر (استقالة) اللورد لويد (المانشيت) الرئيسى فى (المقطم)

وقدمت تفسيرا قالت فيه : « ويحتمل ان وزارة العمال رأت أنه فى هذه الحالة يحسن أن يكون ممثلها هنا غير اللورد لويد الذى عرف هنا وهناك بشدة الشكيمة وتأييد سياسة خاصة لا تطابق من حيث المبدا سياسة العمال المأثورة عنهم »(١٦٢) . واشارت الى أن اقوال الصحف البريطانية تؤكد عزم حكومة لندن على مسالمة مصر ، وهو ما « يبعث على الرجاء أن تكون وزارة العمال عاملة على تحقيق رجاء مصر بما يريح البلدين »(١٦٣) . واكدت على أن (اقالة) اللورد لويد « نشأت عن اعتقاد الحكومة البريطانية الحاضرة بأن بقاءه فى منصبه فى مصر لا يهون عليها تنفيذ سياسة العطف التى تريد اتباعها والتى تتجلى بمجالات شتى منها عدم تعرض البريطانيين لشئون مصر الداخلية وانتقاص مظاهر النفوذ البريطانى باخراج القوات البريطانية من المدن الداخلية وتخفيف وطأة الامتيازات الأجنبية »(١٦٤) .

وقد وافقت الحكومة البريطانية على مشروع المعاهدة الذى توصل اليه الجانبان ، فتقول (المقطم) ، ان الكلمة الآن للأمة المصرية « فيتعين عليها لذلك ان تنظر الى المشروع لا بالمنظار الحزبى ولا بالعاطفة الشخصية التى ترفع الأشخاص فوق الوطن بل بمنظار مصلحة الوطن الحاضرة ومصلحة الأجيال المستقبلة »(١٦٥) ، مشيرة الى ان هذا المشروع هو اقصى ما تستطيع الحكومة البريطانية أن توصى البرلمان البريطانى بقبوله، كما أن محمد محمود يعتقد من جانبه انه يفضل جميع مشروعات المعاهدات التى سبقتها بين البلدين(١٦٦) .

ورحبت (المقطم) بنداء محمد محمود الى المصريين بان يطرحوا فى هذه الآونة الدقيقة نزعاتهم وميولهم الحزبية ، ويفحصوا الاتفاقية على هدى وطنيتهم المستنيرة ، وقالت ان « قضية حيوية كهذه ومشروعا عظيما كهذا يجب أن يرفعا عن مستوى الخصومة

الحزبية الى المرتبة الوطنية »(١٦٧) . واشادت بأهمية مشـــروع المعاهدة الذى دل « على ان البريطانيين جاوزوا فيه كل مشروع آخر عرضوه على مصر لمعالجة ما بين الدولتين من العلاقات الخاصة وفى هذا ما فيه من الاعتراف بحق مصر ، والايقان بوجوب مراعاته وهو وحده يدل على تبدل كبير فى الراى العام البريطانى ويؤيد نظرية حسن التفاهم ، وما لها من الفضل فى النفوس »(١٦٨) .

وقد اجمعت المصادر المختلفة على ان تقدما ملحوظا ابرزته مقترحات محمد محمود ـ هندرسن ، التى « لقيت قبولا حســـنا بصفة عامة من جميع الاحزاب والهيئات المصـــرية ذات الراى فى البلاد ، وان اختلف هذا القبول بين التأييد المطلـــق والتأييد المقرون بتحفظ ، والامتناع عن مهاجمة المقترحات ، والموقف الاخير هو موقف الوفد »(١٦٩) ، الا أن الوفد وصحفه ، واصلوا حملتهم الشـــديدة ضد الوزارة نفسـها ، ولم تحد من هجماتهم الدعوات التى اطلقها محمد محمود بعد عودته الى مصـــر لطرح الماضى وخصوماته ، واعلن الوفديون رفضهم الادلاء برأيهم فى المقترحات التى توصل اليها محمد محمود (الا تحت قبة البرلمان المنتخب انتخابا صحيحا) .

وقالت (المقطم) انها تبـــاحثت مع بعض الوفـــديين حول ما يقصدونه بهذا الشعار ، من ضرورة عودة الحياة النيابية وازالة القيود « التى قيدت بها الحريات الدستورية ، لأنهم يحسبون اعلان رايهم فى هذا المشروع الخطير وهذه الحريات مقيدة ، أمرا ينطوى على معنى الاكراه . وهذا مخالف فى صميمه لما يراد من عقد اتفاق صحيح لا اكراه فيه »(١٧٠) .

وهذا الاهتمام من جانب (المقطم) ، بأفكار الوفد وشعاراته جاء منسجما مع مجريات الأحداث التى واكبها ظهور وفدى قوى ،

وضعف وزارى واضح ، فقد ذكرت الصحيفة أن الملك فؤاد نصح بوجوب اجتماع رجال الوفد بالمندوب السامى البريطانى « ليقف كل من الفريقين على وجهة نظر الآخر توصلا الى حسن التفاهم بينهما » . وقالت « وما بنا من حاجة الى القول ان تفاهم الوفد مع فخامة المندوب السامى هو امثل خطة اشار بها حكيم بعيد النظر لازالة كثير من متاعب الحالة السياسية . وقد تؤدى الى حل المشكلة والتخلص من الجمود والغموض »(١٧١) .

وقد عقدت لقاءان متواليان بين النحاس باشا والمندوب السامى البريطانى ، فتقول (المقطم) ان « من يطلع على نيات الوفد والانجليز كما اطلعنا ، كان يعتقد ان المقابلات تؤدى الى تمام التفاهم وتقرب سبيل الاتفاق . ولذلك اكثرنا من الحض والالحاح على هذه المقابلات حبا بانفراج الأزمة وعود حياة الصفاء الى مجاريها »(١٧٢) .

والأزمة التى تتحدث عنها (المقطم) ، كانت تواجه وزارة محمد محمود الذى لم « تكن ثمة قوة مناصرة له يستطيع الاعتماد عليها فى مداومة التحدى ، فالشعب تواق الى الخلاص من حكمه والانجليز قد أوضحوا له فى مناسبات عدة اصرارهم على أن يكون الاتفاق مع حكومة نيابية ، اما عن الملك فؤاد فلم تكن العلاقة بينه وبين رئيس وزرائه فى ذلك الحين على ما يرام ، ولم تكن كذلك من قبل .. ففى خلال السنة التى تولت فيها الوزارة — اللادستورية — الحكم ، كان محمد محمود باشا يعانى من ميول الملك فؤاد الأوتوقراطية .. وبلغ من ضعف هذه الوزارة انها كانت لا تستطيع شيئا حيال تشديد الوفد هجماته عليها »(١٧٣) .

وكانت نتيجة ذلك كله استقالة الوزارة ، وانتهاء الأزمة التى خيمت على البلاد ، كما تقول (المقطم) ، وبذلك تكون الخواطر

قد اطمأنت « وحدات الأفكار واغتبط الناس بجلاء الموقف وارتاحوا الى انتهاء حالة القلق والى اتجاه ســـير الأمور فى الطــريق القويم »(١٧٤) .

وزارة عـــدلى الانتقـــالية :

وكان مطلوبا أثناء ذلك تمهيد الجو لعودة الوفد الى السلطة ، وقد رأى المسئولون البريطانيون فى القاهرة أن هذا التمهيد يتم بتأليف ما إسموه « وزارة انتقالية » تتوافر فيها الشروط الآتية : رئيس يحظى باحترام واسع من كافة الأطراف ، واعضاء محايدون ، فى نفس الوقت راوا ان تشكيل مثل هذه الوزارة سيحقق اكثر من هدف : تهدئة الأعصاب وتقليل فرص الصدام بين الوفد من ناحية ومحمد محمود واتباعه من ناحية أخرى كما انه ســـيمكن الوفد من دراسة الموقف بمزاج هادىء مما يؤدى الى زيادة فرص قبول المقترحات البريطانية بعقد المعاهدة(١٧٥) .

وقد توافرت الصفات المطلوبة فى شخص عدلى باشا الذى شكل هذه الوزارة الانتقالية ، فتقول (المقطم) « واليوم يدعى عدلى باشا لمهمة وطنية جليلة القدر وهى اعادة الأمور الى مجاريها الأولى وتهدئة الخواطر وازالة كل ما ساور النفوس من المخاوف على الدستور والحياة النيابية وتمهيد السبيل لمشروع اتفاق نجح صاحب الدولة محمد محمود باشا نجاحا يذكر بالحمد فى كسبه فى حكومة العمال البريطانية »(١٧٦) . واشارت إلى ما تضمنه البيان الوزارى من حرص على أن تظل علاقات البلاد مع بريطانيا « على خير ما يرجى من الصفاء وحسن التفاهم »(١٧٧) .

ودعت (المقطم) فى معرض حديثها عن مشروع المعاهدة ، البرلمان القادم الى أن يضع نصب عينيه « وجوب تفسير النص

الوارد فيه عن السودان تفسيرا يؤيد حق المصريين فى الاقامة واقتناء الممتلكات والعمل والخدمة فى السودان باعتبار انه جزء من من مصر لا باعتبار انهم غرباء عنه »(١٧٨) . واشارت الى الوقع الحسن الذى لقيته دعوتها هذه فى البلاد ماعدا صحيفة صباحية ، قالت : ان راى (المقطم) انما هو راى حزب سياسى يخشى المجاهرة بحقيقة رايه ونياته ، ويلجأ الى صحف غير صحفه ، وهى تعنى بذلك (السياسة) فتقول : « نحن لا نجهل ان غرض الصحيفة من حملتها علينا الاستطراد والتخلص الى الطعن على الوفد لتوسيع الخرق بين حزبه وحزبها عوضا عن السعى فى تهدئة الخواطر الهائجة ، وتضميد الجراح المتفتحة ولكن الانصاف الذى تباهى به وتعبر جرائد الوفد على الاستخفاف به كان يقضى عليها الا تتجاهل خطتنا والا تتهمنا بأننا كتبنا ما كتبنا بوحى من الوفد . وان تتذكر ان (المقطم) كان اول جريدة حولت انظار الأمة الى حقوقها فى السودان »(١٧٩) .

وهذا الانتقال من معسكر التأييد المطلق للمعاهدة الذى وقفته (المقطم) فى عهد وزارة محمد محمود الى التركيز على وجوب تعديل بعض بنودها ، مرتبط اشد الارتباط بالتحولات السياسية المتلاحقة التى شهدتها البلاد ، وجعلت وصول الوفد الى الحكم قاب قوسين او ادنى .

وقد دفعت هذه التحولات حزب الأحرار الدستوريين الذى سبق ان اعلن موافقته التامة على مشروع المعاهدة الى اعلان قراره بعدم الدخول فى الانتخابات ، مبررا ذلك بحرصه « على سلامة مشروع المعاهدة من جميع وجوه الخطر الذى يتهدده .. حتى لا يتحمل مسئولية النتائج التى قد تترتب على هذه التطورات

الجديدة »(١٨٠) .فتناقش الصحيفة هذا القرار بقولها ان الذى « يفهمه الناس هو أن الحرص على سلامة المشروع من الخطر يقتضى بالأولى ان يتقدم حزب الأحرار الدستوريين بكل ما فيه من قوة وما فيه من عدة الى معركة الانتخابات ليناظر فيها بكل اساليب المناظرة القانونية اولئك الذين يخشى أن يكونوا مصدر خطر على المشروع »(١٨١) .

وقالت (المقطم) ان الوفد اذا استطاع تعديل المعاهدة ، وتمكن من « اقناع الحكومة البريطانية بوجهة نظره فتئيله ما يطلب » فانه « فى هذه الحالة يكون قد وقف موقفا مجيدا ورأى رأيا موفقا سديدا » . اما اذا وجدت الحكومة البريطانية نفسها غير قادرة على ذلك ، فعلى الوفد أن يميز « بين المستطاع وغير المستطاع .. ولا يعقل ان الوفد اذا رأى فى التشدد خطرا على مشروع المعاهدة او حائلا دون الاتفاق وعقد أواصر الصداقة مع بريطانيا اذا رأى ذلك يمضى فى هذه السياسة الى نهايتها ويعرض مستقبل القضية لما لا يحبه خصوصا بعدما اعلن مرارا انه شديد الرغبة فى الاتفاق »(١٨٢) . ويتضح هنا حرصها الشديد على عدم اصطدام الوفد بالموقف البريطانى .

مفاوضات النحاس ـ هندرسن :

وبعد ظهور النتائج الانتخابية وفوز الوفد فيها ، تشكلت الوزارة النحاسية الثانية التى استقبلتها (المقطم) بالترحيب حيث جاء « تأليفها على هذا النحو تأييدا للعرف الذى يتبع فى مصر فى تأليف الوزارات البرلمانية وتكميلا لما يقضى به روح الدستور » . ونوهت بما ورد فى برنامجها من السعى لعقد « اتفاق شريف وطيد بين مصر وبريطانيا » ، مما سيكون له وقع حسن « فى الدوائر

البريطانية لدلالته على حقيقة رغبة مصر »(١٨٣) . واكدت على أن النية متجهة الى قبول مشروع المعاهدة « اساسا للمفاوضة رغبة من مصر في السير في سياسة الوفاق الى أقصى حد مستطاع »(١٨٤) .

ودعت الحكومة البريطانية الى استغلال الفرصة السانحة التى « لم يسبق لها نظير بما هو مشهود اليوم فى مصر من حسن الاستعداد والنية فى هذا الجو الصالح لمفاوضة نهائية حاسمة تؤول الى راحة الفريقين وطمأنينتهما »(١٨٥) . وتمنت على البريطانيين أن يقابلوا مصر بمثل ما تبديه « فى أعمال وزيرها الأكبر ومساعديه وانصاره هنا وفى الخارج »(١٨٦) .

وهذه الحماسة التى تظهرها (المقطم) للمفاوضات بين الفريقين تنسجم مع المهمة التى جاءت من اجلها وزارة النحاس التي « تألفت خصيصا لمتابعة المفاوضات التى كانت قد جرت بين محمد محمود باشا ووزير الخارجية البريطانية »(١٨٧) .

وقد أعربت (المقطم) عن ابتهاجها وتفاؤلها لمظاهر التكريم التي يلقاها أعضاء الوفد الرسمى المصرى فى بريطانيا . واعتبرت ذلك « مقدمة حسنة لما نتوقع ان يليها من التفاهم وما يلى التفاهم من اتفاق وتعاون بعدما ادرك الانجليز أنهم لا يستطيعون ان يحكموا مصر كما كانوا يحكمونها قبلا ، وان العلاقات الماضية لم تعد صالحة ولابد من إبدال علاقات أخرى بها »(١٨٨) . ونشرت خطابى افتتاح المفاوضات لكل من النحاس وهندرسن وزير الخارجية البريطانية ، وقالت ان اهم ما جاء فيهما هو « الرغبة البادية من الجانبين فى التفاهم والوفاق وعقد اواصر المودة وعدم الاعتداد بالفشل الماضى بل التوسل به الى اجتناب حبوط المفاوضات الحالية »(١٨٩) .

وقامت بمتابعة اخبار المفاوضات فى العاصمة البريطانية ، وتقديم تحليلات وافية للنقاط التى يجرى التباحث حولها ، كما وجهت الانتقادات اللاذعة (للمحافظين) الذين يعارضون مشروع المعاهدة بين مصر وبريطانيا(١٩٠) . ولكنها اكدت على أن «الرغبة الشديدة فى الاتفاق لاتزال تحدو الفريقين المفاوضين مع العلم بأنهما يعالجان أمورا فى منتهى الصعوبة وفى مقدمتها طبعا المسألة العسكرية وخصوصا من حيث صلتها بقناة السويس ومسألة السودان » . وقالت ان التشدد الذى يبديه الجانب المصرى يجب « ألا يفهم منه أنه لا يقدر ما هو مشهود من حسن نية المفاوض البريطانى ورغبته فى الوفاق ، ولكنه يشدد لاعتقاده أن حالة مصر صارت تقتضى بت مسألتها بتا نهائيا او حلها حلا يقرب من هذا البت وأن ترك أمور جوهرية معلقة كأمر السودان مثلا لا ينتج سوى خلق مشكلات جديدة للفريقين »(١٩١) .

واكدت (المقطم) أن (المقامات السياسية) فى البلاد تؤيد موقف النحاس من عدم التساهل فى موضوع السودان(١٩٢) الذى لم تستطع الحكومة البريطانية معالجته بما يتفق ورغبة مصر ، نظرا للصعوبات الداخلية التى يثيرها المحافظون المتشددون فى بريطانيا امام حكومة بلادهم ، كما تقول (المقطم)(١٩٣) .

وتوقفت المفاوضات ، بكلمتين وديتين للنحاس وهندرسن ، اعربا فيهما عن أسفهما لما حدث واكدا ان الباب لايزال مفتوحا للتفاوض فى المستقبل(١٩٤) .

وفى الحق ، فان الفريقين قد بذلا جهدا عظيما للوصول الى اتفاق . وفعلا تمكنا من الاتفاق على مشروع كامل للمعاهدة ، ولكن المفاوضات تحطمت على صخرة السودان ، وعلى الرغم من جهود الوفدين لوضع صيغة مقبولة للمادة الخاصة بالسودان ، فان الوزارة البريطانية رفضت أن تتزحزح عن موقفها بشأنه(١٩٥) .

وهكذا فان كل ما تم احرازه خلال المفاوضات لتسوية المسائل الخاصة بمصر ، تم التخلى عنه بسبب عدم امكانية التوصل الى اتفاق بشأن السودان(١٩٦) .

وقد اعتبر (المقطم) التقدم الذى أحرزته المفاوضات ، فيما يتعلق بمصر ، نجاحا لها ، فتقول ان هذه المفاوضات« قدمت اعترافا بريطانيا بحقوق مصر خطوات كبيرة جدا وأوصلتها الى حدود لا يسع سياسيا بريطانيا فى المستقبل أن يتقهقر عنها . ومتى آن أوان المفاوضة المقبلة فان المفاوضات تبدأ من حيث انتهت هذه المرة »(١٩٧) . وبعد أن طويت هذه الصفحة من العلاقات المصرية البريطانية بالنتيجة التى أسفرت عنها المفاوضات ، تقول (المقطم) ، ان خير موقف تقفه مصر انتظارا لتحول السياسة الانجليزية « هو موقف الولاء والصداقة والمحافظة على شروط السكينة والهدوء حتى يسد الباب فى وجه خصوم القضية المصرية هنا وهناك »(١٩٨) . وعقبت على بيان النحاس فى البرلمان ، عن صلات المودة والتفاهم مع بريطانيا ، برغم توقف المفاوضات ، بقولها ان تصفيق النواب لهذا البيان جاء تأكيدا « لا يقبل المماراة بأن مصر يسرها جدا أن تكون على ولاء وصفاء مع بريطانيا »(١٩٩) .

سقوط الوزارة الدستورية :

ولكن البلاد ، تشهد ازمة سياسية بين القصر ووزارة النحاس ، بسبب عدم صدور المرسوم الملكى بالشيوخ المعينين بدلا من الذين سقطت عضويتهم فى الاقتراع الاخير ، وكذلك قانون محاكمة الوزراء الذى اهتمت حكومة الوفد بانجازه ، فتقول (المقطم) « ان الاهتمام الذى تعلقه الدوائر الرسمية والبرلمانية على مسألة

الشيوخ المعينين ، ليس سوى جزء من الاهتمام العظيم الذى نعلقه على مسألة قانون مسئولية الوزراء ، اى ان هذا القانون هو الآن المسألة الجوهرية الاولى التى يدور عليها الخلاف فى الراى والتقدير » « والذى لا شك فيه هو ان الوزارة ثابتة فى موقفها وانها ترى ان عرض هذا القانون على البرلمان جزء جوهرى من برنامجها ، الذى رسمته فى خطاب العرش ، وانه لا يسعها التحول عنه بحال من الاحوال ، ومما لا ريب فيه ايضا ان جميع اعضاء الهيئة الوفدية وانصار الوزارة يؤيدونها فى موقفها هذا »(٢٠٠)) .

ورغم هذا التأييد الذى تحظى به الوزارة من انصارها « فقد رأى الملك فؤاد ان اخفاق مفاوضات النحاس وهندرسن قد قدم له فرصة ذهبية للتخلص من الوزارة الوفدية يجب الا يفوتها »(٢٠١) . وهنا اتفقت ميول السراى ومرامى السياسة البريطانية ، اذ ان السياسة البريطانية فضلا عن نقمتها من الوزارة الدستورية رفضها مشروع هندرسن لم تكن تميل الى اصدار قانون لمحاكمة الوزراء الذين يعتدون على الدستور ، لأنها فى حاجة عند اللزوم الى امثال هؤلاء الوزراء(٢٠٢) . ويرى (كيرك) أن الملك رفض المصادقة على مشروعى المرسومين ، لأنه اعتقد أن الحد من سلطات العرش يكاد يكون معناه ايجاد دكتاتورية وفدية دائمة فاعتزل النحاس الحكم احتجاجا على ذلك(٢٠٣) .

وبعد هذه الاستقالة التى تقدمت بها الوزارة النحاسية ، تقول (المقطم) ، انها كانت تود « من صميم الفؤاد ان تظل الوزارة الشعبية الحاضرة فى مناصبها وان تطول مدة حكمها لكى تظهر ثمار عملها .. ولكى تيسر لها معالجة شئون البلاد وتصريف امورها وخصوصا فى الحالة الاقتصادية الحرجة التى تجتازها »(٢٠٤) . ودعت الى حل الأزمة الوزارية بما يصون مصالح البلاد ويعزز مقام

الحياة الدستورية ويجعل الوفاق شعار الحكومة المصرية(٢٠٥) .

وذكرت (المقطم) كعادتها فى مثل هذه الأزمات الداخلية أن « الآراء مجمعة فى الدوائر السياسية على أن الانجليز لم يتعرضوا للأزمة الحالية برأى من الآراء لأنهم يعدونها من المسائل الداخلية التى لا يجوز للمندوب السامى البريطانى أن يتدخل فيها مادامت مصالح الأجانب لا تدعو الى أى تدخل كان »(٢٠٦) .

وبقبول استقالة النحاس ، يقع اختيار السراى على صدقى باشا لتشكيل الوزارة التالية ليبدأ فصل جديد من المعارك الدستورية ضد حكومة صدقى باشا ، التى عصفت بالدستور والحياة الدستورية .

المواجهة بين صدقى والمعارضة :

سارعت حكومة صدقى الى اصدار مرسوم تأجيل انعقاد البرلمان لمدة شهر ، بل قررت منع البرلمان لتلاوة مراسيم التأجيل ، الأمر الذى لقى معارضة برلمانية وجماهيرية عنيفة ، تمكن خلالها أعضاء مجلسى الشيوخ والنواب من فتح البرلمان بالقوة وكسر السلاسل المحيطة به ودخوله لتلاوة مراسيم التأجيل ، وسمى ذلك اليوم بيوم تحطيم السلاسل ، فتقول المقطم : « اننا فى مقدمة الذين يكرهون هذه الحرب السياسية الأهلية والذين يقدرون سوء عواقبها على البلاد »(٢٠٧) . وحاولت المقطم اتباع أسلوب النصائح التى تسديها للجميع من منطلق حيادها بين الفرقاء ، خصوصا بعد حركة المعارضة الجماهيرية التى قادها الوفد ضد حكومة صدقى ، فتقول : « ومادام الجميع فى مصر يجاهرون بحرصهم على الدستور وحبهم للحياة النيابية فيجب الا يتعذر وجود حل يحقق هذه الأمنية مهما بلغ الخلاف على سواها »(٢٠٨) .

وفى مواجهة تحركات الوفد ، وزيارات اقطـابة للأقاليم ، قررت الحكومة وضـــع حد لهذه الزيارات باتخاذ التدابير اللازمة لاقرار السكينة وحماية النظام » . كما قالت فى بلاغها ، فتعرب المقطم عن اسفها لما يحدث بقولها ان « هيئة منا تريد الدفاع عن الدستور وحمايته من كل اعتداء وهيئة أخرى ترى أن الدستور لم تمسسه يد وان هناك حكومة يجب احترام اوامرها ونواهيها ، وتهم يترامى بها الفريقان هذا فى خطبه وبياناته وذاك فى بلاغاته » « اما من ســبيل لتلافى هذه الحـال وانقاذ البـــلاد من هذا النزاع ؟ »(٢٠٩) .

فقد كانت الخطة التى سار عليها صـــدقى فى الحكم خطة بطش بخصومه ليس كمثله بطش ، عطل صحف الوفد أو طائفة منها وقمع بالشدة المتناهية كل محاولة بذلها الوفد لمعارضته ، وكان يزداد فى معاملة خصومه كل يوم شدة مما ادخل فى روع الناس جميعا انه لا سند له فى الشعب وانه انما يستند الى سلاح الحكم ، سلاح الجند ، سلاح رجل البوليس(٢١٠) . وكان اشد الحوادث ما وقع فى الاسكندرية ، اذ تطور الامر فيها الى حالة خطيرة تقرب من الثورة .

وقد اصدر مجلس الوزراء قرارا بتعطيل صحف (البلاغ) و (كوكب الشـــرق) و (اليوم) تعطيلا نهائيا ، وتخويل وزير الداخلية سلطة تعطيل كل جريدة اخرى تستتر باســمها الجرائد المذكورة ، وذلك لئلا تنشر الصحف أخبار الحوادث التى وقعت فى الاسكندرية وما سفك فيها من الدماء فيؤدى هذا الى ثورة عارمة فى البلاد(٢١١) .

ولعل ذلك هو منشا دعوة المقطم المتصلة فى هذه الفترة الى السـكينة والهدوء(٢١٢) . واهتمت الصحيفة بايضاح عدم تدخل

الجنود البريطانيين فى أحـداث الاسـكندرية من قريب أو من بعيد(٢١٣) . على ان حوادث الاسـكندرية لم تلبث ان ادت الى نتائج خطيرة . وذلك عندما رات فيها الحكومة البريطانية صورة من صور الحرب الأهلية ، فقد أرسل المستر رمزى ماكدونالد فى اليوم التالى تعليماته الى المندوب السامى ، ليبلغ صدقى باشا أن حكومته تعده مسئولا عن حماية ارواح الأجانب وممتلكاتهم فى مصر ، ثم كلف المندوب السامى فى الوقت نفسه بأن يبلغ النحاس باشا بأنه يجب ان تحل مشاكل مصر الداخلية دون أن تتعرض ارواح الأجانب ومصالحهم للخطر . ولكن الحكومة البريطانية بتصـرفها هذا ، اتاحت الفرصة لصدقى باشا لتثبيت أقدامه فى الحكم ، فلم يكن صدقى باشا ليأمل فى خير من وقوف الحكومة البريطانية موقف (الحياد الدقيق التام) ، وهو حيـاد غريب فى الواقع لأنه بينما تطلق الحكومة البريطانية فيه يد الحكومة اللادسـتورية فى قمع التحركات الشعبية ، بل تدعوها لذلك ، ولا تعترض على بقائها فى الحكم ، فانها تقف من القوى الشعبية التى تدافع عن دستورها موقف التهديد والوعيد ، ذلك أن انذار الحكومة البريطـانية الى النحاس باشا المصـطحب بالبوارج الانجليزية انما كان تهديدا صريحا ودعوة لهذه القوى الشعبية للخضوع بحجة تعريض حياة الأجانب للخطر(٢١٤) .

وقد ناقشت (المقطم) مضمون بلاغى الحكومة البريطانية ، الموجهين لكل من الحكومة المصرية والنحاس باشا ، فركزت على مسالة الحياد الانجليزى ازاء الأوضاع الدسـتورية الداخلية ، واعتبار ذلك من أمور مصر الداخلية . ولكنها اعتبرت أن ارسال البوارج الحربية لبريطانيا كل الحق فيه لتأدية واجباتها فى حماية ارواح الأجـانب « وان الدولة البريطانية ملزمة بأحد تحفظاتها الأربعة على تصريح ١٩٢٢ ، وان تكفل للدول الأجنبية سلامة ارواح

رعاياها واموالهم ، مقابل امتناع تلك الدول عن التعرض لمصـــر وشئونها ، وفائدة هذه البوارج فى غير الموانىء البحرية أدبية أكثر منها مادية . ولكنها وسيلة من الوسائل التى تستمين الحكومات بها فلا يسع الحكومة البريطانية أن تغفلها لئلا تقع عليها تبعة أمر طارىء او حادث مفاجىء فتتهم بعدم الاحتياط والتأهب له »(٢١٥) .

دســـتور صـــدقى :

قام صدقى بالتمهيد للدستور الذى وضعه بدلا من دستور سنة ١٩٢٣ بالحديث عن تعديل قانون الانتخاب فى احدى خطبه ، فتقول (المقطم) ان الوزير الرئيس « لا ينفى الاشاعات الشائعة عن العزم على تعديل قانون الانتخاب ، بل يسوغ هذا التعديل اذا استقر عليه القرار لاعتبارات محلية خاصة بنا ، ولأن تعديل القوانين أمر مألوف فى أكثر البلدان عراقة فى النظم الدستورية ، ولكنه لا يقول ما يدل على ان هذا التعديل تم . ولو أن كلامه يشير الى الاتجاه المراد » . وقالت : ان المصريين ينقسمون بازاء تعديل قانون الانتخاب الى فريقين « يمثلان تناقضا فى الراى وليس فى البلاد من يجهل شعور كل فريق من هذا القبيل . وأن الفريق المعارض الكبير لا يسلم بهذا التعديل ويطلب المحافظة على الدستور والقانون بشكلهما الحاضر ، وهو ما لا يقرهم عليه المعارضون لهم مما هو معلوم للجميع »(٢١٦) .

ولكن (المقطم) لم تذكر اين تقف من ذلك كله ، ومع أى من الفريقين المتنازعين ، ولكنها تعقب على عريضة الهيئة الوفدية الى الملك بدعوة البرلمان لاجتماع غير عادى للنظر فيما اعتزمته الوزارة من تعديل قانون الانتخاب بقولها ، ان المراقب لتطور الاحـــداث « يتمنى من صميم قلبه أن تخرج مصر من هذه الأزمة السياسية عزيزة الجانب موفورة الكرامة ، وأن يسفر هذا الاجتهاد فى آخر الأمر عن تعاون القوى وائتلاف القلوب على توحيد العمل فى الخدمة العامة »(٢١٧) .

وقد ورد ذكر الدستور الجديد الذى تعتزم حكومة صدقى اصداره فى التنويه الذى نشرته الصحيفة باعلان حزب الاحرار الدستوريين « اسفه لما تصر الحكومة على المضى فيه من اصدار دستورها الجديد ، وينكر عليها هذا التصرف ولا يستطيع تأييدها فيه بحال » ، وذلك برغم الجهود التى بذلها رئيس الحزب محمد محمود باشا لاقناع رئيس الوزارة « بخطورة الاجراء المنتظر »(٢١٨) .

وكان الدستور الجديد ، موضوع (المانشيتات) فى العدد التالى من (المقطم) التى قدمت أيضا تغطية اخبارية وافية عن انعكاسات الغاء دستور سنة ١٩٢٣ على الساحة السياسية فى مصر وخصوصا فى صفوف المعارضة الوطنية(٢١٩) .

وقدمت (المقطم) مناقشة تفصيلية لمواد الدستور باسلوب علمى تحليلى ليس فيه ميل الى الأسف والانزعاج لهذا الانقلاب الدستورى الذى قام به صدقى ، ولكنها رات فيما يتعلق بالصحافة ما يستحق الثناء ، فان « الدستور الجديد كفل ناحية من نولحى السلامة وحال دون التعطيل النهائى ، واحدث نظاما قضائيا تعامل به الصحف فى حالات معينة بدلا من معاملتها بأحكام الادارة ففى الحالة الجديدة متى شرع فى تنفيذ احكام الدستور الجديد شىء من الضمان غير موجود الآن »(٢٢٠) .

وشهدت صفحات (المقطم) ردود فعل الأحزاب السياسية المختلفة على اعلان هذا الدستور ، فالحزب الوطنى يعلن شديد احتجاجه « على هذا الاعتداء الصارخ على الدستور ، ويعلن أن الوزارة ليست السلطة التى تملك تعديله وتغيير احكامه ».

والنحاس باشا يعلن فى حديثه (للاجيشيان غازيت) الذى نقلته الصحيفة « ان الوزارة بنشرها للدستور الجديد قد أتمت جريمتها ، فقد اعتدت على حقوق الأمة بمحاولة اكراهها على قبول دستور جديد لاتريده »(٢٢١) . اما الأحرار الدستوريون فقد أوقفوا تأييدهم لصدقى بعد اتخاذه خطوته بالغاء دستور الأمة ، وانتقلوا الى صفوف المعارضة ومهاجمة صدقى بواسطة جريدة (السياسة) التى « كانت تباجمه كل يوم مهاجمة بالغة غاية العنف »(٢٢٢) .

واما صدقى نفسه ، فقد نشرت (المقطم) خطابه فى أعضاء وفود مديريتى الشرقية والغربية الذين ذهبوا الى ديوان الرئاسة « وازدحمت بهم ردهاته ، وظلوا يهتفون بحياة جلالة الملك والوزارة الصدقية والدستور الجديد ، فخرج اليهم دولة صدقى باشا ، فاستقبلوه بالتصفيق والهتاف العالى بحياة الملك ولدولته » ، وقال فيه : « انهم يزعمون أن دستورنا هو دستور الحكومة وأن الدستور القديم دستور الأمة مع ان الاثنين من عمل الحكومة والفارق الوحيد ان الأول من عمل لجنة اختارتها الحكومة والثانى وضعته الحكومة مباشرة اقتصادا فى الوقت وزيادة فى العناية والتدقيق ، كيف يزعمون أن الدستور القديم دستور الأمة ولم تضعه جمعية وطنية ، اليس فى ذلك تضليل وتغرير بالبسطاء »(٢٢٣) .

وبين هؤلاء المؤيدين المصفقين ، واولئك المعترضين الغاضبين عمدت (المقطم) الى التذكير بأن الخلاف ليس على الغاية وانما على الوسيلة ، وان الذين « يجلسون فى مجلس الزعماء ويتولون قيادة المجموع ، مطالبون بالعناية بتطبيق الدستور تطبيقا يظهر فضل هذا النظام للملايين التى لا تعرف عنه سوى النذر اليسير . وأن تعتاد هذه الملايين تدريجا ان تلقى فى الدستور موئلا لها وملجأ » « فالجهد يجب الا يوجه كله الى وجهة وضع

الدســـــتور مع ما لها من الشأن ، بل يجب ان يتجه جانب كبير منه الى امر التطبيق وكيفية نشر الروح الدســـــتورى بين جميع الطبقات »(٢٢٤) .

ونشرت دراسة مطولة لأحد الكتاب بعنوان (ملاحظات على تعديل الدســـــتور) خلص منها الى ان المنتقدين قد اســـرفوا فى نقدهم وأن عذرهم « هو انتماؤهم الى احـــزاب راى زعماؤها أن مصلحتها فى ان يكونوا للنظام الحاضر خصوما ، وليس فى هذا التحزب الشديد شىء من الخير »(٢٢٥) .

وهكذا ، انتقلت (المقطم) شيئا فشيئا الى معسكر الحكومة القائمة ، وصـــارت تردد افكارها ، مع الاحتفاظ بقدر ضئيل من الحيـــاد .

اما الانجليز فقد آثروا كما فعلوا فى تجـــربة الاعتداءين الدستوريين الاول والثانى ، ان يتريثوا ويرقبوا الموقف ، قانعين بانصراف الجهود الحزبية وغيرها نحو مقاومة الاستبداد والدفاع عن الدســـــتور مطمئنين الى ان هذه المعركة ستضعف حتما من قدرة الشعب على الكفاح(٢٢٦) . وكان موقفهم تحت ستـــار (الحياد) ينطوى على الانتقام من الأمة لعدم قبول حكومتها البرلمانية مشروع المعاهدة ، فسياستهم هى اما قبول السيطرة البريطانية واما حرمان الامة حقوقها الدســـــتورية بواســـطة الوزارات الرجعية(٢٢٧) . وعلى ذلك فان الهدف من وراء وضع الدستور الجديد كان تدعيم سلطة القصر على الحياة السياسية فى مصر تماما ، باختصار فانه كما كانت الوزارة الصدقية وزارة ملكية فان الدستور الذى وضعته هذه الوزارة كان بدوره دستورا ملكيا(٢٢٨) .

وقد واصلت الوزارة الصــــدقية تثبيت أقدامها فى الحكم ، فاعلنت عن الانتخابات العامة التى ســـتجريها واعلنت عن تاليف

(حزب الشعب) الذى قال عنه صدقى فى مذكراته ، انه بعد وضع الدستور واعلان الانتخابات لقيام برلمان جديد فى ظل هذا الدستور « رايت أن لابد للوزارة من استنادها الى اغلبية برلمانية . وقد كنت اؤمل أن يؤيدنى حزب الاحرار الدستوريين ، كما أيدنى حزب الاتحاد نظرا لصداقتى لأعضائه »(٢٢٩) . لذلك كان لابد من انشاء حزب الشعب ، وقد شرحت (المقطم) طبيعة الأوضاع السياسية التى حتمت تاليف هذا الحزب « فقد نشا مذهب جديد وظهرت فكرة جديدة هى هذه التى تمثلت فى تعديل الدستور وتعديل قانون الانتخابات . ولهذه الفكرة مناصرون فى البلاد وهؤلاء لابد من انشاء اداة تصل بعضهم ببعض وتجمع كلمتهم ليستطيعوا ابداء رايهم فى امهات المسائل كهيئة ذات مصالح وشئون فى مصر ، فقد صار فيها اليوم من الفروق الجرهرية ما يقضى بتاليف الجماعات والأفراد من انصار هذه الفكرة فى هيئة منظمة »(٢٣٠) .

وانشا صدقى جريدة باسم الحزب هى (جريدة الشعب) ، وعلى الرغم من النشاط العجيب الذى بذله صدقى باشا لتقوية الحزب وجريدته ، فقد بقيا رغم قوة صدقى باشا الذاتية هزيلين ، لأن الناس جميعا كانوا موقنين بأن المنضمين للحزب والجريدة انما تجمعهم مصالح مادية بحتة ، اذا تداعت اركانها تداعت كل صلة بينهم(٢٣١) .

اما (المقطم) فتكتب عن « الحالة فى مصر فى نظر الانجليز » . وتقدير لندن لحكومة صدقى ، تقول : « من الانباء المهمة التى يؤكدها الثقات ان التقارير التى وصلت اخيرا الى لندن والأحاديث التى جرت على لسان الساسة ورجال المال الذين زاروا هذه البلاد اخيرا تدل كلها على تقدير الوزارة القائمة تقديرا كبيرا . وانهم ينظرون بعين الرضا والسرور الى ما بذلته وما تبذله من الجهود ،

فى انتشال البلاد من الازمتين المالية والسياسية . ويعلقون على بقائها فى الحكم آمالا كبارا »(٢٣٢) ، مما اثار حنق المعارضة الوطنية ، وجعل (المقطم) توضح ان هذه المعلومات مستقاة من تقارير مرسلة من القاهرة الى لندن ، وليست هى مصدرها « حتى يتطاول عليها اغرار المتحزبين . اما عن جهل للحقيقة واما تجاهل لها »(٢٣٣) . وامعنت فى هذه التاكيدات بنشرها تصريحا (لمصدر كبير) قال فيه ان « الوزارة ماضية فى تنفيذ برنامجها وانها متمتعة بثقة جلالة الملك كاملة »(٢٣٤) .

فى هذه الأثناء كان الوفديون والاحرار الدستوريون يكثفون من تحركاتهم السياسية واجتماعاتهم لمقاومة حكومة صدقى ، والفوا لجنة اتصال تنظم هذه الجهود . وحاولوا القيام بزيارات جماعية للأقاليم ، حالت الحكومة دون اتمامها ، كما حدث عندما اعادت النحاس ومحمد محمود ورفاقهما بالقوة من مديرية بنى سويف الى العاصمة وفى غمرة هذه المعركة الحزبية المحتدمة ، اجرى صدقى الانتخابات البرلمانية ، برغم نجاح المقاطعة التى قادها الوفد والأحرار الدستوريون ، فقد « كانت عمليات الانتخاب كلها من صنع الادارة ، فهى انتخابات مزورة من أولها لآخرها ، وكانت لجان الانتخابات تثبت حضور الناخبين كذبا وزورا »(٢٣٥) .

وقد نشرت (المقطم) وقائع افتتاح البرلمان وخطاب العرش واوضحت ان التركيز على المسائل الداخلية التى احتلت جانبا كبيرا من الخطاب امر يبعث على الارتياح(٢٣٦) . ولكن تمادى صدقى فى سياسته كان باعثا على المقاومة العنيفة من جانب القوى الشعبية فتعددت فى هذه الفترة انفجارات القنابل التى كانت (المقطم) تورد اخبارها بشكل متصل ، وكانت تستهدف حياة رئيس الوزراء .

سـقوط وزارة صـدقى :

تابعت (المقطم) اخبار اللقاء الذى تم فى جنيف بين صدقى وجون سيمون وزير الخارجية البريطانى . وقالت ان المصريين على اختلاف احزابهم يتفقون على اسلوب التفاوض كحل لمشـكلتهم الأساسية مع بريطانيا ، برغم اختلافهم احيانا على الشخص الذى يفاوض باسمهم وعلى الموعد المناسـب لاجراء المفاوضـات ، واوضحت ان واجب مصـر الآن توجيه كل الطاقات لحل الازمة الإقتصادية ، وأن الوقت الآن غير ملائم للمفاوضات(٢٣٧) . ولم يسفر حديث صدقى وسيمون عن نتائج ملموسة ، ولم يمهد لمفاوضات رسمية كان صدقى يشعر بالحاجة اليها لتثبيت أقدامه فى الحكم ، من هنا كانت خطورة آثار هذه المحادثات على النظام القائم فى مصر . فقد تبين بما لا يقبل الشك ان الحكومة البريطانية لا تنوى الاتفاق مع ذلك النظام ، وكان معنى هذا انه لا يمكن أن يدوم . لأنه لا يستند الى ركيزة شعبية توفر له اسباب الاستقرار ، لهذا فلا عجب اذا اخذت عوامل التصدع تصيب النظام الجديد بعد ارجاء المحادثات بزمن يسير ، فبعد اجراء المباحثات بثلاثة اشهر ، وبسبب الضعف الذى اصاب مركز الوزارة لعزوف الانجليز عن التفاوض معها وتوقع سقوطها ان عاجلا او آجلا ، راى بعض اعضائها أن من الخير النجاة بانفسهم من السفينة قبل غرقها ، وكانت المناسبة قضـية البدارى التى راى على ماهر باشا وزير الحقانية الخروج فيها من الوزارة(٢٣٨) .

وتتلخص هذه القضية فى انه فى مارس سنة ١٩٣٢ قتل مامور البدارى ، وكان السبب هو ان هذا المامور تجاوز حدود القانون وامر بتعذيب بعض الأفراد بوسائل اجرامية منافية للأخلاق ، فقام اثنان بقتله انتقاما لما حدث ، فحوكم المتهمان امام محكمة الجنايات

باسيوط فقضت على اولهما بالاعدام وعلى الثانى بالأشغال الشاقة المؤبدة فرفعا طعنا فى هذا الحكم نظر امام محكمة النقض والابرام التى يراسها عبد العزيز فهمى باشا فأثبتت فى حكمها ان رجال البوليس اتوا من المنكرات ما وصنتها بأنها (اجرام فى اجرام) . ورأى صدقى ان استمرار التحقيق سيكشف عن حوادث لا يريد أن تظهر لأنها ستزيد من الاساءة الى سمعة الوزارة ، فحدث خلاف بينه وبين على ماهر وزير الحقانية ، الذى رأى ان هذه مناسبة جيدة للاستقالة(٢٣٩) .

وقد صمتت (المقطم) ازاء هذه الحادثة ونتائجها باستثناء معالجتها كمادة اخبارية ، ولكنها نشرت مقالات متصلة بتوتيع السعيد حبيب عضو مجلس النواب يدافع فيها عن سياسات صدقى، ويهاجم خصومه ، وعلى راسهم النحاس ، ويتهمهم بالسعى لاستغلال مرض رئيس الوزراء لازاحته عن الحكم(٢٤٠) .

وقد تواصلت سياسة الحكومة القمعية ، فحدثت المصادمات الدامية بين الأهالى والبوليس فى بلدة الحصانية بسبب الخلاف على وابور لطحن الغلال وضرب الأرز بين صاحبه من الأعيان الوفديين والادارة ، وقد أبدت (المقطم) اسفها لهذا الحادث بسبب الأرواح التى ذهبت ضحيته . ولما سيكون له من اثر سيىء خارج مصر ، وحاولت ان تقف موقفا وسطا بين الأهالى والبوليس محملة مسئولية ما حدث للطرفين معا ، عاتبة على السياسة الحزبية واقحام السياسة فى الشئون العامة ، ومطالبة بالخضوع للقانون ، وداعية لتنفيذ القانون بكياسة(٢٤١) . على أن الظروف لم تلبث ان ادت الى استفحال نفوذ القصر بشكل لم يجد معه صدقى باشا اخيرا مفرا من مواجهة الأمور والصدام مع القصر ، ففى فبراير ١٩٣٣ ، وبسبب الجهد الخارق الذى بذله صدقى باشا منذ

الف وزارته ، وقع صريع مرض طويل استغرق سبعة اشهر ، وأدى به الى الانسحاب من الحياة السياسية العامة ، وهنا برز (زكى الأبراشى باشا) يمد نفوذه فى كل مكان(٢٤٢) .

وفى نفس الوقت الذى تناولت فيه الصحف البريطانية مستقبل الوزارة المصرية بسبب مرض المندوب السامى (برسى لورين) ووجوده فى لندن مما جعل (المقطم) تنتقد هذه الصحف وايحاءاتها بقرب سقوط الوزارة الصدقية(٢٤٣) . وعمدت الى التخفيف من الضجة المثارة حول احتمالات تعديل السياسة البريطانية فى مصر ، بعد قرار نقل (برسى لورين) من مصر وتعيين (مايلز لامبسون) مكانه ، بقولها : « اننا لا ندرى لماذا ينتظر حدوث تعديل فى السياسة البريطانية هنا ، ولم يقل أحد بالضبط وبصراحة ما هو هذا التعديل أو التبديل ولا غاية بريطانيا منه اذا عنيت به ، ولاسيما اذا تبين ان دولة صدقى باشا يستطيع مواصلة العمل بمثل عزيمته السابقة »(٢٤٤) . ولكن سرعان ما اتخذ هذا النقل والتعيين من جانب بريطانيا « كدليل على تغيير مزمع فى السياسة البريطانية » وقد « رأى صدقى باشا فى تلك الظروف من الحصافة تقديم استقالته من منصبه »(٢٤٥) . أما (المقطم) فتقول : « ان وقوع هذه الاستقالة وحدوث ازمة وزارية اخرى فى الحين الذى تعانى البلاد فيه عواقب الأزمة الاقتصادية وتواجه مشكلاتها الخاصة ولاسيما قضية الديون العقارية ومسألة الضرائب ، ان هذا كله غير مفض الى اراحة البلاد »(٢٤٦) .

الحياد الانجليزى فى طريق الانتهاء :

سقطت وزارة صدقى ، وشكلت السراى وزارة جديدة برئاسة عبد الفتاح يحيى الذى استقال من وزارة صدقى الأخيرة مع

على ماهر بسبب حادثة البدارى « وكان تمبين عبد الفتاح يحيى رئيسا للوزارة شبيها بتعيين زيور رئيسا للوزارة فى سنة ١٩٢٤ ، ايذانا بأن الحكم أصبح خالصا للسراى »(٢٤٧) . اما (المقطم) التى أظهرت عدم رضاها عن اعتزال الوزارة الصدقية لم تبادر الى اعلان موقف محدد من وزارة عبد الفتاح يحيى ، ووقفت على الحياد ، واكتفت بتسجيل مواقف الأحزاب المختلفة من هذه الوزارة(٢٤٨)) . ونشرت بيان صدقى الذى أعلن فيه استعداده لتأييد الوزارة « متى سارت على النهج الذى رسمه الحزب للحكومة السابقة »(٢٤٩) .

ومع تصاعد الخلاف بين صدقى والوزارة تقول (المقطم) : « ان مصر عبارة عن ميدان سياسى فى النضال ، وكثر الكر والفر وعقد فيه غبار النزاع الحزبى وكثر عدد المقاتلة وتعاقب النداء والتحدى ، ونزل الى الحلبة غير واحد من الذين عمدوا من قبل الى السكينة ، فلما آن الأوان تجردوا لخوض المعركة » وانه برغم الضعف الذى عليه هذه الوزارة « فانها بحكم الواقع الأداة التى يتعين على البلاد ان تتوسل بها لمعالجة الأزمة »(٢٥٠) . ونشرت دون تعليق من جانبها مقالة (التايمز) حول دور السراى فى الحكم على الوزارة الحالية التى هى من صنعه ، وعن الأبراشى الذى كان رئيس الوزارة الفعلى فى أثناء مرض صدقى(٢٥١) . فتصف (المقطم) ما يجرى فى مصر بأنه « مواقف غريبة »(٢٥٢) .

ولكن المندوب السامى الجديد ، (مايلز لامبسون) يصل الى البلاد ، خلفا (لبرسى لورين) وكانت أول ورقة سلمت الى السير مايلز لامبسون فى ميناء بورسعيد مذكرة أعدها السير والتر سمارت السكرتير الشرقى لدار المندوب السامى ، وهو الخبير فى دار المندوب السامى ، وفى هذه المذكرة يقترح سمارت على المندوب

السامى الجديد سياسة أخرى ويقول : نريد ان نكون مركز الاهتمام العام ، وان تكون أصابعنا فى كل مكان من البلاد ، واذا تغير النظام او عدل فمن المهم ان تكون لنا اتصالات مع العناصر الجديدة القادمة الى مسرح الحكم . وحتى الاتصالات بخصومنا مرغوبة جدا . وفى تقرير الى لندن قال السير مايلز لامبسون : بدأ العام فى مصر فى جو من الترقب العام ، يملؤه الأمل من جانب المعارضة والخوف من جانب السراى والحكومة . ورغم اقوال صحف لندن بعكس ذلك ، فقد ساد فى مصر الاعتقاد بأن نقل السير برسى لورين وتعيينى يشيران الى تغيير قادم فى سياسة حكومة صاحب الجلالة تجاه مصر(٢٥٣) .

وتدفع احتمالات التغيير فى السياسة البريطانية (المقطم) الى القول « ان المصريين يعرفون ما للأمة البريطانية من مزايا ، ويودون من صميم الفؤاد أن تكون علاقاتهم بها علاقات ود شديد وصداقة وثيقة ، وأن تتعاون البلدان على ما فيه خيرهما وصلاح شعبيهما »(٢٥٤) . وترد على ما يكتبه البعض فى الصحف بدعوة المصريين الى عدم تولية وجوههم شطر دار المندوب السامى بأن ذلك انذار وتحذير لا محل لهما « لأن بين مصر وانجلترا مسألة سياسية تحتاج الى حل لجلاء الموقف السياسى وتحديد علاقة الواحدة منها بالاخرى . وهذا لا يكون بغير المفاوضة .. فلنكن معقولين .. فلعل هذه المشاورات فاتحة خير ، ولعله قدر لبريطانيا هذه المرة وعلى يد مندوبها السامى الجديد ان تدرك حقيقة علاقاتها بمصر ، فتصلح شأنها معها تبعا لادراكها لهذه الحقيقة »(٢٥٥) .

وكانت أخبار المندوب السامى وتحركاته وزياراته تحتل فى الصحيفة مكانا بارزا بعد أخبار السراى الملكية مباشرة ، ولا يبعد أن يكون هذا التبدل منسجما مع انتقال السياسة البريطانية من الحياد الى التدخل المباشر .

ولكن مايلز لامبسون المندوب السامى البريطانى ، يغادر مصر الى لندن لتمضية اجازته ، وقد حضر نائبا عنه (موريس بيترسون) وبعد وصول بيترسون الى مصر بدأ المرض يشتد على صاحب الجلالة . واصبحت وراثة العرش وتشكيل مجلس الوصاية هى المشكلة الكبرى التى يواجهها المندوب السامى بالنيابة(٢٥٦) .. وقد كان الامر يقتضى طبقا لقانون وراثة العرش ، أن يضع الملك فؤاد فى مظروف خاص اسماء أوصياء ثلاثة لا يفض الا بعد وفاته ، وأن يكون ذلك فى البرلمان امام اعضائه ، وقد رأت انجلترا أن يكون لها اليد العليا فى اختيار اشخاص الأوصياء على العرش المصرى ، حتى تضمن ولاء هؤلاء الأوصياء لبريطانيا واقرارهم بنفوذها فى مصر(٢٠٧) . وقد تصدى بيترسون لمعالجة هذا الأمر فتقول (المقطم) : « لقد استنتج من مقالات ورسائل نشرت فى انجلترا وحوادث غير منتظرة حدثت هنا أننا مقبلون على اتجاه جديد فى سياسة البلاد الداخلية ، وبعبارة اصرح أن الدولة البريطانية تبغى زيادة نصيبها من العمل أو الاشراف أو التوسط وانها تفعل ذلك مع الاحتفاظ بتصريح فبراير المعلوم ، ولكنها تتوسل الى بلوغ ما تروم بكيفية تفسير مواده »(٢٥٨) . واشارت الى أن صحة الملك فى تحسن مطرد(٢٥٩) . وقالت : « ان الجزم بوقوع هذا الأمر أو ذاك واختيار هذا الحل أو ذاك مبتسر اليوم ، أى سابق لأوانه فالأمور كلها لاتزال موضع نظر وتفكير وانتظار لما يأتى به المستقبل القريب بما هو فى يد العناية لا بيد البشر »(٢٦٠) أى احتمالات موت الملك وعلاقتها بمشكلة الوصاية على العرش .. ونشرت بلاغ الأطباء الذين اعلنوا ان الملك قادر على ممارسة كافة اعماله التى تتطلبها مهام منصبه(٢٦١) .

وكان بيترسون فى أثناء اشتداد مرض الملك ، قد اجتمع برئيس الوزراء عبد الفتاح يحيى الذى أشار « من تلقاء نفسه الى

الموقف الذى قد ينشأ فى حالة وفاة الملك فؤاد » . وقال : « ان ذلك قد يستلزم مسئولية مشتركة منا ، يقصد مصر وبريطانيا ، وأشار رئيس الوزراء بشكل خاص الى مشكلة مجلس الوصاية على العرش ، واقر بجهله التام بالشخصيات التى عينها الملك ولم يخف وجهة نظره فى انها قد تكون شخصيات غير مرغوب فيها . واشار الى المصاعب التى تحيط بمحاولة منع البرلمان من التصديق على هذه التعيينات . ووافق على ضرورة استبعاد الابراشى اثير السراى (٢٦٢) .

ولكن التحسن الذى طرأ على صحة الملك جعل عبد الفتاح يحيى يغير موقفه فجاة ، ففى اللقاء الأول بينه وبين بيترسون يوم ٣ أكتوبر « كان الباشا متجاوبا للغاية مع المندوب السامى ، وفى اللقاء الثانى – ٦ اكتوبر – كان الباشا عنيدا للغاية ضد المندوب السامى » . وقد « رفض بحث المطالب التى تقدم بها بيترسون . . وكان من المستحيل عليه مطلقا اقتراح تعديلات على النظام الراهن » . وقد وجد رئيس الوزراء « أن من مصلحته أن يلتصق بالملك . . وليس بالمندوب السامى المؤقت »(٢٦٣) . وكان ذلك باعثا على تازيم الموقف بشكل نهائى بين رئيس الوزراء ونائب المندوب السامى ، فتقول (المقطم) أن دار المندوب السامى طلبت اضعاف مركز الابراشى باشا ناظر الخاصة الملكية « وتقليل سلطته واعادة الاجراءات النظامية الى نصابها » اما طلب اقالة الوزيرين (ابراهيم فهمى كريم وعلى المنزلاوى) اللذين تطلب دار المندوب السامى اقالتهما « فلأن نزاهتهما كوزيرين ليست فوق كل شبهة ، وهما متصلان بالابراشى باشا بأوثق عرى الصداقة ، وأن اخفاق اسماعيل صدقى باشا فى اخراجهما من الوزارة بسبب معارضة السراى له هو الذى أدى أخيرا الى استقالته » .

وامام هذا التدخل البريطانى ، تقول (المقطم) : « انما يراد به الخير العام لمصر ولا يقصد به التعرض لشـــئونها الداخلية بالذات »(٢٦٤) . ونشرت تصريح رئيس الوزراء الذى يقول فيه أنه لن يتهاون فى حق من حقوق البلاد ، ان كانت هناك مثل هذه التبليغات والرغبات(٢٦٥) .

وناقشت الصحيفة ما وصفته بأصل الخلاف بين رئيس الوزراء الذى ينفى مشاورة بريطانيا وممثلها فى مصر بخصوص مرض الملك والمندوب الســامى البريطانى الذى يؤكد حدوث المشــاورات ، فتقول (المقطم) أن كل «نزاع قد يدور الآن بين الحكومتين ، منشاؤه هذا الالتباس الذى يجب أن يتجه الهم الأكبر الى ازالته ورد الأمور الى نصابها من هذه الناحية الأساسية .. أما مسألة وراثة العرش فهذه لم تبرز الى الوجود الا بلســان الاشـــاعات . وقد نفتها (التايمز) وهو نفى فى محله فالمسألة لا يمكن أن تخطر للدولة البريطانية الآن »(٢٦٦) .

واكدت الصحيفة ان الفصل فى نقاط الخلاف ليس مستحيلا على عبد الفتاح يحيى وبيترسون « اذا اجتمعا وراجعا ما دار بينهما من أحاديث بصدد الأمور التى ادت الى الموقف الحاضر فنحن أمام أزمة سياسية خطيرة بين حكومتين قضت العناية ان يكون بينهما صلات وثيقة » وقد « رأينا السياسة البريطانية تعالج قبل الآن فى اقطار الأرض ماهو اعقد من مسألة اليوم وتوفق الى حلول طيبة اعتمادا على صدق التدبير وحســن النية »(٢٦٧) . لاسيما أن الخلاف الحالى « لايزال تلافيه مستطاعا اذا توسل الجانبان بالرغبة فى التفاهم وازالة الالتباس »(٢٦٨) . وقالت أن خبر اســتقالة وزيرى الأشغال والزراعة كان له صدى كبير فى الدوائر المحلية ، لأنه قضى على كل ابهام وغموض والقى ضوءا جديدا على حقيقة الموقف(٢٦٩) .

وكانت هذه الاستقالة ، بالاضافة الى تعيين أحمد زيور فى رئاسة الديوان الملكى اذعانا للرغبات البريطانية ، ورأت (المقطم) فى ذلك تخفيفا لحدة الأزمة القائمة ، وقالت انه « لابد أن تدرك الدوائر السياسية البريطانية ولاسيما الرسمية منها مدى الجهد الذى يبذل من الجانب المصرى ، لارضاء الجانب البريطانى فيما طلب ، وتقدر هذا الجهد ، والمأمول أن تقابله بمثله وأن يكون ما حدث مبنيا على وجوب العناية بتسيير السياسة البريطانية فى مصر فى سبيل واضحة »(٢٧٠) . وقالت انه « اذا عدت الأزمة محلولة حلا وقتيا بخروج الوزيرين اللذين اشارت الدولة البريطانية بخروجهما . وقد استقالا ليخففا وقع الصدمة ويحولا دون استحكام الجفاء ، فذلك يكون فى مصلحة العمل الحكومى »(٢٧١) .

وتحدثت (المقطم) عن أهمية « تعاون الجانبين على حصر نار الخلاف فى منطقة معينة » . ومن ذلك ما يقوم به زيور لدى دار المندوب السامى للاحاطة « بكل ما يحتمل أن يطلبه الجانب الآخر . وما يقبله تمهيدا للاتفاق ليرى رأيه فى امكان تلبيته .. وهل يكون منها الاقتصار على اقالة الوزيرين .. أو حل الوزارة كلها وتأليف وزارة أخرى بما يكفل تعاونا مع السلطات البريطانية فيما يقتضيه مقام مصر السياسى من تعاون الجانبين »(٢٧٢) . وكأنها بذلك تمهد للاجراء الذى عزم بيترسون على تنفيذه ، وهو الاطاحة بوزارة عبد الفتاح يحيى ، وقد تحقق له ذلك ، فتقول (المقطم) ان « استقالة الوزارة الفتاحية وقبولها فتحا الباب الى طريق جديد تسلكه مصر وبريطانيا معا ، والمطلوب هو معرفة المدى الذى قد تستمر فيه هذه الرفقة بمثل التعاون المشهود الآن . فالذى يرومه المصريون هو نور يطلق على شئون الدولة والاستقرار تتصف به أعمالها مع الاحتفاظ بمودة بريطانيا وصداقتها وعونها فى الشدائد والملمات » (٢٧٣) .

اعادة دستور ١٩٢٣ وميلاد الجبهة الوطنية :

كما كانت استقالة وزارة عبد الفتاح يحيى بضغط من المندوب السامى المؤقت على الملك فؤاد ، فان تأليف الوزارة النسيمية كان بالأسلوب نفسه ، وبضغط من بيترسون على فؤاد ، لأن نسيم كان رجل الساعة ، لا لون سياسيا له ، يرضى عنه الوفد ويطمئن لولائه القصر « وهو رجل لا يستطيع أن يستمر وحده ، لابد ان يعتمد على التأييد المستمر من بريطانيا » ، كما وصفه بيترسون فى مذكراته وبرقياته(٢٧٤) . وقد اشارت (المقطم) الى أن نسيم مهتم بامر الغاء دستور ١٩٣٠ « لأنه يعرف أن هذا الالغاء يرضى عاطفة خاصة فى الأمة »(٢٧٥) . وكان (كريم ثابت) المحرر (بالمقطم) يقدم متابعات سياسية متصلة فى زاوية يومية ثابتة باسم « فى الدوائر والمجالس وعلى هامش الأخبار والحوادث » لما يدور فى أوساط الوزارة المصرية ، ودار المندوب السامى والوفد المصرى ، وكان محور تحليلاته التأكيد على الانسجام التام الذى يسود علاقات كل من الوزارة والانجليز ، والوزارة والوفد ، والوزارة والسراى ، وكانت افكاره تعكس الخط الأساسى لسياسة الصحيفة ، ومؤشرا لمواقفها مما يجرى على مسرح الأحداث الداخلية فى مصر .

واعتبرت (المقطم) أن صدور الأمر الملكى بالغاء دستور سنة ١٩٣٠ ، الذى اصدره صدقى « مطلع نظام جديد وتغيير وتبديل فى أسلوب الحكم المتبع حتى اليوم ، وهو الخطوة الأولى التى تخطوها الوزارة النسيمية فى الطريق الذى عقدت العزم على سلوكه»(٢٧٦) واشارت الى المظاهرات الطلابية التى توجهت الى بيت الأمة ابتهاجا بالغاء الدستور ، ودعوة النحاس للمتظاهرين بالهدوء والعودة لمدارسهم . وتحدثت (المقطم) عن الجهود التى تبذلها الوزارة

النسيمية لاعادة الدستور ، فتقول انه « لولا توقع ذلك ،نها لفقدت تأييد الأغلبية العظمى التى تؤيدها وهى الأغلبية التى يمثلها الوفد » وأن « السكوت على ذلك ليس معناه التسليم بأن تكون فترة الانتظار الى اجل غير مسمى » وأن موقف الوفد تجاه الوزارة فى هذا الموضوع كان له « وقع حسن فى الدوائر الأجنبية »(٢٧٧) اما الانجليز فانهم « لا يتعرضون لأعمال نسيم باشا بما يفهم منه انهم يعرقلونها او يرغبون فى بث عقبات فى سبيلها ماداموا متفاهمين معها على السياسة الأساسية »(٢٧٨) .

وكتب كريم ثابت على لسان (كبير مسئول) عن (لامبسون) بانه « رجل عظيم ومشبع باطيب شعور نحو هذه البلاد ، فاذا عرفت مصر كيف تستفيد بوجوده هنا ، ومما له من نفوذ كبير فى لندن جنت فوائد عظيمة »(٢٧٩) وأن « فخامته يبذل اقصى جهده ليفوز بثقة الشعب المصرى بصدق نياته لأن سياسته فى جميع البلدان التى عمل فيها كانت مبنية على التقرب من الشعب والاتفاق معه »(٢٨٠) وهو « يعمل مع الوزارة بكل صراحة واخلاص ونية حسنة وليس له سوى رغبة واحدة وهى ان يكسب ثقة الشعب المصرى ومودته وصداقته »(٢٨١) .

ولكن تحولا جديدا يطرأ على الموقف الدستورى ، باتجاه النية الى تأجيل عودة الدستور ، فينقل (كريم ثابت) تفسير الدوائر السياسية البريطانية لهذا التاجيل بانه « يخشى اذا اعيد الدستور الآن من أن يفضى ذلك الى القضاء على فترة الراحة والسكينة اللتين تحتاج البلاد اليهما ومن أن توجه الجهود الى الشروع فى اعداد العدة للانتخابات القادمة ، بدلا من ان تظل متجهة الى تحقيق الاصلاح المنشود »(٢٨٢) ، علما بأن « الوزارة النسيمية شديدة الايمان بضرورة احياء الدستور وبفوائد الحياة الدستورية »(٢٨٣) .

وقال كريم ثابت ان نسـيم باشا « يسـعى الآن لاقناع دار المندوب السـامى بأن ارجاء اعلان الدسـتور هو الذى يحول دون الاستقرار المنشود بسرعة » وأنه « ينوه فى أثناء سعيه لتحقيق امنية البلاد بجو الصفاء الذى نجحت وزارته فى خلقه بين الأغلبية والجانب البريطانى ، وأنه ليس من مصلحة هذا الجانب أن يعكر صـفو هذا الجو مرة اخرى بعدما أصبح هناك تفاهم أساسى على أن تحيا البلاد الحياة الدسـتورية التى ترضاها »(٢٨٤)

وقالت (المقطم) انه لا يسـعها الا « الاعجاب بما ابداه الأغلبية من ضبط النفس ورباطة جاش بازاء ما جد من حوادث مفاجئة اخرت عودة الحياة الدستورية ، بعدما كانت قاب قوسين او أدنى وما برهنوا عليه من حنكة سياسية وبعد نظر فى معالجة الموقف .. والمأمول ان يتدارك السير مايلز لامبسون بما عرف به من سياسة سديدة هذه الثغرة التى توشك ان تكدر صفو العلاقات بين المصريين والانجليز »(٢٨٥) .

وهكذا تبذل الصحيفة كل جهدها لتدارك الموقف . مؤكدة على ان نسيم باشا « مقتنع بأن الانجليز لا يعارضون فى اعادة الدستور كمبدأ مقرر وكسياسة مقررة بل يعارضون فى عودته الآن لاعتبارات عندهم ، والفرق بين الحالتين واضح وعظيم ، وهذا هو ما يبعث دولته على مواصلة السـعى » (٢٨٦) ودعت (المقطم) بعد ان اتضحت جميع أبعاد الموقف الدستورى وبعد الجهود التى بذلها نسيم باشا وزملاؤه فى سبيل تحقيق أمنية البلاد ، الى التفرغ للشئون العامة الأخرى التى هى جديرة باهتمامهم وعنايتهم والتى تهم جمهور الشعب فى عمله ومعاشه ورفاهيته فبعد قضـية الدسـتور تأتى طبعا شئون الاقتصاد »(٢٨٧) .

ومعنى ذلك برأى الصحيفة ان المسألة تقف عند هذا الحد ، مادامت ارادة بريطانيا وتخوفها من احتمالات عودة الوفد للحكم فى ظروف الحرب الايطالية الحبشية ، قد قضت بالحيلولة دون عودة الدستور والحياة النيابية فى الوقت الحاضر .

ولكن (المقطم) حرصت على استمرار تأييد الوفد للوزارة بعد فشلها فى اعادة الدستور بسبب الاعتراض البريطانى . وذلك فى الوقت الذى كانت فيه الوزارة النسيمية تتعرض لحملات بعض الأوساط الوفدية ، وجريدة روزاليوسف اليومية الوفدية . وقد ذكرت (فاطمة اليوسف) فى ذكراتها أن الوفد كان لا يقر هذه الحملات ، اذ كان الانجليز والقصر كلما رأوا المعارضة تشـــتد والمطالبة بالدستور تقوى ، يلوحون بعودة اسماعيل صدقى ، وكنا نقابل هذا التلويح بالحملات البالغة على صدقى ايضا ، أما الوفد فكان يرى من الخير مهادنة الوزارة واخذ الأمور باللين ، لعلها تعيد الدستور حقا .

وهكذا أصبح لـــ (روزاليوسف اليومية) بعد شهور من ظهورها ، خصوم أقوياء لايجتمع مثلهم على جريدة فى وقت واحد ، الوزارة تحاربها ، والقصر يحاربها ، والانجليز يحاربونها واصحاب الصحف الأخرى يقاومونها ، والوفد الذى كانت تستند اليه يوشك أن يتخلى عنها ، على أنه بقى لها الرأى العام كله تقريبا ، وكانت جريدة (المقطم) تقف للأخبار والتعليقات التى تنشرها (روزاليوسف) بالمرصاد ، فيذهب كريم ثابت كل صباح الى توفيق نســـيم والى النحاس ، ويحصل منهما على تكذيب لما تنشـــره(٢٨٨) . ولكن (كريم ثابت) الذى يدرك ان تأييد النحاس للوزارة مرهون بالمسألة الدستورية ، يدعو نسيم الى ســـرعة التحرك والقيام « باقناع الانجليز بان يمدوا يدهم لمقابلة اليد التى مدتها اليهم مصر »(٢٨٩)

وازاء هذا التحرج فى علاقات الطرفين ، صعدت الصحيفة من تحذيراتها لبريطانيا ، فيقول كريم ثابت ان مصر « اذا طالبت اليوم باحياء الدستور ، فانما تطالب بحق لها اكتسبته بجهادها وكفاحها ولا تطالب بمنحة . ونظن ان كل من ينظر الى الموقف بعين الانصاف يستغرب كيف يمكن للانجليز ان يحملوا طلب المصريين باحياء دستورهم على محمل انه تهديد لانجلترا ؟ »(٢٩٠) . وواصلت تحذيرها للساسة البريطانيين ودعتهم الى تلافى خطأ الاعتراض على عودة الدستور ، الذى تريده الأمة المصرية فى الوقت الذى كانت تتابع فيه اخبار المساعى المبذولة من الأحزاب المصرية للاتفاق حول سياسة موحدة تجاه التعنت البريطانى .

فى هذه الأثناء يدلى (صموئيل هور) وزير خارجية بريطانيا بتصريح يقول فيه بعدم صلاحية دستور ١٩٢٣ لمصر ، فتنطلق ثورة طلابية عارمة فى مصر ، ردا على هذا التصريح ، ويطلب الوفد من الوزارة (أن تعتزل الحكم) فتقول (المقطم) : « وما البرهان على ان دستور ١٩٢٣ هذا غير صالح ، ومن هو الذى يحكم فى صلاحه أو عدم صلاحه ، مادام التبليغ البريطانى فى سنة ١٩٢٢ جعل هذا الأمر من شان سلطان مصر وشعبه ، من غير قيد ولا شرط ، فما هو هذا القيد الجديد الذى يراد اقحامه على التبليغ ؟ »(٢٩١) .

وقامت الصحيفة بمتابعة اخبار المظاهرات الطلابية والمصادمات مع البوليس ، وسقوط العديد من الجرحى فى صفوف المتظاهرين . وقد اضافت مناسبة الاحتفال بعيد الجهاد ما ساعد على زيادة اشتعال الحماسة الوطنية فى صفوف الجماهير(٢٩٢) .

فقد كان لهذا التصريح اثر شديد فى النفوس ، اذ كان اعترافا صريحا بالتدخل البريطانى فى شأن الدستور وتمسك الحكومة

البريطانية بهذا التدخل ، فأثار احتجاج الأمة على اختلاف هيئاتها وطبقاتها ، كما أثار السخط على الوزارة(٢٩٣) .

وكتبت (المقطم) معربة عن أسفها لما حدث ، ومسجلة عتابها للساسة البريطانيين قائلة : « ترى أهذا الذى شهده الملأ فى مصر فى هذه الأيام هو عين ما شاءت بريطانيا أن يكون أم أنه ما سعى له وزيرها السير صموئيل هور ؟ » اننا « نعرب عن أسف جميع انصار الوفاق والوئام .. على حبوط المسعى وضياع الأمل والعودة الى جفاء وتطاحن سيكون لها بالطبع وقعها فى مصر وفى انجلترا »(٢٩٤) . ودعت بريطانيا الى تعديل موقفها وخططها ، وقالت انه لا يضير وزير خارجية بريطانيا ولا هيبة دولته أن يعدل ما قال ويقف الموقف الذى يقتضيه الانصاف ، وتساءلت : « مهل يحق لنا أن نتوقع تصريحا بريطانيا آخر ، يعدل التصريح الأخير ويضع الأمور فى نصابها بعدما أطلق عليها نور الحقائق والوقائع ؟ »(٢٩٥) .

فالمسألة تتركز فى الثقة المتبادلة بين البلدين « فاذا ضاعت الثقة أو وهنت تعذر التوفيق وتعددت المشكلات وتجددت المتاعب »(٢٩٦) . وحدثما دعت اليه (المقطم) من تصريح جديد للسير صموئيل هور ، اشادت بأسلوبه وبعباراته الرقيقة فيما يتعلق بشدة عطف بريطانيا على مصر ، وأسفه على ما أحاط بتصريحه السابق من ردود فعل ، وذكرت أن الدوائر الرسمية المصرية اعتبرت هذا التصريح الجديد خطوة الى الامام(٢٩٧) .. ولكن الجماهير الطلابية فى مصر لم تر فى التصريح الجديد ما يساعد على تحقيق الأمنية القومية بعودة الدستور ، فتخرج المظاهرات وتقع المصادمات العنيفة مع البوليس ، فتقول (المقطم) : ان الحل

« الوحيد الباقى هو احياء الدستورالذى ارتضته البلاد والذى وافق جلالة الملك على اعادته »(٢٩٨) .

وقد دفعت الحالة السياسية فى البلاد عددا من القيادات الطلابية الى توحيد الفصائل التى تنتمى اليها ، تمهيدا لتوحيد الاحزاب المصرية . وبعد أن تم لهم ذلك طافوا بالزعماء يدعونهم الى الاتحاد . فقد أوجد ذلك « جوا جديدا امام الأحزاب ، وعرف الزعماء انهم لن يستطيعوا أن يقفوا الآن امام اجماع الطلاب أو يعارضوا دعوتهم الى الوحدة ، وقد اتضح لهم أن الطلاب قد استقلوا عن قيادتهم ، ورفعوا انفسهم الى مستوى فوق الأحزاب وهم الآن الذين يقودون الحركة الوطنية ويوجهون الدعوة الى الزعماء ويرشدونهم الى الطريق الصحيح »(٢٩٩) .

وكانت نتيجة هذه المساعى الطلابية ، ميلاد الجبهة الوطنية فتقول (المقطم) ان « اتحاد الجهود فى مصر على كل ما فيه مصلحة البلاد العامة ، قوة عظيمة لا يقدر قدرها ، وفعلها ليس استنادا الى الخيال بل اعتمادا على الواقع الذى وقع عندنا غير مرة ، بعدما نهضت مصر نهضتها الأخيرة »(٣٠٠) فوحدة الصفوف هذه «ما برحت فى مقدمة امانى الأمة وخير سلاح تتوسل به لقضاء الوطر وتحقيق الغاية العظمى » « وامام هذا النور لا نعتقد أن الحكومة البريطانية تعمد الى التردد فى قبول ما هو مطلوب من الجانب المصرى »(٣٠١). ولم تتردد بريطانيا لأنها لم تكن متطوعة لتحقيق مطالب مصر او حريصة على الحكم الدستورى ، كانت بريطانيا مواجهة بثورة شاملة مادامت الأحزاب قد اتحدت(٣٠٢) ، فعدلت عن المعارضة فى عودة الدستور ، وصدر الأمر الملكى بذلك ، فكان « نصرا

مؤزرا للأمة توج ما بذلت من جهود منذ صـــدر دســـتور صـــدقى باشـا »(٣٠٣) . واعتبرت (المقطم) هذا الانتصـار محصلة « لسحر الاتحاد وفعل التعاون » ، مما جعل الشعب « فى غبطة وحبور بهذا المنظر المفـــرح الذى بدت مصـــــر به ، وهذا التوفيق الذى أصابته »(٣٠٤) . وقد ترتب على استقرار الهياة الدستورية مى مصر السعى لتحديد العلاقات المصرية البريطانية فى اطار جديد ، وهو ما رسمته معاهدة ١٩٣٦ .



هوامش الفصــــل الأول

(١) محمد زكى عبد القادر ، محنة الدستور ، ص ٦١ .

(٢) عبد الرحمن الرافعى ، فى اعقاب الثورة المصرية ، جـ ١ ، ص ١١٩ ، ٢٠٣ .

(٣) المارشال ويفل ، اللنبى فى مصر ، ص ١٢٦ .

(٤) عبد العظيم رمضان ، تطور الحركة الوطنية فى مصر ١٨ — ١٩٣٦ ، ص ٤٩٦ .

(٥) يونان لبيب ، الحقيقة التاريخية وراء حادثة السردار ١٩٢٤ ، الهلال .

(٦) المقطم ٢٦ نوفمبر ١٩٢٤ .

(٧) المقطم ٢٩ نوفمبر ١٩٢٤ .

(٨) المقطم ٢٩ نوفمبر ١٩٢٤ .

(٩) عبد العظيم رمضان ، تطور الحركة الوطنية فى مصر ، ص ٥٦٩ .

(١٠) المقطم ٣٠ نوفمبر ١٩٢٤ .

(١١) عبد الرحمن الرافعى ، فى أعقاب الثورة المصرية ، جـ ١ ، ص ٢٠٤ .

(١٢) قاسم الهوارى ، السودان فى المفاوضات المصرية البريطانية ١٩٢٠ — ١٩٥٣ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية آداب القاهرة ، ١٩٧٤ ، ص ٧١ .

(١٣) عبد الرحمن الرافعى ، فى اعقاب الثورة المصرية ، جـ ١ ، ص ٢٠٥ .

(١٤) المقطم ٣٠ نوفمبر ١٩٢٤ .

(١٥) يونان لبيب ، الحقيقة التاريخية وراء حادثة السردار ١٩٢٤ .

(١٦) المقطم ٤ ديسمبر ١٩٢٤ .

(١٧) المقطم ١٣ ديسمبر ١٩٢٤ .
(١٨) المقطم ٢٤ ديسمبر ١٩٢٤ .
(١٩) المقطم ٢٥ ديسمبر ١٩٢٤ .
(٢٠) عبد الرحمن الرافعى ، فى أعقاب الثورة المصرية ، جـ ١ ، ص ٢٠٩ — ٢١٠ .
(٢١) Lloyd, Lord, Egypt Since Cromer, Vo. 11. Op. Cit., P. 11.
(٢٢) عبد العظيم رمضان ، تطور الحركة الوطنية فى مصر ، ص ٥٧٣ .
(٢٣) عبد الخالق لاشين ، سعد زغلول ودوره فى السياسة المصرية ، ص ٤٣٩ .
(٢٤) المقطم ١ يناير ١٩٢٥ .
(٢٥) عبد الخالق لاشين ، سعد زغلول ، ص ٤٣٩ .
(٢٦) يونان لبيب ، تاريخ الوزارات المصرية ، ص ٢٨٤ .
(٢٧) المقطم ٤ يناير ١٩٢٥ .
(٢٨) المقطم ٧ فبراير ١٩٢٥ .
(٢٩) المقطم ١١ مارس ١٩٢٥ .
(٣٠) السياسة ٢١ و ٢٢ يناير ١٩٢٥ .
(٣١) المقطم ١٤ مارس ١٩٢٥ .
(٣٢) المقطم ١٥ مارس ١٩٢٥ .
(٣٣) المقطم ٢٥ مارس ١٩٢٥ .
(٣٤) عبد العظيم رمضان ، تطور الحركة الوطنية فى مصر ، ص ٥٨٠ ، ٥٨١ .
(٣٥) محمد زكى عبد القادر ، محنة الدستور ، ص ٦٥ .
(٣٦) عبد الخالق لاشين ، سعد زغلول ، ص ٤٤٤ ، ٤٤٨ .
(٣٧) المقطم ٢٦ مارس ١٩٢٥ .
(٣٨) المقطم ٢٩ مارس ١٩٢٥ .
(٣٩) المقطم ٢١ مارس ١٩٢٥ .
(٤٠) المقطم ١٠ ابريل ١٩٢٥ .
(٤١) المقطم ١٠ ابريل ١٩٢٥ .
(٤١) المقطم ١٤ ابريل ١٩٢٥ .
(٤٢) عبد الرحمن الرافعى ، فى أعقاب الثورة المصرية ، جـ ١ ، ص ٢٢٧ .
(٤٣) المقطم ١٢ يوليو ١٩٢٥ — مقالات الشيخ محمد شاكر .
(٤٤) المقطم ١٠ سبتمبر ١٩٢٥ .
(٤٥) المقطم ١٢ سبتمبر ١٩٢٥ .

(٤٦) المقطم ١٣ سبتمبر ١٩٢٥ .

(٤٧) عبد الرحمن الرافعي ، في أعقاب الثورة المصرية ، جـ ١ ، ص ٢٢٨ ، ٢٢٩ .

(٤٨) السياسة ١٠ — ٢٣ سبتمبر ١٩٢٥ .

(٤٩) المقطم ٢١ اكتوبر ١٩٢٥ .

(٥٠) عبد الرحمن الرافعي ، في أعقاب الثورة المصرية ، جـ ١ ، ص ٢٢٩ .

(٥١) المقطم ٢٢ اكتوبر ١٩٢٥ — (زينب أحمد محمد — السيدة زينب) .

(٥٢) المقطم ٢٤ اكتوبر ١٩٢٥ .

(٥٣) محمد زكي عبد القادر ، محنة الدستور ، ص ٦٦ .

(٥٤) عبد العظيم رمضان ، تطور الحركة الوطنية في مصر ، ص ٥٩١ ، ٥٩٤ .

(٥٥) المقطم ٢٧ أكتوبر ١٩٢٥ .

(٥٦) Lloyd, Lord, Egypt Since Cromer, Vo. 11, Op. Cit., P. 146.

(٥٧) المقطم ٢٤ نوفمبر ١٩٢٥ .

(٥٨) المقطم ٢٥ نوفمبر ١٩٢٥ .

(٥٩) عبد الرحمن الرافعي ، في أعقاب الثورة المصرية ، جـ ١ ، ص ٢٥ .

(٦٠) عبد الخالق لاشين ، سعد زغلول ، ص ٤٦٨ ، ٤٦٩ .

(٦١) المقطم ٢١ — ٢٨ يناير ١٩٢٦ .

(٦٢) المقطم ٣٠ يناير ١٩٢٦ .

(٦٣) المقطم ٣١ يناير ١٩٢٦ .

(٦٤) المقطم ٧ فبراير ١٩٢٦ .

(٦٥) المقطم ١٠ فبراير ١٩٢٦ .

(٦٦) المقطم ١١ فبراير ١٩٢٦ .

(٦٧) المقطم ١٦ فبراير ١٩٢٦ .

(٦٨) المقطم ١٧ فبراير ١٩٢٦ .

(٦٩) عبد العظيم رمضان ، تطور الحركة الوطنية في مصر ، ص ٦٠٥ .

(٧٠) المقطم ٢٠ فبراير ١٩٢٦ .

(٧١) المقطم ٢١ فبراير ١٩٢٦ .

(٧٢) المقطم ٢٢ فبراير ١٩٢٦ .

(٧٣) Lloyd, Lord, Egypt Since Cromer, Vo. 11. Op, Cit., PP. 155 — 156.

(٧٤) عبد العظم رمضان ، تطور الحركة الوطنية فى مصر ، ص ٦٠٧ .

(٧٥) المقطم ٢٥ مايو ١٩٢٦ .

(٧٦) عبد العظيم رمضان ، تطور الحركة الوطنية فى مصر ، ص ٦١١ ، ٦١٢ .

(٧٧) المقطم ١ يونيو ١٩٢٦ .

(٧٨) Lloyd, Lord, Egypt Snice Cromer, Vo. 11, Op, Cit., P. 165.

(٧٨) المقطم ٤ يونيو ١٩٢٦ .

(٧٩) المقطم ٤ يونيو ١٩٢٦ .

(٨٠) المقطم ٦ يونيو ١٩٢٦ .

(٨١) عبد الخالق لاشين ، سعد زغلول ، ص ٨٢٤ .

(٨٢) المقطم ١٣ يونيو ١٩٢٦ .

(٨٣) المقطم ٦ يوليو ١٩٢٦ .

(٨٤) أوضح الدكتور يونان لبيب رزق فى كتابه تاريخ الوزارات المصـــرية (ص ٣٠٤ ، ٣٠٥) أن تقريرا أرسله اللورد لويد الى حكومته عن ملابسات الأزمة والأسباب الحقيقية لاستقالة وزارة عدلى وتتمثل فى احتجاجه على الموقف الوفدى المتصلب المتمثل بمحاولة تمرير القوانين الخاصة بالجيش فى البرلمان سواء وافقت عليها الحكومة البريطانية أو لم توافق .

(٨٥) المقطم ٢٢ ابريل ١٩٢٧ .

(٨٦) المقطم ٣١ مايو ١٩٢٧ .

(٨٧) المقطم ١ يونيو ١٩٢٧ .

(٨٨) عبد الرحمن الرافعى ، فى أعقاب الثورة المصرية ، ج ١ ، ص ٢٧٢ .

(٨٩) المقطم ٣ يونيو ١٩٢٧ .

(٩٠) المقطم ٨ يونيو ١٩٢٧ .

(٩١) المقطم ١٥ يونيو ١٩٢٧ .

(٩٢) المقطم ٢٧ يونيو ١٩٢٧ .

(٩٣) محمد حسين هيكل ، مذكرات فى السياسة المصرية ، حـ ١ ، ص ٢٧١ .

(٩٤) عبد العظيم رمضان ، الجيش المصرى فى السياسة ، ص ٢٤٤ .

(٩٥) المقطم ١٨ يونيو ١٩٢٧ .

(٩٦) المقطم ٢٢ يونيو ١٩٢٧ .
(٩٧) ٣ يوليو ١٩٢٧ .
(٩٨) المقطم ٨ يونيو ١٩٢٧ .
(٩٩) المقطم ٦ أغسطس ١٩٢٧ .
(١٠٠) المقطم ٢٥ أغسطس ١٩٢٧ .
(١٠١) المقطم ٢٨ أغسطس ١٩٢٧ .
(١٠٢) المقطم ٧ سبتمبر ١٩٢٧ .
(١٠٣) المقطم ٨ سبتمبر ١٩٢٧ .
(١٠٤) المقطم ٩ سبتمبر ١٩٢٧ .
(١٠٥) المقطم ١٤ سبتمبر ١٩٢٧ .
(١٠٦) المقطم ١٦ سبتمبر ١٩٢٧ .
(١٠٧) المقطم ٢٣ سبتمبر ١٩٢٧ .
(١٠٨) المقطم ٢٨ سبتمبر ١٩٢٧ .
(١٠٩) المقطم ١ اكتوبر ١٩٢٧ .
(١١٠) المقطم ٤ أكتوبر ١٩٢٧ .
(١١١) المقطم ٥ أكتوبر ١٩٢٧ .
(١١٢) المقطم ١ نوفمبر ١٩٢٧ .
(١١٣) المقطم ٥ نوفمبر ١٩٢٧ .
(١١٤) المقطم ١٠ نوفمبر ١٩٢٧ .
(١١٥) المقطم ١٦ نوفمبر ١٩٢٧ .
(١١٦) المقطم ٢١ ديسمبر ١٩٢٧ .
(١١٧) المقطم ٢٢ ديسمبر ١٩٢٧ .
(١١٨) المقطم ٢٩ فبراير ١٩٢٨ .
(١١٩) المقطم ١ مارس ١٩٢٨ .
(١٢٠) المقطم ٣ مارس ١٩٢٨ .
(١٢١) محمد شفيق غربال ، تاريخ المفاوضات المصرية البريطانية ، ص ١٧١ ، ١٧٢ .
(١٢٢) عبد الرحمن الرافعى ، فى أعقاب الثورة المصرية ، ج ٢ ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٤٩ ، ص ٢٠ ، ٢١ .
(١٢٣) المقطم ٦ مارس ١٩٢٨ .
(١٢٤) المقطم ٧ و ١٠ مارس ١٩٢٨ .

(١٢٥) المقطم ١٣ مارس ١٩٢٨ .

(١٢٦) المقطم ٣ ابريل ١٩٢٨ .

(١٢٧) المقطم ١٧ ابريل ١٩٢٨ .

(١٢٨) المقطم ٢٨ ابريل ١٩٢٨ .

(١٢٩) المقطم ١ مايو ١٩٢٨ .

(١٣٠) المقطم ٢ مايو ١٩٢٨ .

(١٣١) عبد العظيم رمضان ، تطور الحركة الوطنية فى مصر ، ص ٦٧٤ .

(١٣٢) يونان لبيب ، تاريخ الوزارات المصرية ، ص ٢١٦ .

(١٣٣) المقطم ٢٢ يونيو ١٩٢٨ .

(١٣٤) المقطم ٢٤ يونيو ١٩٢٨ .

(١٣٥) يونان لبيب ، تاريخ الوزارات المصرية ، ص ٢١٧ .

(١٣٦) عبد العظيم رمضان ، تطور الحركة الوطنية فى مصر ، ص ٦٨٣ .

(١٣٧) المقطم ٢٩ يونيو ١٩٢٨ .

(١٣٨) المقطم ٣٠ يونيو ١٩٢٨ .

(١٣٩) المقطم ٣ يوليو ١٩٢٨ .

(١٤٠) المقطم ٨ يوليو ١٩٢٨ .

(١٤١) المقطم ١٥ يوليو ١٩٢٨ .

(١٤٢) يونان لبيب ، تاريخ الوزارات المصرية ، ص ٢٢٥ .

(١٤٣) المقطم ٢١ يوليو ١٩٢٨ .

(١٤٤) عبد الرحمن الرافعى ، فى أعقاب الثورة المصرية ، جـ ٢ ، ص ٥٣ .

(١٤٥) ضياء الدين الريس ، الدستور والاستقلال والثورة الوطنية ١٩٢٥ ، جـ ١ ، مؤسسة دار الشعب ، القاهرة ، ١٩٧٥ ، ص ٢١ .

(١٤٦) المقطم ٢٥ يوليو ١٩٢٨ .

(١٤٧) المقطم ٢ أغسطس ١٩٢٨ .

(١٤٨) المقطم ٤ أغسطس ١٩٢٨ .

(١٤٩) محمد زكى عبد القادر ، محنة الدستور ، ص ٧٥ .

(١٥٠) المقطم ٧ أغسطس ١٩٢٨ .

(١٥١) المقطم ١١ — ١٢ أغسطس ١٩٢٨ .

(١٥٢) المقطم ٢٨ سبتمبر ١٩٢٨ .

(١٠٣) عبد العظيم رمضان ، تطور الحركة الوطنية فى مصر ، ص ٦٨٨ .

(١٥٤) جمال سليم ، البوليس السياسى يحكم مصر ١٩١٠ ــ ١٩٥٢ ، القاهرة للثقافة العربية ، القاهرة ، ١٩٧٥ ، ص ٦٦ .
(١٥٥) المقطم ٢٤ يونيو ١٩٢٩ .
(١٥٦) المقطم ٢٢ يونيو ١٩٢٩ .
(١٥٧) المقطم ٢٥ يونيو ١٩٢٩ .
(١٥٨) المقطم ١٤ يوليو ١٩٢٩ .
(١٥٩) المقطم ١٦ يوليو ١٩٢٩ .
(١٦٠) عبد العظيم رمضان ، تطور الحركة الوطنية فى مصر ، ص ٧٠٢ .
(١٦١) يونان لبيب ، تاريخ الوزارات المصرية ، ص ٣٣٢ .
(١٦٢) المقطم ٢٦ يوليو ١٩٢٩ .
(١٦٣) المقطم ٢٧ يوليو ١٩٢٩ .
(١٦٤) المقطم ٢٨ يوليو ١٩٢٩ .
(١٦٥) المقطم ٤ أغسطس ١٩٢٩ .
(١٦٦) المقطم ٦ أغسطس ١٩٢٩ .
(١٦٧) المقطم ٧ أغسطس ١٩٢٩ .
(١٦٨) المقطم ٨ أغسطس ١٩٢٩ .
(١٦٩) عبد العظيم رمضان ، تطور الحركة الوطنية فى مصر ، ص ٧٠٩ .
(١٧٠) المقطم ١٤ سبتمبر ١٩٢٩ .
(١٧١) المقطم ٢٥ سبتمبر ١٩٢٩ .
(١٧٢) المقطم ٢ أكتوبر ١٩٢٩ .
(١٧٣) عبد العظيم رمضان ، تطور الحركة الوطنية فى مصر ، ص ٧٠٦ ، ٧٠٧ .
(١٧٤) المقطم ٤ أكتوبر ١٩٢٩ .
(١٧٥) يونان لبيب : تاريخ الوزارات المصرية ، ص ٣٣٨ .
(١٧٦) المقطم ٥ أكتوبر ١٩٢٩ .
(١٧٧) المقطم ٦ أكتوبر ١٩٢٩ .
(١٧٨) المقطم ١٩ أكتوبر ١٩٢٩ .
(١٧٩) المقطم ٢٣ أكتوبر ١٩٢٩ .
(١٨٠) المقطم ٢٥ أكتوبر ١٩٢٩ .
(١٨١) المقطم ٢٦ أكتوبر ١٩٢٩ .
(١٨٢) المقطم ٢٧ أكتوبر ١٩٢٩ .
(١٨٣) المقطم ٢ يناير ١٩٣٠ .

(١٨٤) المقطم ٧ يناير ١٩٣٠ .
(١٨٥) المقطم ٢٦ فبراير ١٩٣٠ .
(١٨٦) المقطم ٥ مارس ١٩٣٠ .
(١٨٧) يونان لبيب ، تاريخ الوزارات المصرية ، ص ٣٤٢ .
(١٨٨) المقطم ٣٠ مارس ١٩٣٠ .
(١٨٩) المقطم ٢ ابريل ١٩٣٠ .
(١٩٠) المقطم ١٢ ابريل ١٩٣٠ .
(١٩١) المقطم ١٥ ابريل ١٩٣٠ .
(١٩٢) المقطم ٦ مايو ١٩٣٠ .
(١٩٣) المقطم ٧ مايو ١٩٣٠ .
(١٩٤) المقطم ٩ مايو ١٩٣٠ .
(١٩٥) محمد شفيق غربال ، تاريخ المفاوضات المصرية البريطانية ، ص ٢٢٤ .
(١٩٦) R.I.I.A., Great Britain and Egypt, London, 1952, P. 26.
(١٩٧) المقطم ١٠ مايو ١٩٣٠ .
(١٩٨) المقطم ١٥ مايو ١٩٣٠ .
(١٩٩) المقطم ١٧ يونيو ١٩٣٠
(٢٠٠) المقطم ١٨ يونيو ١٩٣٠ .
(٢٠١) يونان لبيب ، تاريخ الوزارات المصرية ، ص ٣٤٦ .
(٢٠٢) عبد الرحمن الرافعى ، فى أعقاب الثورة المصرية ، ج ٢ ، ص ١٠٨ .
(٢٠٣) جورج كيرك ، موجز تاريخ الشرق الأوسط ، ترجمة عمر الاسكندرى ، سلسلة الألف كتاب (١١٤) ، مركز كتب الشرق الأوسط ، القاهرة ، ١٩٥٧ ، ص ٢٦٤ .
(٢٠٤) المقطم ١٨ يونيو ١٩٣٠ .
(٢٠٥) المقطم ١٩ يونيو ١٩٣٠ .
(٢٠٦) المقطم ٢٠ يونيو ١٩٣٠ .
(٢٠٧) المقطم ٢٥ يونيو ١٩٣٠ .
(٢٠٨) المقطم ٢٨ يونيو ١٩٣٠ .
(٢٠٩) المقطم ٤ يوليو ١٩٣٠ .

(٢١٠) محمد حسين هيكل ، مذكرات فى السياسة المصرية ، ج أ ، ص ٢٢٣ — ٢٢٤ .
(٢١١) ضياء الدين الريس ، الدستور والاستقلال ، ج ١ ، ص ١٠٤ ، ١٠٥ .
(٢١٢) المقطم ١١ يوليو ١٩٣٠ .
(٢١٣) المقطم ١٧ يوليو ١٩٣٠ .
(٢١٤) عبد العظيم رمضان ، تطور الحركة الوطنية فى مصر ، ص ٧٣٦ .
(٢١٥) المقطم ١٩ يوليو ١٩٣٠ .
(٢١٦) المقطم ١٣ سبتمبر ١٩٣٠ .
(٢١٧) المقطم ٢٣ سبتمبر ١٩٣٠ .
(٢١٨) المقطم ٢٣ أكتوبر ١٩٣٠ .
(٢١٩) المقطم ٢٤ أكتوبر ١٩٣٠ .
(٢٢٠) المقطم ٢٦ أكتوبر ١٩٣٠ .
(٢٢١) المقطم ٢٦ أكتوبر ١٩٣٠ .
(٢٢٢) محمد حسين هيكل ، مذكرات فى السياسة المصرية ، ج ١ ، ص ٣٢٤ .
(٢٢٣) المقطم ٢٦ أكتوبر ١٩٣٠ .
(٢٢٤) المقطم ٢٨ أكتوبر ١٩٣٠ .
(٢٢٥) المقطم ١ نوفمبر ١٩٣٠ — عبد الحليم البيلى .
(٢٢٦) محمد زكى عبد القادر ، محنة الدستور ، ص ٨٠ .
(٢٢٧) عبد الرحمن الرافعى ، فى أعقاب الثورة المصرية ، ج ١ ، ص ١٢١ .
(٢٢٨) يونان لبيب ، تاريخ الوزارات المصرية ، ص ٣٥٩ .
(٢٢٩) اسماعيل صدقى ، مذكرات ، دار الهلال ، القاهرة ١٩٥٠ ، ص ٤٥ .
(٢٣٠) المقطم ١٢ نوفمبر ١٩٣٠ .
(٢٣١) محمد حسين هيكل ، مذكرات فى السياسة المصرية ، ج ١ ، ص ٣٤٧ .
(٢٣٢) المقطم ٢٤ فبراير ١٩٣١ .
(٢٣٣) المقطم ٢٥ فبراير ١٩٣١ .
(٢٣٤) المقطم ٢٤ مارس ١٩٣١ .
(٢٣٥) ضياء الدين الريس ، الدستور والاستقلال ، ج ١ ، ص ١٤٩ .
(٢٣٦) المقطم ٢٣ يونيو ١٩٣١ .
(٢٣٧) المقطم ٢٢ سبتمبر ١٩٣٢ .
(٢٣٨) عبد العظيم رمضان ، تطور الحركة الوطنية فى مصر ، ص ٧٦٢ .
(٢٣٩) ضياء الدين الريس ، الدستور والاستقلال ، ج ١ ، ص ١٧١ ، ١٧٢ .

(٢٤٠) المقطم ٧ فبراير ١٩٣٣ .

(٢٤١) المقطم ١٥ فبراير ١٩٣٣ .

(٢٤٢) عبد العظيم رمضان ، تطور الحركة الوطنية فى مصر ، ص ٧٦٢ .

(٢٤٣) المقطم ٢٣ مايو ١٩٣٣ .

(٢٤٤) المقطم ٢٢ أغسطس ١٩٣٣ .

(٢٤٥) عبد العظيم رمضان ، تطور الحركة الوطنية فى مصر ، ص ٧٦٢ ، ٧٦٣ .

(٢٤٦) المقطم ٢٣ سبتمبر ١٩٣٣ .

(٢٤٧) محمد زكى عبد القادر ، محنة الدستور ، ص ٨٢ .

(٢٤٨) المقطم ٢٩ سبتمبر ١٩٣٣ .

(٢٤٩) المقطم ٣٠ سبتمبر ١٩٣٣ .

(٢٥٠) المقطم ٣ اكتوبر ١٩٣٣ .

(٢٥١) المقطم ٢٧ أكتوبر ١٩٣٣ .

(٢٥٢) المقطم ١٥ نوفمبر ١٩٣٣ .

(٢٥٣) محسن محمد ، عندما يموت الملك ، الجمهورية ٦ يوليو ١٩٧٩ .

(٢٥٤) المقطم ١٠ يناير ١٩٣٤ .

(٢٥٥) المقطم ٨ ابريل ١٩٣٤ .

(٢٥٦) محسن محمد ، عندما يموت الملك ، الجمهورية ٩ يوليو ١٩٧٩ .

(٢٥٧) عبد العظيم رمضان ، تطور الحركة الوطنية فى مصر ، ص ٧٦٦ ، ٧٦٧ .

(٢٥٨) المقطم ٨ اكتوبر ١٩٣٤ .

(٢٥٩) المقطم ١٠ أكتوبر ١٩٣٤ .

(٢٦٠) المقطم ١١ أكتوبر ١٩٣٤ .

(٢٦١) المقطم ١٢ اكتوبر ١٩٣٤ .

(٢٦٢) محسن محمد ، عندما يموت الملك ، الجمهورية ١٠ يوليو ١٩٧٩ .

(٢٦٣) محسن محمد ، عندما يموت الملك ، الجمهورية ١١ يوليو ١٩٧٩ .

(٢٦٤) المقطم ٢٣ أكتوبر ١٩٣٤ .

(٢٦٥) المقطم ٢٤ أكتوبر ١٩٣٤ .

(٢٦٦) المقطم ٢٥ أكتوبر ١٩٣٤ .

(٢٦٧) المقطم ٢٦ أكتوبر ١٩٣٤ .

(٢٦٨) المقطم ٢٧ أكتوبر ١٩٣٤ .

(٢٦٩) المقطم ٣٠ أكتوبر ١٩٣٤ .

(٢٧٠) المقطم ٣١ أكتوبر ١٩٣٤ .

(٢٧١) المقطم ١ نوفمبر ١٩٣٤ .

(٢٧٢) المقطم ٢ نوفمبر ١٩٣٤ .

(٢٧٣) المقطم ٦ نوفمبر ١٩٣٤ .

(٢٧٤) محسن محمد ، عندما يموت الملك ، الجمهورية ١٧ يوليو ١٩٧٩ .

(٢٧٥) المقطم ٢١ نوفمبر ١٩٣٤ .

(٢٧٦) المقطم ١ ديسمبر ١٩٣٤ .

(٢٧٧) المقطم ١٦ فبراير ١٩٣٥ — كريم ثابت .

(٢٧٨) المقطم ٢٠ فبراير ١٩٣٥ — كريم ثابت .

(٢٧٩) المقطم ٧ مارس ١٩٣٥ — كريم ثابت .

(٢٨٠) المقطم ١٢ ابريل ١٩٣٥ .

(٢٨١) المقطم ٢٠ ابريل ١٩٣٥ .

(٢٨٢) المقطم ٥ مايو ١٩٣٥ .

(٢٨٣) المقطم ٧ مايو ١٩٣٥ .

(٢٨٤) المقطم ٩ مايو ١٩٣٥ .

(٢٨٥) المقطم ٤ يونيو ١٩٣٥ .

(٢٨٦) المقطم ٧ يونيو ١٩٣٥ .

(٢٨٧) المقطم ٢٩ يونيو ١٩٣٥ .

(٢٨٨) فاطمة اليوسف ، ذكريات ، مؤسسة روزاليوسف ، ط ٢ ، القاهرة ، ١٩٧٦ ، ص ١٨٥ .

(٢٨٩) المقطم ١ أكتوبر ١٩٣٥ .

(٢٩٠) المقطم ٢٢ أكتوبر ١٩٣٥ .

(٢٩١) المقطم ١٠ نوفمبر ١٩٣٥ .

(٢٩٢) المقطم ١٣ نوفمبر ١٩٣٥ .

(٢٩٣) عبد الرحمن الرافعى ، فى أعقاب الثورة المصرية ، ج ٢ ، ص ٢٠١ .

(٢٩٤) المقطم ١٤ نوفمبر ١٩٣٥ .

(٢٩٥) المقطم ١٧ نوفمبر ١٩٣٥ .

(٢٩٦) المقطم ٢٤ نوفمبر ١٩٣٥ .

(٢٩٧) المقطم ٧ ديسمبر ١٩٣٥ .

(٢٩٨) المقطم ٩ ديسمبر ١٩٣٥ .

(٢٩٩) ضياء الدين الريس ، الدستور والاستقلال ، ج ٢ ، مؤسسة دار الشعب ، القاهرة ، ١٩٧٦ ، ص ١٦٢ .

(٣٠٠) المقطم ١٠ ديسمبر ١٩٣٥ .

(٣٠١) المقطم ١١ ديسمبر ١٩٣٥ .

(٣٠٢) محسن محمد ، عندما يموت الملك ، الجمهورية ، ٢٣ يوليو ١٩٧٩ .

(٣٠٣) محمد حسين هيكل ، مذكرات فى السياسة المصرية ، ج ١ ، ص ٣٩٠ .

(٣٠٤) المقطم ١٣ ديسمبر ١٩٣٥ .

الفصل الثاني

المقطم ومعاهدة سنة ١٩٣٦

التمهيـــد للمعـــاهدة :

انتقلت (المقطم) بعد هذه السلسلة الطويلة الحلقات من المشكلات الدستورية والحزبية الداخلية ، وبعد أن تحقق للشعب المصرى هدفه فى اعادة دستور ١٩٢٣ ، الى الحديث عن موضوع المعاهدة ، واقترحت ان تكون المفاوضات « ولو التمهيدية منها » فى القاهرة ، لكى يكون المفاوض المصرى على اتصـــال بالرأى العام ، ولكى يحيط الجانب البريطانى بمشيئة شـــعب مصر عن قرب ، فضـــلا عن اهمية اســـتيفاء جميع المعلومات واستشارة المختصين(١) . ودعت الساسة البريطانيين الى التعجيل بالمفاوضة والى عدم اتخاذ الأزمات السياسية الدولية او الداخلية فى بريطانيا ذريعة « لارجاء مفاوضة مصر وبريطانية »(٢) . وقالت ان بامكان الوزارة النسيمية ان تجرى المباحثات التمهيدية باسم الجبهة الوطنية قبل ان تبدأ المفاوضات الرسمية التى ســـتجرى بعد الانتخابات البرلمانية ، لاسيما أن هذه الوزارة « قد برهنت على حسن نيتها وجليل مقاصدها بسعيها الى اعادة الدستور .. فمن الاعتراف بالجميل الا يطلب منها الآن أن تخلى مكانها لوزارة اخرى من اجل المحادثات التمهيدية »(٣) . وكانت الفكرة الســـائدة فى تعليقات (المقطم) ، حول القضية الوطنية ، فى هذه الآونة ، هى الحث على عقد المعاهدة واجراء المفاوضات ، ودعوة بريطانيا لعدم التردد

فى هذا المجال مادامت مصر متفقة بلسان الجبهة الوطنية على الهدف ذاته .

وتحدثت (المقطم) عن مقابلة جرت بين النحاس باشا ولامبسون « تمت فى جو مشبع بروح الصداقة وان حديث المندوب السامى كان وديا الى أقصى درجة » . اما تلغراف (المستر ايدن) فقد تضمن ردا مبدئيا على كتاب الجبهة الوطنية ، قال فيه انه يعطف على الأمانى الوطنية المصرية وان « هذه الأمانى ستكون محل عنايته واهتمامه »(٤) مما « يدل على ميل جلى الى معالجة المسألة هذه المرة بعد الذى بدا من اتفاق المصريين واتحاد أحزابهم على طلب شىء معين فان الدولة البريطانية لا تجهل ما فى هذا الاتحاد من قوة » . ودعت (المستر ايدن) « وهو الوزير الذى يصفه قومه بالحنكة وصدق النظر أن يتوسل بالصراحة والسرعة ويواصل خلق هذا الجو من حسن النية والثقة لشدة لزومه عند معالجة الموضوع »(٥) .

وخاطبت (المقطم) البريطانيين قائلة : « ان الحالة الحاضرة ملائمة جدا لمواجهة الموضوع خلافا لما رآه السير صموئيل هور وسواه فالجانب المصرى مجمع على امور معينة وعلى الرغبة فى الاتفاق وعلى الاعتراف بمشكلات بريطانيا وحاجاتها وهذه أمور لم تتوافر كلها فيما مضى من المفاوضات »(٦) وربطت بين رسوخ الاتحاد فى مصر وامكان الاتفاق مع بريطانيا ، قائلة ، ان « فى مقدمة شروط النجاح هنا أن تظل مصر معتصمة باتحاد القصد والجهد وتعاون الأحزاب على بلوغ المراد فان الساسة البريطانيين يرقبون سير الحالة عندنا من هذه الناحية بشىء كثير من الاهتمام .. فاذا أريد أن تستمر هذه الزيادة فى ميل الدولة البريطانية الى الإتفاق تعين على مصر أن تحافظ على ركنى موقفها وهما الاتحاد

الذى رحبت به الأمة وعقدت عليه آمالها والاتفاق على مطـــالبة بريطانيا بأمر معين صريح وهو المطلوب الآن أى مشروع معاهدة ١٩٣٠ »(٧) .

وخاطبت (المقطم) اقطاب بريطانيا بقولها : انه لا يصح « ان يقال ان عناصر الاتفاق والاتحاد غير مستوفاة بين المصريين وان ليس فى مصر من ينطق بلسان الأمة ويعبر عن رغباتها ، فقد وجدت هيئة تمثل جميع المصريين وتعرب اعرابا تاما عن رغباتهم فيما تروم بريطانيا معرفته »(٨) . وتقصد بها الجبهة الوطنية . ونوهت الصحيفة بالمساعى المبذولة لجعل القاهرة مكان المحادثات القادمة وهو ما يتفق مع راى الصحيفة « ليكون المباحث او المفاوض المصرى متصلا بجو بلاده وروح قومه ومصادر المعلومات التى تلزم فى مهمة خطيرة كهذه المهمة »(٩) . واشارت الى الرد البريطانى على كتاب الجبهة الوطنية المرسل الى الحكومة البريطانية ، وقد تضمن موافقة بريطانيا على المفاوضات(١٠) .

وتحدثت (المقطم) فى اخبارها وتحليلاتها السياسية عن الموقف السياسى الدقيق الذى نشأ عن تقديم نسيم استقالة وزارته وقالت وهى تربط بين الموقف الداخلى والسعى نحو التفاوض مع بريطانيا « ان مصر لما رات هذا الميل الشديد من الجانب البريطانى الى تعجيل المفاوضة عملت على تسهيل هذه المهمة فأســــرعت الوزارة الى عرض استقالتها على جلالة الملك .. ومعنى هذا كله جلى لا يخفى وهو ان مصر تروم من جانبها أن تهيىء جميع اسباب النجاح لتحقيق ما طلبت الجبهة الوطنية ، والنزول على رغبة الدولة البريطانية فى اعداد معدات المفاوضة باسرع ما يستطاع ، وفى ضمن نطاق ما يستطاع عمليا »(١١) .

وتابعت تطورات الأزمة الوزارية والمشـــــاورات الجارية لتطويقها وايجاد المخرج المناسب لها ، واكدت على أنها ســوف تحل كسابقاتها من الأزمات الوزارية فى مصر « فاما أن تؤلف وزارة ائتلافية او وزارة محايدة ولكن الذى يهم حقيقة هو ما يحدث بعد هذا التاليف »(١٢) ، اى تقرير العلاقات مع بريطانيا . وقد بذل (على ماهر) رئيس الديوان الملكى وقتئذ جهده طوال الأسبوع الذى تلا استقالة الوزارة لاقناع زعماء الوفد بقبول فكرة الوزارة الائتلافية لتتولى المفاوضة ، ولكن الوفد اجتمع وقرر عدم الموافقة على تاليف وزارة ائتلافية ، واخيرا انتهى هذا الأســـبوع القلق المضـــطرب ، واعلن تاليف الوزارة الجديدة فى ٤ يناير ١٩٣٦ برئاسة على ماهر باشا مؤلفة من اعضاء محايدين لا ينتمون الى الأحزاب ، وعرف أنه ستؤلف الى جانبها هيئة قومية للمفاوضات برئاسة مصطفى النحاس باشا رئيس الوفد ، وأن هذه الوزارة المحايدة هى التى ستشرف على اجراء الانتخابات قريبا(١٣) .

وتقول (المقطم) ، ان بريطانيا قد دعت مصـــر « الى ان تقابلها فى المفاوضة كرجل واحد له كلمة واحدة ، وهاهى ذى تلبى دعوة بريطانيا وتواجهها برأى واحد واتجاه واحد ، وتفتح على مصراعيه الباب الذى اشارت بريطانيا لولوجه ، فلم يبق لبريطانيا ما تعذر به اليوم ، ففى البلاد وزارة حائزة لثقة الملك ورضا الشعب .. وسيمثل مصر وفد رسمى يشتق عن قرار الملك والحكومة ، ويمثلها ويمثل البلاد تمثيلا لا ريب فيه »(١٤) . وقالت ان الفريق المصرى لا يطالب باستقلال بلاده الذى اعترفت بريطانيا به عام ١٩٢٢ ، بل يطالب « باستيفاء اسبابه ومظاهره ووسائله ، مع تسليمه بأن لبريطانيا مصالح يحرص هو عليها مادامت لا تنقض هذا الاستقلال ولا توهنه »(١٥) . ودعت الى توفير الضـــمانات من الجانبين الى انجاح المحادثات ، بل « يجب ان يكون موضــــوع

المحـــادثات التمهيدية دائرا على توفير هذه الضـــمانات »(١٦) . وقالت ، ان المفاوضات وان كانت امتحانا لحنكة مصر السياسية فان مســـــئولية الجانب البريطانى فى هذا الامتحان اكبر « لأنه اقوى الجانبين وأكبرهما واعرقهما فى العمل السياسى الدولى ، وله خبرة عظيمة بالاستعمار وصلات الدول بعضها ببعض »(١٧) . واوضحت ان « مصر كلها تميل الى الاتفاق مع بريطانيا ، وترجو ان تكلل المساعى الحاضرة بنجاح تام ، وهذا رجاء يردده الجميع من جلالة الملك الى رجل الشارع ، والذى نرجوه هو ان تظل هذه الحقيقة نصب عيون البريطانيين ، ولاسيما ساستهم وصحافيوهم فى خلال المفاوضات ، وبعد انتهائها ، مهما تكن النتيجة التى تسفر عنها »(١٨) .

بدء المفاوضـــــات :

بدات المفاوضات بين الوفدين المصـــــرى والبريطانى ، فى (قصر الزعفران) بمصر فى يوم ٢ مارس سنة ١٩٣٦ ، الذى قالت (المقطم) انه سيكون « يوما مذكورا فى تاريخ مصر السياسى مهما تكن النتيجة التى تســـفر عنها المفاوضة التى تبدا فيه أى سواء افضت الى اتفاق الدولتين على مشروع المعاهدة او انتهت بظهور الحاجة الى ارجاء هذه الخطوة الى زمان تعدانه اكثر ملاءمة لهذا الغرض »(١٩) . ونشرت خطابى النحاس ولامبســــون فى الجلسة الافتتاحية للمفاوضات . واشادت بهما لكونهما معبرين عن « رغبة الأمة المصرية ورغبة الدولة البريطانية » . ودعت رجال الصحافة من « الزملاء البريطانيين ان يبذلوا جهدهم من جانبهم فى المساعدة على ادراك الغاية التى ينشدها الناطق باسم مصر والمتكلم باسم بريطانيا »(٢٠) .

وحاولت (المقطم) التأكيد على أن الانجليز لا يفارضون فى اجراء الانتخابات البرلمانية فى موعدها المحدد يوم ٢ مايو « ومن كان فى شك من هذا القول فليسألهم ، ولا يعقل ان امة دستورية تباهى بأنها أم البرلمانات تعمد فى حال حبوط المفاوضة الى التعرض للحياة البرلمانية »(٢١) ، فاننا لم « نسمع حتى الساعة ان الانجليز ابدوا ما يدل على عدم استحسان استئناف الحياة البرلمانية ، ولا ينتظر ان يبدوا رايا فى هذا الموضوع بعد اختبارهم الجلى القريب العهد »(٢٢) . واوضحت ، ردا على تساؤل الذين يريدون معرفة السياسة الانجليزية فى مصر ، ان الذى « يهم الانجليز الآن هو تأمين طرق امبراطوريتهم والدفاع عن مصالحهم العظيمة فى منطقة البحر المتوسط ، اما نظام الحكم الداخلى فى مصر فمقامه ثانوى فى عيونهم . وقد جربوا تجارب شتى اقنعتهم بأن الافراط فى التعرض لهذه الشئون الداخلية ليس من سداد الرأى . والواقفون على حقائق الأمور والحوادث ، يعلمون أن جانبا مما يظن أنه يصنع هنا بايحاء وزارة الخارجية البريطانية او بأمرها انما يصدر فى الحقيقة عن موظفين محليين ومن دون علم تلك الوزارة او تأييدها »(٢٣) . ودابت (المقطم) فى اثناء المفاوضات على مناقشة النقاط التى يثيرها المفاوضون ، وكذلك ما تنشره الصحف البريطانية حول الموضوعات التى يتركز عليها اهتمام الفريقين ، مع محاولة اعطاء قوة دفع مستمرة للمفاوضين الذين يعلنون رغبتهم « فى مواصلة العمل وبذل الجهد فى التماس التفاهم والاتفاق »(٢٤) .

وفاة الملك فؤاد وبداية عهد فاروق :

وصفت (المقطم) اهتمام البلاد بمرض الملك فؤاد ، بانه مظهر قومى عظيم « رفع من قدر مصر وشعبها فى عيون العالم كله ومع انه مظهر صامت ففيه البلاغة وفيه ما يحرك اوتار القلوب ويوثق ما بين الأمة والعرش »(٢٥) . ثم يتوفى الملك ، فتظهر الصحيفة

مخاطة باطار أسود ، والمانشيت الرئيسى فيها عن « خسارة مصر العظيمة بوفاة ملكها العظيم » . ونعته تحت عنوان « حداد مصر والشرق على فؤاد مصر العظيم »(٢٦) . وتابعت مظاهر الحداد على الملك الراحل الذى « يعود الى قصره ليغادره الى الأبد»(٢٧) .

وأعربت (المقطم) عن سعادتها بكلمة فاروق ، الملك الذى خلف أباه الراحل فى سدة العرش المرسلة الى رئيس الوزراء ، ويقول فيها انه سيترسم خطى والده لتتبوأ بلاده العظيمة المكان الذى هى أهل له ، فان الملك قال « هذا القول الكريم وسنسمع جوابه الصادر من أعماق قلوب هذا الشعب فتردد أنحاء وادى النيل صدى الترحيب به والدعاء له بأن يطيل الله عمره ويمده بالحكمة والقوة ويحقق أمله بشعبه كما يحقق أمل شعبه ، وأن يكون شعاره نهضة مصر التى تريد أن تجدد شبابها وتتخذ ملكها عنوانا لهذه الرغبة »(٢٨) .

وبدأت مسيرة (كريم ثابت) فى مديح الملك ، بمناسبة عودته الى البلاد قادما من لندن حيث كان يتلقى علومه فيها ، فيكتب عن « عناية الملك فؤاد فى تربية ملكنا الشاب ، والحياة البسيطة التى نشأ فيها ولى العهد ، الملك فاروق ، واساتذته ماذا يروون عنه ، والاهتمام بتربيته البدنية ، وعطفه على الفقراء »(٢٩) ، وكذلك سرعة خاطره ، واعتزازه بمصريته ، كما رحبت (المقطم) بفاروق بمقالة افتتاحية تحت عنوان « أهلا وسهلا بالقادم الكريم الى وطنه وقومه وبيته »(٣٠) .

وقالت « ان أعظم ما يبعث الناس على التفاؤل خيرا بعصر الحكم الجديد انه يستهل باعادة نظام الحكم البرلمانى على قاعدة انتخاب حر ومقترنا بائتلاف أرواح الزعماء والأقطاب »(٣١) . وكان الوفد قد حقق الفوز بالأغلبية فى الانتخابات الأخيرة ، وقالت

(المقطم) أنه ليس فى أجواء السياسة البريطانية ما يدل على موقف متحفظ بازاء الوفد ، فقد « كان الانجليز فيما مضى يعزون الى الوفد التطرف وسواه من الأمور التى كانوا يتوسلون بها لمقاومته ، أما اليوم فالظاهر ان هذه الفكرة توارت أو زالت »(٣٢) .

وقد تألف مجلس الوصاية من الأمير محمد على وشـــــريف صـــــبرى باشا وعزيز عزت باشا ، وتقدمت وزارة على ماهر باستقالتها الى مجلس الوصاية ، وتم تشـــــكيل وزارة النحاس الجديدة ، وتحدثت (المقطم) عن الابتهاج العام فى البلاد لتأليفها ، وأشارت لما تضمنه برنامجها الوزارى من السعى لاتمام الاتفاق بين مصر وبريطانيا بما يحقق الاستقلال ، واشادت بما ورد فى كتاب رئيسها الى مجلس الوصاية ، حيث « أحسن الاحسان كله بتقديمه بالذكر قضية التفاهم مع بريطانيا على سواها من القضايا الداخلية فانها علاوة على ما لها من الأهمية من حيث ان النجاح فيها وسيلة محققة لاستيفاء استقلال مصر وتحقيقه فان التنويه بها بهذه الكيفية سيكون له وقع حسن جدا فى الدوائر البريطانية الرسمية وغير الرسمية لما فيه من دلالة على حسن النية فى الجانب المصرى»(٣٣).

وكتب كريم ثابت عن النحاس الانســـــان ، تقواه وأمانته وطموحه وشوقه الى العلم(٣٤) وعن قوة خلقه ونزاهة القاضى فيه وكيف كان سعد باشا يسميه « سيد الناس »(٣٥) . ونشرت (المقطم) وقائع افتتاح البرلمان ، وقالت ان العمل البرلمانى يبدأ هذه المرة وأمام البلاد مهمة تحديد علاقاتها بالامبراطورية البريطانية لما « يكفل لمصر الجمع بين تحقيق امانيها القومية والانتفاع بتعاون هى مدعوة اليه »(٣٦) .

* * *

أستئناف المفاوضات :

وعادت الصحيفة لمناقشة الموضوعات المثارة فى المفاوضات ، ومنها المسائل الدفاعية ، فتقول : « ان كل اتفاق يجب أن يكون لمصلحة الفريقين فالدفاع المنشود ليس عن مصر وحدها ولكنه فى المقام الأول عن مصالح الامبراطورية البريطانية فى موقع مصر الجغرافى »(٣٧) . وقد سافر المندوب السامى الى لندن لاستشارة حكومته ، فقالت (المقطم) : « ان الأبصار متجهة اليوم الى لندن لأن القاهرة أخرجت ماعندها واعربت عن رايها بتمام الوضوح والصراحة»(٣٨) . ودعت اقطاب بريطانيا الى «عدم اقحام عناصر جديدة فى المفاوضات والابتعاد عن المساومة »(٣٩) . واعربت عن تفاؤلها لاستئناف المفاوضات بعد عودة لامبسون(٤٠) . وحبذت جعل ميناء الاسكندرية مستعدا لاستقبال الاسطول البريطانى فى اى وقت بدلا من جعله قاعدة بحرية دائمة لبريطانيا(٤١) . وقالت ان « من حسن الحظ ان جميع الدلائل تدل على ان الاتجاه ما برح الى الوفاق وأن هذه الرغبة ما فتئت اهم ما يدفع الجانبين فى طريق العمل المشترك »(٤٢) . فقد « حانت الفرصة وحسنت الظروف واتيح من أسباب النجاح ما لم يتح حتى اليوم وما قد لا يتاح فى زمان آخر باعتراف الصحف الانجليزية المعتدلة »(٤٣) ، فان الجو الدولى الذى أحاط بالمفاوضات كان يدفع الطرفين جميعا الى الحرص على النجاح ، فقد كانت انجلترا تقدر أن طمانينتها الى سلامة جيوشها فى مصر ، لا تكون تامة اذا بقيت روح الشعب المصرى عدائية لبريطانيا . وقد كانت مصر تقدر انها معرضة ، بحكم مركزها الجغرافى ، لتشترك من قريب او من بعيد فى كل نزاع مسلح بين دول أوروبا(٤٤) .

وناقشت (المقطم) موضوع ربط المعاهدة بفترة زمنية محددة، فقالت ان دوام العقد فى طول المدة المعنية لا يتوقف على المادة المختصة بذلك فى صلب العقد بل على ما يجنيه المتماقدان من منافع تنشأ من تعاقدهما وتحالفهما(٤٥) ، « فالرابطة الكبرى التى تكفل للمعاهدة الاستمرار هى ائتلاف المصالح وشعور كل من الجانبين بالنفع الذى يجنيه من معونة الجانب الآخر وتأصـــل الثقة فى النفوس »(٤٦) . واشـــارت لرسالة أحمد عبود باشا المعروف « بصداقته لبريطانيا وكثرة علاقاته بالبريطانيين » الى (التايمز) يحذر فيها المسئولين الانجليز من فشل المحادثات(٤٧) .

وتحدثت (المقطم) عن مشكلة الســـــودان باعتبارها من الموضوعات الأساسية فى المفاوضات ، فقالت انها مسألة دقيقة « ولكنها ليست بالضرورة عويصة ولاسيما اذا ووجهت من الجانب البريطانى بغير الروح الذى قوبلت به فى سنة ١٩٢٠ »(٤٨) ، فمصر « لا ترى فى السودان مستعمرة ، وتأبى ان تعد السودان مغلوبا فى الحرب بل تبغى ان توثق صلتها به باعتبار انه قطر شقيق أو توأم »(٤٩) . واشادت بالفريقين المتفاوضين « على ما ابديا من براعة وسداد رأى ورغبة فى الاتفاق القائم على التعاون »(٥٠) ، وخصصت عددا من مقالاتها الافتتاحية لمناقشة موضوع الامتيازات الأجنبية مبينة ان هذه العقدة يجب ان تحل بالالغاء التدريجى لما يستتبعه من تعديل فى النظام القضائى فى مصر(٥١) .

وقد اختتمت المرحلة التمهيدية للمفاوضات فى الاســـكندرية وسافر الوفد الرسمى المصرى الى لندن لتوقيع المعاهدة ، فتقول (المقطم) ، ان وفد مصر « يبحر اليوم مؤيدا من الأمة كلها » ولا « يسع منصفا الا أن يعترف بأن ما تم الاتفاق عليه خطوة كبيرة بل خطوات فى الطريق الذى صممت مصر على سلوكه » . واشادت

بلامبسون « بما أبدى من صراحة وصدق عزيمة وبراعة فى اقناع دولته بصحة ما ذهب اليه من صدق العاطفة وبعد النظر ورغبة صحيحة فى اكتساب قلب مصر وصداقتها »(٥٢) . وهذا الوفد « الذى يوشك ان يصل بسلامة الله الى عاصمة بريطانيا العظمى يختلف عن جميع الوفود التى سبقته فى انه اول وفد يمثل الأمة المصرية كلها .. وهذه صفة تكسبه مقاما خاصا فى نظر الحكومة البريطانية »(٥٣) .

وقالت (المقطم) ، ان هذه المعاهدة جاءت « امتحانا لعبقرية مصر الناهضة ، كما ان فيها دليلا على فعل اتحاد الكلمة فى خدمة قضية الوطن »(٥٤) .

وقد احتلت اخبار توقيع المعاهدة فى لندن (مانشيتات) الصحيفة(٥٥) التى تحدثت عن « فرح الشعب وسروره بعقد المعاهدة المصرية الانجليزية » . وقالت « ان حفلة الامضاء أمس كانت المرحلة الختامية فى هذا الجهد الذى ما برح يبذل فى خلال ستة عشر عاما لوضع علاقات مصر وبريطانيا على قواعد يرضى عنها الفريقان أو السواد الأعظم من كل منهما »(٥٦) .

وفى الواقع ، فان هذه المعاهدة لم يكن ممكنا التوصل لابرامها فى ظل الموقف الدولى المضطرب ، لو لم تتضح لكل من مصر وبريطانيا الأهمية القصوى لمواجهة الصعوبات التى تعترضها ، وخصوصا اخطار الحرب المحتملة التى دفعت الطرفين للتغلب على العقبات التى وقفت فى طريق المعاهدة(٥٧) .

تقويم المعاهدة :

حظيت المعاهدة بمناقشة مستفيضة على صفحات (المقطم) ، لكل ما اشتملت عليه من موضوعات بالاضافة الى تاثيراتها المستقبلية

على مختلف جوانب الحياة السياسية والاجتماعية فى مصر ، وقسمت موضوعات المعاهدة الى قسمين أو ركنين (الركن العسكرى والركن المدنى) . وقالت ان الركن العسكرى هو « الذى علقت عليه الحكومة البريطانية اشد اهتمامها وجعلته الشرط الأول والأكبر للبحث والحديث والمعاهدة ، وهو الذى سيشتد فيه الخلاف بين المناظرين والمفسرين فى مدى ما يفرض على مصر به ، وما له من تأثير فى سيادتها وكيانها كدولة مستقلة وما يكفل لها من سلامة والواقع أن الفصل فى هذه الأمور لا يتاح الا بالامتحان ، وهو ما نسأل الله الا يقع وأن يبعد شبح الحرب » أما الركن المدنى « فهو ما تفرضه المعاهدة الجديدة بعد ابرامها فى البرلمانين من اعباء وتبعات ما برحت مصر تبتغيها وتتبرم لحرمانها منها » موضحة أن « ادراك المراد بالمعاهدة أى تسيير مصر فى طريق الفلاح بسرعة تفوق السرعة الحاضرة بتذليل العقبات وازالة الصعوبات يتوقف على مدى الحرص على الدستور بأصح معانيه وتطبيق روحه على اعمال الدولة ومقتضيات الاصلاح وحرص الحكومة »(٥٨) .

واكدت على أن زيادة التبعات التى تفرضها على الحكومة المصرية « تقضى بتعزيز الحياة الدستورية وتأييد نظام الحكم البرلمانى حتى تحسن البلاد الاضطلاع بهذه الالتزامات الجديدة سواء كانت فى الشئون العسكرية أو فى الشئون المدنية مما يترتب على نزع الامتيازات الأجنبية وتسليم زمام السيادة فى البلاد لأصحابه طبقا لما هو مرعى فى سائر البلاد المتمدنة »(٥٩) .

أما فى مناقشتها لموضوع (المعاهدة والسودان) فقد أوضحت أن المعاهدة قد نصت « فى الباب الخاص بالسودان على ما نظن أن فيه جمعا لحقوق مصر وما يجب أن يكون حقوقا

للسودان فيما يدخل فى نطاق التوظيف وفتحت باب الهجرة المصرية الى السودان وهذه الهجرة اذا وقعت فى المستقبل القريب أو البعيد ستكون مصدر ربح لمصر والسودان معا »(٦٠) .

وفى توضيحها لما يترتب على المعاهدة من نتائج ، كانت (المقطم) مؤيدة بشكل صريح واضح للمعاهدة وكل ما اشتملت عليه من بنود ، ولم يبد منها كلمة انتقاد واحدة ، علما بأنها كانت تشير احيانا لوجود من يعترضون على بعض نصوص المعاهدة ، فقد اجرت حديثا مع (الأمير عمر طوسون) قال فيه « ان هذه المعاهدة لا تخلو مما ينتقد ولا يمكن أن تخلو من ذلك خصوصا فى النقط العسكرية ومسألة السودان »(٦١) .

وقد انتقد الرافعى بعنف هذه النقط العسكرية ، وقال ان الجانب المصرى قد قبل فى سنة ١٩٣٦ ، بالنسبة للشروط العسكرية وابدية المحالفة نصوصا اسوأ مما ارتضاه الطرفان فى مشروع سنة ١٩٣٠ ، هذا الى جانب ما بذله من المغالطة والتمويه فى الترويج لها ، وتضليل الشعب فى شأنها ، اذ قال عنها النحاس انها وثيقة الشرف والاستقلال ، فى حين أن لا شرف فيها ولا استقلال(٦٢) .

اما الدكتور احمد عبد الرحيم مصطفى فيقول ان هذه المعاهدة كانت وليدة اصطناع القوة اذ أن انجلترا ، بسبب وجود قواتها العسكرية فى الشرق الأوسط ، كانت قادرة على الاستمرار فى احتلال مصر والسودان رغم انف المصريين ، وعلى ان تدافع عن مصر سواء اشتركت مصر فى هذا الدفاع ام لم تشترك ، وكانت انجلترا على يقين من أن باستطاعتها ان تقوم

بذلك ، وكان المصريون يعلمون ذلك ويدركون حقيقة الموقف الدولى فى شـــرقى البحر المتوســـط ، ولهذا تنازلوا عن نصـــف مطالب مصر فى سبيل الحصول على النصف الآخر(٦٣) .

وكان التنازل متمثلا بصفة اساسية فى الناحية العسكرية ، وقد اعرب محمود سليمان غنام قطب الوفد ، عن أمله ، فى ذلك الوقت ، بأن بريطانيا لا « تقلب قواتها المرابطة بجوار قناة السويس الى غير الغرض الذى من اجله اتفق على وضـــعها هناك ، أو أن تأخذ من وجودها ووجود التحالف ذريعة للتدخل بأى نوع كان من أنواع التدخل فى شئون البلاد الداخلية أو الخارجية »(٦٤) .

ولكن ابرز المكاسب التى تحققت فى المعاهدة بالنسبة لمصر تمثلت فى الغاء الامتيازات الأجنبية . وكانت الامتيازات أحـــد الأسباب الأساسية وراء حرص المصريين على التوصـــل لعقد المعاهدة مع بريطانيا ، فقد أدركوا انه بدون مساعدة الانجليز ، فان الالغاء الفورى لهذه الامتيازات ، يعتبر أمرا غير ممكن(٦٥) .

وقد أصبحت مصر ، بمقتضى أحكام المعاهدة ، وحدها صاحبة الشأن فى مخاطبة الدول والاتفاق معها فى كل ما يتعلق بمسألة الامتيازات(٦٦) .

وتقول (المقطم) ، انه « مهما يقل عما ينويه بعض المشتغلين بالسياسة عندنا وفى انجلترا من معارضـــة المعاهدة عندما تعرض على برلمان مصر وبرلمان بريطانيا لابرامها فيهما فالمحقق أن المعاهدة ســـتبرم وان هذه المعارضـــة لا تحول دون الابرام »(٦٧) ، وقالت : « ولقد سمعنا بعض المتكلمين يعترض على المعاهدة بحجة أنها منحت بريطانيا كل ما تشتهى لقضاء وطرها بالتعيين والتخصيص اما ما ترومه مصر فلم يكن هذا نصيبه ولا يزال فى عالم المستقبل

والانتظار ، وهذه مبالغة لا تخفى ، فان المعاهدة نصت نصا صريحا على ما تخلت بريطانيا عنه ، وهى التى ما برحت مصر تطالب به ، فبعد ابرام المعاهدة لا يحق للدولة البريطانية أن تتعرض لباب من شئون مصر الداخلية ، وفى جميع الأبواب وفى جميع الأشكال ، ولا يجوز لحكومة مصرية ان تسمح بتدخل من هذا القبيل »(٦٨) .

ووصفت يوم استقبال الشعب المصرى للوفد الرسمى الذى شارك بتوقيع المعاهدة ، بأنه « يوم سعيد من ايام مصر المشهودة تخرج فيه البلاد كما كانت تخرج فى عهد سعد العظيم للقاء نفر من أبنائها والترحيب بهم .. وتضفر لهم اكاليل من الحمد والثناء وتتلو عليهم قصائد من المدح والتهنئة .. ولطالما تاقت مصر الى يوم كهذا يأتيها فيه بنوها من لندن ، حاملين ما يرون أنه جدير بنهضتها ومطابق لرغبتها ومحقق لأمانيها »(٦٩) . وقالت بمناسبة قرب انعقاد البرلمان للنظر فى المعاهدة ان « الكيفية التى تكمل بها المعاهدة والاسلوب الذى تطبق به أهم فى الواقع مما قد يظن أنه نقص فى نصوص المعاهدة خصوصا فى الجزء العسكرى منها ، وهو الجزء الذى لا يستطاع الجزم فى امره بالضبط قبل التطبيق لاعتبارات شتى »(٧٠) .

واشادت عند بدء المناقشة ، بأهمية الجهد الذى بذله المفاوضون المصريون « لنيل اقصى ما يستطاع » . وتوقعت ابرام المعاهدة بكثرة كبيرة تدل على حقيقة الاتجاه الحقيقى فى البلاد(٧١) . ونوهت بعدم النظر الى المعاهدة بمنظار حزبى ، واعتبرت ذلك ظاهرة « جديرة بالارتياح لأنها متممة للروح الذى أوحى بتأليف الجبهة الوطنية »(٧٢) .

وتحدثت عن قرار الحكومة المصرية باستقبال (لامبسون) لدى عودته من لندن استقبالا رسميا بقولها ان الغرض من استقباله

بهذه الكيفية الاعراب له ولقومه عما تكنه مصر لشخصه من المودة والاعتراف بالفضل فى خدمة قضية السلام والوفاق وما تضمر للدولة والامة التى يمثلها والتى ستكون بعد ايام حليفة لمصر(٧٣) . ونشرت تفاصيل هذا الاستقبال . وقالت ان المصريين استقبلوا (لامبسون) كصديق ، خبروا صداقته وشهدوا آيات هذه الصداقة ، وما اتصفت به من جهود صحيحة لتكون صداقة منتجة تجاوز حدود المجاملات والكلام الطيب الى الفعال(٧٤) .

واشارت الى بيان وزير الخارجية عن المعاهدة وتأكيده على دورها فى تعزيز مركز مصر الدولى « ومن وجهته القانونية والعملية وبها يصبح استقلالها حقيقة تمكن مصر من أن تتقدم فى ثبات وحكمة الى مستقبلها الجديد »(٧٥) . وقالت ان سعى بريطانيا للتحالف مع مصر ، جاء دليلا على بعد نظر بريطانيا التى « أدركت فى آخر الأمر أن مصر الحليفة الصادقة القوية خير من مصر العاصية الناقمة المغلوبة على أمرها »(٦٧) .

واوضحت ان التدقيق الذى ابداه مجلس النواب فى مناقشة المعاهدة ، دل على مدى تقدير المتكلمين لخطورة هذه الأداة السياسية والعسكرية(٧٧) . وبعد موافقة مجلس الشيوخ عليها ، قالت : « لقد قضت مصر ثمانية عشر عاما تطالب بهذا الذى اصابته الآن ، فان لم تبلغ الذى طلبه الجميع فهذا المستوى سيدرك قريبا ، وستكون المعاهدة من خير الوسائل لادراكه بما رغمت عن مصر من قيود ، وما انفسحت لها من حرية وما القت عليها من تبعات»(٧٨) . ونوهت بما جاء فى خطاب العرش بخصوص المعاهدة « وما أحدثت من تغيير فى موقف مصر الداخلى ومقامها الدولى ، وهو ما استهل الخطاب بوصفه وبيانه تقديرا لما له من الأهمية والشأن »(٧٩) .

وكان الاحتفال بتبادل وثائق التصديق على المعاهدة « المرحلة الأخيرة من مراحل اعظم حادث فى تاريخ مصر الحديث »(٨٠) .

وهنات (المقطم) النحاس باشا بلقب « صاحب المقام الرفيع » الذى اسبغه عليه مجلس الوصاية على العرش ، وقالت ان النحاس رجل موفق دائما « وربما كان ابهى مظاهر التوفيق هذه المنزلة التى للرجل فى قلوب الناس ، وهم يجدون فيه مصريا عاملا مخلصا شديد اليقين بما يعتقد ولا نخطىء اذا قلنا أن هذا الخلق كان من اعظم اسباب نجاحه ، ولاسيما اذا ذكرنا انه مقترن فيه برقة ديموقراطية صحيحة »(٨١) .

اما الدكتور فارس نمر احد اصحاب (المقطم) والمشرف على سياستها ، فقد حصل من الملك فاروق على رتبة الباشوية ، فى هذا الوقت الذى كانت فيه العلاقات المصرية البريطانية فى أوج انتعاشها ، وذلك « لما عهد فيكم من كريم السجايا وحميد المناقب ، وما أديتم من جليل الأعمال » ، كما جاء فى حيثيات براءة الباشوية(٨٢) .

وعلقت (المقطم) على تقديم السفير البريطانى (لامبسون) لأوراق اعتماده بقولها : « لقد بدأ عصر جديد فى مصر له دلالته وقدره » فهذا الاجراء « أمر يستوقف النظر لما فيه من دلالة ، ويشبه من عدة وجوه ما صنعته الدولة البريطانية فى المدة الوجيزة التى أعقبت ابرام المعاهدة فى البرلمانين والتصديق عليها من الملكين كازالة الحرس العسكرى من دار السفارة بعدما ظل مدة طويلة رمزا الى ما تنطوى عليه لما كانت دارا للمندوب السامى ، غير ان الذى هو ابلغ من هذا فى النفوس ، ما يصدر عن مصر حكومة وشعبا للدلالة على ما جد فيها من أمور وشئون بعد ابرام

المعاهدة »(٨٣) . وكانت مناسبة الزيارة التى قام بها السيد مايلز لامبسون وقرينته الى السيدة أم المصريين فى بيت الأمة « حادثا جديدا فذا » بصفته « أول زيارة ودية يزورها ممثل بريطانيا العظمى فى مصر لبيت الثورة المصرية على الاحتلال البريطانى »(٨٤) .

واعتبرت (المقطم) هذه المبادرة من بين الانتصارات التى حققتها سياسة التفاهم والتعاون مع الانجليز ، ودلت « على صحة ما اقترحه بعيدو النظر من امكان اتفاق هاتين الأمتين وتعاونهما ، وعلى أن ما عقد بينهما على الورق عقد مثله فى القلوب »(٨٥) . ولم يكن (بعيدو النظر) هؤلاء الا أصدقاء الانجليز من المصريين الذين تعبر (المقطم) عنهم فى الترحيب بفتح هذه الصفحة الجديدة من العلاقات المصرية البريطانية بالمعاهدة التى كانت « النهاية الطبيعية لثورة ١٩١٩ ، فقد أختتمت صفحة من العداء الشديد بين مصر وبريطانيا وفتحت صفحة جديدة من التحالف بين البلدين »(٨٦) .



هوامش الفصل الثانى

(١) المقطم ١٤ ديسمبر ١٩٣٥ .
(٢) المقطم ١٥ ديسمبر ١٩٣٥ .
(٣) المقطم ١٨ ديسمبر ١٩٣٥ .
(٤) المقطم ١ يناير ١٩٣٥ .
(٥) المقطم ٢ يناير ١٩٣٦ .
(٦) المقطم ٣ يناير ١٩٣٦ .
(٧) المقطم ٧ يناير ١٩٣٦ .
(٨) المقطم ١١ يناير ١٩٣٦ .
(٩) المقطم ١٧ يناير ١٩٣٦ .
(١٠) المقطم ٢١ يناير ١٩٣٦ .
(١١) المقطم ٢٣ يناير ١٩٣٦ .
(١٢) المقطم ٢٥ يناير ١٩٣٦ .
(١٣) ضياء الدين الريس ، الدستور والاستقلال ، ج ٢ ، ص ١٨٢ ، ١٨٥ .
(١٤) المقطم ١ فبراير ١٩٣٦ .
(١٥) المقطم ٢ فبراير ١٩٣٦ .
(١٦) المقطم ٤ فبراير ١٩٣٦ .
(١٧) المقطم ٧ فبراير ١٩٣٦ .

(١٨) المقطم ١٧ فبراير ١٩٣٦ .
(١٩) المقطم ٢ مارس ١٩٣٦ .
(٢٠) المقطم ٣ مارس ١٩٣٦ .
(٢١) المقطم ٦ مارس ١٩٣٦ .
(٢٢) المقطم ١٧ مارس ١٩٣٦ .
(٢٣) المقطم ٢٢ مارس ١٩٣٦ .
(٢٤) المقطم ٦ ابريل ١٩٣٦ .
(٢٥) المقطم ٢٨ ابريل ١٩٣٦ .
(٢٦) المقطم ٢٩ ابريل ١٩٣٦ .
(٢٧) المقطم ٣٠ ابريل ١٩٣٦ .
(٢٨) المقطم ٢ مايو ١٩٣٦ .
(٢٩) المقطم ٥ مايو ١٩٣٦ .
(٣٠) المقطم ٦ مايو ١٩٣٦ .
(٣١) المقطم ٨ مايو ١٩٣٦ .
(٣٣) المقطم ١١ مايو ١٩٣٦ .
(٣٢) المقطم ٤ مايو ١٩٣٦ .
(٣٤) المقطم ١١ مايو ١٠٣٦ .
(٣٥) المقطم ١٢ مايو ١٩٣٦ .
(٣٦) المقطم ٢٣ مايو ١٩٣٦ .
(٣٧) المقطم ٣١ مايو ١٩٣٦ .
(٣٨) المقطم ٣ يونيو ١٩٣٦ .
(٣٩) المقطم ٢٤ يونيو ١٩٣٦ .
(٤٠) المقطم ٣٠ يونيو ١٩٣٦ .
(٤١) المقطم ٣ يونيو ١٩٣٦ .
(٤٢) المقطم ٩ يوليو ١٩٣٦ .
(٤٣) المقطم ١٣ يوليو ١٩٣٦ .
(٤٤) محمد حسين هيكل ، مذكرات فى السـياسة المصرية ، جـ ١ ، ص ٥١٣ ، ٥١٤ .
(٤٥) المقطم ١٦ يوليو ١٩٣٦ .
(٤٦) المقطم ١٨ يوليو ١٩٣٦ .

(٤٧) المقطم ٢٠ يوليو ١٩٣٦ .
(٤٨) المقطم ٢٧ يوليو ١٩٣٦ .
(٤٩) المقطم ٢٨ يوليو ١٩٣٦ .
(٥٠) المقطم ٣ أغسطس ١٩٣٦ .
(٥١) المقطم ١١ أغسطس ١٩٣٦ .
(٥٢) المقطم ١٧ أغسطس ١٩٣٦ .
(٥٣) المقطم ٢١ أغسطس ١٩٣٦ .
(٥٤) المقطم ٢٤ أغسطس ١٩٣٦ .
(٥٥) المقطم ٢٦ أغسطس ١٩٣٦ .
(٥٦) المقطم ٢٧ أغسطس ١٩٣٦ .
(٥٧) Little, Tom : Egypt, London, 1958, P. 149.
(٥٨) المقطم ٢١ أغسطس ١٩٣٦ .
(٥٩) المقطم ١ سبتمبر ١٩٣٦ .
(٦٠) المقطم ٣ سبتمبر ١٩٣٦ .
(٦١) المقطم ١١ سبتمبر ١٩٣٦ .
(٦٢) عبد الرحمن الرافعى ، فى أعقاب الثورة المصرية ، جـ ٣ ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٥١ ، ص ٣٦ .
(٦٣) احمد عبد الرحيم مصطفى ، تاريخ مصر السياسى من الاحتلال الى المعاهدة ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٧ ، ص ٢٠١ .
(٦٤) محمود سليمان غنام ، المعاهدة المصرية الانجليزية ودراستها من الوجهة العملية ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٣٦ ، ص ٤٥ .
(٦٥) Zayid, Egypt's Struggle For Independence, Op. Cit., P. 179.
(٦٦) محمود سليمان غنام ، المعاهدة المصرية الانجليزية ، ص ٣٠٥ .
(٦٧) المقطم ١٢ سبتمبر ١٩٣٦ .
(٦٨) المقطم ٩ أكتوبر ١٩٣٦ .
(٦٩) المقطم ١٣ أكتوبر ١٩٣٦ .
(٧٠) المقطم ٢٧ أكتوبر ١٩٣٦ .
(٧١) المقطم ٢ نوفمبر ١٩٣٦ .
(٧٢) المقطم ٣ نوفمبر ١٩٣٦ .

(٧٣) المقطم ٤ نوفمبر ١٩٣٩ .
(٧٤) المقطم ٦ نوفمبر ١٩٣٦ .
(٧٥) المقطم ١٢ نوفمبر ١٩٣٦ .
(٧٦) المقطم ١٤ نوفمبر ١٩٣٦ .
(٧٧) المقطم ١٥ نوفمبر ١٩٣٦ .
(٧٨) المقطم ١٩ نوفمبر ١٩٣٦ .
(٧٩) المقطم ٢٢ نوفمبر ١٩٣٦ .
(٨٠) المقطم ٢٢ ديسمبر ١٩٣٦ .
(٨١) المقطم ٢ يناير ١٩٣٧ .
(٨٢) المقطم ٢٤ ديسمبر ١٩٣٦ .
(٨٣) المقطم ١٢ يناير ١٩٣٧ .
(٨٤) المقطم ١٤ مايو ١٩٣٧ .
(٨٥) المقطم ١٥ مايو ١٩٣٧ .
(٨٦) عبد العظيم رمضان ، تطور الحركة الوطنية فى مصر ١٨ ــ ١٩٣٦ ، ص ٨٠٢ .

الفصل الثالث

المقطم والصراع بين الوفد والقصر

انهيـــار الجبهـــة الوطنيـــة :

شاركت (المقطم) فى الجدال الذى دار حول مستقبل الأحزاب السياسية بعد المعاهدة واعتبرته موضوعا جديرا «بالبحث والتفكير» وكانت هذه الفكرة قد نشأت فى معسكر أحزاب الأقلية ، فى شكل قضية طرحها زعماؤها فى ذلك الحين ، قصدوا بها تأمين مستقبل أحزابهم ، وهى من الذى سيقوم بتنفيذ المعاهدة ؟ هل ينفذها الوفد وحده ، أو تنفذها الجبهة الوطنية ؟ . وقد استطاعوا ان يجذبوا اهتمام السلطات الانجليزية التى اقترحت ادخال زعماء الأقلية فى الوزارة الوفدية او اشتراكهم فى لجنة رسمية تتولى الاشراف العملى على تنفيذ المعاهدة ، وقد رفض الوفد هذين الاقتراحين . على هذا الأساس نشأت فكرة حل الأحزاب السياسية واعادة تكوينها ، وكان الأساس الثانى ما أخذت تطلقه أحزاب الأقلية فى اثناء المفاوضات وبعدها من أن مهمة الوفد تنتهى بابرام المعاهدة(١) .

وتقول (المقطم) ، انه اذا كان برنامج الوفد أصلا يتمثل « بالسعى الى الاستقلال » أينما وجد الى السعى سبيلا » فان مرحلة ما بعد المعاهدة تحتم تغييره الى « تنفيذ معاهدة الاستقلال » ولكنها اضافت ان برامج كل من الأحرار الدستوريين والشعب

والاتحاد ، لا تخرج عن هذا الاطار ابدا « لأن الذين الفوها كانوا من أعضاء الوفد » . فالمقطم هنا تتفق مع رفض الوفد لما دار فى معسكر احزاب الأقلية ، من دعوة لانتهاء مهمة الوفد ، ولكنها تبدى حرصها فى الوقت نفسه على تعيين مهام جديدة لأحزاب الأقلية . وتقول : « صحيح أن هذه الأحزاب ستكون منفردة او مجتمعة ، احزاب معارضـــــة للأكثرية ، ولكن هذه المعارضة لن يعنى بها مقاومة تنفيذ المعاهدة او مخالفة الحكومة فيما تنوى أن تصنع لاستغلال ما ربحت البلاد من مزايا بهذه المعاهدة ، بل انها ستكون غالبا فى صورة معاونة للحكومة فترشدها الى خير الوسائل للنهوض بمهمتها الشاقة »(٢) .

واعتبرت (المقطم) دعوة البعض الى حل الأحزاب فى غير محلها ، لأن هذا الحل « ليس فى مصلحة البلاد فنحن اليوم أحوج منا بالأمس الى وجود أحزاب تتنافس فى تحرى امثل الوســـائل لمعاونة الحكومة القائمة نظرا الى أن عبء ادارة البلاد اصبح ملقى كله على عاتق المصريين ولابد من اقامة البرهان على اننا اكفاء لحمله » (٣) . فهى تدعو لايجاد برامج متطورة لأحزاب الأقلية ، أما الوفد فان فكرة حله ، التى ترددت من قبل تلك الأقلية ، ليست موضع نقاش من الصحيفة التى حددت مهام الوفد بعد المعاهدة بمهمة تنفيذ الاستقلال .

ودعت (المقطم) الى تعديل برامج أحزاب المعارضة « فى القسم الخاص منها بطلب الاستقلال وفى الاقســــام الاخرى بما تقتضيه الحالة الجديدة » . وناقشت موضوع توحيد هذه الأحزاب فقالت انه يخشى « أن يفضى الى اضطراب يضعفها وينقص من مقدرتها على العمل القومى المطلوب منها » بحكم « أنها هيئات مكلفة بأن تضطلع بمهام معلومة »(٤) .

وردا على هذا الموقف من احزاب الاقلية ، بدا الوفد بتدعيم مركزه فى البلاد ، وبمنح النياشين لأعضائه ، الأمر الذى زاد فى غضب زعماء تلك الأحزاب ، وقد ازدادت المشكلة حدة عندما اعتذر زعماء أحزاب الاحرار الدستوريين والشعب والاتحاد عن حضور الاجتماع الذى دعا اليه النحاس باشا ، بصفته رئيس الجبهة الوطنية ، التى يشارك هؤلاء فى عضويتها ، وذلك لبحث موقف مصر فى مؤتمر الامتيازات فى (مونترو) فتقول (المقطم) ، ان كتاب الاعتذار كشف عن خلافات فى الرأى « على اجراءات فى داخل الجبهة » ، ولكن أعضاء الجبهة « متفقون طبعا على ما تبغى مصر وما تطلب فى مؤتمر مونترو » .

ودعت الصحيفة أعضاء الجبهة « أن يذيعوا على رؤوس الأشهاد ان خلافهم فى الراى على أمور معينة لا يمس عقيدتهم الوطنية القائمة على تحرير مصر من جميع القيود التى لا تتقيد بها الدول الأخرى »(٥) .

وتساءلت الصحيفة قائلة : « هل يقر اعضاء الجبهة على موقفهم الحاضر اذا علموا مثلا انه يؤول الى اضعاف حجة مندوبى مؤتمر مونترو ظنا من المدافعين عن نظام الامتيازات ان المصريين وأقطابهم وزعماءهم انقسموا فى الرأى ، وان هذا الانقسام موهن لهم ومضعف لقضيتهم ؟ »(٦) .

وأشارت الى المظاهرات الطلابية والاضرابات التى تشهدها بعض المدارس ، فاستنكرت أسلوب التظاهر ، واستبعدت أن يكون للحكومة يد فى اثارتها لأن « الحكومة بحاجة الى السكينة التامة والى الجو الصافى لتتمكن من الوفاء بكل هذه الالتزامات لنفسها ولحليفتها .. فلهذه الاعتبارات لا يستطيع المرء أن يسلم بأن جانبا من مظاهرات أمس ، دبره انصار الحكومة ، أو أنه يروق فى عيون

ولاة الأور ، او ينال رضاءهم به وارتياحهم اليه . ولكن الأمر المعقول هو أن الذين دبروا المظاهرات بحجة تأييد الحكومة والانتصار لها على معارضيها لم يعرفوا مغبة ما يصنعون »(٧) . وقد سجل هذا الوضع نهاية طبيعية وانهيارا حتميا للجبهة الوطنية التى عقدت بسعى الشباب المصرى لاعادة الدستور وعقد المعاهدة .

مؤتمر الامتيـــــازات الأجنبيـــــة :

وصفت (المقطم) بيان النحاس باشا الى الأمة حول مهمة الوفد الذى يراسه الى مؤتمر الامتيازات الأجنبية بأنه « من خير البيانات السياسية والقومية التى سمعناها فى هذه الأيام الأخيرة بما انطوى عليه من روح طيبة وعزيمة صادقة مشربة بحسن النية وصدق الرغبة فى التعاون والاعتماد على حكمة الأمة وحصافتها وتأييدها فى مرحلة من أدق مراحل القضية المصرية »(٨) . وقالت ان وفد مصر الرسمى يغادر باسم الأمة المصرية « ارض الوطن ليكمل بناء صرح استقلال هذا الوطن وينشىء علاقة جديدة بين هذه الدولة الفتية والأمة الناهضة من جهة ودول أوروبا وشعوبها من جهة أخرى تحل محل علاقة عتيقة تابى هذه الأمة أن تستمر ، وترى أنها لا تصلح لهذا العصـــر »(٩) . وتابعت مداولات المؤتمر طيلة انعقاده . وعند انتهاء أعماله بفوز مصر بالغاء نظام الامتيازات ، قالت (المقطم) ان مصر قد فازت « فوزا لا شك فيه بالغاء هذه الامتيازات والتخلص منها الى ابد الآبدين . ولها من هذا الأسبوع أن تعتبر نفسها محررة من نظام كان يحد من سيادتها ويغل يديها وينال من كرامتها »(١٠) .

ودعت (المقطم) أقطاب المعارضـــــة الى اجازة اتفاقات (مونترو) فى البرلمان ، لأن مصلحة البلاد تقضى بأن تكون المناقشات فى المسائل الخارجية « مسيرة بروح الرغبة فى التعاون على صون

المصلحة العامة وحقوق مصـــــر ودوافعها اكثر من اظهار الحكومة بمظهر المخطىء او المقصر . كما يحدث فى المناقشة فى الشئون الداخلية »(١١) .

وليس من شك فى ان هذا الانجاز قد منح (المقطم) فرصـــة الاستمرار فى الاشادة بالمعاهدة ونتائجها وبالهيئة السياسية القائمة على تنفيذ بنودها . وبعد هذه الخطوة مباشرة ، نالت مصر عضوية المنظمة الدولية (جامعة الأمم) ، تقول (المقطم) ان توقيع المعاهدة والغاء الامتيازات الأجنبية والانضمام لجامعة الأمم هى « اسعد ثلاث حوادث مرت بمصر فى خلال عام »(١٢) . واعربت عن ابتهاج الأمة فى يوم عودة رجال الوفد الرسمى من المؤتمر الذين ذهبوا « مجاهدين وعادوا اليوم سالمين غانمين حاملين هدية ثمينة طالما تمنت مصر ان تكون لها ، وجاءوا ببشائر طالما تاقت اليها نفوس المصريين ، ليتحفوهم بما اكمل جهادهم الطويل الشديد »(١٣) .

تتويج فاروق وازمة الحفلة الدينية :

كانت مناسبة تسلم الملك فاروق مهام سلطاته الدستورية ، مجال ازمة لها ابعاد خطيرة فى العلاقات بين الوفد والعرش ، حيث كان بعض المحيطين بالقصر ، ولا سيما الأمير محمد على ولى العهد واحد الأوصياء يريدون اقامة حفلة دينية كبرى تجرى فيها مراسم ولاية الحكم بينما اعترض النحاس باشا على ذلك ، وبنى اعتراضـــــه على ما تقضى به مواد الدستور المصرى من وجوب حلف الملك اليمين القانونية امام البرلمان . وقد وقفت (المقطم) الى جانب النحاس باشا فيما رآه من الاحتكام للدستور ، تقول (المقطم) : « اما الذى تقرر نهائيا حتى الآن فهو ما قضى به الدستور وهو ان يحلف الملك اليمين فى مجلسى البرلمان مجتمعين » ، ولكنها

اقترحت انتهاز « فرصة اجلاس الملك على العرش لاتحاف العاصمة والبلاد بحفلات ومهرجانات تعزز عرى الصلات بين العرش والشعب من جهة ، وتقيض لمصر علم الناس بها واقبالهم من اقطارهم على زيارتها »(١٤) .

وكان الملك فى هذه الاثناء يقوم بزيارة خاصة مع أفراد أسرته لبريطانيا ، فاشادت الصحيفة بحسن استقبال الانجليز له بما طبعوا عليه « من رقة الطباع وكرم الضيافة والعناية الصحيحة بضيوفهم » . وجاء استقبالهم للملك « من الامور التى تبعث على الاغتباط لانه مبنى على ماشهدوا من مظاهر مناقبه السامية وحسن استعداده لمهمته الخطيرة »(١٥) .

وقالت (المقطم) فى معرض حديثها عن نظام الاحتفال بالتتويج انه لا مجال لاحتفال دينى فى أحد الجوامع الكبيرة برئاسة شيخ الأزهر(١٦) وأن « من حسن الحظ أن دستور البلاد نص نصا صريحا على الجانب الرسمى من هذه الحفلات وهو الخاص بتنصيب الملك وتسلمه لزمام الأمر » وهذا يجعل « بعض الاقتراحات الأخرى » « مناقضا للدستور كالمبايعة وتقليد جلالة الملك فى غير حفلة البرلمان فهذه أمور غير منصوص عليها فى الدستور فالذى قاله الدستور لا يحتمل زيادة ولا تأويلا ولا نقصا »(١٧) .

ويروى التابعى فى ذكرياته « من اسرار الساسة والسياسة » انه ارسل برقية الى زميله محمود ابو الفتح فى (المصرى) يطلب منه الكف تماما عن الكتابة ضد الحفلة الدينية وانه فى حرج شديد ، وان (المصرى) لم تراع الوضع الذى هو فيه بوصفه الصحفى الوحيد المرافق للملك فى رحلته ، ويقول : « وتلقيت خطابا من ابو الفتح يعتذر فيه عن استمرار هذه الحملة ، ويقول انه لا شأن

لاه بها وانه عاجز عن وقفها ؛ وان القائم بالحملة فى (المصرى) والذى يكتب المقالات الخاصة بالحفلة الدينية هو شريكنا الثالث الأستاذ (كريم ثابت) ، وان كريم يتلقى تعليماته وتوجيهاته مباشرة من الأستاذ يوسف الجندى الوكيل البرلمانى لوزارة الداخلية ، وانه — اى محمود ابو الفتح — لا يمكنه ان يرفض نشر مقالات موعز بنشرها من وفدى كبير مثل يوسف الجندى الذى هو فى نفس الوقت وكيل وزارة ومفروض فيه أنه ينفذ تعليمات سياسة الوزارة العليا . وسكت ولم اطلع احدا على هذا الخطاب واستمرت الحملة !

واليوم أعجب وتعجبون معى لسخرية القدر ! كريم ثابت الذى اغضبت مقالاته فاروق فى عام ١٩٣٧ ، يختاره فاروق صديقا له فى عام ١٩٤٣ ، ثم يعينه مستشارا صحفيا له فى عام ١٩٤٦ »(١٨).

أما (أمين يوسف) فقد قال فى كتابه (مصر المستقلة) ان بعض أعضاء الوفد ارادوا ان يجعلوا من مسالة تتويج الملك عملية مساومة ، وتحدث عن دور قام به للوصول الى حل وسط ، واقتراحه تشكيل لجنة لهذا الفرض برئاسة الأمير عمر طوسون ، ولكن الامير اعتذر وكتب مقالا فى (المقطم) يقول فيه ان عملية التتويج تتعارض من اساسها مع تعاليم الاسلام ، وكان هذا مما اغضب الملك(١٩) .

وقد شاركت (المقطم) البلاد ابتهاجها بقرب وصول الملك ، حيث « يخفق قلب مصر فى هذه الأيام حبا واغتباطا ، وتتجه ابصار مصر الى البحر وهى تستعد لاستقبال ملكها الشاب المحبوب من جميع طبقات الامة »(٢٠) . وتحدثت عن استقباله وخروج « مصر للقاء القادم الكريم ، وملء أفواه أهلها الدعاء والترحيب وقد ازينت

ابهى زينتها »(٢١) . وقالت ان « فاروق الأول ملك ديموقراطى يرى مجده فى مشاركة شعبه مشاركة صحيحة ، فلا غرو اذا قال مكاتب (الديلى تلغراف) فى تلغراف نشرته له جريدته امس ان الملك الشاب صار معبود شعبه »(٢٢) .

واصدرت (المقطم) عددا خاصا بمناسبة احتفال البرلمان بتنصيب الملك تصدرت الصفحة الأولى فيه صـــورة كبيرة له ، بالاضافة الى عدد من القصائد وكلمات المديح ووصـــف احتفال البرلمان ، وابتهاج الشعب ، ووثائق الاخلاص والولاء(٢٣) . وكتبت تعلق بأسلوب ادبى على مظاهر الاحتفال التى تمت قائلة : « أرأيت هذه الجموع تتدفق على شوارع عاصمة مصر من ساكنيها وأهل سائر مدن القطر .. وقد وحد بينهم شعور واحد وجمعتهم عاطفة واحدة هى عاطفة حب الوطن فى حب شخص مليك البلاد ؟»(٢٤) .

وزارة النحاس الرابعـــة :

قدم النحاس باشا استقالة وزارته ، الى الملك ، واعاد تاليفها ثانية ، وقد خرج منها النقراشى باشا احد كبار الوفديين ، فأعربت (المقطم) عن أسفها لخروجه وحرمان البلاد من خدمته الصادقة(٢٥) . ولكنها قالت « ان اشد ما تحتاج مصر اليه او اشد ما يجب ان ننشده الآن هو سياسة الاستقرار » . ودعت الى اعطاء الوزارة الفرصة « لمواصلة العمل القومى » بدلا من تكريس جهودها لمواجهة « هذه المقاومة والاشاعات والاقوال التى تصدر عن تعمد أو من غير تفكير وترو فى عواقبها »(٢٦) . وكان خروج النقراشى بداية الانشقاق الكبير الذى شـــهده الوفد فى هذه المرحلة .

غير ان وزارة النحاس الجديدة ، شهدت أيضا مسلسلا من المشكلات مع السراى ، فقد رفض الملك رغبة النحاس بأن يشغل يوسف الجندى قطب الوفد البارز منصب وزير المعارف فى هذه الوزارة « بحجة ان نزاهة يوسف الجندى ابان وكالته البرلمانية لوزارة الداخلية لم تكن فوق الشبهات . وقد انتابت الدهشة النحاس باشا وكل الوفديين فقد كان الجندى ذا تاريخ مشهور فى الحركة الوطنية ، فهو الذى رفع علم الاستقلال فى مدينة زفتى فى عام ١٩١٩ ، وكان مشهودا له بالبراعة البرلمانية الممتازة فى المعارضة وفوق ذلك كان يشغل وظيفة الوكيل البرلمانى لوزارة الداخلية فى الوزارة المستقيلة » . ولكن النحاس باشا لم يكن فى وسعه « فى ذلك الوقت الا ان ينزل على اعتراض الملك ، لعدة أسباب مهمة : أولها ان الظروف الدقيقة التى كان يمر بها الوفد داخليا بعد استبعاد النقراشى وزملائه ، كانت غير ملائمة للاشتراك ، ثانيا ، ان موقف النحاس كان ضعيفا ، ففى ذلك الحين كان قد قدم استقالة وزارته الأولى الى الملك بمناسبة مباشرته سلطاته الدستورية ، وقبلت الاستقالة فعلا ، وكان اصراره على تعيين يوسف الجندى كفيلا بتحقيق هدف القصر فى الاطاحة به بأسهل السبل وبدون اقالة »(٢٧) .

وقد نفت (المقطم) ان تكون هناك ازمة بين الوزارة والقصر بسبب الجندى ، فيقول مندوبها : « ان النية لاتزال معقودة على ترشيح الأستاذ يوسف الجندى الى منصب فى الوزارة ولكن هذا لا يعنى وجود ازمة او شبه أزمة بين القصر والوزارة على ما تأكدت من مصادر مستقلة »(٢٨) . ودعت الى « اقفال باب الاشاعات الباطلة التى تحرك الخواطر وتحدث تبلبلا فى النفوس وتصرف الأذهان عن الشئون الجوهرية الى أمور عارضة»(٢٩) . وبعد انتهاء الأزمة بالشكل الذى سبق ذكره ، تابعت

(المقطم) أخبار الجندى باهتمام ، فتذكر خبر تشكيل لجنة لتكريم « حضرة صاحب السعادة الأستاذ الكبير يوسف أحمد الجندى الوكيل البرلمانى لوزارة الداخلية »(٣٠) . وقالت ان الأيام الأولى للوزارة النحاسية شهدت حركة قصدت تشويه سمعة « هذا الوطنى المخلص الغيور على مصلحة عمله ووطنه » ، ولكن تعيينه « وكيلا برلمانيا لوزارة الداخلية كان اجلاء للحقيقة الناصعة وضربة قاضية على ما أشاعوه واذاعوه »(٣١) .

انشـــــقاق الوفد :

أدى الخلاف حول مشروع توليد الكهرباء من خزان اسوان الى وقوع صدامات بين انصار النحاس وانصـــــار النقراشى ، التزمت (المقطم) ازاءها بالحياد فى أول الأمر ، ثم بدات تؤيد موقف النحاس بشكل غير مباشر ، فتقول أن من الممكن معالجة الخلاف القائم « بالأساليب الدستورية والطرق البرلمانية . وهذا هو الذى نتوقعه من حصافة بعض الذين تخلوا عن المنصـــــب الوزارى تمسكا منهم بمبادىء يعدونها صالحة او لازمة ، فانهم بهذا الانفصال يهيئون لانفسهم فرصا فى الدورة البرلمانية ، لان يؤدوا واجبا قوميا بالكيفية التى يختارونها »(٣٢) . وهى تقصد بذلك النقراشى وانصاره ، كما دعت (المقطم) الى عدم تجريح الاشخاص فى الحملات القائمة « وان يلجأ الناس الى حمى الدستور فى كل ما يرونه باعثا على النقد من اعمال الوزارة وتصرفاتها ، وان يكون المراد من المعارضـــــة معاونة الحكومة بارشادها الى خطأ يراد منها اصلاحه »(٣٣) . وجنحت (المقطم) الى الصراحة فى اتخاذها الجانب (النحاسى) الحكومى ، فقدمت اقتراحا لحصر نار الخلاف ، قالت فيه ان النقراشى باشا وغالب باشا قد بلغا كل مناصبهما عن طريق الزعامة الوفدية ، فمن واجبهما الآن الاستقالة

من هذه العضوية ، وتقديم برامجهما الى الناس لكى يدخلا البرلمان بناء على هذه السياسة الجديدة « فيدعوان الناس ليدخلوا فى مذهبهما فرادى او افواجا »(٣٤) . واستنكرت اتهام اعضاء الوزارة الحاضرة بافساد الحكم « واشاعة الخلل والاضطراب فى الادارة الحكومية تحقيقا لمآرب وسعيا وراء مغانم ، وخصوصا اذا كان هؤلاء الوزراء من الذين ذاقوا مرارة السجن والنفى والتشريد والاضطهاد فى اثناء نضالهم فى سبيل قضية البلاد »(٣٥) . وقالت ان « مصلحة الأمة الحقيقية فى ظروفها الحالية هى بقاء الوفد فى دست الوزارة الزمان الكافى لاظهار نتيجة حكمه وسياسته وخصوصا بعدما اثبت حسن بلائه فى السياسة الخارجية »(٣٦) .

واذا عرفنا ان محور السياسة الخارجية التى تتحدث (المقطم) عن بلاء الوفد فيها ، هو العلاقات المصرية البريطانية التى انتهت الى امضاء معاهدة الشرف والاستقلال ، تتضح لنا حقيقة الموقف الذى تقفه (المقطم) الى جانب الوزارة النحاسية الحاضرة ، فان من ابعاد الخلاف الذى باعد بين النحاس والنقراشى « الفهم المختلف لكل منهما لمعاهدة ١٩٣٦ ، النحاس باشا راى الالتزام بتنفيذها ، وأن هذا التنفيذ سيكون لصالح مصر ، خاصة بعد النجاح الذى احرزه بالمعونة البريطانية فى التخلص من الامتيازات الاجنبية ، فى المفاوضات التى جرت فى مونترو سنة ١٩٣٧ .

اما النقراشى فقد راى ان المعاهدة ليست الا خطوة للتخلص نيائيا من الوجود البريطانى ، مما بدا فى اطراد سياسته بالتخلص من أى انجليزى يعمل فى الحكومة المصرية ، وهى السياسة التى شكا السير لامبسون منها الى حكومته »(٣٧) .

وكان موضوع القمصان الزرقاء أحد الميادين التى اختارها النقراشى لمنازلة النحاس فيها ، وكان الاتهام الذى وجهه النقراشى للنحاس هو انه يستخدم هذه التشكيلات فى اضطهاد حرية الرأى بين الناس ، وارهاب الخصوم والأعداء وممارسة حكم اقرب الى الحكم الفاشى والنازى ، وفى الحقيقة أن فرق القمصان الزرقاء كانت أضعف نقطة فى دفاع حكومة الوفد واكبر مأخذ عليه ، حتى بين الكتاب المنصفين ، على اعتبار أن وجودها يعد منافيا للنظام الدستورى(٣٨) .

وكانت (المقطم) تتابع اخبار فرق القمصان الزرقاء والقمصان الخضراء (التى شكلها أحمد حسين) وما كان يجرى بينها من صدامات ، ولكنها لم تدل برأيها حول هذه الفرق ، الا بعد أن ارتفعت صيحات المعارضة بطلب حل فرق القمصان الزرقاء الوفدية، فطالبت بتنظيمها والعناية بها وتخليصها مما يشوبها ويشكل حجة عليها(٣٩) .

وجاءت مناسبة هجوم النقراشى على القمصان الزرقاء ، لتكون باعثا للمقطم للكتابة مرة أخرى حول هذه الفرق ، وقولها انه يؤلمها أن تكون « عاملا سياسيا تنصر الوفد على معارضيه » باستعمال القوة فى حين ان الوفد فى غنى عن هذا العامل بما له فى نفوس الأمة من منزلة .. وعليه فقد بات من مصلحة السلام فى البلاد ان يعاد النظر فى امر القمصان جمعاء زرقاء كانت أم خضراء ، حتى لا تكون هذه القمصان سببا فى زيادة الانقسام وتوليد أسباب الخصام بين أبناء الأمة أو بين قادتها ، فتنقلب بذلك نقمة على البلاد . ويرى كثيرون من المفكرين أن السبيل الى ذلك هو حل جميع هذه الفرق أو تحديد مهمتها تحديدا واضحا لا لبس فيه فتكون فرقا رياضية بحتة ، ولا تقحم نفسها فى الشئون

السياسية »(٤٠) . وربما تكون هذه الاقتراحات فى مواجهة القمصان الملونة ، غير بعيدة عن توجيهات السياسة البريطانية التى كانت تحرص وقتئذ على عدم الاخلال (بطبيعة التوازن) فى البلاد ، خصوصا بعد وصول الوفد الى السلطة ، فان « السلطة مضافا اليها السند الشعبى ، مضافا اليها تنظيم شبه عسكرى قد اخل على نحو واضح بطبيعة التوازن ، لاسيما اذا ما لوحظ انه على الطرف الآخر كان القصر مهيض الجناح بعد وفاة الملك فؤاد . وقد خلف وراءه صبيا صغيرا على العرش لا يتمكن من مناواة الوفد وهو خارج السلطة فما الحال وهو يمتلك ازمتها . ولم يكن أمام السياسة البريطانية والأمر كذلك ، الا ان تسعى الى قص أجنحة الوفد التى طالت اكثر من اللازم ، وهددت الاستقرار التقليدى للأوضاع السياسية فى البلاد . وكانت اهم هذه الأجنحة تنظيمات القمصان الزرقاء ، وسعيا وراء تحقيق ذلك الهدف من جانب دار المندوب السامى ، فقد قام صراع مرير حول هذه الجماعة شارك فيه القصر وانتهى اخيرا باخراج الوفد من السلطة وبمنع كل التنظيمات شبه العسكرية »(٤١) .

وقد تواصلت حلقات الصراع بين النقراشى والنحاس ، وانتهت الى قرار فصل النقراشى من الوفد . عندئذ طلبت المعارضة حل البرلمان والرجوع الى الأمة لاستفتائها فى الخلاف القائم لمعرفة ان كانت تؤيد النحاس أم تؤيد خصومه . فترد (المقطم) على هذا المطلب ، موضحة ان الوفد « على تمام اليقين انه لو جرت اليوم انتخابات برلمانية لما كان نصيبه غير الفوز التام والانتصار على طول الخط » . وقد جاء « طواف رئيس الحكومة وزعيم الأمة فى الأقاليم بمثابة رد مقنع على طلاب الاستفتاء ، فان ارادة الأمة تتجلى واضحة فى هذه الاستقبالات الفخمة الرائعة »(٤٢) . وبفصل النقراشى من الوفد ، وما اعقب ذلك من تمزق داخل الهيئة الوفدية يكون الوفد قد تعرض لأخطر انشقاق يمر به منذ نشأته .

الأزمة الدستورية بين الملك والنحاس :

ولكن الأمر لم ينته الى هذا الحد ، فقد شهدت هذه الفترة من حكم الوفد صراعا مريرا بينه وبين العرش ، مرت بنا بعض أسبابه ومظاهره ، واتخذ شكلا جديدا بعد ان جند على ماهر باشا كل قواه فى سبيله من اجل تحقيق احلامه فى محاربة الوفد وانفراد القصر بالسيطرة على البلاد بتدبير على ماهر وخططه ، لتمهيد الطريق لوصوله الى رئاسة الوزارة .

وقام على ماهر باظهار الوفد « فى مظهر المعتدى على حقوق الملك الشاب الصغير والمستهتر بابسط الواجبات نحوه . وذلك لايجاد فجوة فى العلاقات بين الوفد والشعب ، وكانت قوة الوفد تنبع من قدرته على تمثيل الشعب والتعبير عن رغباته وامانيه ، وهذا يفسر سلسلة المقالات التى نشرت فى جريدة (البلاغ)فى أعقاب حفلات التولية ، وفى ابان ارتفاع شعبية الملك الى قممها . فقد حمل عبد القادر حمزة باشا على النحاس باشا حملة شديدة لمخالفته قواعد السلوك فى حضرة الملك . وكان من الطبيعى أن يسارع الوفد الى افساد هذه الخطة بانكار التهمة اولا ، والتبارى مع صحف القصر والمعارضة فى اظهار ولائه للملك »(٤٣) .

وكانت (المقطم) حريصة من جانبها على تبديد الخلافات بين القصر والوزارة والتأكيد الدائم على عمق الولاء الذى تحتفظ به الوزارة النحاسية لصاحب العرش ، الذى دعت (المقطم) الى ان يظل بعيدا عن صراع الاحزاب لانه « فوق الأحزاب » ، كما قالت فى خلال مناقشتها للصحف التى تعمل على ايغار صدر الملك

على النحاس ، مدعية أن النحاس يحسد الملك على الحب الذى يلقاه من شعبه وانها « تدافع عن حقوق جلالة الملك ومزاياه ، من تعدى الدكتاتور النحاس عليها »(٤٤) .

وقالت (المقطم) انه « ليس أشد ولاء واخلاصا للمليك من النحاس باشا ، ولا أعرف منه بما عليه من واجبات تفرضها الأنظمة الدستورية والآداب العامة نحو رب التاج » ، كما ان « ميدان الحرب بين المعارضة والوزارة هو البرلمان واسلحة الحرب هى الأساليب الدستورية المنزهة عن الشخصيات والوشايات »(٤٥) .

وانتقدت (المقطم) صحيفة (البلاغ) لايهامها القراء « بأن الوزارة خصم للقصر وانها قاصدة الاعتداء على حقوق الملك وتعطيل سلطته ، وأن البلاغ هو المحامى عنه والمدافع عن حقوقه من اعتداء خصومه الذين يعارضهم البلاغ فى مقاصدهم وسياستهم »(٤٦) . وقالت ان اية مشكلة تنشأ بين القصر والوزارة لا تحل (بطريق الصحافة) وانما (بالطريقة الدستورية) وتتمثل بحصر « الخلاف بين الفريقين المختلفين دون سواهما ، وعرضه على لجنة المستشارين القضائيين الملكيين لتصدر حكمها فيها »(٤٧) .

واوضحت الصحيفة ان الحكومة لا تضيق بالمعارضة النزيهة « ولكنها تتبرم بالتحامل واختلاق التهم الباطلة وشن الغارات الظالمة على أعمال الحكومة ونسبة كل شر اليها »(٤٨) . فالمقطم هنا مع الوزارة ضد المعارضة ، ومع تحسين اجواء العلاقات بين الوفد والقصر ، برغم هجومها على أبواق القصر .

وقد أجمل الأستاذ محمد زكى عبد القادر الخلافات التى وقعت بين الفريقين ودارت حولها مسالة حقوق الأمة وحقوق العرش بين الوزارة النحاسية والقصر ، فقد رفضت السراى

التوقيع على مشروع قانون بفتح اعتماد اضافى طلبت الوزارة فتحه ، ووقع خلاف آخر بين الجهتين حول تعيين فخرى عبد النور عضوا فى مجلس الشيوخ ، بينما رشحت السراى عبد العزيز فهمى بدلا منه ، وطلبت السراى الغاء فرق القمصان الملونة ، كما طلبت أن يكون رأيها قاطعا فى تعيين موظفى السـراى واحالة الموظفين المعينين بمرسوم الى المعاش وأن يكون رأيها نهائيا ايضا فى منح الرتب والنياشين وفى تقديم مشـروعات القوانين الى البرلمان(٤٩) . فالملك فاروق ورجاله لم يكونوا ليسمحوا بأن تحقق زعامة الوفد آمالها بالغاء اى دور مؤثر للقصر فى السياسة المصرية ثم انه على الجانب الآخر فان الوفد لم يكن ليسمح لنفسه بالتفريط فيما ارتآه حقوقا دستورية للوزارة والبرلمان لحساب أوتوقراطية الملك(٥٠) . وازداد تصاعد الأزمة بتعيين على ماهر رئيسا للديوان الملكى بغير علم النحاس فتبدى (المقطم) استغرابها لهذه الطريقة فى التعيين « لاسيما أن رئيس الديوان العالى صلة الوصل بين القصر والحكومة » موضحة « ان جو سياستنا الداخلية لا يخلو من الاضطراب وأن مستقبله غير مأمون العواقب » ولكنها هنأت على ماهر « بهذا المنصب الذى هو خير من يتقلده وكنا نود لو تقلده والجو صاف وبحر السياسة المصرية هادىء » . ودعته الى أن يبذل « ما أوتى من حكمة وواسع خبرة فى تفريج هذه الأزمة»(٥١). ونشرت لأحد أقطاب الوفد تفسيرا لعدم هتاف الأغلبية بحياة الملك فى البرلمان بأن الأغلبية لا يمكن أن تقودها الأقلية التى بدأت الهتاف بلسان ابراهيم الدسوقى اباظة قطب الأحرار الدستوريين ، وأن هذا ليس معناه أن الحكومة والأمة ممثلة فى نوابها « لا يوالون المليك ولا يحفظون له فى قلوبهم اعمق الحب »(٥٢) .

وشهدت الجامعة المصرية مظاهرات قام بها خصوم الحكومة وأنصار المعارضة فطالبت (المقطم) بعدم الاهتمام بها والتهويل من

خطرها ، لأن الأمة بمجموعها بخير » وهذه ساكنة ترقب الأمور بنفس مطمئنة واثقة من أن الوزارة القائمة بالحكم قادرة على تسيير دفة سفينته بيد الحزم فى ظل جلالة الملك المحبوب »(٥٣) .

واستنكرت استخدام (احدى الصحف) وتقصد بها (البلاغ) لفظ الدكتاتور بالنسبة للنحاس موضحة انه (يجاهر فى أقواله دائما باحترامه للدستور وتقيده بقيود الدستور وخضوعه لأحكام الدستور »(٥٤) .

واعترضت (المقطم) على اتهام الحكومة باستعداء الانجليز على السراى فى أمر تعيين رئيس الديوان الملكى ، قائلة انه « اذا وجد وزراء كانوا فى ماضيهم السياسى كله تقريبا موضع اضطهاد الانجليز لهم تارة والسراى تارة أخرى ، فان وزراء الوزارة الحاضرة منهم بلا جدال ، فلا يمكن أن ينسب اليهم انهم يستعدون الانجليز على السراى بالمعنى الذى أريد بهذه العبارة أخيرا . نعم ان بينهم وبين السفارة الانجليزية علاقات حسنة ، ولكن هذا هو الواجب ان يكون فى عهد التحالف والصداقة ولا يجوز أن يكون شىء سواه »(٥٥) . ولعل ذلك يوضح أكثر ، مغزى التأييد المستمر الذى توليه الصحيفة للوزارة الحاضرة ، فتقول : « ان الذين يتهمون هذه الحكومة بالتقصير والمحاباة والعجز يجدر بهم أن يذكروا أنها هى التى ادركت ما لم تدركه حكومة قبلها ، وانه اذا قيس ما أتيح لها من هذه الناحية بما فعلته حكومات أخرى رجحت كفتها رجوحا عظيما جدا »(٥٦) .

ولكن المظاهرات المعادية للحكومة ، تبدأ من جديد ، فتحمل (المقطم) مسئولية قيامها للمحرضين عليها من السياسيين ، وتقول ان « معارضة الحكومة القائمة بالأمر بوسائل العنف ليس لها معنى الا الثورة على الدستور ذاته »(٥٧) .

وانتقدت العريضة المرفوعة من المعارضة للملك بحل البرلمان واجراء انتخابات جديدة ، بقولها « ان وراء البرلمان رأيا عاما تستطيع المعارضة أن تكسبه تدريجا لا على الورق والعرائض ، بل بما تبدى من كفاءة فى معالجة الشئون البرلمانية ومشروعات القوانين والهيمنة على العمل الحكومى » (٥٨) . ونشرت (لزعيم من أكبر زعماء الوفد) ردا على بيان لمحمد محمود قال فيه ان محمد محمود هو اول مصرى « كان له الحظ التعس فى الاعتداء على دستور البلاد فجريمته فى هذا الصدد أكبر من جريمة دولة اسماعيل صدقى باشا نفسه »(٥٩) . كما نشرت رسالة من (قارئة) تقول فيها « ان وزارة النحاس باشا هى خير وزارة أخرجت للناس »(٦٠) .

وقد تعرض النحاس باشا لمحاولة اغتيال على يد أحد شبان مصر الفتاة واسمه عز الدين عبد القادر فأعلنت (المقطم) استنكارها الشديد لهذا الحادث الذى « ليس بين ابناء هذه الأمة الكريمة من لا يستنكره ويدرك وخامة عواقبه على البلاد » لاسيما وقد استهدف حياة « زعيم محبوب تجل اسمه وشخصه وتقدر فضله وصادق اخلاصه وجليل خدماته الأمة بأسرها ، وهو فى الوقت نفسه رئيس الحكومة الشعبية المؤيدة من سواد الامة كلها والعاملة على توطيد دعائم استقلال مصر » (٦١) .

وقد أعطى هذا الحادث الفرصـــة للحكومة الوفدية لتعقب خصومها وخاصة أعضاء مصر الفتاة ، ولكن لفترة قصيرة ، قبل ان يبدأ فصل جديد اكثر عنفا فى علاقات الوزارة بالقصر ، عبرت عنه الصحيفة « بالأزمة السياسية » وطالبت بايجاد مخرج لهذه الأزمة يعتمد على التوفيق بين الطرفين ، واوضحت (المقطم) كعادتها فى مثل هذه الأزمات ، موقف الانجليز من الأزمة القائمة بقولها : « أما ما يقال عن تعرض السلطات البريطانية للأمر ، فلم

يقم دليل ما حتى الآن على وجوده الا ما كان من تمنى السير مايلز لامبسون الخير لمصر وتوقع تفريج الأزمة كما يروى بعض الكاتبين الانجليز ، وهذا اذا حدث لا غبار عليه فالذى يهم مصر من حليفتها بالطبع ولاسيما ان مصر قائمة على تنفيذ ما نصت عليه المعاهدة وتنفيذه يهم الدولة الحليفة »(٦٢) .

ولكن الدكتور عبد العظيم رمضان يقول ان الانجليز خلال هذه الأزمة الدستورية وعلى امتدادها لم يقفوا متفرجين ، بل شاركوا فى كل مراحلها بالوساطة بين الوفد والقصر ، وكان ضابط الاتصال بينهم وبين الحكومة الوفدية هو (أمين عثمان) الذى اقترح عليهم فى ذلك الحين خلع الملك فاروق عن العرش ، ولما كانت نتيجة دراسة السفير البريطانى قد أثبتت أن الملك فاروق لم يرتكب فى ذلك الحين مخالفة معينة لنص مكتوب فى الدستور او عادة دستورية مرعية ، فقد اقتصر تدخل دار السفارة البريطانية على محاولة التوفيق بين القصر وحكومة الوفد والوصول الى حل وسط . ولكن هذه المحاولات لم تسفر عن نجاح وانتهت المعركة يوم ٣٠ ديسمبر حين تلقى النحاس أسوأ اقالة فى تاريخه(٦٣) وقد التزمت (المقطم) كما رأينا بهذا الموقف الانجليزى خلال الأزمة .

وزارة الانقلاب وأوتوقراطية القصر :

شكل محمد محمود باشا رئيس حزب الأحرار الدستوريين الوزارة التى خلفت وزارة النحاس باشا بعد اقالتها ، وكان معلوما ان الرئيس الجديد قد « أسلم مقاليد الشئون العليا الى السراى ، وكان مصير وزارته نفسها رهنا بارادة السراى ، وجعل برنامجه الخارجى قائما على أساس تنفيذ معاهدة ١٩٣٦ ، بروح الود والرغبة الصادقة »(٦٤) .

وكان استقبال (المقطم) للوزارة الجديدة فاترا الا أنها أوضحت « أن لكل مصرى الحق الكامل فى خدمة وطنه وملكه » . وهذه الوزارة « مؤلفة من رجال خبر معظمهم الشئون السياسية والادارية والبرلمانية وسيتسع أمامهم المجال لاظهار كفاءتهم فى اسداء الخدمة التى تلزم مصر »(٦٥) .

وقالت (المقطم) ان « الأوان آن لأن يستقر فى أذهان النشء احترام الدستور وعدم الاستخفاف به ، فيظل قاعدة الحكم فى البلاد بعدما جاهدت الأمة جهادها العظيم فى سبيل ادراكه »(٦٦) . ولهذا التنبيه دلالته بالطبع بعد الأزمة التى انتهت باقالة الوزارة الدستورية . واشارت الصحيفة الى مظاهرات طلابية تهتف للملك ورئيس وزرائه الجديد ، كما نشرت بيان النحاس باشا الى الأمة ، الذى قال فيه « انه لمن سخر القدر أن يتولى صيانة الدستور أولئك الذين كانوا على الدوام معاول هدم للدستور »(٦٧) .

واوردت اخبار اجتماع مجلس النواب لتلاوة مرسوم تاجيل البرلمان ومنع النحاس باشا من الكلام فى تلك الجلسة من جانب رئيس المجلس الدكتور أحمد ماهر ، الذى اجتمع الوفد وقرر فصله من عضويته . كما نشرت تصريحا للنحاس أوضح فيه اعتماد الوزارة على السلطة الأوتوقراطية وتصريحا آخر للدكتور ماهر يقول فيه عن الذين أصدروا قرار فصله ، أن بينهم فريقا لم يكن وفديا فى ماضيه ، « ودلت تصرفاتهم على كبير حنقهم من مقابلة البلاد لاقالتهم بالسكون والرضا »(٦٨) .

وقد التزمت (المقطم) الحياد فى متابعة أخبار الوفد وخصومه، من اركان الوزارة والمنشقين على الوفد ، ولكنها حرصت على

تسجيل موقف البريطانيين مما يجرى فى مصـــــر ، فقالت انهم « يستغربون ان يقال مثلا ان فى باب الاحتمال تعطيل الدســـتور واقفال باب البرلمان الى أجل غير مسمى بل يذهبون الى أبعد من هذا فى الدلالة على نفورهم من نظام الحكم الدكتاتورى »(٦٩) .

وطالبت الصحيفة بعدم السير فى تلك الطرق التى أدت الى الغاء دستور ١٩٢٣ ، ولم تحقق النجاح « بل انتهت بالعودة الى الدستور الذى تواضعوا على تسميته بدستور الأمة »(٧٠) . ويأتى هذا التحذير ، فى الوقت الذى كانت فيه الأوســـاط السياسية مشغولة بالمواجهة القادمة بين الحكومة والبرلمان حول مسالة الثقة، ولكنها رأت فى رغبة الحكومة بتعديل الدوائر الانتخابية خطوة لا توجب الاعتراض « مادام عملها قائما فى ضمن نطاق الدســـتور وروحه »(٧١) .

وذكرت ان الوزارة « تقف الآن موقف الانتظار ، فقد يجتمع عندها الأسباب التى تأمن معها ميل ممثلى الأمة فتواجه مجلس النواب باطمئنان ، وتوفر على نفسها وعلى البلاد مؤونة اجراء الدخول فى معارك انتخابية حامية . وقد تضطر فى آخر الأمر الى حل مجلس النواب واجراء هذه الانتخابات »(٧٢) .

وأعربت عن أملها بالخروج « من هذا الموقف الدقيق بما يكفل تحقيق أقصى امانى المصريين » . ولكن الأمور سارت بغير ما تمنت (المقطم) . وصدر مرسوم حل البرلمان قبل انعقاده لبحث مسالة الثقة بالوزارة برغم الجهود التى بذلتها وزارة محمد محمود لاستمالة نواب الأغلبية ، كما قال (وغدى بارز) فى تصريحه للصحيفة(٧٣) ، التى أوضحت ان هناك أمرين « يســــتوقفان نظر الباحث وهما جديران بالعناية والاغتباط احدهما السكينة التى اســتقبلت بهــا

العاصمة مرسوم الحل ، والآخر ما هو مسموع عن حرص الجميع على رعاية الدستور ، والعمل بما تقضى به نصوصه »(٧٣) .

وقالت المقطم) انه اذا «كانت بريطانيا يهمها من الأمر استقرار الحالة فى البلاد ، وان ترى فى مصر حكومة دستورية تكون منتخبة انتخابات حرة تجرى على أساس المبادىء الديموقراطية الصحيحة ، فان مثل هذه الرغبة اولى بأن تكون رغبة المصريين انفسهم »(٧٥) . وكانت هذه التحذيرات المتصلة التى تطلقها الصحيفة تعكس تخوفا على الحياة الدستورية له ما يبرره .

وطالبت (المقطم) بتوفير الحرية للانتخابات ، وشاركت بنشر قوائم المرشحين من مختلف الأحزاب ، وكان بينهم مرشحو « الهيئة السعدية » التى يرد ذكرها للمرة الأولى فى الصحيفة ، وتضـــــم النقراشى والدكتور أحمد ماهر وانصارهما(٧٦) . وقد حملت هذه الهيئة اسما آخر هو « الوفد السعدى » الذى ضم اولئك المنشقين على الوفد ، بسبب سياسة النحاس بازاء القصر ، وبسبب النفوذ والسيطرة ، اللذين كان مكرم عبيد يحظى بهما داخل الوفد ، وقد قرروا اطلاق اسم « الوفد السعدى » على حزبهم اشارة الى أنهم لا يعارضون الوفد بل يعارضون النحاس الذى ابتعد برأيهم عن مبادىء سعد زغلول مؤسس الوفد(٧٧) .

كما نشرت (المقطم) اعلانا عن صحيفة (الدستور) التى يستعد (السعديون) لاصدارها برئاسة الدكتور احمد ماهر وجاء فيه ، أنها « الجريدة الوطنية الحرة لسان الوفديين الصادقين »(٧٨) . وقد اتيحت للســـــعديين الفرصة للتحرك بحرية تامة فى الدوائر الانتخابية وانبعث توفير هذه الحرية من رغبة كل من القصر ومحمد محمود فى التنصل من تهمة تزوير الانتخابات ومن الرغبة فى هدم الوفد على ايدى المنشقين عنه ، واظهار ان الحزب الكبير قد انقسم

على نفسه الى (وفد سعدى) يمثل اغلبية الوفديين و (وفد نحاسى) يمثل اقليتهم(٧٩) .

وترسم (المقطم) صورة قاتمة لما يجرى من تطاحن داخلى ، فقد استحكم الانقسام فى النفوس « وتغلغل فى الصدور فحول الخلاف فى الرأى السياسى الى نزاع شخصى وعائلى » « وهذه جرائدنا أو جانب منها ، تتناول اقطابنا بما لا يسر الصديق ومايشمت العدو »(٨٠) . ونشرت عريضة مرفوعة من الوفد الى الملك من تدخل رجال الادارة فى الانتخابات لصالح مرشحى الحكومة ، ووقوف بعض أمراء البيت المالك الى جانب الأقلية ، وكذلك استخدام الدين فى الدعاية الانتخابية(٨١) . فتدعو الصحيفة الى وقفة حازمة من جانب الحكومة تجاه حوادث المعركة الانتخابية « ومما لا ريب فيه أن الحكومة لا يمكن أن تكون عاجزة عن حفظ النظام بمعناه الأعم الصحيح ، وبالتالى انها غير عاجزة عن منع الاعتداء »(٨٠) ؛ وقد فاز اتباع الوزارة والسعديون والمستقلون الموالون للحكومة باغلبية المقاعد فى البرلمان . ونشرت (المقطم) بيانات الوفد حول نتائج الانتخابات (والجريمة النكراء) التى ارتكبها الوزاريون واشياعهم فى حق الدستور « بداعوهم أن العرش يسند مرشحهم ، وان ارادة الملك السامية تفرض على الأمة انتخابهم »(٨٣) . ولكن الصحيفة لم تعلق من ناحيتها على هذه النتائج . واكتفت بمتابعتها وتغطيتها كمادة اخبارية ، وربما اعتقدت بأن التلميح الذى ابدته عن الحوادث الانتخابية يغنى عن التصريح بالنسبة لصحيفة تؤثر السلامة وعدم الدخول فى مجابهة مع الحكومة القائمة ، أيا كان لونها برغم قيام حكومة محمد محمود باجراء هذه الانتخابات « بصورة مجافية لكل قواعد الحرية ، بحيث يمكن القول بأنها فرضت اشخاص الناجحين فرضا »(٨٤) .

ولكن مع اتجاه الأمور نحو استقرار الأوضاع السياسية على هذا النحو ، تقول (المقطم) ان « أنصار الدستور يشعرون الآن باطمئنان عظيم لتوافر أسباب ضمان استمرار وكفالة العمل بمقتضاه(٨٥) .

وقد شارك السعديون بالوزارة ، واعتبرت (المقطم) هذه المشاركة ، تعزيزا للحكم نظرا لما يتمتعون به من الحنكة السياسية والادارية وصدق الوطنية(٨٦) . وفى الواقع أن هذا التعديل الوزارى ، وان كان قد افاد الوزارة او منحها قوة برلمانية جديدة فانه لم يوطد مركزها فى الرأى العام ، فقد ظل انصرافه عنها واضحا ، كما أنه لم يبعد تدخل السراى او يقلل منه(٨٧) .

وقد حمل الدكتور هيكل مسئولية كل ما جرى فى عهد وزارة محمد محمود ، وكان أحد أعضائها ، لعلى ماهر باشا رئيس الديوان الملكى ، وصاحب المشورة على الملك فى مثل هذه المواقف ، وكانت سياسته يومئذ تدعوه ليتجاوز المشورة الى نوع من الاتصال المباشر بشئون الحكم ، وكان محمد محمود باشا شديد البرم بهذا الاتصال(٨٨) . وقد كشف النحاس باشا فى خطاب القاه فى اجتماع وفدى كبير فى سراى آل لطف الله ونشرته (المقطم) ، أساليب الحكومة فى تزوير الانتخابات بهدف محاربة الوفد ودور على ماهر والمنشقين عن الوفد فى ذلك ايضا ، كما تحدث عن الشيخ المراغى شيخ الازهر الذى استغل منصبه فى الدعاية الانتخابية ضد الوفد(٨٩) .

مسألة التكنات العسكرية :

اتفق محمد محمود باشا مع (اللورد هاليفاكس) وزير خارجية بريطانيا على تعديل المادة الثانية من معاهدة التحالف المصرية

البريطانية ، بحيث تتولى بريطانيا بمقتضى هذا التعديل دفع نصف تكاليف انشاء الثكنات العسكرية ، لاقامة القوات البريطانية فيها على ضفاف القناة . ووقفت (المقطم) تعارض بناء هذه الثكنات ، واقترحت توظيف المال الذى سينفق فى بنائها لتعزيز قدرات الجيش المصرى لكى يوفر على بريطانيا مهمة الدفاع عن القناة فيما بعد وبذلك تتحقق الأغراض المنشودة للجانبين المصرى والبريطانى بدون ان يتحملا هذه التكاليف(٩٠). وقالت ان «الدفاع عن القناة مستطاع بغير ان يكون هناك ثكنات عسكرية بجواره » كما ان « وجود مدينة عسكرية بجوار القناة يجعل هذه المدينة هدفا لقنابل طائرات الأعداء » .

اما من « وجهة الكرامة القومية ، فنحب أن نعرف ما هو الفرق بين اقامة الجنود البريطانيين اقامة وقتية فى القاهرة والاسكندرية من جهة او ضفاف القناة من جهة اخرى ، مادامت هذه الاقامة فى أرض مصرية ، أو مادامت محدودة الغاية وليس لها صلة باستقلال البلاد الفعلى .. وهناك اعتبار اقتصادى وهو أن الوفا من الناس فى القاهرة والاسكندرية يعيشون من معاملة القوات البريطانية فهؤلاء تقطع أسباب معيشتهم » واذا « دعيت البلاد الى حمل عشرة ملايين جنيه من اجل مشروع كمالى كثكنات منطقة القناة نقد تنوء بهذا الحمل ويؤخر ثقله اعداد جيشها الاعداد الذى تصبو اليه والذى يلزم لحماية البلاد »(٩١) ، وذلك فى الوقت الذى كانت فيه الأزمة الدولية تنذر بالانفجار بسبب استيلاء المانيا على تشيكوسلوفاكيا فى مارس ١٩٣٩ ، وكانت (المقطم) تتابع تطورات هذه الأزمة وتحاول تفسير ما تفرضه معاهدة التحالف مع بريطانيا على مصر ، فى حالة اشتعال الموقف الدولى المضطرب ، وتحدثت عن اهمية ظهور مصر (بمظهر نصير السلام والتصميم على حماية

الوطن وصون سلامته والمحافظة على معاهدة الصداقة والتحالف مع حليفتها العظيمة »(٩٢) .

فهذه المعاهدة « جاءت فى حينها ، وأن هذا التعاون الذى نشهده اليوم مقدمة لما هو منتظر ، من أن تتمكن مصر تدريجا من الاضطلاع بمهمة الدفاع الى أن تستوفيها ، وتصبح وحدها المسئولة فى هذا الأمر الخطير ، عملا بما يقتضيه استقلالها ، فتتمكن الحليفة من توجيه همها الى مواضيع أخرى »(٩٣) .

وقال كريم ثابت ان « مما يزيد الحكومة المصرية اطمئنانا أن التفاهم تام بين السلطات العسكرية المصرية والسلطات البريطانية » مضافا اليه « العلاقات الحسنة التى بين رئيس الحكومة والسفير البريطانى مما يسهل لكل منهما مهمته ، ويساعد على أن يتم تشاور الحكومتين وتعاونهما وتضافرهما ، فى جو مشبع بحسن التفاهم والثقة المتبادلة »(٩٤) . وقدمت صورة لهذا التعاون الذى يتخذ مظاهر متعددة منها « ما هو حادث فى الصحراء الغربية حيث تجتمع القوات المصرية والقوات البريطانية ، وتقسم بينها مهام الدفاع ، أو تشترك فيها بالرجال والعدة والسلاح والطائرات » ، أما فى العاصمة فان السير مايلز لامبسون « سفير الدولة الحليفة لا يفتأ يقابل رئيس الحكومة المصرية ويطلعه يوميا تقريبا على المعلومات والاجراءات السياسية الدولية مما يأتيه علمه من حكومته فى لندن »(٩٥) .

مصـــر الفتـــاة :

لزمت (المقطم) الصمت بازاء الصراع الدائر بين الاجنحة المحيطة بالقصر سواء بين القصر والوزارة اى بين على ماهر رئيس الديوان ومحمد محمود باشا رئيس الوزراء ، او داخل القصر

نفسه بين على ماهر ووكيل الديوان كامل البندارى ، وهو الصراع الذى كانت (مصر الفتاة) طرفا أساسيا فيه حيث انتقل زعيمها احمد حسين فى مسيرته السياسية من معسكر الأحرار الدستوريين الى معسكر على ماهر ثم الى معسكر كامل البندارى الذى تعاطف مع (مصر الفتاة) وحباها تاييده ، والتقى معها فكريا وروحيا ، يضاف الى ذلك الولاء الثابت الذى كانت تقدمه مصر الفتاة وفرقتها المسماة بالقمصان الخضراء للملك فاروق ، والدور الذى لعبته هذه الفرق ضد القمصان الزرقاء الوفدية ، فى خلال الصراع الطويل بين العرش والوفد . واكتفت (المقطم) بمتابعة اخبار أحمد حسين ورحلاته الخارجية والاجتماعات التى يعقدها حزبه ، واخبار الاعتقال التى تعرض لها هو وزملاؤه خلال معاركه المتصلة مع هذا الطرف أو ذاك .

ولكن بداية أحمد حسين فى مشروع القرش عندما كان طالبا بالحقوق ، لقيت تشجيع (المقطم) واكبارها لها باعتبارها خطوة تعزز الاتجاه نحو النهضة الاقتصادية المنشودة فضلا عن ظهور المشروع ابان الأزمة الاقتصادية الدولية ، وفى عهد حكومة صدقى الذى حرصت (المقطم) على التركيز كثيرا فى خلاله على المواضيع الاقتصادية والاصلاحية والاجتماعية نظرا للغيوم التى تلبدت بها سماء السياسة المصرية وقتئذ فى ظل دستور صدقى وسياسته القمعية ضد الأغلبية الوفدية والعناصر الوطنية ، فقد تابعت أخبار المشروع وبيانات احمد حسين الطالب بكلية الحقوق وسكرتير اللجنة التنفيذية للمشروع .

واشادت بالروح الايجابى الذى يقف وراء هذا المشروع وكيف يدفع الشباب الى العمل شعورهم « بحاجة بلادهم الى مشروعات صناعية » و « ايقانهم بأن عليهم واجبا هنا يلزم تأديته بقدر ما تصل اليه طاقتهم الأدبية والمادية »(٩٦) .

ونشرت اقتراحا لأحد الطلاب بان يتوجه القائمون على مشروع القرش الى السراى الملكية لجمع قرش من الامير فاروق لأن « سمو الأمير فاروق ولى عهدنا المحبوب هو امير الشباب المصرى وزعيم الطلبة فيها » فليكن « قرشه اول ما تتوج به قائمة هذا المشروع تبارك به أول خطوة فى سبيل تنفيذه »(٩٧) .

وكررت (المقطم) ترحيبها بمشروع القرش الذى نهضت به الشبيبة المصرية خير نهوض وقابلته الأمة خير مقابلة « وجاء دليلا على نشاط الشبيبة المتعلمة وقوة ابتكارها وصدق عزيمتها »(٩٨) . وقالت ان هذا المشروع « ينطوى على ثلاث حقائق ويقوم على ثلاثة اركان ، اما الحقائق فهى يقظة مصر ورغبتها فى العمل والارتقاء وتنبه شبابها الى نصيبهم من هذه المهمة ، وأما الأركان الثلاثة فهى نشاط الشبيبة وحسن تنظيمها للعمل ومعونة الأمة لها معونة صادرة من جميع الطبقات ، وهو اجماع يصح ان يكون شاهدا على صحة السعى وكافلا لنجاح المسعى »(٩٩) .

وفى الحق ان الكسب الذى حصل عليه احمد حسين من فكرة مشروع القرش ، كان اكثر من الكسب الذى حصلت عليه الصناعة الوطنية منها ، لقد كسبت الصناعة الوطنية ثلاثين الفا من الجنيهات فقط هى كل النجاح الذى حققه المشروع ، ولكن احمد حسين كسب شهرة قومية وأعوانا وانصارا وخبرة بالتنظيم والعمل الجماهيرى ، سهلت له القيام بالخطوة الثانية وهى تاليف جمعية مصر الفتاة فى ٢١ اكتوبر ١٩٣٣(١٠٠) . وقد تابعت الصحيفة اخبار جمعية مصر الفتاة ، ومسلسل الاعتقالات والافراجات بالنسبة لأحمد حسين ورفاقه فى الجمعية بسبب ما كانوا يوزعونه من منشورات واعلانات تهاجم الأجانب وتدعو لمقاطعة دور السينما الأجنبية ، ومقالات تهاجم النحاس باشا بعد توقيع معاهدة ١٩٣٦ فى جريدة الضياء ، وكذلك اخبار القمصان الخضراء التى شكلها احمد حسين .

وكانت فرق القمصان الخضر تحظى بعطف وتأييد من على ماهر لسبب ظاهر هو انها قد تصلح نواة لتأييد اغراضه والكيد للحكومة الدستورية(١٠١) . وكان ذلك مبعث صدامات بين اصحاب القمصان الخضراء والزرقاء خاصة فى عهد حكومة الوفد السابقة الذى بلغ التوتر فيه ذروته ، بمحاولة الاغتيال التى تعرض النحاس باشا لها على يد أحد اعضاء اصحاب القمصان الخضراء فى ٢٧ نوفمبر ١٩٣٧ ، وكانت جمعية مصر الفتاة قد تحولت الى « حزب مصر الفتاة » فى أوائل عام ١٩٣٧ انتخب احمد حسين لرئاسته .

وواصلت (المقطم) موقفها من حزب مصر الفتاة بالمتابعات الاخبارية فقط ، وكانت المرة الاولى التى حاورت فيها اركان هذا الحزب على أثر الحملة التى شنها الحزب على الحانات وأماكن بيع الخمور فى البلاد ، فكتبت (المقطم) تقول ان الموضوع يتطلب بث الدعوة وتربية الناشئة لسرد مساوىء الخمرة « اما أن يعهد فريق من أبناء الأمة الى اقامة نفسه مقام الحكم ، ويتوسل بالقوة لقضاء هذه المهمة الشريفة بذاتها ، فعمل اذا ترك وشأنه يؤدى الى الفوضى حتما »(١٠٢) .

وقد رد أحمد حسين بقوله انه يطالب بتحريم الخمر وان حملته على الموبقات هى أهم جزء من برنامج الدفاع الوطنى لأن حياة الشعوب ليست فى المدافع والطائرات وحدها بل لابد من ان تكون لها حياة معنوية قوية واشار الى موقف (المقطم) فى الاتجاه نفسه لأنها الجريدة الوحيدة التى لا تنشر اعلانات الخمر وتدعو لمحاربته(١٠٣) . وحاورته مرة أخرى ، عندما طبع بعض اعضاء مصر الفتاة اعلانات على واجهات المحلات والمتاجر فى طنطا بعنوان «اليهود أعداؤكم فقاطعوهم »(١٠٤) .

ورد كريم ثابت على هذه الدعوة بقوله ان « يهود مصر اخواننا لا نريد ان نكون ميدانا لدعاية ما ، مهما يكن نوع هذه الدعاية فليتركونا فى حالنا ، ولكن قضـــــية فلســــطين العــربية شئ آخر »(١٠٥) .

اما قضية الصراع بين على ماهر والبندارى ، والذى انتهى بابعاد البندارى عن الديوان الملكى بعد نجـــاح خطة على ماهر بالتحالف مع الانجليز من خلال زيارته لبريطانيا للمشاركة بمؤتمر المائدة المستديرة الخاص بفلسطين ، فلم تتحدث عنه بأكثر من خبر عن رفض الملك لاستقالة على ماهر التى كان السبب الباعث على تقديمها تعذر قيامه بالعمل مع وكيل الديوان كامل البندارى بالرغم مما كان يجمعهما سابقا من صلات وثيقة ، وقد نفى البندارى لمندوب (المقطم) وجود صلات بينه وبين حزب مصر الفتاة وتاييده لأعضائه فجميع الأحزاب فى نظره سواء ، ولكنه يرى أن الوقت قد حان « ليعمل الدم الجديد »(١٠٦) . وقد تاثر حزب مصر الفتاة كثيرا بخروج البندارى واشتداد قبضة على ماهر على مقاليد الأمور فى البلاد وتعرض احمد حسين للسجن لمدة طويلة فى اثناء الحرب العالمية الثانية قبل أن يعاود نشاطه بعد الحرب مشكلا احد العناصر المهمة فى صفوف الحركة الوطنية المصرية قبل ثورة ١٩٥٢ .

الاخـــوان المســـلمون :

كان صمت (المقطم) تاما حيال جماعة الاخوان المسلمين منذ تاسيسها على يد (الشيخ حســـــن البنا) عام ١٩٢٨ فى مدينة الاسماعيلية ، وانتقال مركز نشاطها الى القاهرة عام ١٩٣٢ ، وكان اول خبر يرد فيه ذكرها على صفحات (المقطم) للمرة الأولى فى منتصف عام ١٩٣٦ لدى قيام وفد من زعماء فلسطين بزيارة لدار

« جمعية الاخوان المسلمين » فى القاهرة « فاستقبلهم اعضاء الجمعية مرحبين بهم وخطب كثير منهم خطبا أعربوا فيها عن عطف المصريين على اخوانهم عرب فلسطين فى محنتهم وتمنوا لهم النصر النهائى »(١٠٧) . وذلك ابان الثورة الفلسطينية الكبرى التى انطلقت عام ١٩٣٦ . وقامت قوات الجيش البريطانى بقمعها بشدة « وكان الاخوان قد اعلنوا تضامنهم الكلى مع عرب فلسطين ، منذ بداية تطور القضية الفلسطينية ، ولكن تحت تأثير العامل الدينى لا القومى العربى وقد قامت علاقة وثيقة بين الشيخ حسن البنا ومفتى فلسطين »(١٠٨) ونشرت (المقطم) أخبار جمعية الاخوان المسلمين مقرونة بالنشاط المبذول لنصرة القضية الفلسطينية ، وبعض أوجه النشاط الاجتماعى فى مصر ، وذلك بشكل محدود للغاية طيلة الفترة منذ تأسيس الجماعة حتى قيام الحرب العالمية الثانية ، برغم دخول الجماعة معترك الحياة السياسية فى عام ١٩٣٨ فى الذكرى العاشرة لتأسيسها ، واحتضان على ماهر لها بعد تشكيل وزارته فى أغسطس ١٩٣٩ خلفا لمحمد محمود .

* * *

أما لماذا صمتت (المقطم) ازاء المناهج السياسية لكل من مصر الفتاة والاخوان المسلمين فيمكننا تفسير ذلك بأن (المقطم) لم يكن يريحها وجود هيئات متطرفة فى عدائها للأجانب والانجليز منهم على وجه الخصوص ، كما كان واضحا مدى التأييد الذى حبته (المقطم) للوفد فى صراعه مع القصر بحكم الدور الذى لعبه الوفد فى انجاز معاهدة الصداقة والتحالف ووضع هذه المعاهدة موضع التنفيذ ، فضلا عن محاولات القصر الانفراد بالحكم بعيدا عن ايدى

الانجليز ونفوذهم وتدخلاتهم ، وذلك فى الوقت الذى حظيت فيه مصر الفتاة برعاية القصر وتاييد المحيطين به من أجل معاداة الوفد ومحاربته التى بلغت ذروتها بمحاولة اغتيال النحاس على يد أحد أعضاء مصر الفتاة ، وذلك ابان الصراع المحتدم بين العرش والوزارة الوفدية ، وكذلك الأمر بالنسبة للاخوان المسلمين الذين لم يكونوا اقل تطرفا فى عدائهم للانجليز من مصر الفتاة . وقد أراد القصر استخدامهم فى بعض المراحل أيضا ضد الوفد وضرب شعبيته فى البلاد .

هوامش الفصل الثالث

(١) عبد العظيم رمضان ، تطور الحركة الوطنية فى مصر ٣٧ — ١٩٤٨ ، ج ١ ، دار الوطن العربى ، بيروت ، ١٩٧٣ ، ص ٣٩ — ٤٢ .

(٢) المقطم ٢١ أكتوبر ١٩٣٦ .

(٣) المقطم ٣٠ نوفمبر ١٩٣٦ .

(٤) المقطم ٩ ديسمبر ١٩٣٦ .

(٥) المقطم ١٧ مارس ١٩٣٧ .

(٦) المقطم ١٨ مارس ١٩٣٧ .

(٧) المقطم ١٩ مارس ١٩٣٧ .

(٨) المقطم ١ ابريل ١٩٣٧ .

(٩) المقطم ٣ ابريل ١٩٣٧ .

(١٠) المقطم ٤ مايو ١٩٣٧ .

(١١) المقطم ١٨ مايو ١٩٣٧ .

(١٢) المقطم ٢٨ مايو ١٩٣٧ .

(١٣) المقطم ٢ يونيو ١٩٣٧ .

(١٤) المقطم ٩ يونيو ١٩٣٧ .

(١٥) المقطم ١١ يونيو ١٩٣٧ .

(١٦) المقطم ٢١ يونيو ١٩٣٧ — وكان الشيخ مصطفى المراغى هو شيخ الأزهر

فى ذلك الوقت .

(١٧) المقطم ٢٢ يونيو ١٩٣٧ .

(١٨) محمد التابعى ، من أسرار الساسة والسياسة ، دار القلم ، القاهرة ، بدون تاريخ ، ص ٦٩ ، ٧٠ ، وقارك كريم ثابت فى اصدار صحيفة (المصرى) فى ١١ أكتوبر ١٩٣٦ ، مع محمد التابعى ومحمود أبو الفتح ، ولكنه ترك العمل بها ، وباع حصته لزميليه وعاد الى العمل ثانية فى المقطم فى عام ١٩٣٩ .

(١٩) Yossef, Amin, Independent Egypt, London, 1940, P. 235.

وكان الأمير عمر طوسون يلح فى مقالاته على كلمة التولية وليس التتويج ، باعتبار أن التولية اجراء يتفق مع التقاليد الاسلامية .

(٢٠) المقطم ٢٣ يوليو ١٩٣٧ .

(٢١) المقطم ٢٦ يوليو ١٩٣٧ .

(٢٢) المقطم ٢٧ يوليو ١٩٣٧ .

(٢٣) المقطم ٢٩ يوليو ١٩٣٧ .

(٢٤) المقطم ٣٠ يوليو ١٩٣٧ .

(٢٥) المقطم ٤ أغسطس ١٩٣٧ .

(٢٦) المقطم ٩ أغسطس ١٩٣٧ .

(٢٧) عبد العظيم رمضان ، تطور الحركة الوطنية فى مصر ٣٧ — ٤٨ ، ج ١ ، ص ٧٠ — ٧٢ .

(٢٨) المقطم ١٠ أغسطس ١٩٣٧ .

(٢٩) المقطم ١١ أغسطس ١٩٣٧ .

(٣٠) المقطم ١٠ أغسطس ١٩٣٧ .

(٣١) المقطم ١٧ أغسطس ١٩٣٧ .

(٣٢) المقطم ٢٧ أغسطس ١٩٣٧ .

(٣٣) المقطم ٧ سبتمبر ١٩٣٧ .

(٣٤) المقطم ٧ سبتمبر ١٩٣٧ — الاقتراح بتوقيع (مصرى) . ومثل هذه التوقيعات لا تخرج عن دائرة هيئة تحرير الصحيفة .

(٣٥) المقطم ٨ سبتمبر ١٩٣٧ .

(٣٦) المقطم ٨ سبتمبر ١٩٣٧ .

(٣٧) يونان لبيب تاريخ الوزارات المصرية ، ص ٣٩٣ .
(٣٨) عبد العظيم رمضان ، تطور الحركة الوطنية ٣٧ — ٤٨ ، ص ٩٧ .
(٣٩) المقطم ٥ يونيو ١٩٣٧ .
(٤٠) المقطم ١١ سبتمبر ١٩٣٧ .
(٤١) يونان لبيب ، اصحاب القمصان الملونة فى مصر ٣٢ — ١٩٣٧ ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد ٢١ ، ١٩٧٤ .
(٤٢) المقطم ٢٠ سبتمبر ١٩٣٧ .
(٤٣) عبد العظيم رمضان ، تطور الحركة الوطنية ٣٧ — ٤٨ ، ج ١ ، ص ١٢٨ .
(٤٤) المقطم ١٢ أكتوبر ١٩٣٧ .
(٤٥) المقطم ١٥ أكتوبر ١٩٣٧ .
(٤٦) المقطم ١٥ أكتوبر ١٩٣٧ .
(٤٧) المقطم ١٨ أكتوبر ١٩٣٧ .
(٤٨) المقطم ١٩ اكتوبر ١٩٣٧ .
(٤٩) محمد زكى عبد القادر ، محنة الدستور ، ص ١٠٢ .
(٥٠) يونان لبيب ، تاريخ الوزارات المصرية ، ص ٣٩٨ .
(٥١) المقطم ٢١ اكتوبر ١٩٣٧ .
(٥٢) المقطم ٢٥ أكتوبر ١٩٣٧ .
(٥٣) المقطم ٢٦ أكتوبر ١٩٣٧ .
(٥٤) المقطم ٢ نوفمبر ١٩٣٧ .
(٥٥) المقطم ٥ نوفمبر ١٩٣٧ .
(٥٦) المقطم ١٥ نوفمبر ١٩٣٧ .
(٥٧) المقطم ١٦ نوفمبر ١٩٣٧ .
(٥٨) المقطم ١٨ نوفمبر ١٩٣٧ .
(٥٩) المقطم ٢٤ نوفمبر ١٩٣٧ .
(٦٠) المقطم ٢٦ نوفمبر ١٩٣٧ .
(٦١) المقطم ٢٩ نوفمبر ١٩٣٧ .
(٦٢) المقطم ٢٠ ديسمبر ١٩٣٧ .
(٦٣) عبد العظيم رمضان : تطور الحركة الوطنية ٣٧ — ٤٨ ، ج ١ ، ص ١٥٩ .
(٦٤) عبد الرحمن الرافعى ، فى أعقاب الثورة المصرية ، ج ٣ ، ص ٥٧ .

(٦٥) المقطم ٣١ ديسمبر ١٩٣٧ .
(٦٦) المقطم ١ يناير ١٩٣٨ .
(٦٧) المقطم ١ يناير ١٩٣٨ .
(٦٨) المقطم ٤ يناير ١٩٣٨ .
(٦٩) المقطم ٧ يناير ١٩٣٨ .
(٧٠) المقطم ١٧ يناير ١٩٣٨ .
(٧١) المقطم ١٩ يناير ١٩٣٨ .
(٧٢) المقطم ٢٨ يناير ١٩٣٨ .
(٧٣) المقطم ٢ فبراير ١٩٣٨ .
(٧٤) المقطم ٣ فبراير ١٩٣٨ .
(٧٥) المقطم ٥ فبراير ١٩٣٨ .
(٧٦) المقطم ٢٢ فبراير ١٩٣٨ .
(٧٧) R.I.I.A., Great Britain and Egypt, Op. Cit., P. 50.
(٧٨) المقطم ١٣ فبراير ١٩٣٨ .
(٧٩) يونان لبيب رزق ، تاريخ الوزارات المصرية ، ص ٤٠٩ .
(٨٠) المقطم ٤ مارس ١٩٣٨ .
(٨١) المقطم ١٥ مارس ١٩٣٨ .
(٨٢) المقطم ٢٢ مارس ١٩٣٨ .
(٨٣) المقطم ١٢ ابريل ١٩٣٨ .
(٨٤) محمد زكي عبد القادر ، محنة الدستور ، ص ١١٣ .
(٨٥) المقطم ١٢ ابريل ١٩٣٨ .
(٨٦) المقطم ٢٢ يونيو ١٩٣٨ .
(٨٧) محمد زكي عبد القادر ، محنة الدستور ، ص ١١٥ .
(٨٨) محمد حسين هيكل ، مذكرات في السياسة المصرية ، جـ ٢ ، مكتبة النهضه المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٣ ، ص ٨٦ .
(٨٩) المقطم ٢ يوليو ١٩٣٨ .
(٩٠) المقطم ١٢ سبتمبر ١٩٣٨ .
(٩١) المقطم ٤ اكتوبر ١٩٣٨ .
(٩٢) المقطم ٢٠ مارس ١٩٣٩ .
(٩٣) المقطم ٢١ مارس ١٩٣٩ .

(٩٤) المقطم ٢٢ مارس ١٩٣٩ .
(٩٥) المقطم ١١ مايو ١٩٢٩ .
(٩٦) المقطم ١٦ يناير ١٩٣٢ .
(٩٧) المقطم ٢٦ يناير ١٩٣٢ .
(٩٨) المقطم ١٤ فبراير ١٩٣٢ .
(٩٩) المقطم ٢٥ يناير ١٩٣٣ .
(١٠٠) عبد العظيم رمضان ، تطور الحركة الوطنية ٣٧ — ٤٨ ، ج ١ ، ص ١٨٢ .
(١٠١) محمد زكى عبد القادر ، محنة الدستور ، ص ٩٥ .
(١٠٢) المقطم ١٠ يناير ١٩٣٩ .
(١٠٣) المقطم ٢٧ مايو ١٩٣٩ .
(١٠٤) المقطم ٢٠ يوليو ١٩٣٩ .
(١٠٥) المقطم ٣ اغسطس ١٩٣٩ .
(١٠٦) المقطم ٧ ابريل ١٩٣٩ .
(١٠٧) المقطم ١٦ يونيو ١٩٣٦ .
(١٠٨) عبد العظيم رمضان ، تطور الحركة الوطنية ٣٧ — ٤٨ ، ج ١ ، ص ٣١٠ .

الفصل الرابع

المقطم ومصر فى الحرب العالمية الثانية

مصر بين الحرب والحياد :

شكل على ماهر وزارته بعد استقالة وزارة محمد محمود ، فى نفس الوقت الذى كانت فيه الأحداث السياسية العالمية تسرع فى اتجاه اشتعال الحرب العالمية الثانية ، فتقول (المقطم) « ان الحاجة الى النشاط والهمة كبيرة ، ولاسيما أن الموقف السياسى الدولى ليس على خير ما يرام ، سيفاجأ العالم قبل انقضاء هذا الشهر بأمور ، وان تكن لاتزال فى عالم الغيب والخفاء فان الدلائل تدل من الآن على خطورتها ، وهى أمور ووقائع يصيب مصر نتائجها وعواقبها »(١) . ودعت الحكومة المصرية الى مطالبة بريطانيا رسميا بمساعدة مصر ، حيث « لا نستطيع أن نستمر فى هذا الانفاق طويلا »(٢) . وكانت وزارة محمد محمود السابقة قد أعدت برنامجا لتسليح الجيش المصرى تكلف مبالغ طائلة من أجل اعداد الجيش وتسليحه ، بالاضافة الى ما كانت تتحدث عنه (المقطم) من خسائر تحملتها مصر بنزول أسعار سنداتها وأسهمها بفعل خطر الحرب ، لا تقل عن عشرين مليونا من الجنيهات(٣) .

وقد احتلت أخبار الأزمة الدولية وتطوراتها ، مانشيتات الصحيفة ومعظم صفحاتها ، واجرت حديثا مع أحد قادة الجيش

يقول فيه أن انجلترا ملزمة بتقديم السـلاح والذخيرة لمصر(٤) ، وحديثا مع قائد آخر اعلن فيه ان بناء الثكنات الآن معناه القاء الماء فى البحر(٥) . وقد مر بنا كيف وقفت (المقطم) تعارض فى بناء الثكنات ، بعد الاتفاق الذى وقعه محمد محمود باشا فى لندن ، وقدمت مبررات معينة لذلك تتفق مع رغبة بريطـانيا التى كان « يهمها لحد بعيد الا تتمكن مصر اطلاقا من بناء الثكنات ، حتى تبقى جنودها منتشرة فى جميع أرجاء البلاد »(٦) . وبدأت (المقطم) بمتابعة أخبار القتال ، والأجواء الدولية الملتهبة بنيران الحرب ، وكان المانشيت الرئيسى الذى تصدر عدد (المقطم) عن بدء القتال بين المانيا وبولونيا ، وقول هتلر لجيشه بأنه سيرد على القوة وانه سيحارب(٧) .

واوردت (المقطم) نبأ اعلان الأحكام العرفية فى مصر ، وقالت ان الواجب يفرض على مصر الآن « ان تتوسل بالسكينة والهدوء وتستعين برباطة الجاش وتقوى باتحاد كلمتها على مواجهة الموقف الخطير ، وتلتف حول العرش المفـدى الذى يجلس عليه القائد الأعلى » . وكذلك المحافظة على « الأمن والنظام ومساعدة القوات المدافعة والبذل والتطوع واجتناب النزاع الداخلى حتى الكلامى فى وجه هذه النازلة »(٨) .

وذكرت (المقطم) ان الحكومة « ماضية فى الاستعداد والتاهب ومواجهة الطوارىء والمقتضيات » وانها « قطعت علاقاتها السياسية بالدولة الالمانية مقتصرة على هذا النظام ، فكان موقفها من هذه الناحية فذا بين مواقف الدول الاخـرى كلها وهى بين محارب ومحايد » ، وطالبت الشعب بوجوب « تأييد مسـاعى الحكومة وتهوين عملها الشاق بتنفيذ القوانين التى تسـن لمواجهة حالة الطوارىء واتحاد الجميع على صون الأمن والنظام »(٩) .

وهذا التأييد الذى تملنه الصحيفة لخطوات الحكومة وإجراءاتها ، من قطع العلاقات السياسية مع المانيا ، واعلان الأحكام العرفية ، يتفق مع منهج (المقطم) بنصرة قضية الحلفاء وتوفير الظروف الملائمة لحربهم ضد المحور ، علما بأن مرسوم اعلان الأحكام العرفية ، الذى جاء بعد المرسومين الخاصين بالتدابير الاستثنائية وحماية الأسرار العسكرية قد اثار « دهشة المراقبين السياسيين ، لأن انجلترا نفسها لم تعلن الأحكام العرفية فى بلادها او فى مستعمراتها ، فكأن على ماهر باشا قد تجاوز ببعض الاجراءات ما اتخذته الدول المحاربة نفسها فى بلادها من اجراءات »(١٠) .

وقد ايدت (المقطم) دعوة البرلمان الى الاجتماع لمناقشة مسألة الأحكام العرفية ، ورات ان الغرض من ذلك « ليس الرغبة فى تشكيك الناس فى صحة السياسة التى انتهجتها الحكومة بل الرغبة فى تعزيز هذه السياسة تحت قبة البرلمان » . ومادام الامر كذلك ، فانه لا مجال للتخوف من مواجهة البرلمان بهذه السياسة ، لأن « البلاد كلها على اختلاف احزابها وهيئاتها مجمعة على الوقوف فى صف بريطانيا العظمى فى الحرب التى خاضت غمارها متفقة على ما تقتضيه هذه الخطة من التزامات وتدابير واجراءات »(١١) .

ولا تقف (المقطم) عند هذا الحد ، بل تدعو الى ماهو ابعد بكثير من الموقف الذى اتخذته الحكومة لنصرة بريطانيا ، وذلك باعلان حالة الحرب مع المانيا ، فتقول : « يجب ان نقرر اننا فى حالة حرب فعلا .. اما ماذا نكسب . نكسب كثيرا . نكسب حق المساهمة فى مفاوضات الصلح . ونكسب حق الجلوس الى مائدة الصلح . والاشتراك فى امضاء معاهدة الصلح . ونكسب ما

يجب ان يؤول الينا من غنائم الحرب واسلابها . وهذا اعتبار له اهميته لاننا نعوض عندئذ بعض ما بذلناه فى سبيل الاستعدادات التى تكلفنا الآن مالا طائلا . اما لو بقينا على قرار قطع العلاقات السياسية ، فلا نكسب شيئا ولا نستفيد شيئا ، فى حين اننا نستطيع ان نكسب وان نستفيد . هذا هو الفرق »(٢٢) .

ويقول (لوجول) ان (المقطم) ، الصحيفة المؤيدة للقضية البريطانية ، قد وضعت هنا بكل صراحة ، الجواب على ذلك السؤال الخطير ، هل ستعلن مصر الحرب على الرايخ الألمانى ، والذى سوف يتكرر فى بحر السنوات التالية ، مما أثار العديد من التعليقات ، ولكن الجمهور لم يحرك ساكنا بانتظار الاجابة(١٣) .

وقالت (المقطم) فى معرض التعقيب على تصريح على ماهر بعدم الاعتراض على اتصال السلطة التنفيذية بالبرلمان ، ان مصر قد جهرت « بلسان زعمائها واقطابها على اختلاف احزابهم بأنها تقف فى صف انجلترا حليفتها انتصارا للديمقراطية ، وقطعت الحكومة المصرية علاقاتها السياسية بالمانيا انتصارا للديمقراطية كذلك . وفى هذا كله دليل على تعلق مصر بالمبادىء الديمقراطية »(١٤) . وقالت ان ممثلى الهيئات البرلمانية يستطيعون فى الاجتماعات التى يعقدونها مع على ماهر « ان يستطلعوا رئيس الحكومة امورا قد يكون لها تأثير كبير فى تعيين الخطة التى ينتهجونها فى داخل البرلمان »(١٥) .

ويتضح هنا داب الصحيفة لخلق موقف برلمانى منسجم مع سياسة الحكومة المصرية . وفى هذا السياق أيضا كان ترحيبها بتصريح على ماهر الذى قال فيه ، انه « لو لم تكن هناك معاهدة بين مصر وانجلترا لما وقفت مصر غير موقفها الحالى » بقولها ان

« هذا الذى قاله رفعته وعبر به عن شـعور مصر كلها هو المعاهدة الحقيقية ، وهو الصداقة الصحيحة والتحالف النزيه .. اما المعاهدة المصرية الانجليزية فقائمة على أسـاس متين من الصداقة ، وهى صداقة ظل المصريون يجاهدون نحو سبع عشرة سنة فى سبيل عقد أواصرها »(١٦) . وكتبت يوم انعقاد البرلمان تقول ، ان حكومة جلالة الملك رأت « عملا بما يقتضيه دستور البلاد الا تنفرد بالأمر ، وأن تتيح الفرصة الملائمة لكى تعرب الأمة عن رأيها ممثلة ببرلمانها ، فتعرض عليه الحكومة ما اختارت من سـياسات وما اتخذت من قرارات أريد بها الوفاء بالعهود وصـون مصـالح البـلاد الحيوية » مؤكدة على ان الأمة « مستعدة للوفاء بنصوص المعاهدة وعدم السماح لأحد بأن يتعدى حدودها ، وسـيبدو هذا التصميم بشكله الجديد فيما يجمع عليه البرلمان حينما تعرض عليه الحكومة المراسيم والقوانين التى صدرت فى اثناء العطلة البرلمانية »(١٧) .

ونشرت ببان رئيس الوزراء الذى أدلى به فى البرلمان تحت عنوان « فى سبيل مصر نقف صـفا واحدا تحت راية الوطن والعرش والحرية »(١٨) . وقد انتهت مناقشـات البرلمان الى الموافقة على هذه المراسيم ، التى دافع على ماهر عنها بحرارة ، خصوصا فى مواجهة الموقف المتصلب الذى وقفه مجلس الشيوخ الذى كان يتمتع بأغلبية وفدية فى صفوفه .

فى هذه الأثناء ، كانت البلاد تعيش اجواء ازمة حادة فى القطن المصرى ، وتجرى الاتصالات للتوصل الى حلول مناسبة لها بين حكومتى مصر وبريطانيا ، وازدادت خطورتها الى درجة ان البرلمان المصرى عقد جلسـة خاصة بشأنها ، وقرر تكليف الحكومة بمخاطبة بريطانيا لشراء القطن المصرى كله وذلك بناء

على اقتراح تقدم به محمد محمود باشا وآخرون ، فتقول (المقطم) : « ولسنا فى حاجة الى القول بأن هذا القرار يدل دلالة واضحة على أن مصر تنتظر من حليفتها أن تساعدها من هذه الناحية كما ساعدتها مصر من نواح اخرى ، وبذلك تعزز روح المعاهدة من الجانبين ، لا نخطىء اذا قلنا ان رغبة الحليفتين فيه متماثلة متعادلة »(١٩) مؤكدة على ان « للمصريين ثقة تامة بأن سعادة السير مايلز لامبسون سيكون خير وسيط فى هذا الموضوع بين الحكومتين بما عرف عنه من حب لهذه البلاد ومن انصاف وأصالة رأى فى معالجة الأمور المتصلة بما بين البلادين من مصالح مشتركة »(٢٠) . وأوضحت ان « الناس جميعا فى مصر يعتقدون أن فى طاقة بريطانيا أن تفرج ازمة القطن المصرى ويرنون بأبصارهم الى لندن منتظرين بفروغ صبر ما يستقر عليه القرار هناك فى هذه المسألة الحيوية »(٢١) ونوهت بكلمة محمد محمود باشا فى البرلمان التى جاء فيها « ونحن فى هذه البلاد نناصر بكل قوتنا المبادىء الديمقراطية ونعمل لانتصارها الحاسم » قائلة أن هذه « عبارة يجدر بحلفائنا الانجليز أن يقدروا نبل الروح التى انطوت عليها لأن معنى هذه العبارة أننا نعد القضية قضية مشتركة ونعنى قضية الديمقراطية وفى هذا ما يدعونا الى النهوض بتعهداتنا للحليفة بكل صدق واخلاص وأمانة »(٢٢) .

ومن الجدير ذكره ، أن العلاقات بين محمد محمود والسفير البريطانى ، كانت تسير بشكل جيد ابان حكومته السابقة ، التى وفت بجميع ما تطلبته المعاهدة من تعهدات ، فى الوقت الذى حدث فيه تباعد بين الوفد والانجليز ، بعد التحالف المؤقت الذى جرى بينهما أثناء الأزمة الدستورية ، فقد رأى النحاس أن من المستحيل على الملك فاروق ان يستطيع وحده بتأييد من على ماهر

باشا اقالته اذا كانت الحكومة البريطانية تري جديا أن تمنع حدوث ذلك(٢٣) .

وفى محاولاتها المستمرة لتأييد خطط الحكومة المصرية واجراءاتها بما يدعم الموقف البريطانى وخصوصا مسألة الأحكام العرفية تقول (المقطم) ، ان « الجمهور لا يشعر بشىء اسمه وطأة الأحكام العرفية الا من ناحية ضربها على أيدى بعض التجار الذين زين لهم طمعهم وجشعهم ،أن ينتهزوا فرصة الظروف الحاضرة ليحاولوا استغلال الناس استغلالا غير شريف » « ولم تحاول الحكومة ان تستغل الأحكام العرفية لمصلحتها بحال فلا عنت ولا تعنت ، وكذلك لم تحاول الانتفاع بها فى غرض سياسى أو حزبى » « بل ظلت الروح الدستورية هى المتغلبة »(٢٤) .

ولم تأل (المقطم) جهدا فى الاشادة بكافة مظاهر التعاون المصرى البريطانى(٢٥) كالمناورات المشتركة بين الجنود المصريين والبريطانيين ، التى جاءت « دليلا جديدا على ما بين الرجال العسكريين المصريين والرجال العسكريين البريطانيين من صداقة ومودة ورغبة صادقة فى التآزر والتضافر »(٢٦) وكتب مندوبها يصف زيارته للوحدات الميكانيكية فى (جيش الشرق) بدعوة من الجنرال (فيجان) قائلا : « انك ترى الحياة فى نظرات هؤلاء الجنود وترى العزائم الصادقة مرسومة على جباههم »(٢٧) .

وقالت (المقطم) انه « كلما اشتدت الحرب فى أوروبا ازداد الناس فى مصر ايمانا بفوائد محالفة بريطانيا أو بعبارة أخرى كلما اشتد الضغط على الدول الصغيرة فى أوروبا ازداد الناس هنا ايمانا بضرورة أن يكون لمصر حليفة قوية » . وموقع مصر الجغرافى يوجب عليها أن « تكون فى صف بريطانيا ، وأنه حتى لو لم تكن

بيننا وبين بريطانيا معاهدة كالمعاهدة المعقودة بين البلدين لقضت طبيعة الامور فى الظروف الحاضرة بأن تكون بريطانيا ومصر فى صف واحد »(٢٨) . ونشرت تصريحا للجنرال ويلسون يقول فيه : « ان القوات المسلحة والجيوش المتحالفة فى مصـــــر على تمام الاستعداد للدفاع عن البلاد »(٢٩) . وتحدثت عن « زيارة جلالة الملك لمنطقة القناة ليشرف على تدابير تأمين الدفاع عنها »(٣٠) ، وعن عزم الحكومة على « الاستعانة بأعيان البلاد وذوى النفوذ فيها لتعزيز الأمن والنظام »(٣١) .

على ماهر وسياسة تجنيب مصر ويلات الحرب :

أشارت (المقطم) الى الاجتماعات والمناقشات الدائرة بين رئيس وزراء مصر وسفير بريطانيا التى « تدور فى جو من الادراك الصحيح للظروف الدولية الحاضرة ولموقف مصر من جميع النواحى كدولة مستقلة من جهة وكحليفة لبريطانيا من جهة أخرى ، وليس للحكومة سوى غرض واحد هو أن تصون مصلحة مصر كاملة فى ظل احكام الدستور وبما يطابق نصوص المعاهدة »(٣٢) . وذلك بعد دخول ايطاليا الحرب ضد الحلفاء ، وقد عقد البرلمان المصرى جلسة خاصة لاستيضاح سياسة الحكومة بازاء الموقف المستجد ، فتقول (المقطم) : « اليوم كلنا وراء الحكومة ، نقول الحكومة ولا نقول الوزارة ، فان الموقف أخطر من ان ننظر الى الحكومة من خلال الوزارة ولا يعنينا من يرأس الوزارة ولا ممن تؤلف الوزارة .. ومن الواجب على كل واحد منا اليوم أن يقف خلف الحكومة ، لأنها حكومة مصر ، حكومة الدولة التى على رأسها فاروق »(٣٣) .

وأعلن على ماهر باشا فى مجلس النواب سياسته الخاصة بموقف مصر فى هذه الظروف وكانت هذه السياسة تقضى بدخول

مصر الحرب فى حالة اعتداء ايطاليا عليها باحدى الطرق الثلاث الآتية :

ـــ اذا توغلت الجنود الايطالية فى الأراضى المصرية مبتدئة.

٢ ـــ اذا ضربت المدن المصرية بالقنابل .

٣ ـــ اذا ارسلت غارات جوية على مواقع الجيش المصرى .

ومن الغريب ، مع ذلك ، ان يسمى على ماهر باشا سياسته هذه سياسة تجنيب مصر ويلات الحرب ، مع أنها استمرار لسياسته القائمة على الحرب الدفاعية(٣٤) .

وقالت (المقطم) ان يوم أمس سيظل « يوما تاريخيا فى سفر الحياة البرلمانية المصرية فقد ضربت المعارضة أمس مثلا ساميا للوطنية الخالصة المنزهة عن كل غرض ، واثبتت انه عند الشدائد وفى مثل هذه الظروف الخطيرة تعرف مصر كيف توحد كلماتها»(٣٥).

واشادت بخطة على ماهر التى نالت الموافقة الاجماعية والثقة العامة بقولها ، ان « السنة العباد فى طول البلاد وعرضها تترنم بها فى كل مجلس وناد وحسبنا أن نقول انها سجلت لمصر فخر الحرص على السلام من دون أن ترتضى لنفسها الضيم أو تنزل عن حقها فى الدفاع عن الشرف ومكنتها من التوفيق بين الاحتفاظ بأمنها الداخلى من ناحية وتوفية ما عليها لحليفتها العظمى من التزامات من ناحية أخرى ، وهذا كله فضل الله يؤتيه من يشاء »(٣٦) .

الا ان تغييرا مفاجئا فى الموقف البريطانى من وزارة على ماهر يحدث بتقديم تبليغ الى الملك فاروق من السفير البريطانى لامبسون ، يقول فيه « فى هذا الوقت بالذات . . فاننا لسنا مستعدين . لا نحن ولا جلالتك ، لبقاء رجل فى عجلة القيادة ، لا نثق فيه ، لا نحن

ولا الشعب المصرى ، أن على ماهر يجب أن يخرج ، ويخرج بسرعة »(٣٧) .

ويقول الدكتور هيكل ان الملك دعا زعماء الأحزاب للتشاور فى الموقف فى قصر عابدين ، وأن الحاضرين وفى مقدمتهم أحمد ماهر باشا راوا الخير فى أن تستقيل وزارة على ماهر باشا بعد أن انعدمت الثقة بينها وبين الحكومة البريطانية ، وبعد أن أصبح تعاونهما غير ممكن ، وعلى اثر هذا القرار القى على ماهر باشا فى البرلمان تصريحا طعن فيه طعنا جارحا على موقف انجلترا من مصر ، وعلى تصرف سفيرها الاستبدادى مع وزارة مصر ، مما جعل منه خصما صريحا لممثل انجلترا فى مصر ، وخصما صريحا لانجلترا نتيجة لذلك ، ورفع على ماهر باشا استقالة وزارته الى الملك فقبلها(٣٨) .

ولم تتطرق (المقطم) للخوض فى ملابسات خروج على ماهر من الحكم ، التى ناقشت بعض المراجع اسبابها الظاهرة ، بما قدمته الوثائق البريطانية ، ومنها « العمل الدائب من جانب عزيز المصرى لتقويض مركز البعثة العسكرية البريطانية عمدا ، وفى تشجيع رئيس الوزراء للحملة ضد الوضع الانجليزى المصرى فى السودان، وفى طرد عدد من موظفى الحكومة المعروفين بميولهم الودية نحو بريطانيا » و « وتشجيع الوزارة والملك على انتهاج خطة العداء نحو الوجود البريطانى والسعى الى الاتصال بدولتى المحور »(٣٩) .

أما الدكتور عبد العظيم رمضان فيرى ان الأسباب الحقيقية للخلاف بين على ماهر ولامبسون كانت تتركز حول مسألة دخول مصر الحرب ، فبينما كان على ماهر يفرق بين الحرب الدفاعية والحرب الهجومية ويرى ان دخول الحرب الدفاعية يلزم فيه اعتداء ايطاليا على مصر ، وان دخول الحرب الهجومية يلزم له موافقة

البرلمان ، كان السير مايلز لامبسون لا يفرق بين الحربين ، ولما رأى لامبسون أن على ماهر لا يريد أن يذعن للضغط الواقع عليه ، وفى الوقت نفسه كانت الصحف الحكومية تروج لفكرة الحياد ، بينما كانت التقارير ترد من روما بأن الوزير المصرى المفوض فيها يفاوض بخصوص الحياد ، اعتبر لامبسون ذلك علامة على أن على ماهر يلعب على الحبلين ، وانه يماطل فى اعلان الحرب تمهيدا لاعلان الحياد(٤٠) .

وزارة حسن صبرى وخروج السعديين :

ذهبت وزارة على ماهر ، « واختير الرئيس الجديد من الشخصيات التى يرضى عنها الانجليز . فعهد الى حسن صبرى الذى كان سفيرا لمصر فى بريطانيا بتشكيل الوزارة »(٤١) . وقد أعلن حسن صبرى التزام حكومته بالمحافظة « على استقلال البلاد وتجنيبها شرور الحرب »(٤٢) . وبالرغم من أن حسن صبرى قد انتهج حيال الحرب نفس الموقف الذى انتهجه على ماهر بتجنيب مصر ويلاتها ، فان خطة التعاون التى التزم بها حيال الحليفة قد أدت الى تحسن الأمور بين الطرفين على نحو واضح ، ولكن فى نفس الوقت أدى الى توتر العلاقات بين السعديين الذين كانوا يشكلون أهم المجموعات الحزبية التى تتألف منها وزارته . فبعد أسابيع قليلة من تشكيل الوزارة بدأ الدكتور أحمد ماهر رئيس الهيئة السعدية ورئيس مجلس النواب ، فى شن حملة سياسية تستهدف أن يكون لمصر دور أكثر تحديدا فى الحرب . وتعزو المصادر البريطانية هذه الحملة الى عدة دوافع ، منها ايمانه حقيقة بأن ذلك سيكون من مصلحة مصر ، ومنها أنه كان يأمل من خلال هذه الحملة فى الوصول الى رياسة الوزارة(٤٣) .

وقد حرصت (المقطم) على الدعوة الى أن « تظهر مصر بمظهر رجل واحد فى هذا الظرف العصيب »(٤٤) . ووصفت جو العلاقات السياسية بين مصـــر وبريطانيا بأنه « جو اطمئنان تام وارتياح تام » وأن « وزارة الدفاع ماضية من جهتها فى مواجهة الموقف الحربى بما يقتضيه من تدابير ، حتى لا تأخذ الحوادث الجانب المصرى على غرة »(٤٥) . وقالت ان البلاد اليوم فى حاجة الى خطة تهتدى بها « وهذه الخطة لابد ان تكون خطة اجماعية فى ظرف كهذا الظرف الدقيق ، فاذا قضت علينا الأحوال بخوض الحرب خضناها متحدين متضافرين متراصين ، واذا كتب لنا السلام نكون قد خرجنا من هذه الأزمة بالاتحاد ولا نظن أن احدا يأسف على كوننا متحدين »(٤٦) .

وحاولت (المقطم) أن تقف موقفا وسطا بين الجانب الحكومى والسعديين الذين خرجوا من الوزارة ، بسبب رفض دعوتهم الى الدخول فى الحرب ، فقالت ، أن احدا لا يتردد « فى الدفاع عن بلاده اذا قيل له انها فى خطر » . وكان رأى رئيس الوزارء ومعظم زملائه « أن التريث أفضل فى ظروف كهذه ريثما تنكشف النيات وتتبين حقيقة الغايات ، اما المبدأ فى ذاته أى مبدأ الدفاع عن البلاد فمبدأ مسلم به من الجميع .. فمادام الأمر كذلك فلا نرى حقيقة أين وجه الحكمة فى أن يكتب بعضهم كتابات يدعو فيها الى تأييد هذه النظرية أو تلك فيظهروا الشعب بمظهر لا يليق أن يظهروه به .. يضاف الى ذلك أن أمرا خطيرا كهذا الأمر لا يبت فيه بالمقالات أو على صفحات الجرائد بل يبت فيه المسئولون عن مصير البلاد » ، وأوضحت أن « الوفاق تام بين الحكومة المصرية والحكومة الانجليزية وان التفاهم تام كذلك بين دولة رئيس مجلس الوزراء وســعادة السفير البريطانى » وأنه لم يكن « للجانب الانجليزى طلب ما فى الموضوع الذى كان محل خلاف فى مجلس الوزراء ، وقد أيد سير

الحوادث هذا القول تأييدا تاما بما بدا من موقف السفير البريطانى كما هو معروف للدوائر الرسمية »(٤٧) .

ودعت (المقطم) الى الحيطة والحذر خلال الاحاديث العامة والخاصة فى المنتديات تجاه كل ما يمس أمن البلاد لاحباط جهود الجواسيس الذين تقول السلطات البريطانية ان ايطاليا قد نظمتهم للعمل فى مصر ضد الجيش البريطانى(٤٨) . وقالت ، تعقيبا على زيارة ايدن لمصر ، ان التفاهم بين مصر وبريطانيا « لا تشوبه شائبة فى هذا الوقت الدقيق فالاخلاص متبادل والثقة متبادلة والرغبة الصادقة فى المعونة الخالصة متبادلة كذلك »(٤٩) .

واشارت الصحيفة ، دون تعليق من ناحيتها ، الى الخطاب الذى القاه النحاس باشا فى سمنود ، واعلن فيه رفض الوفد لزج البلاد فى الحرب ، منسجما فى ذلك مع موقف الأمة بأسرها . كما انتقد اوضاع الحكم السياسى الداخلى فى مصر(٥٠) .

وزارة حسين سرى :

شكل حسين سرى الوزارة التى خلفت وزارة حسن صبرى بعد وفاته وهو يلقى خطاب العرش . وفى الوقت الذى كانت (المقطم) تتابع فيه سير المعارك الحربية ، وبخاصة « معركة سيدى برانى وانتصار الحلفاء فيها »(٥١) . وقد وصفتها « بمعركة الصحراء العظيمة »(٥٢) ، التى طهرت فيها قوات الحلفاء الصحراء الغربية « من الايطاليين فى جميع الأراضى المصرية ، وما برحت تطاردهم فى الأراضى الايطالية »(٥٣) .

وقد سار حسين سرى فى سياسته على سياسة سلفه ، فشدد الاجراءات المتخذة ضد رعايا المحور والدول الدائرة فى

فلكه . واعتقل الشخصيات المصرية المعروفة بميلها للمحور ومنح كافة التسهيلات للقوات البريطانية فى المواصلات وفى الاستيلاء على المبانى(٥٤) ، كما سارت الوزارة على نهج الوزارة السابقة فى مسالة موقف مصر من دخول الحرب ، فتقول (المقطم) انه « اذا كان البرلمان قد ايد الوزارة فى سياستها والايطاليون يحتلون سيدى برانى فلم يؤثر اعلان الحرب على ايطاليا او اعتبار انفسنا فى حالة حرب مع ايطاليا تجيز للقوات المصرية ان تشترك فى قتال الايطاليين فلا يعقل ان يقرر البرلمان ذلك ، وقد طرد الايطاليون من الأراضى المصرية كلها »(٥٥) .

وتحدثت الصحيفة عن دور مصر « فى تحقيق النصر الذى احرزه حلفاؤنا فى الصحراء الغربية ، فالحرب الحديثة ليست مجرد رجال وسلاح وطعن وضرب ، ولكنها تتوقف الى مدى بعيد على التموين والمواصلات والتدابير والمنشآت التى تتيح للرجال والمعدات ان يؤدوا ما عليهم .. وقد هيأت مصر لحليفتها فى هذا الميدان اقصى ما كانت تستطيع ان تهيئه لها »(٥٦) .

ونشرت كتابا من الجنرال (ويفل) القائد العام للقوات البريطانية فى الشرق الأوسط الى رئيس الوزراء سرى باشا ، يثمن فيها المعونة التى اسداها الجيش المصرى لجيوش الامبراطورية البريطانية فى حملتها على ليبيا(٥٧) . وذكرت ان ايدن « انتهز فرصة اجتماعه برئيس الوزارة فكرر له شكر انجلترا لاخلاص مصر لقضية الحلفاء واعرب عن امتنان بلاده للمعاونة التى اسدتها مصر الى الجيوش البريطانية »(٥٨) .

وحرصت (المقطم) على التنبيه الى خطورة الاشاعات التى يروجها البعض ومنها اشاعة تعديل الدستور ، واشاعة طلب بريطانيا ان يشترك الجيش المصرى فى احتلال المناطق التى احتلها

الانجليز فى ليبيا ، واشاعة رغبة الانجليز فى استخدام العمال المصريين فى الأعمال العسكرية(٥٩) . وذلك فى الوقت الذى كانت فيه معارك ليبيا وتطوراتها تؤذن بأخطار شديدة محتملة ضد الحلفاء، مما كان موضع اهتمام بالغ للسفير البريطانى ورجال الحكم فى مصر « فالحرب قائمة فى ليبيا وعلى حدود مصر الغربية وستتوالى المعارك وستكون معارك كبيرة شديدة تقتضى جهدا كثيرا وعناية عظيمة وسلاحا ومددا وقد تستغرق هذه الاجراءات اياما واسابيع .. وقد تحين ساعات دقيقة وتحل ايام مزعجة ولكن العبرة بالنتيجة النهائية وهى بيت القصيد »(٦٠) .

ودافعت الصحيفة عن الاجراءات التى اتخذتها الحكومة بشأن الأجانب من اجل « سلامة البلاد وسلامة القوات الحليفة » التى « يجب أن تقدم على كل اعتبار آخر » وكل اجنبى يريد أن « يحتفظ بصداقة مصر » عليه الآن أن يلتزم « السكون والهدوء »(٦١) . ونوهت بتصريح رئيس الوزراء عن خطورة الوضع وما يتطلبه ذلك من « كل مصرى أن يؤدى الواجب عليه »(٦٢) .

فكرة الوزارة القومية :

أمام اشتداد الخطر الالمانى على جبهة ليبيا ، وانعكاساته التى تحدثت عنها الصحيفة على مصر ، أشارت (المقطم) للاجتماعات واللقاءات التى يعقدها الملك مع زعماء البلاد ، بقولها انه امام « هذه الاحداث التى تتعاقب كل يوم وأمام التبعات والمسئوليات التى تقتضيها الحالة العامة من المسئولين عن قيادة السفينة لا مندوحة عن توحيد الصفوف توحيدا عمليا ، فيضطلع كل مصرى بنصيبه من التبعة والمسئولية لبلاده وقومه »(٦٣) .

ونقلت عن النحاس باشا قوله ، على اثر مقابلته للملك ، لقد « تجلى لى فى هذه المقابلة ما اعرفه عن مليك البلاد من حب صادق لشعبه وحرص على وحدته وجمع كلمته والأمر الآن متروك بين يدى جلالته حفظه الله »(٦٤) . وهذا الأمر الذى نوه به هو فكرة الوزارة القومية التى طرحت من جديد ، ووافق عليها الوفد للمرة الأولى منذ انتهاء الائتلاف الوزارى عام ١٩٢٨ ، أما التقارب بين الوفد والملك ، الذى بدأ فى أبريل ١٩٤١ ، فقد بدأ الخطوة الأولى فيه الملك فاروق كما يقول الدكتور عبد العظيم رمضان ، الذى يرجح ان هذا الاتصال انما يرجع الى رغبة فاروق فى الاستناد الى قوة شعبية تحميه مما يتخوفه من عزله على يد الانجليز واحلال الامير محمد على مكانه وبمعنى أصح أن فاروق كان يريد حماية ظهره فى الداخل ، بينما كان يجرى اتصالات بالألمان فى الخارج ليحمى عرشه فى حالة غزوهم لمصر(٦٥) . ولكن الأحزاب المصرية الأخرى رفضت فكرة الوزارة القومية لاصرار الوفد على حل البرلمان القائم الذى تتمتع هذه الأحزاب بالأغلبية فيه ، واجراء انتخابات جديدة . وفى مواجهة هذه الحالة ، تقول (المقطم) انها لا تحب الكتابة فى السياسة ، لأن « سياسة فلان غضب أو فلان استقال أو فلان يطمع فى الوزارة أو فلان يكيد لفلان ليست السياسة التى يجوز أن تشتغل بها البلاد فى هذه الأيام » أما « موضوع الوحدة » فلم يعد « فى حاجة الى كتابة وبيان بل يحتاج الى عمل . يحتاج الى أن نسأل أنفسنا : أين نحن والى أين نحن سائرون وما هو مصير هذا كله »(٦٦) .

حادث طائرة المصرى :

تابعت (المقطم) تفاصيل حادث الطائرة التى حاول الفريق عزيز المصرى والطياران حسين ذو الفقار وعبد المنعم عبد الرؤوف الهرب بواسطتها للالتحاق بالألمان ، وقالت ان « المحاولة لم تكن

وليدة تفكير سريع بل جاءت نتيجة خطة مختمرة »(٦٧) . وعمدت الى السخرية من شخصية المصرى ، فقد « طرأ على عزيز المصرى باشا فى الأيام الأخيرة تحول كبير فى نفسيته بدليل انه ترك حقائبه فى الطائرة ، وكان عنده متسع لنقلها »(٦٨) .

ونقلت على لسان رئيس الوزراء حسين سرى قوله عن المصرى ان (توازنه الخلقى) قد (تفاقم) « على اثر نجاح الغازى كمال اتاتورك ، فقد كان دائما يجهر بأنه أعظم من اتاتورك فى نبوغه العسكرى وانه هو الذى كان يتعين عليه أن ينقذ تركيا وأن يشرف على نهضتها ، ولما تقلدت وزارة الدفاع الوطنى واتصلت به أدهشنى ان اراه يرجع كل شىء الى المسألة المادية بل دعنى اقول الكلمة بصراحة .. الى المال »(٦٩) .

وكتبت (المقطم) تحت عنوان « نوادر » حكايات يرويها « وكيل وزارة سابق » وبعض الضباط يؤكدون فيها اهتزاز شخصية عزيز المصرى واضطراب نفسيته وغروره(٧٠) .

وقالت (المقطم) ان « هذا الحادث لم يشغل الرأى العام المصرى الا من الناحية الروائية فيه ، فكان الاهتمام بظروفه أكثر من الاهتمام بموضوعه ولاسيما بعدما نشرت الصحف والمجلات على اختلاف الوانها ما نشرته عن عزيز على المصرى باشا وأطواره ، فلم ينظر أحد الى الموضوع نظرة جدية بل أضافوا الى ما قرأوه عنه ولم يأسفوا الا على تغريره بشابين فى مقتبل الحياة فذهبا ضحيته »(٧١) .

الا أن (المقطم) لم تذكر شيئا عن الدوافع التى تقف خلف محاولة فرار المصرى ، واكتفت بالهجوم عليه والسخرية منه ، ولعلها فى ذلك تلتزم بالموقف البريطانى من (المصرى) ، الذى أقيل

من منصبه فى رئاسة اركان الجيش بايعاز منهم ، كما يقول الدكتور محمد أنيس ، الذى يضيف ان عزيز المصرى كان فى جولاته بين وحدات الجيش المصرى يشيد امام الضباط المصريين بالعسكرية الالمانية ، ويقلل من شان العسكرية الانجليزية والفرنسية ، ولاشك والوضع على هذا النحو ان تتاثر به مجموعة الضباط الصغار الوطنيين ، مما اوقع هؤلاء الضباط فى بلبلة شديدة حول طبيعة الصراع الذى كان يدور بين المحور والحلفاء ، وجذب بعضهم الى التعاطف مع المحور ، لا حبا او حتى فهما للفاشية لكن كراهية وشماتة فى المحتلين الانجليز ، ولابد أن نقرر للحقيقة التاريخية هنا ، أن هذا كان موقف غالبية الشعب المصرى(٧٢) .

مشكلات خطيرة فى طريق الوزارة :

تعرضت البلاد فى عهد وزارة سرى لغارات جوية عنيفة ، وبخاصة فى الاسكندرية ، تسببت فى وقوع خسائر بشرية ومادية جسيمة ، وقد اشارت (المقطم) الى دعوة رئيس الوزراء لرجال الصحافة لمعاونته فى هذه الظروف العصيبة والعمل على تهدئة الخواطر وتسكين النفوس(٧٣) . كما اشارت الى « هبة » بريطانية قيمتها مليون جنيه للاسهام فى وقاية المدنيين فى مصر ، والى بيان الوفد حول التقصير الجسيم الذى ادى الى الخسائر الكثيرة فى الأرواح بالاسكندرية(٧٤) . وكذلك ازدادت مشكلة التموين حدة وخطورة ، وشاركت (المقطم) بحملة الانتقاد التى تعرضت لها الوزارة بسبب هذه المشكلة ، فتقول ، انه « لا يكفى ان يقال للشعب ان القمح والذرة متوفران فى البلاد ، بل يجب أن تعلم هل عند الشعب المقدرة على الشراء بالاسعار التى تطلب منه فلا تجوع الطبقات العاملة »(٥٧) . ودعت الى استخدام الشدة المتناهية مع التجار الجشعين لأن كثرة المخالفات الاسبوعية تدل على كثرة المستهترين(٧٦) .

يضاف الى ذلك كله أن هذه الوزارة لم تعد موضع ثقة فاروق بسبب ازمة حكومة فيشى ، فقد طلبت بريطانيا من حسين سرى قطع علاقات مصر بحكومة فيشى التى قامت اثر انهيار الجمهورية الفرنسية الثالثة ، وتقسيم فرنسا الى شطرين ، فالمطلب اذن من بريطانيا ، لكن وقعه على المصريين كان الى حد ما سيئا ، للعلاقات التاريخية التى تربط بين فرنسا ومصر ، لأن غالبية الساسة المصريين كانوا متشيعين للثقافة الفرنسية ، ورغم هذه المعارضة استطاع حسين سرى أن يستخلص من مجلس الوزراء قرارا بقطع العلاقات ، حدث هذا وفاروق فى رحلة فى البحر الأحمر ، ثم عاد فاروق من رحلته وعلم بما حدث فى مجلس الوزراء والقى اللوم على صليب سامى وزير الخارجية لأنه كان يجب أن يعترض على اقتراح رئيس الوزراء ، واذا برئيس الديوان يبلغ وزير الخارجية بأن يلزم داره . وهكذا نشبت أزمة بين الوزارة والقصر ، وكان لابد للوزارة من تقديم استقالتها فى ٢ فبراير ١٩٤٢(٧٧) .

وقد أيدت (المقطم) قرار الحكومة المصرية بقطع العلاقات مع حكومة فيشى ، منسجمة فى ذلك مع الطلب البريطانى ، وضد رغبة القصر ، فتقول ان « مفوضية فرنسا لم تكن تمثل الشعب الفرنسى بل كانت تخدم مصالح دول المحور ، فلم تعد هناك حاجة الى بقائها ، وقد توافرت الأدلة على ان عمال فيشى كانوا عمالا متنكرين للمحور » « وثبت ان بقاء المفوضية الفرنسية قد يؤدى الى نشوء طابور خامس تكون المفوضية مقرا لنشاطه ، غير ان مصر كانت ساهرة على أمنها ، وعلاوة على ذلك اظهرت مرة اخرى عطفها على قضية الحلفاء وتضامنها معهم فى سبيل النصر . وقد عرفت مصر كدولة ديمقراطية ان تدافع عن المبادىء الديمقراطية ، وانه يجب على البلاد الديمقراطية ان تحمى أمنها ، وهذا هو الغرض الذى قصدته من وقف علاقاتها بهيئة تهدد الأمن »(٧٨) .

وزارة ٤ فبراير الوفـــــدية :

تحدثت (المقطم) عن النشاط السياسى الذى شهدته البلاد بعد استقالة وزارة حسين سرى بقولها ، ان الموقف السياسى والوزارى قد تحول « تحولا كبيرا لم يكن متوقعا بهذه السرعة ، وان كان الواقفون على مجرى الامور قد توقعوا من ايام انه لابد ان ينجلى الموقف عن نتيجة نهائية فى هذا الاتجاه أو فى ذاك »(٧٩) . وسردت اخبار المقابلات التى تمت ، واوضحت انه « لا يمكن التكهن بشىء عن مصير الموقف السياسى او الوزارة الجديدة » . ونوهت بمسئولية الزعماء قائلة : « وليس رجال مصر واقطابها فى حاجة الى من يحدثهم عما عليهم فى هذه الأيام ، وليس لنا نحن على كل حال ان نحدثهم عن ذلك ، ولكن اذا كان للصحافة أن تردد ما يريده الشعب فى مناسبات كهذه فان الشعب يقول لهم اليوم : مصر اولا وقبل كل شىء »(٨٠) .

واكدت على أن الموقف السـيـاسى الحالى « لا يعالج بالاشاعات ومادامت مشيئة جلالة الملك قد اتجهت نحو استشارة الزعماء والاقطاب فلتترك البـلاد لحكمة ملكها واخـلاص رجالها »(٨١) .

وقدمت تفاصيل اللقاءات والاستشارات الملكية مع الزعماء ، ومقابلة السفير البريطانى للملك ، وتصريح النحاس باشا حول قبوله تشكيل وزارة وفدية ، بعد ان كلفه الملك بذلك ، ونشرت تصريحا لمكرم عبيد يقول فيه ، ان النحاس باشا « بقبوله الحكم فى هذه الظروف الخطيرة ، قد وقف موقفا خالدا ، كله تضحية وانكار ذات » .

ونقلت على لسان (مصدر وفدى كبير) ان النحاس باشا « لم يقبل تأليف وزارة قومية لاعتبارين جوهريين :

الأول : انه يرى ان جميع الأحزاب قد فشلت فى مهمتها ، وقبول مبدأ الوزارة القومية معناه مشاطرة تلك الأحزاب فشلها .

والثانى : انه اراد بطلب ان تكون الوزارة وفدية أن تجىء الوزارة الجديدة ممثلة لمشيئة الأمة المصرية »(٨٢) .

أما (المقطم) فلم تعلق من جانبها على ما حدث مساء الرابع من فبراير ، ولكنها عمدت الى نشـــــر الكتابات المؤيدة للوزارة وخصوصا ما أوردته (رويتر) عن ارتياح الحكومة البريطـــــانية الكبير لقرار تأليف الوزارة ، وما كتبته كل من (الاجيبشيان جازيت) و (الاجيبشيان ميل) و (النيوز كرونكل) و (التايمز) التى ذكرت ان النحاس باشا وحده هو الذى يستطيع ان ينشىء استقرارا سياسيا فى مصر(٨٣) .

كما أوردت (المقطم) خبر ذهاب السفير البريطانى لتهنئة النحاس باشا فى دار رئاسة الوزراء وهتاف الجماهير له (لتحيى انجلترا) وتلويحه لها بـــ (لتحيى مصر)(٨٤) .

ولكن (المقطم) ومعها الصحف المصرية الأخرى ، لم تستطع بسبب الرقابة المفروضة عليها لظروف الحرب ، ان توضح الحقيقة فى حادث ٤ فبراير الذى جرى فيه تطويق قصر عابدين بالدبابات البريطانية ، وتقديم انذار بريطانى للملك ، والتوصل الى تأليف وزارة وفدية بعد ان رفض النحاس باشا تأليف وزارة قومية ، كان زعماء الأحزاب المصـــرية والملك عازمين على تشـــكيلها .

وقد اتفقت سائر المراجع على ان هذا التدخل البريطانى كان انتهاكا صارخا للسيادة الوطنية ، واتفقت على تعرض سمعة الوفد

الوطنية للاهتزاز ، لقبوله تسلم الحكم بالتدخل البريطانى ، وأن كانت قد برات النحاس باشا من علمه المسبق بفحوى الانذار واتجاه الأحداث ، وحملت مسئولية الاشتراك بتدبير الحادث لأمين عثمان الذى كان موضع ثقة كل من الوفد والانجليز .

اما لماذا كان الاصرار البريطانى على تسلم النحاس باشا دست الحكم فى تلك الفترة فلأن الانجليز كانوا يدركون ان الارتباط بالوفد ، يعنى الارتباط بالشعب المصرى ككل وكانوا على ثقة من أن وصول الوفد الى الحكم ، رغم كل شىء سيقوى من قضية الحلفاء وسيضرب كافة النشاطات المعادية لبريطانيا . لقد كانت هذه هى المرة الأولى التى يتدخل فيها الانجليز لصالح حزب الاغلبية لا لأن هذا الحزب قد أصبح عميلا لبريطانيا ، لكن لأن بريطانيا فى ظروف الحرب العالمية الثانية خصوصا أواخر ١٩٤١ ، كانت فى اشد الحاجة الى حزب الأغلبية فى الحكم(٨٥) .

ولعل ذلك يوضح ، سعى (المقطم) للرد على دعاة الوزارة القومية التى لم تتحقق ، والدفاع عن الوزارة الوفدية بقولها : « ألا يمكن لمصر، وهى فى اشد الحاجة الى مواصلة العمل متحدة متآزرة لتحقيق آمالها والمحافظة على كرامتها أن تعمل لذلك ، من دون أن تكون هناك وزارة قومية او ائتلافية ؟ أو بعبارة اخرى مادام تأليف الوزارة القومية لم يتيسر فهل معنى ذلك أن الجهود لا يمكن أن تتحد وأن تتآزر الا فى ظل الحكم وتحت سقف الوزارة ؟ ولماذا لا يتحدث بعضهم عن تحقيق التصافى المنشود الا اذا تألفت وزارة قومية ؟ الا يمكن أن يكون هناك أولا صفاء وتآزر ووحدة فى داخل البرلمان فى ظل الدستور وهو الأساس ؟ »(٨٦) .

وعلقت (المقطم) على فوز الوفد فى الانتخابات النيابية التى قاطعها السعديون والأحرار الدستوريون ، لعدم قبولهم بتخصيص

ربع المقاعد لهم واصرارهم على طلب الثلث ، ورفض الوفد ذلك لرغبته فى ضمان جميع الأغلبيات المقررة فى الدستور لأعمال البرلمان ولجانه المختلفة ، وقالت انه « حتى لو نزل الوفد لهم عن عدد الكراسى التى طلبوها لظلت الأغلبية الكبرى مكفولة له » ، وان من بواعث الارتياح « وهذا نقوله كمستقلين أن الانتخابات كفلت للوزارة القائمة تأييدا شعبيا لم تتمتع وزارة سابقة بمثله ، حتى لما كانت الوزارات ائتلافية ، فقد كانت مؤتلفة شكلا لا روحا ، فهذا التأييد الشعبى المنقطع النظير يمكن معه للوزارة التى يراسها رفعة مصطفى النحاس باشا ان تقول فى كل قرار تقرره وفى كل موقف تقفه انها تتكلم باسم الشعب وتعبر عن مشيئته وهى مطمئنة الى انها تقول حقا ، والى ان العالم يعلم أنها تقول الحق ، ولهذا قيمته العظيمة فى كل وقت ، فما بالك فى الوقت الحاضر ، والعالم يستقيظ كل صباح وهو يجهل ما يخبئه له الزمان فى ثنايا الحوادث والأحداث »(٨٧) .

واشارت الى ان الفقرات الخاصة بصلات مصر وبريطانيا فى خطاب العرش قد قوبلت بالتصفيق الشديد من جانب ممثلى الشعب ، مما « يدل على اتجاه ممثلى الأمة فى تقديرهم لمصلحة مصر تقديرا صحيحا ، وهذه اول مرة على ما نذكر تعلن مصر عن ميولها الديمقراطية فى مثل هذه المناسبة بمثل هذا التوكيد »(٨٨) .

وثمنت مبادرة النحاس بتقديم الهدايا للجنود الانجليز الناقهين فى مصر بمناسبة عيد القيامة ، بقولها : « ولا ريب فى أن الخاطر الذى اوحى الى النحاس باشا بفكرة هذا العمل الجليل خاطر انسانى عظيم ، وهو عمل تجاوز أهميته الروحية او المعنوية الناحية المادية فيه بمراحل » . وقد « جاء دليلا ساطعا على ما بين الحلفاء من تضافر وتعاون شديدين وعلى حسن العلاقات القائمة بين الفريقين »(٨٩) .

كما أشادت بمظاهر الصداقة المصرية البريطانية التى تجلت فى حفلة كلية فكتوريا ، حيث « كانت الكلمات التى القيت فى حفلة كلية فكتوريا أمس الأول مظاهرة جميلة جديدة للصداقة المصرية الانجليزية بل ان الحفلة كلها كانت مظهرا جليلا رائعا لهذه الصداقة ، وكل مظاهرة للصداقة المصرية الانجليزية ليست فى الواقع سوى مظاهرة للمبادىء الديمقراطية الصحيحة ، وهى المبادىء التى ينتهز رفعة مصطفى باشا كل فرصة تسنح ليكرر اعلان تعلق مصر بها »(٩٠) .

وهكذا دأبت (المقطم) على الاهتمام بكل مجالات التعاون بين الوزارة الوفدية والسلطات البريطانية ، وتشجيع هذا التعاون وتحبيذه والترنم به ، منسجمة فى ذلك مع الظروف التى أحاطت بتأليف الوزارة والمهمة التى جاءت لتنفيذها فى خدمة المصالح البريطانية .

بين النحاس ومكرم عبيد :

وقفت (المقطم) على الحياد بازاء مسلسل الخلافات التى بدأت بين النحاس باشا ومكرم عبيد . وقد تابعت الصحيفة أخبارها منذ اعادة النحاس تشكيل وزارته التى خرج منها مكرم عبيد .. وتحدثت عن الحرص الذى تبديه الهيئة الوفدية لتطويق الخلافات وابقاء كتلة الوفد سليمة ، لأن « الحكم زائل والوفد باق ، وهو ميراث للأجيال القادمة » . كما قال عبد السلام فهمى جمعة ، فى اجتماع الهيئة الوفدية فى النادى السعدى الذى أنتهى الى المصافحة بين النحاس ومكرم عبيد ، وتأكيد مكرم عبيد على بقائه فى الوفد « لانه من الوفد والى الوفد »(٩١) .

وذكرت (المقطم) أن هذه النتيجة قوبلت « بارتياح عام ، فان للموضوع ناحيتين : الناحية العامة وهى تهم كل مصرى لا ينظر الى هذه الأمور الا على ضوء مصلحة مصر وحدها ، والناحية الخاصة وهى تهم الوفديين بوجه خاص ، فالارتياح العام الذى ننوه به هنا شمل الفريقين معا . ومن الطبيعى ان اغتباط المصرى الوفدى كان مزدوجا كمصرى أولا وكوفدى ثانيا »(٩٢) .

ودعت الى مقاومة ما أسمته « بالطابور السادس فى حياتنا السياسية الداخلية » فقد « كان هذا الطابور السادس فى احوال شتى سبب استحكام خلافات شخصية كثيرة كما يعلم المطلعون ، ومن بواعث السرور أن بعض كبار الوفديين تنبهوا الى ضرورة مقاومته اذا أريد احلال الصفاء محل الجفاء فساعدت الجهود التى بذلوها فى هذا السبيل على نجاح مساعى الذين سعوا لكى يسفر اجتماع الهيئة الوفدية عما أسفر عنه فخرجت الكتلة منه سليمة »(٩٣) .

وكانت الجبهة العسكرية فى هذه الفترة ، تشهد المعارك الطاحنة فى (العلمين) فتؤكد (المقطم) على ضرورة حفظ الأمن الداخلى والقضاء على الاشاعات المغرضة المقلقة للخواطر « بقصد اثارة النفوس وتعكير الجو وايقاظ الفتنة » ، مبينة أن « اقطاب مصر على اختلاف أحزابهم ومشاربهم متفقون على ان لا شىء يخدم مصر فى هذه الظروف العصيبة مثل تمسكها باهداب النظام وتضافر جهود أبنائها على صون الأمن الداخلى وتمزيزه »(٩٤) . واوضحت الصحيفة أن موقف مصر فى هذه الظروف الحرجة قد استحق «تحية الديمقراطية له فى كل مكان » « فهاهو ذا الامتحان قد عقد فى ظل الشدائد وهاهى ذى مصر تجتازه مرفوعة الراس موفورة الكرامة حريصة على سياستها أمينة لكلمتها وفية لعهدها مخلصة لامضائها »(٩٥) .

وبينما كانت مصر تثبت نجاحها فى مواجهة الأخطار التى حملتها رياح العلمين العاصفة كان الوفد يتعرض للانشقاق الرابع فى حياته ، والثالث على عهد النحاس باشا ، بخروج مكرم عبيد وستة عشر عضوا جلهم من العناصر الشبابية ، كجلال الحمامصى وفريد زعلوك والاقباط . وقد تميز هذا الانشقاق عن سابقيه اللذين اصابا الوفد تحت رئاسة النحاس ، انه قد حدث بشكل مباشر فى قمة زعامة الحزب الكبير ، وقد أصاب بشكل مباشر هذه الزعامة الثنائية التى استمرت لأكثر من خمس عشرة سنة(٩٦) .

وشكل هؤلاء المنشقون الجدد « الكتلة الوفدية المستقلة » . وقد تابعت (المقطم) ما جرى بين فريقى النحاس ومكرم بشكل اخبارى دون اى تعليق من جانبها ، ومن ذلك ، الخطب والاتهامات المتبادلة والهجوم الذى تولاه النحاس وصبرى أبو علم سكرتير الوفد الجديد ضد مكرم عبيد دفاعا عن نزاهة الحكم .

الكتاب الأسود :

وشهد هذا الخلاف فصلا جديدا ، زاده حدة وتعقيدا العريضة التى رفعها مكرم عبيد الى الملك فى ٢٩ مارس ١٩٤٣ ، والتى عرفت باسم « الكتاب الأسود » الذى اتسم بادانة « الطابع الاجتماعى للزعامة الوفدية الطبقية واتهامها بالفساد واستغلال الشعب » ، كما حفل « بالاتهامات لطبقة كبار الملاك أو أصحاب العزب الذين سيطروا على الحكومة الوفدية »(٩٧) .

وقد تحدث النحاس عن هذه الاتهامات فى بيانه أمام البرلمان واعرب عن استعداد الحكومة لتفنيد كل ما جاء فيها قائلا : « وقد كان فى وسع صاحب العريضة أن يواجه الحكومة فى البرلمان بما

يريد من الأسئلة والاستجوابات ، ولكنه لم يرد أن يسلك هذا الطريق القويم الكفيل باظهار الحق فى أقرب وقت . وهذه المداورة مكشوفة القصد ظاهرة الغرض ، فهو يعلم قبل غيره أن محتويات المريضة مكذوبة جملة وتفصيلا ، وأن القاء النور عليها يفضحها ويظهر الناس جميعا على افكه وبهتانه » . وأعلن استنكاره لتقديم مكرم عبيد نسخا من كتابه للهيئات الأمريكية والانجليزية لأنه بذلك يهدر صفته النيابية وكرامته الوطنية « وكذلك تأسف الحكومة لاسفافه فى لهجته وعبارته اسفافا كبيرا »(٩٨) . وأعرب عن استعداده لوضع كافة المعلومات المناسبة تحت تصرف النواب للاطلاع عليها ، ولكى يتبينوا مدى ما تضمنه « الكتاب الأسود » من مفتريات(٩٩)

ويعتبر الكتاب الأسود عربون الانتقال من صفوف الوفد الى صفوف القصر ، وثمرة من ثمار التآمر البعيد بين مكرم عبيد باشا وأحمد حسنين باشا ، وهو على كل حال حلقة فى سلسلة المؤامرات التى كان يدبرها القصر ضد الوفد ، كلما اراد التخلص منه ، وهو فى الحكم(١٠٠) .

وقد التزمت (المقطم) الصمت حيال هذا الموضوع ، لاسيما أن مصممى هذه الخطة قد استهدفوا « تحييد الانجليز فى المعركة ، التى قرر رئيس الديوان الملكى وسكرتير الوفد القديم أن يخوضاها ضد حكومة النحاس »(١٠١) وليس من مصلحة (المقطم) بالتالى السعى للصدام مع القصر من أجل الوزارة فى حالة وقوف الانجليز على الحياد بازاء ما تتعرض له من هجوم فى الوقت الذى ابتعدت فيه أخطار الحرب عن مصر ، بعد انتصار الحلفاء فى العلمين ، واقتصرت على متابعة الموضوع بصفة اخبارية محايدة ، فنشرت تفاصيل اعلان ثقة مجلس النواب بالوزارة ، فى ختام مناقشة

الاستجواب المقدم من مكرم عبيد الى الحكومة ، بشأن ما ورد من اتهامات موجهة للنحاس باشا فى الكتاب الأسود . وقد تضمن اعلان الثقة مقترحات حملت بعنف على الكتاب الأسود وواضعيه وعلى الأخص مكرم عبيد(١٠٢) .

نادى العلمين :

اهتمت (المقطم) انسجاما مع خطتها فى دعم أواصر التعاون والصداقة بين المصريين والانجليز ، بافتتاح (نادى العلمين) فى الجزيرة ، ونشرت تفاصيل هذا الافتتاح والكلمات التى القيت بهذه المناسبة لكل من النحاس باشا وأمين عثمان والسفير البريطانى ، ومما قاله النحاس مخاطبا الجنود الانجليز (الأعزاء) : « اننا فى هذا المكان نستعيد امجد الذكريات فان اسم العلمين سيظل بارزا ماثلا بين اعظم الأسماء فى التاريخ لأنه الاسم الذى اقترن بأعظم الانتصارات »(١٠٣) .

وكان امين عثمان ، الذى اصبح وزيرا للمالية ، يراس (لجنة اكتتاب العلمين» . وقد نشرت (المقطم) كلمة له يدعو فيها المصريين الى المساهمة بسخاء فى تخليد ذكرى جنود الجيش الثامن (الباسل) الذين « ثبتوا فى مواقعهم ، وحالوا دون تقدم جيش روميل .. وحاربوا بشجاعة وايمان ، واستطاعوا بصدق عزيمتهم صد الغزاة عن بلادنا »(١٠٤) . وشاركت (المقطم) بحملة اعلانية لهذا الاكتتاب ، ومن ذلك اعلان يقول « أذكروا العلمين ــ لجنة الاكتتابات لنادى العلمين »(١٠٥) ، الذى سيتم اهداؤه الى الجيش الثامن ، والى جميع الوحدات المحاربة ، التى اشتركت معه فى معارك الصحراء الغربية ، كما أوضحت الصحيفة .

المقطم وفاروق :

فى هذه الآونة ، القت (المقطم) بثقلها الى جانب فاروق ، ويبدو ان صداقة كريم ثابت للملك التى بدات عام ١٩٤٣ كما قال التابعى ، بالاضافة الى الجهود الدعائية التى قام بها أحمد حسنين رئيس الديوان الملكى لاظهار فاروق (بمظهر الرجل الوطنى) ، فأضاف له كل محمدة ممكنة وجعله يغشى المساجد ، ولما أصيب فى حادث (القصاصين) « اتخذ منه فرصة لاستدرار العطف على الملك الجريح ، وجعل من يوم عودته الى القاهرة مظاهرة شعبية كبيرة »(١٠٦) .

واهم من ذلك كله تحسن علاقات الملك بالانجليز ، هذه العوامل مجتمعة جعلت (المقطم) تضاعف اهتمامها بأخبار الملك وجولاته وأعياده والاشادة بمناقبه وأعماله .

وقد تولى كريم ثابت كتابة هذه الموضوعات بقلمه ، وكان يرافق الملك فى كل رحلاته وزياراته فى داخل البلاد وخارجها ، فيتحدث عن ديموقراطية الملك وعلاقاته الحميمة مع ضباط جيشه ، فى مقال بعنوان « الملك وسط ضباط جيشه ، جلالته يفاجىء نادى الضباط بزيارته »(١٠٧) .

ويكتب بمناسبة عيد ميلاد الملك تحت عنوان « المليك المحبوب يقضى عيده بين شعبه فى أعلى الصعيد »(١٠٨) . وارسل من الصعيد موضوعا يقول فيه : ان « الملك ياكل من طعام الفقراء : انا اول من يساعد المرضى والفقراء »(١٠٩) . ومقالا بعنوان « دروس من رحلة المليك فى أعلى الصعيد »(١١) . و « الملك

يكرم من يكرم الفقير ـ التقليل من حفلات التكريم والتبرع بمالها »(١١١) .

وفى عيد جلوس الملك يقول : « اليوم ومصر تحتفل بعيد الجلوس السعيد ، يذكر المصريون ذلك ، ويذكرون معه ما يبذله الفاروق منذ اعتلائه العرش فى سبيل مجد البلاد وسؤددها فترتفع الدعوات فى كل بيت بأن يمد الله فى عمره ليحقق لمصر الآمال الواسعة التى يخفق بها قلبه العامر بالايمان »(١١٢) . وفى ذكرى تسلمه سلطاته الدستورية يقول كريم ثابت « يسن الفاروق سنة جديدة فيحتفل بهذه الذكرى السعيدة بين العمال فى عاصمة مصر الصناعية » . ان « الملك للشعب والشعب للملك : ميثاق غير مكتوب ولكنه منقوش على القلوب فليقر به الدستور وليهنأ به سياجا قويا منيعا »(١١٣) .

وقد نجح الملك أخيرا فى التخلص من وزارة الوفد التى شكلت رغم ارادته ، فى ٤ فبراير ١٩٤٢ ، وعين الدكتور أحمد ماهر رئيسا للوازرة الائتلافية الجديدة التى تضم السعديين والدستوريين والكتلة والحزب الوطنى ، وقد أدلى الدكتور ماهر عقب تكليفه بتصريح قال فيه ان عليه وزملائه واجب اصلاح البلاد من الفساد والفوضى والاستخفاف بحقوق الشعب ، وان يرد الى الشعب ما سلبه اياه الحكم الجائر الذى طويت اليوم آخر صفحاته(١١٤) .

ولم تعلق (المقطم) على هذا التحول السياسى مكتفية بمتابعته كمادة اخبارية ، وقدمت بديلا عن صمتها مقالة (للتايمز) اللندنية التى كتبت عن انتهاء « الخلافات الطويلة الأمد بين الملك فاروق ملك مصر ومصطفى النحاس باشا باقالة الملك لرئيس وزرائه » ومع أن السفارة البريطانية قد بذلت « محاولات غير رسمية وبكيفية ودية

لحسم النزاع فلم تكلل مساعيها بالنجاح .. ومع أن هذا التغيير يرجع الى سبب واحد هو المنازعات السياسية الداخلية التى لا يهم الحليفة أمرها فمما يستحق الاطراء ما أبداه رئيس الوزارة السابق من الاخلاص للتحالف مع بريطانيا العظمى فى أثناء الوقت العصيب الذى دارت فيه الحرب فى ليبيا »(١١٥) .

ولعل صمت (المقطم) بازاء اقالة الوزارة التى كانت تؤيدها ، يفسره تخلى الانجليز عنها وقيادة الملك لمعركة التخلص منها ، فقد اشارت المصادر الانجليزية بوضوح الى ان النحاس باشا كان يعلم انه سيقال ، وان السلطات البريطانية كانت قد كفت عن مساندة وزارته ضد القصر ، وقد دخلت العلاقات بين حكومة الوفد والانجليز مرحلة جديدة بعد ابتعاد الغزو الفاشى عن ارض مصر ، وبعد ان اخذت هزيمة المحور تبدو فى الأفق ، فلم يترك النحاس باشا مناسبة الا اعلن فيها انه يعتزم تعديل المعاهدة بعد الحرب(١١٦) .

وقد اتاحت هذه التطورات لكريم ثابت ، بعد ان اصبح الملك الفارس الوحيد فى الميدان واصبحت الوزارة رهن اشارة السراى، لكى يزيد من التسبيح بمجد مليكه ، فينقل عن أحمد حسنين فى خلال مرضه قوله « اريد ان اعيش لكى أخدم مولانا »(١١٧) .

ويشيد كريم ثابت بديموقراطية الملك الذى « عرفته البلاد ملكا ديمقراطيا من اليوم الأول لاعتلائه العرش ، فازدادت به تعلقا وما برح من ذلك الحين يطالع شعبه كل يوم بمظهر جديد من مظاهر روحه الديموقراطية السامية فيزداد الشعب حوله التفافا ويزداد به ثقة وايمانا »(١١٨) .

وكشف كريم ثابت عن اللقاء الذى تم بين فاروق والرئيس روزفلت والمستر تشرشل فى مصر ، وقال لقد « استيقظت القاهرة

فى صباح يوم الثلاثاء ١٣ فبراير ، وهى لا تدرى ان الزمان سيسجل بعد ساعات حدثا عظيم الشأن وأن جلالة ملكنا المعظم سيكتب صفحة تاريخية جديدة فى علاقات مصر الدولية » .

وبعد ان قدم وصفا شاملا للقاء ، قال : « وقبيل الغروب كانت سيارة عادية تدخل قصر عابدين تقل المصرى الذى يعمل فى صمت لمجد مصر ورفاهيتها بل لمصر والعروبة » . كما تحدث عن لقاء (الفيوم) الذى شارك فيه فاروق والقوتلى والملك عبد العزيز ؛ يوم الجمعة ١٩ فبراير ١٩٤٥ ، ووصفه بأنه يوم مشهود « عظيم الشأن فى تاريخ العلاقات العربية ومستقبل البلدان العربية »(١١٩)

وقد شهد كريم ثابت هذه اللقاءات ، وكان الصحفى الوحيد الذى خصه الملك بمرافقته فيها ، وعندما تسلم رئاسة تحرير (المقطم) فى اول مارس ١٩٤٥ خلفا لوالده خليل ثابت الذى اصبح مديرها العام ، كان اول تغيير يطرأ على تحرير الصحيفة تغيير الباب الثابت فى الأخبار المحلية « السراى الملكية » ، (بالعصر العامر » .

وازداد اهتمامه بكل صغيرة وكبيرة فى حياة الملك واسرته ورحلاته العائلية . واصبحت (المقطم) كأنها نشرة خاصة بالقصر ، كما قال رئيس تحريرها السابق انطون نجيب مطر(١٢٠) .

مصــــرع احمـــــد مـــــاهر :

لقى الدكتور احمد ماهر رئيس الوزراء مصرعه بدار البرلمان على يد شاب يدعى محمود العيسوى . فتصف (المقطم) هذا الحادث بالكارثة الوطنية قائلة : « ان مصر بهذه الكارثة خسرت رجلا عظيما وفقدت خادما من اخلص خدامها . واضاعت ابنا من اقدر ابنائها وامضاهم عزما ، ومن اشجعهم قلبا ومن اعفهم يدا

وانزههم خلقا واشهرهم اقداما وبطولة واحرصهم رأيا واصفاهم سريرة واصدقهم سعيا الى خيرها وأكثرهم تفانيا فى قضيتها »(١٢١) . ونشرت المرسوم الملكى باعلان الحرب الدفاعية على المانيا واليابان ، وهو الأمر الذى كان وراء مصرع الدكتور ماهر(١٢٢) .

وأوضحت الصحيفة ان « البلاد كانت تعرف ما هى سياسة احمد ماهر ، ولم يكن الموضوع الذى شغل الأذهان فى الأيام الأخيرة سرا مكتوما عنها ، وكذلك كانت البلاد تعرف ما يريده أحمد ماهر من مجد واستقلال كامل فكأنما ارادت بالمظهر الذى ظهرت به يوم الاحتفال بتشييع جنازته أن تظهر للعالم حقيقة شعورها »(١٢٣) . ونشرت ابرز النقاط التى تضمنها بيان أحمد ماهر الأخير فى البرلمان قبل مصرعه ، حول موضوع اعلان الحرب الدفاعية على دول المحور بعد ان ابلغه المستر ايدن ما تقرر فى مؤتمر القرم ، من ان الدول التى تعلن الحرب على المحور قبل أول مارس هى التى يحق لها الاشتراك فى مؤتمر سان فرانسيسكو ، وتعد من الأعضاء التى تهتم بالسلم بعد الحرب(١٢٤) .

وقد خلف النقراشى ، الرئيس الفقيد ، فى رئاسة الوزارة وفى رئاسة الهيئة السعدية . وقالت (المقطم) ان الدلائل تشير الى أن النقراشى باشا سيسير على خطة سلفه فيؤثر المصلحة القومية والعامة على كل اعتبار آخر(١٢٥) .

لقد ظهر بوضوح فى الصفحات السابقة كيف انعكست ميول المقطم الانجليزية على كتاباتها المؤيدة بكل صراحة لبريطانيا والحلفاء فى الحرب . وكذلك تأييد خطوات الحكومات المصرية المساندة للحلفاء . فقد ايدت اعلان الأحكام العرفية ، ودعت بعد نشوب الحرب بأيام قليلة الى اعلان حالة الحرب ضد المانيا ، وايدت قطع

العلاقات مع حكومة فيشى ودافعت عن وزارة ٤ فبراير الوفدية التى فرضها السفير البريطانى تحقيقا لمصـــــالح بلاده ابان أحلك ساعات الحرب على الجبهة الليبية ، وابدت سعادتها لانتصارات الحلفاء وافتتاح نادى العلمين لضباط الانجليز وجنودهم . وعندما تخلى الانجليز عن وزارة الوفد بعد زوال الخطر الفاشى واقالها الملك ، الذى تحسنت علاقاته بالانجليز ، لم تجد المقطم ما يمنعها من تجاهل الوزارة وأخذ جانب الملك مادامت قد اصبحت له السيطرة الفعلية على مقاليد الأمور فى ظل صداقته للانجليز ، هذه الصداقة التى تجلى حرص الصحيفة عليها فى كل كلمة كتبتها كما رأينا .

هوامش الفصل الرابع

(١) المقطم ١٩ اغسطس ١٩٣٩ .

(٢) المقطم ٢٣ اغسطس ١٩٣٩ .

(٣) المقطم ١٦ أغسطس ١٩٣٩ .

(٤) المقطم ٢٧ اغسطس ١٩٣٩ — اللواء محمد سامى باشا .

(٥) المقطم ٢٨ أغسطس ١٩٣٩ — الأميرالاى محمد زكى بك .

(٦) عبد العظيم رمضان ، تطور الحركة الوطنية فى مصر ٣٧ — ١٩٤٨ ، جـ ٢ ، دار الوطن العربى ، بيروت ، ١٩٧٣ ، ص ٨ .

(٧) المقطم ١ سبتمبر ١٩٣٩ .

(٨) المقطم ٢ سبتمبر ١٩٣٩ .

(٩) المقطم ٥ سبتمبر ١٩٣٩ .

(١٠) عبد العظيم رمضان ، تطور الحركة الوطنية ٣٧ — ١٩٤٨ ، ص ١١ .

(١١) المقطم ١٢ سبتمبر ١٩٣٩ — كريم ثابت .

(١٢) المقطم ١٥ سبتمبر ١٩٣٩ — كريم ثابت .

(١٣) LUGOL, JEAN, EGYPT and World War II, Cairo, 1945, P. 34.

(١٤) المقطم ١٧ سبتمبر ١٩٣٩ — كريم ثابت .

(١٥) المقطم ٢٥ سبتمبر ١٩٣٩ — كريم ثابت .

(١٦) المقطم ٣٠ سبتمبر ١٩٣٩ — كريم ثابت .
(١٧) المقطم ٢ أكتوبر ١٩٣٩ .
(١٨) المقطم ٣ أكتوبر ١٩٣٩ .
١٩٧) المقطم ٩ أكتوبر ١٩٣٩ — كريم ثابت .
(٢٠) المقطم ١١ أكتوبر ١٩٣٩ — كثيم ثابت .
(٢١) المقطم ٢٥ أكتوبر ١٩٣٩ .
(٢٢) المقطم ١٢ أكتوبر ١٩٣٩ — كريم ثابت .
(٢٣) المقطم ١٢ أكتوبر ١٩٣٩ — كريم ثابت .
(٢٤) محمد جمال الدين المسدى ويونان لبيب رزق وعبد العظيم رمضان ، مصر والحرب العالمية الثانية ، مؤسسة الأهرام ، القاهرة ، ١٩٧٩ ، ص ٦٤ .
منهما للآخر ما يتمناه الآخر له . واسمحوا لى فى هذا المقام بأن أقحم ذكر نفسى
(٢٥) المقطم ١٤ يناير ١٩٤٠ — ألقى الدكتور فارس نمر كلمة فى الاتحاد المصرى الانجليزى قال فيها : « والله أحمد على أنه مد فى عمرى فرأيت اليوم الذى يجتمع فيه المصرى والانجليزى تحت سقف هذا الاتحاد كحليفين مخلصين ، يتمنى كل منهما للآخر ما يتمناه الآخر له . واسمحوا لى فى هذا المقام بأن اقتحم ذكر نفسى فى سياق هذا الكلام فأقول اننى أرى اليوم ثمرة العمل الذى ما برحنا نعمل له من خمس وخمسين سنة ، فها نحن اليوم حلفاء وأصدقاء ، جهودنا مشتركة واغراضنا مشتركة وفى مقدمة هذه الأغراض نصرة الانسانية والانتصار للديموقراطية » .
(٢٦) المقطم ١٦ أبريل ١٩٤٠ .
(٢٧) المقطم ١٩ مايو ١٩٤٠ .
(٢٨) المقطم ١٦ مايو ١٩٤٠ — كريم ثابت .
(٢٩) المقطم ٢١ مايو ١٩٤٠ .
(٣٠) المقطم ١ يونيو ١٩٤٠ .
(٣١) المقطم ٣ يونيو ١٩٤٠ .
(٣٢) المقطم ٥ يونيو ١٩٤٠ — كريم ثابت .
(٣٣) المقطم ١٢ يونيو ١٩٤٠ — كريم ثابت .
(٣٤) عبد العظيم رمضان ، تطور الحركة الوطنية فى مصر ٣٧ — ١٩٤٨ ، ج ٢ ، ص ٥٧ ، ٥٨ .
(٣٥) المقطم ١٣ يونيو ١٩٤٠ — كريم ثابت .
(٣٦) المقطم ٢١ يونيو ١٩٤٠ .

(٣٧) محسن محمد ، التاريخ السرى لمصر ، المكتب المصرى الحديث ، القاهرة ١٩٧٣ ، ص ١٢٥ .
(٣٨) محمد حسين هيكل ، مذكرات فى السياسة المصرية ، ج ٢ ص ١٨٦ .
(٣٩) يونان لبيب ، تاريخ الوزارات المصرية ، ص ٤٢٠ .
(٤٠) عبد العظيم رمضان ، تطور الحركة الوطنية ٣٧ — ١٩٤٨ ، ج ٢ ، ص ٧٣ ، ٧٤ .
(٤١) صلاح العقاد ، الحرب العالمية الثانية ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٣ ، ص ٢١٩ .
(٤٢) المقطم ٤ يوليو ١٩٤٠ .
(٤٣) يونان لبيب ، تاريخ الوزارات المصرية ، ص ٤٢٤ .
(٤٤) المقطم ١٨ سبتمبر ١٩٤٠ .
(٤٥) المقطم ١٩ سبتمبر ١٩٤٠ — كريم ثابت .
(٤٦) المقطم ٢٠ سبتمبر ١٩٤٠ — كريم ثابت .
(٤٧) المقطم ٢٥ سبتمبر ١٩٤٠ — كريم ثابت .
(٤٨) المقطم ١٦ أكتوبر ١٩٤٠ — كريم ثابت
(٤٩) المقطم ٢٠ أكتوبر ١٩٤٠ — كريم ثابت .
(٥٠) المقطم ٥ نوفمبر ١٩٤٠ .
(٥١) المقطم ١٢ نوفمبر ١٩٤٠ .
(٥٢) المقطم ١٧ نوفمبر ١٩٤٠ .
(٥٣) المقطم ١٩ نوفمبر ١٩٤٠ .
(٥٤) صلاح العقاد ، الحرب العالمية الثانية ، ص ٢١٩ .
(٥٥) المقطم ١٩ ديسمبر ١٩٤٠ — كريم ثابت .
(٥٦) المقطم ٢٠ ديسمبر ١٩٤٠ — كريم ثابت .
(٥٧) المقطم ١ مارس ١٩٤١ .
(٥٨) المقطم ١٧ مارس ١٩٤١ .
(٥٩) المقطم ١٧ مارس ١٩٤١ — كريم ثابت .
(٦٠) المقطم ١٥ ابريل ١٩٤١ .
(٦١) المقطم ٢٢ ابريل ١٩٤١ — كريم ثابت .
(٦٢) المقطم ٣٠ ابريل ١٩٤١ .
(٦٣) المقطم ٣٠ ابريل ١٩٤١ .

(٦٤) المقطم ١ مايو ١٩٤١ .
(٦٥) عبد العظيم رمضان ، تطور الحركة الوطنية فى مصر ٢٧ — ١٩٤٨ ، جـ ٢ ، ص ١٥٥ .
(٦٦) المقطم ٢٢ يوليو ١٩٤١ .
(٦٧) المقطم ١٩ مايو ١٩٤١ .
(٦٨) المقطم ٢٠ مايو ١٩٤١ .
(٦٩) المقطم ٢٢ مايو ١٩٤١ .
(٧٠) المقطم ٢٣ مايو ١٩٤١ .
(٧١) المقطم ٣٠ مايو ١٩٤١ — كريم ثابت .
(٧٢) محمد أنيس ، ٤ فبراير ١٩٤٢ فى تاريخ مصر السياسى ، ص ٤٤ ، ٤٥ .
(٧٣) المقطم ٩ يونيو ١٩٤١ .
(٧٤) المقطم ١٢ يونيو ١٩٤١ .
(٧٥) المقطم ٩ سبتمبر ١٩٤١ — كريم ثابت .
(٧٦) المقطم ١٢ اكتوبر ١٩٤١ .
(٧٧) محمد أنيس ، ٤ فبراير ١٩٤٢ فى تاريخ مصر السياسى ، ص ٨ ، ٩ .
(٧٨) المقطم ١٢ يناير ١٩٤٢ .
(٧٩) المقطم ٢ فبراير ١٩٤٢ .
(٨٠) المقطم ٣ فبراير ١٩٤٢ — كريم ثابت .
(٨١) المقطم ٤ فبراير ١٩٤٢ — كريم ثابت .
(٨٢) المقطم ٥ فبراير ١٩٤٢ .
(٨٣) المقطم ٦ فبراير ١٩٤٢ .
(٨٤) المقطم ٧ فبراير ١٩٤٢ .
(٨٥) محمد انيس ، ٤ فبراير ١٩٤٢ فى تاريخ مصر السياسى ، ص ٨٨ .
(٨٦) المقطم ١٩ فبراير ١٩٤٢ .
(٨٧) المقطم ٢٦ مارس ١٩٤٢ — كريم ثابت .
(٨٨) المقطم ٣١ مارس ١٩٤٢ — كريم ثابت .

(٨٩) المقطم ٥ ابريل ١٩٤٢ — كريم ثابت .

(٩٠) المقطم ١٧ ابريل ١٩٤٢ — كريم ثابت .

(٩١) المقطم ٢٧ مايو ١٩٤١ .

(٩٢) المقطم ٢٨ مايو ١٩٤٢ — كريم ثابت .

(٩٣) المقطم ٢٩ مايو ١٩٤٢ — كريم ثابت .

(٩٤) المقطم ٦ يوليو ١٩٤٢ — كريم ثابت .

(٩٥) المقطم ١٣ يوليو ١٩٤٢ — كريم ثابت .

(٩٦) يونان لبيب ، الوفد والكتاب الأسود ، مؤسسة الأهرام ، القاهرة ١٩٧٨ ، ص ٢٠ — ٢١ .

(٩٧) يونان لبيب ، الوفد والكتاب الأسود ، ص ١٧ ، ١٨ .

(٩٨) المقطم ١٣ ابريل ١٩٤٣ .

(٩٩) المقطم ١٥ أبريل ١٩٤٣ .

(١٠٠) عبد العظيم رمضان ، تطور الحركة الوطنية ٣٧ — ١٩٤٨ ، ج ٢ ، ص ٢٧٤ .

(١٠١) يونان لبيب ، الوفد والكتاب الأسود ، ص ٧٦ .

(١٠٢) المقطم ٢٤ مايو ١٩٤٣ .

(١٠٣) المقطم ٢٦ مايو ١٩٤٣ .

(١٠٤) المقطم ١ يوليو ١٩٤٣ .

(١٠٥) المقطم ٣ يوليو ١٩٤٣ .

(١٠٦) محمد زكى عبد القادر ، محنة الدستور ، ص ١٣٨ .

(١٠٧) المقطم ٥ فبراير ١٩٤٤ .

(١٠٨) المقطم ١١ فبراير ١٩٤٤ .

(١٠٩) المقطم ١٢ فبراير ١٩٤٤ .

(١١٠) المقطم ١٤ فبراير ١٩٤٤ .

(١١١) المقطم ١٩ فبراير ١٩٤٤ .

(١١٢) المقطم ٦ مايو ١٩٤٤ .

(١١٣) المقطم ٢٩ يوليو ١٩٤٤ .

(١١٤) المقطم ١ أكتوبر ١٩٤٤ .

(١١٥) المقطم ١٢ أكتوبر ١٩٤٤ .

(١١٦) عبد العظيم رمضان ، تطور الحركة الوطنية ٢٧ — ١٩٤٨ ، جـ ١ ، ص ٢٨٩ — ١٩١ .

(١١٧) المقطم ١١ نوفمبر ١٩٤٤ .

(١١٨) المقطم ١٨ ديسمبر ١٩٤٤ .

(١١٩) المقطم ٢٠ فبراير ١٩٤٥ .

(١٢٠) حديث شخصي مع الأستاذ أنطون نجيب مطر آخر رئيس تحرير المقطم في ٦ مايو ١٩٨٠ .

(١٢١) المقطم ٢٦ فبراير ١٩٤٥ .

(١٢٢) المقطم ٢٧ فبراير ١٩٤٥ .

(١٢٣) المقطم ٢٨ فبراير ١٩٤٥ .

(١٢٤) المقطم ١ مارس ١٩٤٥ .

(١٢٥) المقطم ٣ مارس ١٩٤٥ .

الفصــــل الخـــامس

المقطــم والقضـــية الوطنية
بين المفاوضات والتحكيم الدولى

المطـــالب القـــومية :

بانتصار الحلفاء فى أوروبا وتسليم جيوش المحور ، بدأت (المقطم) تتحدث عن ابرام عقد التسليم واحتفال البريطانيين بالنصر وعن الدروس والعبر التى خرجت بها الشعوب من هذه الحرب ، ونشرت كلمة رئيس الوزراء النقراشى باشا عن دور مصر فى نصرة الحلفاء ، وتهنئتها الحارة لهم فى هذا اليوم العظيم(١) . وكذلك رسالة الملك فاروق الى شعبه بمناسبة يوم النصر(٢) .

وقالت الصحيفة ان الدول الظافرة قد نادت « بالديمقراطية والحرية ، حرية الفرد وحرية الجماعة ، وقالت انها حاربت الطغيان واستبداد شعب قوى بشعوب أضعف منه . وزادت على هذا كله عزمها على مكافحة الفاقة والجهل والمرض ، وجاء الآن دور التنفيذ وشرعنا نشهد أولى مراحله فى سان فرانسيسكو ، افلا يحق لنا أن نذكر الظافرين بكل شعار نادوا به وكل مبدأ دعوا الى العمل به »(٣) .

وبدأت مصر بكل أحزابها وهيئاتها بتذكير بريطانيا بما يجب عليها من الآن أن تقدمه لمصر لاستكمال استقلالها عن طريق اعادة النظر فى المعاهدة المعقودة بين البلدين ، فانه مع رفع الرقابة على الصحف فى يونية ١٩٤٥ ، طفت على الفور المسالة الوطنية على

سطح الحياة السياسية .. تراكمت الأهداف الوطنية مع فساد معاهدة ١٩٣٦ ، ومع الشعور بالكبت زمن الحرب ، مع الرغبة فى استغلال الظروف الجديدة ، مع نظرة شاملة لشعوب العالم ترنو لاعادة بناء عالم جديد تسوده الحرية والاخاء مع حذر تقليدى من مؤامرات الاستعمار المتوقعة لترسيخ اقدامه ، تراكم كل ذلك ليفيض من النفس المصرية حركة مستعجلة وفورانا جياشا(٤) .

ووسط هذه الوقفة المصرية الواحدة ، كان لابد للمقطم أن تدخل المعركة وتدلى بدلوها فتقول انه وان كانت بريطانيا منهمكة الآن فى حرب اليابان « فان مصر تعرف متى تختار الوقت الملائم لتكاشف الحكومة البريطانية بما ترى أن يكون عليه مستقبل العلاقات بين البلدين . وقد جهر اقطاب مصر فى غير مناسبة واحدة بأنهم لا يريدون احراج الحليفة بحال ما وهى مشتبكة فى حرب ضروس » .

واكدت الصحيفة على « أن مصر على اختلاف احزابها متفقة على السعى لاستيفاء استقلالها واستكمال امانيها القومية » . وان اعادة النظر فى علاقات الدولتين « فى مصلحتهما كليهما . وقد ايقنت الدولة البريطانية بالاختبار أن مصر الراضية المستريحة خير لها من مصر المستاءة »(٥) . وأعادت القول بأن فى ترديد هذه الرغبة من جانب مصر وصحافتها وأحزابها « مصلحة للجانب البريطانى كذلك ، اذا كان يهمه أن يحيط بحقيقة شعور البلاد .. وعندنا أن ذلك يجب ان يهمه لأن المعاهدة الصحيحة هى التى تقوم على أساس صحيح ، اي على شعور صحيح »(٦) .

وهكذا حرصت (المقطم) على ايجاد أرضية مشتركة للطرفين ، وبيان مصلحة بريطانيا فيما تطلبه مصر ، كما أوضحت ما يجب

على مصر ان تفعله للحصول على استقلالها ، بالعمل على نشر الاصلاح فى دوائرها ومرافقها « وتقديم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة وعلى المصلحة الحزبية » ، وتعاون الجميع « على علاج اخطائنا وامراضنا علاجا صحيحا »(٧) . واشـــــارت الى مذكرة (الوفد) المقدمة الى الحكومة البريطانية حول مطالب مصر القومية واهمها الجلاء وموضوع السودان ، وقالت (المقطم) ان بقاء القوات العسكرية البريطانية يشكل عبئا ماليا على بريطانيا ، وعلة من علل استمرار شكوى المصريين ، وان الوقت الآن مناسب للفصل فى قضية السودان لاسيما أن السودانيين يريدون أن تكون علاقاتهم بمصر على قاعدة الاخاء والتعاون بين الأشقاء(٨) .

وتحدثت الصـــــحيفة عن انتهاء الحرب العالمية الثانية تماما باستكمال انتصار الحلفاء وتسليم اليابان ، وشعور الفرح والابتهاج الذى غمر مصر والجنود المحاربين الموجودين على أرضها(٩) .

وكانت هذه الخاتمة السعيدة للحرب ، باعثا للأحزاب المصرية لتحديد موقفها تجاه مستقبل العلاقات بين مصر وبريطانيا ، وقد اشارت (المقطم) الى بيانات ، بهذا الصدد ، لكل من مصر الفتاة والأحرار الدستوريين ، وتساءلت الصحيفة من جانبها قائلة : « انه اذا كان جلاء القوات البريطانية مرهونا بالمفاوضات المنتظرة ، فلماذا يبقى فى مصر حتى الآن من نشاهده من جنود يونانيين ويوغسلافيين وبولونيين ؟»(١٠) . وقالت أن الضرورة التى اقتضت مجىء القوات البريطانية المحاربة قد زالت وان « من حق البلاد أن تنتظر قرب رحيل هذه القوات الطارئة عن أراضيها وليس بقاء القوات المشار اليها غير مرغوب فيه من الوجهة الوطنية وحدها بل منها ومن وجهة الضيق الذى يعانيه ســـكان المدن المصـــرية بســـبب عدم وفرة المساكن »(١١) .

وقد اتسعت دائرة الحركة السياسية فى مصر لتمثل كافة الهيئات والتنظيمات والجماعات ، وما ساعد على اشتداد هذه الحركة ، بالاضافة الى الغاء الرقابة على الصحف وقوانين السجن والاعتقال وحظر الاجتماعات العامة ، التغيير فى حكومة لندن الذى جاء بحكومة العمال برئاسة (اتلى) الى السلطة ، مما أعطى المصريين آمالا جديدة بتحقيق اهدافهم القومية ، فقد اتفقت وجهات نظر الحكومة والمعارضة فى مصر على ان الحكومة العمالية سوف تعدل كثيرا من الوضع بشكل افضل من حكومة ونستون تشرشل الراحلة(١٢) .

وقد اشارت (المقطم) الى مذكرة (الاخوان المسلمين) المرسلة الى مؤتمر وزراء خارجية الدول الكبرى بلندن حول مطالب مصر القومية(١٣) . ومذكرة « جبهة الشباب القومى » المقدمة لرئيس الوزراء حول الموضوع نفسه ، وكذلك اجتماع مجلس ادارة « حزب مصر الفتاة » الذى جرى فيه بحث التحولات السياسية الجديدة(١٤) وبيان « الهيئة السياسية » التى تضم عددا من زعماء البلاد داخل الحكم وخارجه ، الذى اكد على « جلاء القوات البريطانية وتحقيق مشيئة اهل وادى النيل فى وحدة مصر والسودان »(١٥) ، وبيان الحزب الوطنى الذى أعلن اغتباطه لأن مبادىء الحزب قد أصبحت هى مبادىء الأمة(١٦) ، وبيان « جبهة الهيئات العامة »(١٧) ، ومذكرة « نقابة المحامين الشرعيين » الى الملك بشأن المطالب القومية ، واجتماعات «جمعية الاصلاح الوطنى» و « مجلس شورى شباب محمد » لمناقشة المطالب ذاتها(١٨) .

وقد ثمنت (المقطم) هذه الحركة الواحدة المتمثلة بالتفاف الأمة بجميع هيئاتها حول اهدافها القومية ، ولكنها حذرت من قيام الطلبة بالمظاهرات فى بداية العام الدراسى « لأن المرور للتظاهر

او الاحتجاج معدوم فى هذه الحالة قطعا ، مادامت الأمة مجمعة هذا الاجماع الرائع على اغراضها ، ومادامت الحكومة سائرة فى تحقيق ما اتفقت عليه الأمة دون أن يكون ثمة خلاف على القصد او تلكؤ فى العمل او خروج على الوحدة ، فملام يتظاهر الطلبة وغير الطلبة ؟ وعلى من يحتجون ؟»(١٩) . واعتبرت عدم لجوئهم للتظاهر ، كما طالبت ، موقفا مشرفا للشباب الجامعى تجاه الأهداف القومية ، فقد اثبتوا « انهم ابرا قصدا واعلى وطنية من ان يأتوا عملا يلحق الأذى ، ولو عن غير تعمد ، بقضية بلادهم فى هذه الظروف »(٢٠) . وقالت ان مناقشة المطالب القومية فى البرلمان قد امتازت « بأن رفعت من منازل الحزبية الى مراتب القومية»(٢١) .

واوضحت (المقطم) أن « الأهداف القومية والأمانى الوطنية لقيت فى كنف العرش سندا قويا وعضدا متينا » . وذلك بمناسبة لقاء الملك بأعضاء الهيئة السياسية(٢٢) . ونوهت بما جاء فى خطاب العرش حول القضية الوطنية ، حيث « كشف النقاب عن مسعى الحكومة فى مطالبتها بالجلاء ووحدة وادى النيل . وقد كان الناس يلحفون على الحكومة فى أن تفصح عن نيتها وتبوح بخطتها من جهة اغراض مصر القومية ، فهاهو ذا خطاب العرش يحقق سؤال الطالبين ولا يدع مجالا لأقل ريب فى هذا الشأن الخطير »(٢٣) .

وكانت (المقطم) ترد بدفاعها هذا عن الحكومة ، على المطالبات الجماهيرية بتحديد سياسة واضحة بازاء القضية الوطنية ، فقد كانت الاحاديث فى البرلمان تتسم بطابع التميع والحذر ، وادركت الجماهير بخبرتها مع مثل هذا النوع من الحكومات انها تماطل وتسوف ، وانتشرت بين الناس عبارة ، سياسة الصمت التى تتبعها الحكومة ، فلما تحرك النقراشى ، لم يجد قولا يردده الا انه ينتظر الوقت المناسب ، فأطلقت عليه الجماهير والصحف فى سخرية : « رجل الوقت المناسب »(٢٤) .

وقالت (المقطم) ان « كل محب لمصر وكل محب للسلام يتمنى ان تفضى المحادثات الدائرة الآن بين الحكومة المصرية والحكومة البريطانية ، وقد بدات من زمان ، الى مفاوضـــات تنتهى بتحقيق الآمال وتوطيد أركان السلام فى الشرق الأوسط »(٢٥) .

ودعت الصـــــحيفة بريطانيا الى ان تكون البادئة بفتح باب المفاوضات « لتعزز فى نفوس شعوب الشرق كلها ان ما تنادى به من آيات الحرية ومبادىء الديموقراطية تطبقه من تلقاء نفسها بدون ان يطالبها سواها به ولاسيما اذا كان مقام هذه الشعوب منها مقام مصر الحليفة الأمينة التى آمنت بعقيدة الحرية وجرت على قواعد الديموقراطية »(٢٦) . وذكرت ان مجلس الوزراء قرر بالاجماع طلب فتح باب المفاوضات مع بريطانيا لتحقيق الأهداف الوطنية ومخاطبة الحليفة لتحديد موعد البدء بهذه المفاوضـــــات(٢٧) . وقالت ان « التعجيل بفتح باب المفاوضة هو فى مصلحة بريطانيا قبل أن يكون فى مصلحة مصر ، ان مصر صنعت كل ما تستطيعه امة للاعراب عن صدق صداقتها لبريطانيا ، وفعلت هذا بطرق متعددة .. فهذه العاطفة وهذه الصداقة العملية يجب أن يقابلها طوعا من الجانب الآخر ما يدل على تقديرها تقديرا صـــــحيحا وعمليا »(٢٨) ، فان « رضا مصر وارتياحها كبير القيمة لبريطانيا فى الشرق الأوسط كله ولأن اقدام بريطانيا على عدم التمسك بحرف المعاهدة يدل على أنها تتذرع بسعة الصدر .. واقل ما يقال ان ما بذلته مصر فى الحرب يجب أن يكون سببا كافيا لحمل الدولة البريطانية على أن تقترح الشروع من الآن فى تعديل هذه المعاهدة »(٢٩) .

ويلاحظ ان (المقطم) تلجأ هنا الى نفس الأسلوب الذى كانت تتبعه فيما مضى لدى مناقشة مسالة المفاوضـــــات مع بريطانيا ، اسلوب الملاينة والتركيز على مصلحة بريطانيا ، برغم اختـــلاف

الظروف التى تمر بها البلاد بعد انتهاء الحرب ، وقد اشتد ساعد الحركة الوطنية والتحق فى صفوفها عناصر شـــعبية جديدة ، وتبلورت اهدافها القومية واتحدت على مطالب واضـــحة تعرف الصحيفة أبعادها ، ولكنها تصر على مواصلة صب الماء البارد فوق النار المتاججة .

وشهدت البلاد أزمة ســياسية كادت تقضى على الائتــلاف الوزارى ، بسبب التصـــريحات التى ادلى بها وزير الخارجية عبد الحميد حمدى . وكان يمثل مصر فى المنظمة الدولية عن عدم اختصاص مجلس الأمن بمناقشة مشكلات مصر والشرق الأوسط ، وعن أواصر الصداقة المتينة بين مصر وبريطانيا ، وقد أدت هذه التصريحات الى حدوث ازمة وزارية بين الوزراء من أعضاء الكتلة الوفدية وزملائهم الآخرين فى الوزارة ، تدخل الملك لتطويقها لكى تتاح الفرصة لمواجهة الظروف المستجدة المتعلقة بقرب وصول الرد البريطانى على المذكرة المصرية ، صفا واحدا ، كما قال رؤساء الأحزاب المؤتلفة فى تصريح لهم ، بعد اجتماعهم فى دار حسنين باشا(٣٠) . وقال (كريم ثابت) ان البلاد كلها « تتجه اليوم الى جلالة الملك ، شأنها فى كل وقت خطير وحادث جلل متوقعة أن يعالج الموقف بحكمته السامية بما يدرأ عن البلاد خطر هذه الخلافات فى وقت يجب أن تتجه فيه الجهود فى سبيل واحد ، وهو سبيل الدفاع عن حقوق مصر »(٣١) . فقد اثارت تصريحات عبد الحميد بدوى ضيق الجماهير وغضبها وخرجت المظاهرات تهتف ضده وضد الحكومة ، كما وصل الرد البريطانى على مذكرة الحكومة المصرية ، وقد اذاعت الحكومة المذكرة والرد « وعرفت الجماهير ان الحكومة تسلم بمبدا التحالف مع الانجليز وان وجود القوات الأجنبية ليس الا دليلا على ريبة بريطانيا فى ولائها ، وان بريطانيا متمسكة بمعاهدة ١٩٣٦ متشبثة بفكرة التحالف وانها تعتبر مصر ، البلد المستقل ،

ضمن مجموعة الأمم الامبراطورية ، وكانت هذه النقطة الأخيرة من اكثر ما يمس الكبرياء المصرى »(٣٢) . اما (المقطم) ، فلم تشأ أن تقول صراحة ان الرد البريطانى يتعارض كلية مع طموحات مصر الاستقلالية وآمالها ، ولجأت الى اخفاء الحقيقة داخل اسلوب لفظى يفتقر الى الوضوح ، فتقول لقد « افرغت الدعوة والرد فى قالبين جميلين من المودة وحسن المجاملة ، وهو ما يجب أن يكون بين دولتين حليفتين ، أما فيما سوى ذلك فالذى نراه هو أن (قطع) الرد لا تنطبق تماما على (قطع) الدعوة ، نعم ان هناك تماسا هنا وهناك ، ولكن الانطباق غير متوافر ، وفى الرد أمران جديران بالانتباه احدهما اغفال والآخر ادخال ، اما الاغفال فهو ما طالما نوه به أقطاب بريطانيا المدنيون والعسكريون فى وصف نصيب مصر — المحايدة — من الحرب العالمية وهو نصيب اطنب غير واحد من أولئك الأقطاب فى وصفه ، ولم ترد اشارة ما اليه فى الرد البريطانى ولا يعلل هذا مع حسن الظن الا بأن هذه الحقيقة بلغت من الشهرة مبلغا لا يحتاج المرء بعدها الى التكرار . وعسى هذا التحليل أن يكون التحليل الصحيح ، اما الادخال فاقحام هيئة الأمم المتحدة فيما بين مصر وبريطانيا »(٣٣) .

ونشرت الصحيفة بيان (الوفد) الذى أعلن أن هذا الرد البريطانى « تتجلى فيه نزعة الاستغلال وروح الاستعمار حتى جاء غير مطابق لكرامتنا واستقلالنا » وبيان (الحزب الوطنى) الى الأمة يدعوها فيه الى التمسك بمبدئه القديم بأن لا مفاوضة الا بعد الجلاء . وذكرت خبر قيام الحكومة بمحاصرة دار « حزب مصر الفتاة) ، والقاء القبض على بعض أعضائه ومنع مؤتمره المزمع اقامته لبحث الموقف السياسى(٣٤) .

وكانت هذه التطورات مؤشرا لغضبة جماهيرية ومظاهرات طلابية عارمة ، فقد بدأ الطلبة المصريون يتحركون ضد حكومة

النقراشى بزعامة اللجنة التنفيذية العليا لطلبة الجامعة والمعاهد العليا ، وتمخض هذا التحرك عن عقد اجتماع تاريخى كبير فى مؤتمر جامعى فى ٩ غبراير ١٩٤٦ ، كما تمخض المؤتمر بدوره عن مظاهرة ضمت بضعة آلاف من الطلبة ، تحركت نحو قصر عابدين حيث حدثت مذبحة كوبرى عباس التى اشعلت النار فى جموع الشعب فى المدن المختلفة . وقامت معارك حقيقية بين الطلبة والبوليس ، لعل من اشهرها معركة قصر العينى التى استمرت يوما كاملا(٣٥) .

وقد اشارت (المقطم) لهذه المظاهرات والمصادمات ، ولكنها لم تذكر شيئا عن « مذبحة كوبرى عباس » . وتحدثت عن اصابات فى صفوف الطلاب فى القاهرة ، ومصرع طالبين فى الاسكندرية(٣٦) . كما تحدثت عن قيام الملك بوضع حجر الأساس للمدينة الجامعية(٣٧) ، دون ان تشير بالطبع الى موقف الطلاب الذين قاطعوا الاحتفال ، وهتفوا ضد الملك « وكان هذا الموقف تجاه الملك تطورا جديدا فى الكفاح الوطنى ، فقد ارتبط بوضوح وبشكل مباشر وظاهر واكثر جراة بمعاداته للسراى كركيزة من ركائز الاستعمار . وكان ذلك بداية لتخلص الحركة الوطنية ، من اتجاهات التردد حيال العرش ، التى كانت تضعف الكفاح الوطنى »(٣٨) . ولكن (المقطم) حرصت على نشر البيانات التى تؤكد الولاء للملك ، ومنها بيان (لجنة الطلبة التنفيذية العامة) الذى جاء فيه أن الطلبة فى هتافهم من أجل الاستقلال والجلاء التام عن مصر والسودان انما يستمدون حماستهم من ولائهم للملك والتفافهم حول عرشه ، واوردت اخبار مظاهرات سلمية احتشدت فى ساحة عابدين تهتف للملك والجلاء ووحدة وادى النيل(٣٩) .

وزارة صدقى واحداث ٢١ فبراير :

وكانت محصلة هذه المواجهات الطلابية الحكومية ، استقالة وزارة النقراشى وتكليف صدقى باشا بتأليف الوزارة الجديدة . وقد كلف صدقى بالوزارة والمظاهرات فى عنفوانها ، ولم يكن فى مقدوره وقف التيار فجاة ، ولا كان من حسن السياسة ان يفعل ، وكان حريصا فى البداية ان يمحو مايزال عالقا فى الاذهان من ذكريات البطش والعنف ، الذى مارسه فى الثلاثينات . ومن جهة ثانية ، قدر صدقى ان يرخى اولا الزمام لخصومه حتى يوقع بهم متورطين فى اعمال الشغب فتسوغ شدته معهم بعد ذلك ، ومن جهة ثالثة راى ان قليلا من المظاهرات قد يصلح المفاوضة ، فتلين بها قناة الانجليز وتسهل مهمته معهم(٤٠) .

ويبدو ان الاختيار الملكى لصدقى جاء بناء على حقيقتين « اولاهما : حالة عدم استقرار الأمن التى شابت نهاية عهد النقراشى ، وقد راى الملك أن يكون رئيس الوزارة الجديدة شخصية قوية ، وقد رئى أن صدقى باشا تتوافر فيه الصفات المطلوبة ، ثانيتهما : ان شرطا اساسيا كان يجب توافره فى رئيس الوزراء الملكف بتأليف الوزارة القومية . وهو أن يكون سياسيا لا حزبيا . وكان صدقى باشا من هذا الطراز خلال تلك المرحلة من تاريخه السياسى »(٤١) .

وقد تحدثت (المقطم) عن مظاهرات سلمية خرجت من الجامعة الى ساحة عابدين تؤكد الولاء والاخلاص للملك ، واشارت الى أن الجهات المختصة طلبت من النيابة تصفية المسائل المنسوبة للطلبة الذين اعتقلوا فى الحوادث الاخيرة(٤٢) . ونشرت مذكرة (لجنة

الطلبة التنفيذية) الى الملك ، يؤكد فيها الطلاب أنهم لمصر والملك ، ويطلبون التحقيق مع المسئولين عن حوادث ٩ و ١٠ فبراير ، والافراج عن المعتقلين والمقبوض عليهم من الطلبة وإعادة الطلبة المفصولين الى معاهدهم والسماح لهم بدخول الامتحان والتمسك بقرار اللجنة السابق وهو صدور تصريح بريطانى يعترف بالجلاء ووحدة وادى النيل كأساس للمفاوضة والتمسك أيضا بدولية القضية المصرية ومطالبة الحكومة بالتمسك بهذا القرار وجعله أساسا للحكم(٤٣) .

ودعت (لجنة الطلبة والعمال) الى قيام مظاهرات شعبية يوم ٢١ فبراير للتأكيد على مطالب الأمة الأساسية فى الجلاء والاستقلال التام ، وشاركت (المقطم) بتغطية هذه المظاهرات التى بدأت سلمية ، وانتهت بمصادمات عنيفة فى ميدان الخديوى اسماعيل (التحرير) بجوار ثكنات قصر النيل بين المتظاهرين والجنود البريطانيين ، أدت الى سقوط عدد من الشهداء والجرحى فى صفوف الطلاب والعمال المصريين وقد كانت « مجزرة رهيبة أشبه بمعركة حربية غير متكافئة »(٤٤) . وروعت البلاد من هذا الاعتداء الأثيم ، وعمها الحزن الأليم على أولئك الضحايا الأبرياء(٤٥) . وكان صدى هذا اليوم عظيما ، أكد مرة أخرى الاجماع الشعبى فى سائر بلاد القطر ، من كافة طبقات الشعب ، فى تأكيد استمرارية النضال والاحتجاج على التصرفات البشعة للقوات الانجليزية(٤٦) .

وقد أشادت (المقطم) بالروح الوطنى الذى أبدته الأمة يوم ٢١ فبراير وكتبت تقول : « أصبحت العاصمة اليوم ، ومدن المملكة الأخرى ، فى حالة اضراب عن الأعمال ، فالدراسة فى الكليات والمدارس معطلة ، ومركبات الترام وسيارات الاوتوبيس لم تغادر مخازنها ، والمتاجر والمحال العامة مقفلة ، والمظاهرات السلمية

تجوب الشوارع والمتظاهرون يهتفون للجلاء ووحدة وادى النيل ، وكل هذا انما قصد به أن تعرب البلاد عن شعورها الوطنى وتسمع العالم أنها مجمعة على المطالبة بأمانيها المشروعة فى الاستقلال التام الذى لا تقيده قيود ، ومع أن الأمة على اختـــــلاف أحزابها السياسية أذاعت قبل الآن بجميع الوسائل تمسكها بالجلاء ووحدة وادى النيل ، وانها لا تنزل عن هذين المطلبين قيد انملة ، رئى أن تظهر مشيئتها هذه بعمل آخر ، هو هذا الاضـــــراب السلمى الشامل حتى يقتنع من لم يقتنع بان الأمة جادة لا هازلة ، وانها لن تتوانى فى مساعيها الى أغراضها الوطنية الى أن تنالها فما ضاع حق ووراءه مطالب به »(٤٧) .

وفى عدد اليوم التالى ، نشرت (المقطم) تفاصيل المصادمات التى جرت فى المظاهرات وبيان صدقى باشا الذى يتحدث فيه عن قيام قوات الأمن بواجبها بعد أن تدخلت عناصر غير مسئولة فى المظاهرات ، وجنحت بها نحو (التخريب) . واعلن منع التظاهر بتاتا من الآن ، كما نشرت (البيان البريطانى عن الحوادث) الذى يتحدث عن (اعتداءات) قام بها المتظاهرون ضد المنشآت البريطانية وذكرت أن الجيش المصرى سيتولى حراسة المنشآت العســـكرية البريطانية ، وقالت الصحيفة ان « رجال الجيش المصرى والبوليس المصـــــرى بذلوا جهد الطاقة فى المحافظة على النظام ، واتبعوا التعليمات التى صدرت اليهم بكل تدقيق وامانة ، فكان موقفهم بعيدا عن كل لائمة ، ولا يسعنا أخيرا الا ان نترحم على أرواح القتلى ، ونرجو للجرحى الشفاء آملين أن تكون هذه الدماء قربانا طاهرا تقدمه مصر فى سبيل ما تصبو اليه من آمال وطنية سامية لتنعم بالحرية والرفاهية فى ظل عرشها المفدى »(٤٨) . ولكن (المقطم) لم تتحدث عن مسئولية القوات البريطانية ولم تهاجم ما ارتكبوه من اعمال ولم تسدد أصابع الاتهام ضدهم بالرغم من الغضب العارم

الذى فجرته هذه الحوادث فى نفوس الشعب المصرى قاطبة ضد الاحتلال البريطانى وجنوده .

وفور وقوع الحوادث ، قدم الانجليز احتجاجا للحكومة ، طلبوا اليها فيه منع المظـــاهرات والمحافظة على الأمن ومعاقبة المسئولين عن الحوادث ، مع الاحتجاج على ما حدث من اعتداء على الأموال ، واسلموا الاحتجاج الى الملك متجاهلين صدقى رئيس الوزراء . وقد استفز صدقى أن يتهم بالضعف من الانجليز ، وهو من يستمد جزءا مهما من سمعته السياسية من قسوته وقدرته على البطش بالجماهير ، ودافع عن نفسه فى مجلس النواب ضـــد « هذه المزاعم الباطلة » . ثم أصـــدر بيانا بمنع المظـــاهرات والاجتماعات . وبدأ يعمل على تفتيت القوى الشعبية التى ظهرت فى الأحداث الأخيرة(٤٩) وقد أيدت (المقطم) صدقى باشا فى موقفه وحرصه على أداء واجباته ، بقولها : « ولا يخامرنا شك فى أن الحكومة ستؤدى ما عليها كاملا ، وأنها ستغتنم هذه الفرصة لتعرب عن شعور الجانب المصرى اعرابا جليا قويا ، واذا كان لنا بهذه المناسبة ان نقول كلمة للرأى العام البريطانى فهى أن مصر كلها اليوم مشيئة واحدة وشعور واحد واتجاه واحد . وانه على ضوء الحقيقة يحسن بالحكومة البريطانية أن تبنى سياستها نحو مصر »(٥٠) .

ودعت الصحيفة الحكومة المصرية الى استثمار الشـــعور الوطنى الجارف الذى يسود البلاد حاليا « لمصلحة القضية الوطنية لانها قوى عظيمة تسند ظهرها فى جهادها لاستخلاص حقوق البلاد وتثبيت قدميها فى موقع الدفاع ، وتبعث فيها روح الاقدام والحزم فى التمسك بالمطلب الوطنى الأسمى »(٥١) .

ولكن (المقطم) تبدأ بالبحث عن مخرج يهدىء العاصفة ، ويفتح الطريق للقاء المصريين والبريطانيين وتجاوز احداث ٢١ فبراير الدامية ، وما خلفته من جراح غائرة ، فقد « حدث ما حدث وصار في حكم الماضى والتاريخ ، فسداد الرأى يقضى بأن يستخرج منه خير النتائج للفريقين على قواعد الحق والعدل لا أن يتوسل به احدهما لزيادة المشكلات ، هذه هى الدبلوماسية الصحيحة ونرجو الا تخفى على اقطاب حزب العمال البريطانى وحكومته وان تضعها صحف بريطانيا نصب عيونها »(٥٢) . ولم تعقب على الحوادث الجديدة التى سقط فيها عدد من الشهداء والجرحى يوم ٤ مارس يوم الحداد العام ، برصاص حكومة صدقى فى مدينة الاسكندرية(٥٣) .. ولم تعقب ايضا على فشل الجهود والوساطات التى جرت لاشراك الوفد فى المفاوضات التى تزمع الحكومة الشروع فيها(٥٤) الا انها دعت الى الالتفاف حول المفاوضين وتأييدهم ، وتهيئة الجو الصالح لهم(٥٥) فى الوقت الذى اعترض فيه على اجراء هذه المفاوضات كل من الوفد والحزب الوطنى ومصر الفتاة(٥٦) . وطالبت (المقطم) — بقلم كريم ثابت — جميع الأحزاب بالامتثال لرغبة الملك فى تقديم شوون البلاد العليا على غيرها من الشئون وبجعل جميع الجهود تسير فى اتجاه ايثار قضية مصر على كل اعتبار آخر بقولها : «ولا ريب عندنا فى أن هذا الاعتبار سيلقى ما هو خليق به من تقدير فلا ننحرف عن هذا الطريق بدافع من خلافات حزبية لم تعد البلاد تطيقها فى هذه المرحلة الدقيقة من حياتها السياسية »(٥٧) . وهى تعنى بذلك الوفد على وجه التحديد ، لاصراره على التعاون مع حكومة نيابية معبرة عن ارادة الأمة فى انتخابات سليمة ويتفق هذا الانتقاد الذى ساقته (المقطم) للوفد بطريق غير مباشر ، مع بيان نشرته لرئيس الوزراء يهاجم فيه ذلك الحزب السياسى ، الذى داب على تقديم الحزبية على مصلحة الوطن المقدسة ، ويقوم

بالتحريض لدفع الطلبة والعمال للتظاهر ، بينما مصلحة الوطن تتطلب الهدوء ، وان اى خروج على النظام سيقابل بالشدة(٥٨) .

وكان عهد صدقى الحاضر قد شهد فى مستهله نقل اللورد كيلرن من وظيفته سفيرا لبريطانيا فى مصر ، وكان حدثا فى ميدان السياسة المصرية ترك بصماته على الوزارة ، فقد ادى خروج اللورد كيلرن الى أكثر من نتيجة ، ومنها انفراد القصر تماما بالسيطرة على الوزارة ، وتبدى هذا فى مجموعة التصرفات التى تصرفها الملك فاروق دون استشارة حكومته ، وقد خلف اللورد كيلرن فى منصبه السير رونالد كامبل ، وبالاضافة الى ان الرجل كان من موظفى السفارة القدامى فقد كان معروفا انه من انصار صدقى باشا ، وقد شجع هذا الملك والوزارة على الاسراع بفتح باب المفاوضات مع الجانب البريطانى(٥٩) .

مفاوضـــات صـــدقى ـ بيفن :

مع الاستعداد لبدء المفاوضات المصرية البريطانية ، تؤكد (المقطم) اهميـــة الثقة التى يجب أن تحكم موقفى البلدين فاذا « كسبت بريطانيا ثقة مصر فانها تكسب ثقة سائر شعوب العرب وهذا الاعتبار لا نعتقد ان الدولة البريطانية تغفله من اعتبارها »(٦٠) وقالت ، ان الجلاء هو حق أساسى لمصر التى جربتها بريطانيا فى الحرب واصدرت حكمها باهمية الدور الذى قامت به مصر برغم الصيحات التى نادى بعضهم بها « فى شوارع القاهرة قائلا الى الامام يا روميل » فان « الذين نادوا هذا النداء كانوا جمـــاعات صغيرة جلها من طبقات جاهلة وغير مسئولة ، يقابل ذلك موقف مصـــر كلها بجميع طبقاتها وهيئاتهـــا البرلمانية والحكوميـــة وصحافتها »(٦١) وهى المرة الأولى التى تشير فيها الصحيفة الى هذا النداء برغم مرور بضع سنوات عليه .

وقالت (المقطم) ، وهى ترحب بوفد المفاوضات البريطانية الذى وصل الى مصر ، ان فى ايدى هؤلاء المندوبين « مصير صداقة البلدين » وأمامهم فرصة لا تعوض ليكسبوا لبريطانيا صداقة مصر الدائمة « وان مصر لشديدة الرغبة فى هذه الصداقة وفى كل ما يفضى الى تعزيزها ، ولكن بشرط ان تكون صداقة اساسها الاعتراف بحقوق مصر »(٦٢) وتمنت للمفاوضين « نجاحا يفضى الى توثيق عرى الصداقة والتعاون بين الحكومتين والشعبين بعد انقضاء اسباب عدم الرضا »(٦٣) مبينة أن حق مصر فى جلاء القوات العسكرية عن اراضيها « يطابق ما تنادى به بريطانيا نفسها، وما تدعو اليه وما تؤمن به ، فلا يعتل والحالة هذه أن يقوم بين البريطانيين من يتعمد معارضة مصر »(٦٤) ، لاسيما أن « مبدأ الجلاء التام عن الأراضى المصرية أصبح امرا مسلما به من الجانب البريطانى وان تفاصيل نظام الجلاء ومدته هى التى كانت موضوع البحث فى الأيام الأخيرة »(٦٥) . وقالت ان الدلائل تشير الى أن « المفاوضات تسير سيرا حسنا وانه لا يبالغ من يرى انها صائرة الى اتفاق »(٦٦) .

ولكن هذه المفاوضات لم تصادف ما توقعته (المقطم) ، فقد توقفت واعلن الوفد البريطانى انه سيغادر الى لندن لمشاورة حكومة بلاده ، وازاء هذا التطور الجديد ، اكدت الصحيفة على اهمية التوصل الى اتفاق الفريقين فى هذا الوقت بالذات لأنه قد لا تأتى فرصة اخرى لوضع علاقة بريطانيا بمصر « على قاعدة صحيحة ترتضيها الأمة المصرية »(٨٦) وان على حكومة بريطانيا الا تقع اسيرة لبعض الساسة البريطانيين(الهادمين) الذين « يصرون على وجوب التوسل بالقوة فى السياسات ويستعدون للنضال بقطع النظر عن العاقبة »(٦٨) وانه « اذا انتفت الثقة فلا تنفع الجيوش ولا الحصون » فان « أعظم عناصر الاتفاق والتحالف والتعاون انما

هى الثقة والايمان بوحدة المبدأ وصحة القصد وسلامة الشعور بوجوب التعاون لخير الفريقين »(٦٩) .

ويلاحظ هنا السعى الدؤوب للمقطم لتجاوز العقبات ودعوة بريطانيا لاستئناف المفاوضات وعدم الاستسلام للمعارضة الداخلية التى يقودها المحافظون ، فهؤلاء لن ينالوا « من هذه المناورة سوى الفشل وسوء السمعة وما يلصق بأذهان المصريين وسائر العرب من كره وحقد على الذين يدعون نصرة الديموقراطية بقطع أوصالها وتمزيق ثيابها »(٧٠) . وقالت ان المستر بيفن « اشجع من أن يعروه خوف من حملات تشرشل مهما اشتدت ولاسيما ان حكومة العمال تؤيدها فى مجلس النواب كثرة عظيمة »(٧١) ورفعت صوتها بانتقاد الجانب البريطانى الذى « فاز المحافظون خصوم الاتفاق بعرقلة عمله متوسلين بالسلطات العسكرية فخوفوها بما يحتمل ان تنكب به الامبراطورية البريطانية اذا فازت مصر بتحقيق رغباتها »(٧٢) . وعادت ثانية الى هدوئها المعهود برجاء « ألا تصل الأمور الى هذا المدى وان نسمع قريبا ان الدوائر البريطانية استردت شجاعتها الاولى فلا تعبأ بالذين لا يفتأون يقرعون نواقيس الشجن والأسى »(٧٣) اى المحافظين .

وامام الموقف البريطانى المتعنت من المفاوضات ، تدعو الصحيفة الى اتخاذ موقف قاطع « فاما أن يبنى الحلف الجديد أو العهد الجديد على قواعد الصداقة وحسن النية ووحدة المصلحة الحقيقية والا فليقفل باب المفاوضة من الآن ، ولينصرف المصريون الى العناية بأمورهم »(٧٤) . ففى هذا الوقت كانت الحكومة المصرية تعانى من الصعوبات الداخلية ، داخل هيئة الوزارة ، وداخل هيئة المفاوضات المصرية ، بالاضافة الى موقف المعارضة المصرية ، وبخاصة الوفد الذى رأى أن ما يجرى ، فيه مساس بقضية البلاد(٧٥) .

كما أضاف المشروع البريطانى الجديد صعوبة أخرى ، ورأى احد اعضاء هيئة المفاوضات رفضه كلية ، كما ذكرت الصحيفة ، بينما تمسك الباقون « بحكمة الاناة والتروى والسير مع البريطانيين الى اقصى مدى مستطاع ، فاذا لم تتقابل وجهتا النظر المصرية والبريطانية فى مصر ، فالخطوة الأخيرة هى الابقاء على سياسة الباب المفتوح ، واجراء مساع وبذل جهود جديدة فى لندن »(٧٦) .

وقد رأى صدقى باشا أن يقدم استقالته بعدما وصلت المسألة الى هذه الحالة من الجمود فضلا عن متاعبه مع الأحزاب المشتركة فى الحكم ، ولكنه عاد ليرأس الوزارة ثانية بعد أن عجز (شريف صبرى باشا) خال الملك عن تشكيل الوزارة الجديدة التى كلفه الملك بتأليفها ، والتوفيق بين الأحزاب المختلفة وخصوصا اقناع الوفد بالانضمام للوزارة .

ورأى صدقى باشا السفر الى لندن لمفاوضة مستر بيفن ، فترحب (المقطم) بذلك قائلة ، انه « يجدر بالمشتغلين بهذا الموضوع أن يمهلوه الى ان يتم رحلته ، فاذا نجح فى المهمة التى يسافر من أجلها جنت البلاد ثمار نجاحه ، واذا لم ينجح فانه هو الذى سيقول للبلاد : هذا اقصى ما امكننى ان اصل اليه مع الانجليز ، فتدبرى امرك ، أما الخوف من أن يتقيد صدقى باشا بأمور لا ترضاها البلاد فخوف فى غير محله لأن صدقى باشا يعرف تمام المعرفة ما تقبله البلاد وما لا تقبله »(٧٧) وحثت الساسة البريطانيين على ايجاد حل عادل للقضية المصرية ، مؤكدة على أن « مصلحة بريطانيا ومصلحة مصر وسائر اقطار الشرق الأوسط هى فى استيفاء الاستقرار فى هذا الشرق »(٧٨) .

وبعد عودة صدقى باشا الى مصر ، قالت (المقطم) ، انه « اذا وافقت الحكومتان على الاقتراحات التى قدمها المستر بيفن

وصدقي باشا فسيسفر هذا عن تضمين وثيقة المعاهدة الانجليزية المصرية نصا خاصا يشمل السيادة على السودان ويقبله الفريقان ويوافقان عليه »(٩٧) . وفي نفس الوقت ، كانت بعض الأحزاب والتنظيمات والهيئات الوطنية المصرية تبدى معارضتها الشديدة لتحركات صدقي ومشاريعه ، وتدعو الى الغاء معاهدة ١٩٣٦ ، فتستنكر (المقطم) ما أسمته بالخلافات الداخلية في هذا الظرف الدقيق ، قائلة : لقد « سئم الشعب الخلافات والمنازعات الحزبية والشخصية بالشكل الذى رآها به حتى الآن ، وأصبح يريد أن يرى شيئا جديدا في حياتنا العامة أساسه تقرير مصلحة مصر قبل كل شيء والعمل لوجه مصر وحدها »(٨٠) . وأشارت الى تجمع الطلاب في الجامعة حول النصب التذكاري للشهداء وتاليفهم (الجبهة الوطنية لطلبة وادى النيل) ، تضمن ميثاقها السمى لتحقيق « الأغراض الوطنية من ناحية وجهة نظرهم ، ووقع عليه مندوبو شتى الأحزاب من الطلبة . ولم يوقع عليه السعديون وطلبة الأحرار الدستوريين »(٨١) . ولم تعقب الصحيفة على هذا الخبر ، وان اتضح من صياغته ، وعدم ترحيبها بهذا النشاط الطلابى الوطنى المعارض لخطط الحكومة ، ونشرت بلاغا حكوميا عن حوادث عنف قام بهام الطلبة ، وقرار الحكومة بمنع المظاهرات ، ومنع تجمهر الطلاب بشكل حازم ، وبلاغا رسميا آخر عن مظاهرات لمنتسبى (الاخوان المسلمين) جرى خلالها الاعتداء على المتاجر وتمكن البوليس من تفريقها(٨٢) .

وبعد أخذ ورد ، حول مشروع المعاهدة الذى احضره صدقى باشا ، داخل هيئة المفاوضات المصرية ، اصدر سبعة من اعضاء الهيئة بيانا اشارت اليه (المقطم) بكلمة مقتضبة جاء فيها انهم « بسطوا فيه موقفهم من المشروع الجديد للمعاهدة وأسباب رفضهم للمشروع فى وضعه الجديد »(٨٣) . واستتبع ذلك الرفض صدور

مرسوم ملكى بحل الوفد الرسمى للمفاوضات . ونشرت (المقطم) تصريح وزير المعارف حول « اغلاق الجامعتين فى مصر والاسكندرية ووقف الدراسة فى بعض المدارس لايام معدودة حتى يمكن اعداد اللازم ، وابعاد عناصر الشغب القليلة الموجودة بين الطلبة ثم تنتظم الدراسة »(٨٤) ، دون أن تخوض من ناحيتها فى هذا الموضوع الذى يشير الى انفجار الموقف الداخلى فى وجه حكومة صدقى ، الا انها تلقى بالمسئولية على حكومة لندن ومناوراتها وعدم ادراكها للحقيقة ، فتقول : « ان دوائر لندن ترتكب خطأ عظيما اذا اعتقدت أو بكلمة اصح اذا توهمت أن فى مصر من يرضى بأقل مما ينطوى عليه المشروع الحالى . . أما أن نسمع أن فى لندن مناورات اساسها أن ما انطوى عليه مشروع المعاهدة كثير وانه يجب الرجوع فيه ، فهذا ما لم نكن نتوقع سماعه »(٨٥) . وكانت هذه الحدة فى أسلوب (المقطم) مؤشرا للفشل الذى لقيه مشروع معاهدة صدقى وبيفن .

والحاصل ان الانجليز لم يكونوا متحمسين لعقد المعاهدة مع صدقى ، حتى بعد مناورة استقالته وسفره الى لندن ، ورغم الاتفاق الذى وصل اليه مع بيفن ، وحتى بعد توقيعه بالأحرف الأولى ، بقيت الصحف البريطانية تسودها نغمة من التشاؤم ومن توقع استقالة صدقى على أساس نظرهم الى الأوضاع الداخلية فى مصر ، وقد ادرك الانجليز أنه يستحيل ضمان تنفيذ مشروع المعاهدة الذى اعد ، وان صدقى نفسه لم يستطع مصارحة الرأى العام بحقيقة النص الخاص بالسودان . وحاول أن يعطيه معنى لم يتفق عليه الطرفان ، واذا كان موقع المعاهدة واحد صانعيها لا يستطيع مواجهة شعبه بها فالأحرى الاعتقاد بأن تنفيذها لن يضمن على يديه ولا على يد غيره من بعده(٨٦) .

وكان سقوط معاهدة صدقى وبيفن ذروة الانتصار للحركة الوطنية ، كما تعتبر الفترة من مذبحة كوبرى عباس فى ٩ فبراير

الى سقوط مشروع صدقى – بيفن فى نوفمبر ١٩٤٦ ، من أعنف وأخصب فترات النضال الوطنى بين معسكر الثورة وأعداء الثورة ولا شك ان الفضل الأول فى كسب الشعب المصرى للمعركة خلال هذه الفترة يعود الى تلك القيادة الشعبية الجديدة الممثلة فى اللجنة الوطنية للعمال والطلبة(٨٧) .

ثم كانت استقالة وزارة صدقى باشا ، فتنوه (المقطم) بجهوده، وتقول انه عندما تنشر تفاصيل المباحثات والمفاوضات « ويحكم الناس فى عمله حكما غير متأثر بالاعتبارات الحزبية والخلافات السياسية سيتجلى لهم مقدار المجهود العظيم الذى بذله دولته فى سبيل بلاده بما عرف عنه من مقدرة وكفاءة استثنائيتين ، وكياسة وحزم »(٨٨) .

القضـــــية .. فى مجلس الأمن :

شكل النقراشى باشا الوزارة التى خلفت وزارة صدقى باشا المستقيلة ، فتقول (المقطم) : « هذه وزارة مصرية ثالثة تبغى التفاهم مع الدولة البريطانية ، والمفهوم أن موقفها لا يختلف عن موقف سابقتيها فيما يختص بصون حقوق مصر فى وادى النيل كله »(٨٩) . وهاجمت محاولات حاكم عام السودان لفصل السودان عن مصر بحجة الاستقلال ، وخاطبت البريطانيين قائلة : « تريدون أن تعدوا السودانيين للاستقلال . حسن ، فلماذا لا تدعون حكومة مصر الى مؤتمر للبحث فى خير الوسائل لتحقيق هذه الأمنية ؟ لماذا لا تصنعون هنا ما أنتم صانعوه فى سائر القضايا الدولية ؟ ان جوهر الدعوة فى السودان الآن وعلى رأس دعاتها الحاكم العام ، هو فصل السودان عن مصر ، لا استقلال السودان والسودانيين .. اننا لا نزال نعلق أملا بأقطاب بريطانيا بأن يقوموا هذه السياسة المعوجة وأن ينصروا الحق »(٩٠) .

ويلاحظ ان (المقطم) ماتزال تعتمد الهدوء فى تعليقاتها ، وتتمسك بسياسة التفاهم مع بريطانيا ، برغم كل المواقف المعادية الصريحة للقضية الوطنية ، وبخاصة فيما يتعلق بموضوع السودان ، الذى كان سبب حبوط مشروع صدقى – بيفن ، والذى حاول النقراشى ايجاد مخرج له بمباحثات مع السفير البريطانى ، كان مصيرها الفشل .

وقد اعلن النقراشى باشا قطع المفاوضات فى بيانه امام البرلمان . ووصفت (المقطم) هذا البيان بانه كان « صريحا واضحا رائعا زاد فى روعته ما بدا فى مجلس النواب من روح قومية عالية فكانت بحق جلسة تاريخية » بل « من أجل الجلسات شأنا واخطرها موضوعا ، ومما زادها جلالا وشأنا اهتمام جلالة الملك المعظم بأن يشهد بنفسه ما يدور فيها حول قضية الوطن ، فاقبل اعزه الله لحضورها بصفة خاصة خالية من كل صبغة رسمية » . وقد اعلنت مصر « حقوقها واضحة وأعربت عن عزمها على الاحتكام الى العالم وصبغ قضيتها بالصبغة الدولية بعدما ظلت هذه السنين الطوال محصورة بينها وبين بريطانيا »(٩١) .

وفسرت الصحيفة فى أكثر من تعليق أسباب توجه مصر بقضيتها الى مجلس الأمن لاذاعتها على العالم كله ولكى يحكم ضميره فيها ، وقالت ان غضبة الصحف البريطانية على قرار مصر « دليل لنا ولسوانا على أن السلطات البريطانية تخشى كثيرا أن ينتهى عرض قضية وادى النيل على هيئة الأمم المتحدة ، الى اظهار حق مصر والسودان وبطلان دعوى بريطانيا »(٩٢) .

وقد التقت قوى المعارضة الوطنية جميعها على وجوب عرض مسألة مصر على مجلس الأمن . وكان هذا لدى القيادة التقليدية

للوفد اسلوبا من اساليب الكفاح بالوسائل السلمية المشـــروعة وخروجا عن نطاق العلاقات الثنائية ببريطانيا ، وكان لدى التيارات الوطنية الجديدة تفاؤلا بميزان القوى العالمية الذى تغير لصالح حركات الشعوب بعد الحرب(٩٣) الا ان الوفد ، هاجم قيام الحكومة المصرية بهذه المهمة ، فى بيان اشارت اليه (المقطم) . وقال فيه : « ان وسيلته لتحقيق مطالب البلاد هى رفع القضية الى الهيئات الدولية ليدافع عنها من يمثلون الامة حق التمثيل »(٩٤) .

ورد رئيس الوزراء على بيان الوفد بقوله ، ان « الهدف المباشر لهذه الحملة العنيفة هو ان تستقيل هذه الوزارة ويحل مجلس النواب وتجرى الانتخابات ويطمع النحاس باشـــا فى غير مطمع انه فائز لا محالة بالاغلبية ، ثم بالوزارة ، وهى بيت القصيد وقرة العين »(٩٥) .

ولم تتدخل (المقطم) من ناحيتها فى هذه المساجلة ، ولكنها القت بكل ثقلها الى جانب الحكومة المصرية فى عزمها على التوجه الى مجلس الامن ، فتقول : « ان مصر تذهب الى هيئة الامم المتحدة عالمة انها ستكسب وعلى كل حال لن تخسر .. ففيما يختص بمصر سيتم الجلاء التام عملا بقرار هيئة الامم نفســـــها . وهذا قرار لا تستطيع بريطانيا نقضه . بقى السودان ولا يمكن ان يصدر من الهيئة قرار يجعل مقام مصر فى السودان اسوا مما هو الآن .. فالسودان اصبح مستعمرة بريطانية » « فما الذى تستطيع هيئة الامم ان تحكم به اكثر من هذا الواقع ؟ »(٩٦) .

فى هذه الاثناء ، كانت مصر تحتفل بجلاء البريطانيين من ثكنات قصر النيل ، وتابعت (المقطم) هذه الاحتفالات باخبارها وتعليقاتها التى تمجد الملك فاروق ، الذى « ينشر علم البلاد على

تكن قصر النيل فى احتفال عسكرى كبير » . ويقول « .. ان والذى كان يريد أن يعيش ليرى هذا اليوم » وقالت ان المصريين اليوم « يحتلفون برفع العلم المصرى على هذه المبانى العظيمة التى تحرس النيل الكريم وتطل على الاهرام الخالدة وتشرف على قاهرة الفاروق اكبر مدن القارة الافريقية »(٩٧) .

والواقع إن الانجليز كانوا حريصين فى ذلك الحين على جلاء قواتهم عن قناة السويس تخفيفا لأعباء دافع الضرائب البريطانى ، ولأن القناة لم يبق لها من الأهمية الاستراتيجية بعد التطور الذى حدث فى أسلحة الحرب مثل ما كان لها من قبل وليثبتوا حسن نيتهم نقلوا قواتهم من القاهرة والاسكندرية الى منطقة قناة السويس(٩٨) .

وقالت (المقطم) ان « مصر كلها متجهة اليوم الى الجالس على عرشها تدعوه الى ان يقبض بساعديه القويتين على دفع سفينة البلاد ليكمل سفرها الى ميناء السلامة والسلام وتحقيق الأمانى والآمال »(٩٩) .

وتحدثت عن توجه وفد ضباط الجيش الى قصر القبة لرفع « آيات الشكر والولاء بمناسبة جلاء الانجليز عن القاهرة والاسكندرية والدلتا »(١٠٠) . وذكرت ان الملك قرر عدم الانتقال الى الاسكندرية رسميا فى هذا الصيف « لانه يرى أن البلاط يجب أن يكون حيث مقر الحكم فى اثناء عرض القضية المصرية »(١٠١) .

وقالت (المقطم) ان « عرض قضية وادى النيل على هيئة الأمم المتحدة ، سيكون امتحانا عظيما لهذه الهيئة وللدول التى تتألف منها ، يبدو فيه مدى ايمانها الصحيح بالحرية والديمقراطية وميثاق سان فرانسيسكو »(١٠٢) ، وان وفد مصر سيعرض « على المجلس والعالم كله أمثلة صحيحة من تصرفات الدولة البريطانية مع مصر

المستقلة بعد سنة ١٩٣٦ ، بحكم المعاهدة التى تتمسك بريطانيا بها ، وتابى ان تتحول عنها ، سيطلع وفد مصر المجلس والعالم على ما صنع اللورد كيلرن سفير بريطانيا الحليفة والصديقة مساء ٤ فبراير ١٩٤٢ ، ويطلعهما على طائفة من مكاتبات اللورد كيلرن الى الحكومة المصرية يطالبها بان تنقض قرارات البرلمان ، وان تمنع المحاكم المختلطة من نظر قضية سندات قناة السويس ، وعشرات من امثال هذه الطلبات التى تدل على مدى تقدير الحكومة البريطانية لاستقلال مصر ، وعلى الخطر الذى تستهدف له ، مادام فيها قوات عسكرية أجنبية »(١٠٣) .

ونشرت نصوص البرقيات المرسلة الى سكرتير مجلس الامن لتاييد طلبات مصر ، لمناسبة عرضها على المنظمة الدولية من الاحزاب والهيئات والنقابات فى مصر . وقالت : اننا « نقول جهرة وبغير مواربة ان اللوم فى اكراه مصر على هذا الاحتكام هو بريطانيا خصمها الآن ، فلم تقدم مصر على الاحتكام الى الهيئة الدولية الكبرى الا بعدما عيل صبرها وضاق صدرها وقطعت كل امل بانصافها »(١٠٤) . وناقشت اقوال (الكسندر كادوغان) مندوب بريطانيا فى مجلس الأمن ، بقولها ان مصر « ذهبت لتثبت أن بريطانيا نقضت المعاهدة التى تدافع عنها الآن ، والتى تقول انها عقدت برضا الجانبين ، وسيرى مجلس الأمن وسائر العالم ان الذى نقض معاهدة ١٩٣٦ هو بريطانيا لا مصر » ، فان « المعاهدة التى يدافع عنها السير الكسندر كادوغان هى غير المعاهدة التى ارتضاها الشعب المصرى وعدها مرحلة من مراحل استقلاله ، ان المعاهدة التى يدافع عنها السير الكسندر كادوغان ، ويقول ان مصر رحبت بها ، لم تكن فى عرف المصريين أن يطلب سفير بريطانيا استنادا الى قوة الدبابات والسيارات ، فعل كذا وعدم فعل كذا »(١٠٥) ، وانه « لم يبق فى الوجود معاهدة اسمها معاهدة

١٩٣٦ .. اجمعوا قصاصات معاهدة ١٩٣٦ والقوها حيث القيتم ميثاق الأتلنتيكى اى فى قعر ذلك الأوقيانوس العظيم ، واحمدوا الله على سلامتكم من زحف قوات المحور بمعونة مصر الثمينة جدا »(١٠٦) .

وذكرت أن النقراشى فند الحجج البريطانية التى اثارها المندوب البريطانى فى مجلس الأمن ، وأوضح ان قضيتنا قوية وثقتنا لا تتزعزع(١٠٧) . وانحت باللوم على بريطانيا التى أدت سياستها الى لجوء مصر الى الامم المتحدة قائلة : « الا يشعر اقطاب بريطانيا .. بالخسارة الأدبية العظيمة التى لحقت بالدولة البريطانية، وكان من اظهر مظاهرها أن يذهب وفد مصر برئاسة كبير وزرائها فى طلب الانصاف الى نيويورك بدلا من الذهاب الى لندن ؟ ترى أيدرك من ذكرنا مغزى هذا التبدل ؟ يالها من غلطة فظيعة »(١٠٨).

وقد اتضح عجز مجلس الأمن عن حسم المسالة لصالح الحقوق المصرية المشروعة ، فتخرج مظاهرات كبيرة فى مصر احتجاجا على مواقف الدول فى المجلس ، وتقول (المقطم) ان « هيئة الامم المتحدة لا تختلف عن جامعة الامم ، فهى أداة بيد الدول العظمى ، كما كانت جامعة الأمم بيد بريطانيا وفرنسا »(١٠٩) .

وعلقت على قرار مجلس الأمن بقولها ، ان المجلس لم يفصل « فصلا نهائيا حاسما فى قضية وادى النيل على الدولة البريطانية . غير أنه قرر أحكاما فرعية كبيرة القدر ، منها احكام ايجابية واحكام سلبية، ومن الأحكام الايجابية انه تقضى ببقاء القضية فى جدول اعمال المجلس» «أما الأحكام السلبية فمنها عدم اقرار المجلس لدعوة الجانب البريطانى بأن معاهدة ٣٦ قائمة »(١١٠) .

وقالت (المقطم) ان الأجدر بمجلس الأمن أن يسمى باسم آخر، كمجلس الوسطاء أو مجلس الاقتراحات المرفوضة « فان مهمته ليست فى أن يلزم الظالم رد الحقوق الى أهلها بل مهمته أن يحاول التوسط بين دولتين متخاصمتين ، وأن يقدم الحلول والمقترحات ، فاذا عجز عن الاهتداء الى حل اطبق يديه على صدره وترك امر الخصام للأقدار »(١١١) .

ورات انه اذا كانت مصر لم تنجح فى حمل مجلس الأمن « على الحكم لها » فانها نجحت حقا فى عرض القضية على العالم بأسره ، ونالت تأييد غير دولة واحدة »(١١٢) .

وشاركت الأمة ترحيبها بعودة النقراشى باشا الى البلاد ، وهو « أقوى املا بتحقيق مطالب مصر القومية واعظم ايمانا بنجاح قضيتها العادلة »(١١٣) . « وما كان فى طاقة مصرى آخر أن يدرك فوق ما ادركه النقراشى باشا مدفوعا بصدق وطنيته واخلاصه .. فلا غرو اذا استقبل جلالة الملك وزيره .. وقال له ما قال معربا عن شعور كل وطنى تهمه قضية وادى النيل وربح هذه القضية ايا كان المصرى الذى يسمى لكسبها ، ولا غرو اذا كان استقبال مصر له ما شهد الناس »(١١٤) .

وكان النقراشى قد قوبل مقابلة حماسية لدى عودته الى مصر ، لأن خطبته أمام مجلس الأمن استهوت الجماهير بما كان فيها من عبارات قاسية موجهة الى الانجليز(١١٥) .

لم يكن انفعال (المقطم) بالحركة الوطنية الجديدة التى افرزتها ظروف ما بعد الحرب العالمية الثانية ، كما راينا ، متناسبا مع حجم هذه الحركة وثوريتها ، وما كانت تتسم به من صلابة واصرار على تحقيق الأهداف القومية فى الجلاء ووحدة وادى النيل . ولم تواكب

بالتالى هذه الحركة ومعاركها بالقدر المطلوب ، فى الوقت الذى اكدت فيه حرصها الكامل على الالتزام بالمساعى الحكومية للتوصل الى حل القضية بالمفاوضات ثم بطرحها على مجلس الأمن مع التذكير المستمر بدور القصر ووطنيته والحديث عن التزامه بأهداف الجماهير . واذا كانت قد رفعت نغمة احتجاجها على البريطانيين ومناوراتهم فانها لم تشأ الوصول معهم الى نقطة اللاعودة والتحول الى طريق آخر من الكفاح المشروع ، وظلت وفية لأسلوب الدعوة للتفاهم والعلاقات الحسنة بين البلدين .

هوامش الفصل الخامس

(١) المقطم ٩ مايو ١٩٤٥ .

(٢) المقطم ١٠ مايو ١٩٤٥ .

(٣) المقطم ١٢ مايو ١٩٤٥ .

(٤) طارق البشرى ، الحركة السياسية فى مصر ١٩٤٥ — ١٩٥٢ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٢ ، ص ٢٣ .

(٥) المقطم ٦ يوليو ١٩٤٥ .

(٦) المقطم ١٤ يوليو ١٩٤٥ .

(٧) المقطم ٢٧ يوليو ١٩٤٥ .

(٨) المقطم ٦ اغسطس ١٩٤٥ .

(٩) المقطم ١٥ اغسطس ١٩٤٥ .

(١٠) المقطم ١١ سبتمبر ١٩٤٥ .

(١١) المقطم ١٧ سبتمبر ١٩٤٥ .

(١٢) SHAH, ABDUL QAYYM, Egypt Reforn, New Delhi, 1973, PP. 36 , 38.

(١٣) المقطم ١٧ سبتمبر ١٩٤٥ .

(١٤) المقطم ٢١ سبتمبر ١٩٤٥ .

(١٥) المقطم ٢٤ سبتمبر ١٩٤٥ .

(١٦) المقطم ٢٥ سبتمبر ١٩٤٥ .

(١٧) المقطم ٢٧ سبتمبر ١٩٤٥ .
(١٨) المقطم ١ أكتوبر ١٩٤٥ .
(١٩) المقطم ٢ أكتوبر ١٩٤٥ .
(٢٠) المقطم ٨ أكتوبر ١٩٤٥ .
(٢١) المقطم ١٧ أكتوبر ١٩٤٥ .
(٢٢) المقطم ٢٩ أكتوبر ١٩٤٥ .
(٢٣) المقطم ١٣ نوفمبر ١٩٤٥ .
(٢٤) طارق البشرى ، الحركة السياسية فى مصر ٤٥ - ١٩٥٢ ، ص ٢٣ .
(٢٥) المقطم ١٤ نوفمبر ١٩٤٥ .
(٢٦) المقطم ١١ ديسمبر ١٩٤٥ .
(٢٧) المقطم ١٤ ديسمبر ١٩٤٥ .
(٢٨) المقطم ١٩ ديسمبر ١٩٤٥ .
(٢٩) المقطم ١ يناير ١٩٤٦ .
(٣٠) المقطم ٢٨ يناير ١٩٤٦ .
(٣١) المقطم ٢ فبراير ١٩٤٦ .
(٣٢) طارق البشرى ، الحركة السياسية فى مصر ، ص ٢٦ .
(٣٣) المقطم ٤ فبراير ١٩٤٦ .
(٣٤) المقطم ٧ فبراير ١٩٤٦ .
(٣٥) محمد انيس والسيد رجب حراز ، التطور السياسى للمجتمع المصرى الحديث ، ص ٢٢٢ .
(٣٦) المقطم ١٢ فبراير ١٩٤٦ .
(٣٧) المقطم ١٣ فبراير ١٩٤٦ .
(٣٨) عاصم محروس ، دور الطلبة المصريين فى الحركة الوطنية ، ص ٥١٣ .
(٣٩) المقطم ١٥ فبراير ١٩٤٦ .
(٤٠) طارق البشرى ، الحركة السياسية فى مصر ٤٥ - ١٩٥٢ ، ص ٩٧ - ٩٨ .
(٤١) يونان لبيب ، تاريخ الوزارات المصرية ، ص ٤٨٠ .
(٤٢) المقطم ١٨ فبراير ١٩٤٦ .
(٤٣) المقطم ١٩ فبراير ١٩٤٦ .

(٤٤) محمد انيس والسيد رجب حراز ، التطور السياسى للمجتمع المصرى الحديث ، ص ٢٢٣ .
(٤٥) عبد الرحمن الرافعى ، فى أعقاب الثورة المصرية ، ج ٣ ، ص ١٨٥ .
(٤٦) عاصم محروس ، دور الطلبة المصريين فى الحركة الوطنية ، ص ٥٢١ .
(٤٧) المقطم ٢١ فبراير ١٩٤٦ .
(٤٨) المقطم ٢٢ فبراير ١٩٤٦ .
(٤٩) طارق البشرى ، الحركة السياسية فى مصر ، ص ١٠٤ ، ١٠٥ .
(٥٠) المقطم ٢٣ فبراير ١٩٤٦ .
(٥١) المقطم ٢٥ فبراير ١٩٤٦ .
(٥٢) المقطم ٢٧ فبراير ١٩٤٦ .
(٥٣) المقطم ٥ مارس ١٩٤٦ .
(٥٤) المقطم ٧ — ٨ مارس ١٩٤٦ .
(٥٥) المقطم ٩ مارس ١٩٤٦ .
(٥٦) المقطم ١٣ مارس ١٩٤٦ .
(٥٧) المقطم ٢٦ مارس ١٩٤٦ .
(٥٨) المقطم ٢ ابريل ١٩٤٦ .
(٥٩) يونان لبيب ، تاريخ الوزارات المصرية ، ص ٤٨١ ، ٤٨٢ .
(٦٠) المقطم ٥ ابريل ١٩٤٦ .
(٦١) المقطم ٦ ابريل ١٩٤٦ .
(٦٢) المقطم ١٦ ابريل ١٩٤٦ .
(٦٣) المقطم ٢٢ ابريل ١٩٤٦ .
(٦٤) المقطم ٢٧ ابريل ١٩٤٦ .
(٦٥) المقطم ٦ مايو ١٩٤٦ .
(٦٦) المقطم ١٨ مايو ١٩٤٦ .
(٦٧) المقطم ٢٣ مايو ١٩٤٦ .
(٦٨) المقطم ٢٤ مايو ١٩٤٦ .
(٦٩) المقطم ٢٥ مايو ١٩٤٦ .
(٧٠) المقطم ٢٩ مايو ١٩٤٦ .
(٧١) المقطم ١٧ يونيو ١٩٤٦ .
(٧٢) المقطم ١ أغسطس ١٩٤٦ .
(٧٣) المقطم ٦ أغسطس ١٩٤٦ .

(٧٤) المقطم ١٢ أغسطس ١٩٤٦ .
(٧٥) المقطم ١٩ سبتمبر ١٩٤٦ .
(٧٦) المقطم ٢١ سبتمبر ١٩٤٦ .
(٧٧) المقطم ١٠ أكتوبر ١٩٤٦ .
(٧٨) المقطم ٢٥ اكتوبر ١٩٤٦ .
(٧٩) المقطم ٢ نوفمبر ١٩٤٦ .
(٨٠) المقطم ٢ نوفمبر ١٩٤٦ .
(٨١) المقطم ١٦ نوفمبر ١٩٤٦ .
(٨٢) المقطم ٢٦ نوفمبر ١٩٤٦ .
(٨٣) المقطم المقطم ٢٦ نوفمبر ١٩٤٦ .
(٨٤) المقطم ٢٨ نوفمبر ١٩٤٦ .
(٨٥) المقطم ٧ ديسمبر ١٩٤٦ .
(٨٦) طارق البشرى ، الحركة السياسية فى مصر ، ص ١٢٧ — ١٢٩ .
(٨٧) محمد أنيس والسيد رجب حراز ، التطور السياسى للمجتمع المصرى الحديث ، ص ٢٢٤ .
(٨٨) المقطم ٩ ديسمبر ١٩٤٦ .
(٨٩) المقطم ١٤ ديسمبر ١٩٤٦ .
(٩٠) المقطم ١ يناير ١٩٤٧ .
(٩١) المقطم ٢٨ يناير ١٩٤٧ .
(٩٢) المقطم ٣١ يناير ١٩٤٧ .
(٩٣) المقطم ٤ فبراير ١٩٤٧ .
(٩٤) طارق البشرى ، الحركة السياسية فى مصر ، ص ١٣٥ .
(٩٥) المقطم ٥ فبراير ١٩٤٧ .
(٩٦) المقطم ٤ مارس ١٩٤٧ .
(٩٧) المقطم ٢١ مارس ١٩٤٧ .
(٩٨) محمد حسين هيكل ، مذكرات فى السياسة المصرية ، ج ٢ ، ص ٢٢٣ .
(٩٩) المقطم ٣ ابريل ١٩٤٧ .
(١٠٠) المقطم ١١ ابريل ١٩٤٧ .
(١٠١) المقطم ٧ مايو ١٩٤٧ .
(١٠٢) المقطم ١٢ يوليو ١٩٤٧ .

(١٠٣) المقطم ٢٢ يوليو ١٩٤٧ .
(١٠٤) المقطم ٥ أغسطس ١٩٤٧ .
(١٠٥) المقطم ٧ أغسطس ١٩٤٧ .
(١٠٦) المقطم ٨ أغسطس ١٩٤٧ .
(١٠٧) المقطم ١١ أغسطس ١٩٤٧ .
(١٠٨) المقطم ١٣ أغسطس ١٩٤٧ .
(١٠٩) المقطم ٢٧ أغسطس ١٩٤٧ .
(١١٠) المقطم ١١ سبتمبر ١٩٤٧ .
(١١١) المقطم ١٢ سبتمبر ١٩٤٧ .
(١١٢) المقطم ١٧ سبتمبر ١٩٤٧ .
(١١٣) المقطم ٢٠ سبتمبر ١٩٤٧ .
(١١٤) المقطم ٢٢ سبتمبر ١٩٤٧ .
(١١٥) محمد زكي عبد القادر ، محنة الدستور ، ص ١٥٢ .

الفصـــل الســادس

المقطم والقضـيـة الفلسطينية

الصحافة المصرية والقضية الفلسطينية :

يثير عنوان هذا الفصل موضوعات وقضايا عديدة تتصل بذلك التاريخ الطويل للقضية الفلسطينية المرتبطة بالأطماع الصهيونية لاغتصاب فلسطين وتشريد شعبها واقامة الدولة الصهيونية فى قلب الوطن العربى . وهو ما لا يدخل فى نطاق هذه الدراسة ، التى تهدف أساسا الى تسجيل انعكاسات حرب فلسطين باعتبارها حلقة فاصلة فى تاريخ القضية الفلسطينية ، على الساحة السياسية فى مصر ، وعلى الحركة الوطنية المصرية ، سواء من ناحية تطوير رؤية هذه الحركة للعمل الثورى فى داخل مصر ، وتطوير الرؤية العربية للحركة الوطنية ، حيث كانت القضية الفلسطينية وتطوراتها الباب الرئيسى لدخول مصر معترك السياسة العربية . بعد ان كان الموقف المصرى قبل ذلك يتسم بطابع التعاطف مع شعب فلسطين فى محنته ، بازاء الاعتداءات الصهيونية والبريطانية عليه ، عبر تلك السلسلة الطويلة من المواجهات الفلسطينية ضد الانتداب البريطانى . وكان ابرزها الانتفاضات والثورات التى بلغت ذروتها فى الثورة الكبرى عام ١٩٣٦ التى استمرت ثلاثة اعوام . وكان موقف التعاطف نابعا من المشاعر التى تغذيها العاطفة الدينية والرابطة العربية وجامعة اللغة ، وقد اسهمت مصر الفتاة وجماعة الاخوان المسلمين فى زيادة فاعلية هذه العاطفة واعطائها قوة دفع

تضاعف حجمها بمرور الوقت . واصبحت حقيقة راسخة فى وجدان الشعب المصرى وتنبيهه للأخطار المحدقة به وباشـــقائه عرب فلسطين .

وقد قامت الصحافة المصرية بمواكبة تطورات القضـــية الفلسطينية ، ومتابعة فصول معاناة شعب فلســطين ، واخبار ثوراته ومعاركه ضد العصابات الصهيونية المدعمة من الاستعمار البريطانى ، وذلك حسب اتجاهات هذه الصحف ، وحجم رؤيتها لطبيعة المشكلة وابعادها المستقبلية ، وقد غلب على تلك المواقف الشعور بعمق المأساة والتبصير بما يحمله المســتقبل من مفاجآت بفعل شـــراسة الهجمة الصـــهيونية المثلة بالاســتيلاء على الأرض وزرع المستعمرات وتدفق الهجرة اليهودية .

« وتعتبر الصـــحافة المصرية فى العشـــرينات مؤشرا مهما للاهتمام الشـــعبى فى مصـــر بالقضـــية الفلسطينية ، ففى الوقت الذى اتسم فيه موقف الحكومات المصـــرية ازاء القضـــية بالتخاذل وانعدام الاهتمام ، بل وصـــــل الى حد اتخاذ مواقف معادية ، كانت الصـــحافة بمختلف اجنحتها واتجاهاتها تتابع باهتمام تطورات القضـــــية الفلسطينية من كافة زواياها ، وتبدى تفهما عميقـــا وادراكا مبكرا للخطر الصـــهيونى فى فلسطين والعالم العربى ، وقد ســــاهمت بالفعل فى خلق تراث من الاهتمام المصرى بالقضية الفلسطينية .. ومع منتصـــف الثلاثينات بدأ الاهتمام المصـــرى بالقضية الفلسطينية يصبح اكثر اتساعا ويضم قطاعات أوســـع من الراى العام والقوى السياسية المصرية .. ويلاحظ ان الصحافة الصهيونية قد لعبت دورا مهما فى خدمة الحركة الصهيونية خلال العشـــرينات والثلاثينات فى مصر ، وكانت الحركة الصـــهيونية ممثلة فى تلك الصحف بجميع اتجاهاتها المعتدلة والمتطرفة وذات الرؤية الدينية »(١) .

وابرز هذه الصحف الصهيونية التى صدرت فى مصر باللغة العربية لخدمة الحركة الصهيونية ومخططاتها : اسرائيل ، الاتحاد الاسرائيلى ، الشمس ، المصباح ، الصراحة ، والتسعيرة(٢) .

وقد تابعت (المقطم) تطورات القضية الفلسطينية ، واتخذ هذا الاهتمام اشكالا متعددة مثل نشر الرسائل الصحفية والاخبارية الواردة من مراسلها فى فلسطين ، وكذلك نشر الرسائل الصحفية الواردة من المندوبين الذين ارسلتهم الصحيفة ابان تفاقم الأحداث والاضطرابات ، ونشر المقالات التى تعبر عن آراء كل من الكتاب الفلسطينيين المقيمين فى مصر ، والكتاب اليهود المصريين ، بكل ما يعنيه هذا الأمر من تعارض الأفكار والاتجاهات والمصالح ، وما يعبر عنه من محاولة الصحيفة الوقوف على الحياد بازاء هذا الصراع ، لكن (المقطم) من ناحيتها لم تتطرق لمعالجة طبيعة الخطر الصهيونى واشكال هذا الخطر ونتائجه ، واكتفت عند اشتداد الانتفاضات الفلسطينية وقمعها بالقوة من جانب البريطانيين، بتسجيل عتابها ولومها للساسة البريطانيين ، ودعوتهم الى حل المشكلة بما يحفظ مصالح جميع سكان فلسطين وحقوقهم ، ولكن المرحلة التاريخية التى اعقبت الحرب العالمية الثانية ، والتى شهدت اتجاها مصريا سريعا واضحا نحو العالم العربى خصوصا بعد توقيع ميثاق الجامعة العربية شهدت ايضا فهما اوضح وتحديدا ادق لطبيعة المخطط الصهيونى فى فلسطين ، ولم يبق معه مجال للتنبؤ والاجتهاد حول احتمالات المستقبل ، فقد اسرعت الأحداث باتجاه اعلان قرار تقسيم فلسطين ومضاعفاته واعلان انتهاء الانتداب البريطانى وانشاء الدولة الصهيونية ، واصبحت المواجهة العربية الصهيونية واقعا لا مفر منه ، انعكس على كتابات الصحافة المصرية بجميع اتجاهاتها ، ومنها

(المقطم) التى عالجت تطورات الحرب الفلسطينية ، بدون أى تأثير لارتباطاتها مع المصالح البريطانية .

حــرب فلسطين :

وقد شاركت (المقطم) فى متابعة هذه التطورات وانعكاساتها على مصر ، سواء على الصعيد الرسمى او الشعبى ، وتحدثت عن الاسهامات الفعلية للجيش المصرى فى حرب فلسطين ، كما تابعت التطورات الداخلية التى كانت وثيقة الصلة بالهزيمة العسكرية وناتجة عنها ، كالمواجهة بين الحكومة المصرية والاخوان المسلمين .

فعلى اثر صدور قرار تقسيم فلسطين فى ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ قامت مظاهرات احتجاج فى مصر ، نشرت (المقطم) اخبارها وكتبت عددا من التعليقات عن أصداء هذا القرار ، وعن خضوع الأمم المتحدة لارادة القوى الاستعمارية ، ونقلت تصريحات لعبد الرحمن عزام امين عام الجامعة العربية عن فتح مكاتب للتطوع فى القاهرة للمشاركة فى انقاذ فلسطين(٣) .

وقالت الصحيفة ان المظاهرات لا تخدم قضية فلسطين التى تتطلب خطوات عملية كالتطوع وغيره ، وان « على مصر ان تستعد فلا تؤخذ على غرة »(٤) . وخاطبت المسئولين العرب القادمين الى القاهرة للتباحث حول القضية فى اطار الجامعة العربية ، قائلة : « جئتم . اهلا وسهلا بكم . فماذا انتم فاعلون ؟»(٥) ، موضحة «ان رسم المصورات الجغرافية سهل ، واسهل منه ارتجال الخطب السياسية والحماسية . اما الذى له قيمة فالعمل »(٦) .

وقامت الجماهير المصرية بمسيرة تضامن مع فلسطين ، فكان « يوما خالدا فى تاريخ العروبة ، ومن اعظم هذه الايام روعة وجلالا،

تجلى فيه الشعور القومى بأجل معانيه ، وأظهرت مصر غضبها لقرار قسمة فلسطين الجائر ، وسخطها على الصهيونية ودعاتها ، وشاركت مصر فلسطين الشقيقة فى محنتها ، وارتفعت الصيحات لتلبية نداء فلسطين ، وارتفع صوت مصر مجلجلا على مرأى ومسمع من ممثلى الدول العربية والاجنبية »(٧) .

واستحثت العرب على العمل الجدى قائلة : ان « فلسطين تحتاج الى اكثر من هذا »(٨) ، وأن « على مصر ان تتاهب وان تتاهب معها دول العرب الأخرى ، فذلك خير وابقى »(٩) .

فى هذه الأثناء ، كانت (المقطم) تتابع فى اخبارها تحركات سلطات الأمن لتعقب العصابات الصهيونية التى تمارس نشاطها المريب فى مصر ، وكذلك حملات الحكومة لتفتيش المنازل فى القاهرة والاسكندرية « لمكافحة الشيوعية » جرت خلالها الاعتقالات ، وضبطت المنشورات فى حوزة المعتقلين ، كما تابعت أخبار الانفجارات فى عدد من المحال التجارية التى يملكها اليهود فى مصر ، وقضية اغتيال احمد الخازندار رئيس محكمة جنايات مصر ، دون ان تشير من جانبها باصبع الاتهام الى جهة معينة(١٠) ، وكذلك موضوع اضراب رجال البوليس وامتناعهم عن العمل(١١) ، هذا الاضراب الذى كان صدمة شديدة لوزارة النقراشى لأنه باعد بينها وبين الرجال الذين تعتمد عليهم فى حفظ الأمن والنظام ، وقد عاد رجال البوليس الى عملهم بعد أن هددتهم الحكومة بالفصل ، ورغم عودتهم واخلادهم الى السكينة فان قلوبهم قد اضغنت بالكراهية لوزارة النقراشى(١٢) .

وقد كرست الصحيفة بعض الاهتمام لهذه الأحداث الداخلية ، فى الوقت الذى كانت تخصص فيه مساحات كبيرة من صفحاتها لتطورات الأحداث ، والمعارك الدائرة فى فلسطين ، بين العرب

الفلسطينيين الذبن يعاونهم بعض المتطوعين من الدول العربية ، والعصابات الصهيونية ، وكانت (المقطم) تشير بين حين وآخر ، لتحركات المتطوعين من (حزب مصر الفتاة) ومعاركهم فى فلسطين ، ولكنها لم تشر على الاطلاق الى كتائب الاخوان المسلمين التى شاركت فى تلك المعارك بشكل اكبر .

وقد تابعت (المقطم) هذه الأحداث عن طريق اخبار وكالات الأنباء وتقارير المراسلين بالاضافة الى ما كتبته من تعليقات ومقالات افتتاحية عن مختلف جوانب القضية من استغراب لسياسة بريطانيا فى فلسطين(١٣) ، الى هجوم على أمريكا لدعمها الصهاينة بالسلاح(١٤) ، الى الاشادة بموقف الملك فاروق الرافض لنشوء دولة صهيونية فى فلسطين(١٥) ، الى توضيح مهمة الجيوش العربية الزاحفة الى فلسطين ، فهى « ليست حربا ولكنها اعادة الأمن والنظام ، ومنع المذابح والتدمير »(١٦) ، وهى تذهب الى هناك «لا باغية ولا فاتحة ولا طامعة ولا متسلطة، بل للانقاذ والتحرير واعادة الحق الى نصابه » ومصر « لا تحب الحرب ولا تطلبها لذاتها ، وقد بذل اقطابها وحكومتها اقصى الجهد لعلاج قضية فلسطين علاجا يطابق العدل والانصاف وحقوق أهل البلاد ، فضاع الجهد سدى ، وتحولت المسألة تحولا خطيرا ، جعل الشرق العربى كله فى خطر »(١٧) ، وتابعت تحرك رجال الجيش المصرى وبدء عملياتهم العسكرية « للأخذ بناصر اخوانهم عرب فلسطين وتطهيرها من الدخلاء الذين أبوا ان يعيشوا معهم فى بلادهم على قدم المساواة ، بل أثاروها حربا طاحنة ، بل مجازر تتأذى لها ابسط قواعد الانسانية »(١٨) . وسجلت تطورات المعارك وبطولات الجيش المصرى والتطورات السياسية الدولية ومهمة الوسيط الدولى برنادوت ، وعقد الهدنة بين الجيوش العربية والعصابات الصهيونية .

وتحدثت (المقطم) عن الدروس المستفادة من هذه الحرب ، وتتمثل بضرورة ان تكون لمصر « قوات عسكرية برية وبحرية وجوية تطابق عدد سكانها ومقامها الجغرافي والاستراتيجي ، وحاجتها الى توطيد أركان السلام على حدودها ، واشاعة روح النظام العسكرى فى ربوعها ، وحمل سواها على احترامها »(١٩) . وهذه الدعوة لتدعيم الجيش وزيادة عدد افراده استوجبتها الظروف القاسية التى واجهتها القوات المحاربة ، التى لم تشأ الصحيفة ، فى غمرة الحديث عن البطولات المصرية والعربية ان تشير اليها ، الا ان اخبار توقيع الهدنة بعد شهر واحد فى بدء القتال ، كانت غريبة ، وقد أزعجت الكثيرين من المصريين ، الذين كانوا منذ اليوم الأول للقتال ، يبالغون بواسطة البيانات الرسمية والتحليلات الصحفية ، بأن جيوشهم تتقدم بنجاح وبأنها على وشك ان تقذف بالعدو بعيدا ، وان النصر بات مضمونا وعليهم أن يستعدوا لاستقبال الجنود الشجعان عندما يعودون الى الوطن بعد ازالة دولة اسرائيل(٢٠) .

وعادت (المقطم) بعدما أبدى (برنادوت) تحيزه للصهيونية ، وبدا فشل مهمته واضحا ، الى القول بأن العرب « وعلى رأسهم مصر مصممون على اخماد هذه الفتنة ، وعلى المضى فى الجهاد »(٢١) . واننا « ماضون فى طريقنا ، فلن نرضى فلسطين الا دولة عربية موحدة ، وسنبذل لتحقيق هذا ما نملك من دم ومال وانفس ، هى عندنا رخيصة فى سبيل فلسطين »(٢٢) ، « فيا جند مصر ، بل يا جند العرب اجمعين : تهيأوا للواقعة واستعدوا لاستئناف القتال فى سبيل الله فى فلسطين »(٢٣) .

واوردت اخبار زيارة الملك فاروق « لرجال الجيش البواسل فى فلسطين حاملا اليهم تحية مصر بأسرها وليشاهد اعمالهم » وكان « الاهالى فى غزة يهتفون بحياة الفاروق حبيب العرب والعروبة »(٢٤) .

وقالت تعقيبا على حادث الاغارة الجوية الصهيونية على القاهرة ، ان هذه الاغارة لم تؤد الى « القاء الرعب والفزع فى قلوب المصريين » ، كما اراد الأعداء « بل أتاحت للمدنيين من المصريين مشاركة رجالهم العسكريين فى ميدان فلسطين شرف الجهاد والدفاع عنها »(٢٥) .

وقد توصلت هيئة الأمم المتحدة الى عقد الهدنة الثانية بين العرب والعصابات الصيهونية ، فتقول (المقطم) : « وحسبنا فى هذا اليوم أن نسجل أن جيش الفاروق يوقن القتال مرة اخرى ، وهو مرفوع الراس ،وفور الكرامة ، لم يعرف سوى التقدم والفوز والنصر ، حقا انه لجيش باسل جدير بأن ننحنى له تحية وتقديرا واكبارا »(٢٦) .

وحذرت بان اليهود لا يحترمون الهدنة التى عادوا فى غفلتها « يلعبون بالنار »(٢٧) . وكتبت بهذا المعنى تعليقا بعنوان « لقد امعنوا »(٢٨) .

ونعت الصحيفة استشهاد البطل أحمد عبد العزيز الفدائى الأمين الذى ادى « الواجب عليه اكمل ما يكون ، ولم يدع وسيلة من وسائل الشجاعة وضربا من ضروب الأقدام الا صنعه فى فلسطين »(٢٩) . وطالبت بتخليد ذكراه « تخليدا يعلى من شأن العسكرية فى هذا الوطن العربى »(٣٠) .

وعلقت على مصرع الوسيط الدولى برنادوت بأيدى الصهاينة، الذى جاء دليلا على « اجرام هذه العصابات ، وان لم يكن غريبا عليها ، وسوف يدرك العالم وتدرك هيئة الأمم ، اى الشراذم نقاتل واى العصابات نحارب »(٣١) .

واوضحت ان القتال لم يتوقف على الجبهة الجنوبية ، فان هؤلاء الذين نحاربهم « ما نكاد نفرغ من تأديبهم حتى تلاحقنا الهدنة ،

وما نكاد نهادنهم حتى نفاجأ باعتدائهم »(٣٢) . وقالت ان الولايات المتحدة توسطت أخيرا لوقف المعارك فى النقب بين المصـــــريين والصهاينة ، بعد أن « سجل الجيش المصـــــرى منفردا امجادا عسكرية » . وخاطب الملك فاروق جنوده بقـــوله ، لقد « قدمتم ارواحكم رخيصة عليكم عزيزة علينا . . فى سبيل المثل العليا»(٣٣) .

وتحدثت (المقطم) عن عودة (ابطال الفالوجة) الذين يعودون « الى أوطانهم مكللين بغار المجد والنصر والفخار ، بعدما ضربوا بالبسالة العسكرية والكرامة العســــكرية الأمثال فأقيمت الرايات يامصر لهذا الجيش الظافر ، واحنى الهامات لهؤلاء الأبطال ، كما رفعوا راسك عاليا وذكرك خالدا »(٣٤) . وقد اســتعرض الملك هذه القوات العائدة فى ساحة قصــــــر عابدين ، فكان ذلك يوما تاريخيا « فى حياة الجيش المصرى وفى حياة مصر بأسرها . يوم نرى فيه ابطالا لنا يعودون من الميدان ، مكللين ببغار النصر ، وغار البطولة والظفر . . وتوج هذا الحفل الــكبير المنطوى على ارفع المعانى جلالة الملك المعظم ، بما اضفى على قائده العام وقائد قوات الفالوجا وسائر ضباطها وجنودها ، من معانى العطف والتقدير ، ما الهج السنتهم بالدعاء لجلالته . . ولما أنتهى الحفل قال جلالة القائد الأعلى لرئيس الوزراء (اليوم اطمأنت مصر على مستقبلها) قولة ما أجملها لفظا فهى تحمل الطمأنينة الى القلوب المتوثبة وما أرفعها معنى فهى تبعث الأمل فى نفوس بنيها »(٣٥) .

ويلاحظ ان كتابات (المقطم) هنا تعكس اجواء انتصارات باهرة ، تحققت للعرب فى هذه الحرب ، التى دخلتها الجيوش العربية لازالة الدولة الصهيونية ، بينما كانت الحقيقة عكس ذلك على طول الخط ، فقد منيت هذه الجيوش بهزيمة منكرة ، وعاشت الدولة اليهودية فى قلب فلسطين ، بسبب الأخطاء التى صاحبت

مجريات القتال ، والمؤامرات التى تعرض لها المقاتلون ، وتخاذل القيادات التى كانت تصدر الأوامر ، ولم تكن حال الجبهات الأخرى بأحسن حالا من الجبهة المصـــرية ، مع الاعتراف بأن « الجيش المصرى ، بضباطه وجنوده قد ادى واجبه كاملا ، وبرهن على بطولته فى ميدان القتال ، رغم الفوضى التى كانت تسيطر على قيادته ، والنقص فى ســــلاحه وذخــــيرته ومؤونته وخططه الحربية »(٣٦) .

وهناك فى أرض المعركة وضح تماما أنها معركة تسير وفق نظام غريب ، لم يسبق له مثيل فى تاريخ المعارك الناجحة والفاشلة فى العالم بأسره .. فالجيش يحارب فى فلسطين ، ولكنه يقاد من القاهرة . وتصدر له الأوامر .. أوامر التحرك والهجوم دون نظر لا الى اصول الحرب ولا الى مقدرة الجيش نفسه . وهناك فى أرض المعركة وضح تماما ان الانجليز قد دبروا تدبيرهم لخيانتنا .. لخيانة هذا الجيش فى معركته الأولى المقدسة ، فهؤلاء الانجليز الذين وعدوا حكومة النقراشى بمساعدة جيش مصر بالســــلاح والعتاد والذخائر قد أمسكوا أيديهم مرة واحدة ولم يعطوا الجيش شيئا(٣٧) .

المواجهــة مع الاخــوان المســلمين :

فى نفس الوقت الذى كانت فيه الحرب مشتعلة فى فلسطين، شهدت القاهرة سلسلة من الانفجارات الناتجة عن القاء القنابل على المحال التجارية اليهودية فى مصر ، ومن ذلك انفجاران شديدان فى القاهرة بجوار محال (جاتينيو وبنزايون) ، التى نشرت اعلانا فى (المقطم) تؤكد فيه خالص ولائها للملك « وتستنكر الصهيونية الآثمة وتشارك الشعب المصرى الكريم آماله وآلامه »(٣٨) ، وذلك

دون ان يشار الى الجهة التى تقف وراء هذه الانفجارات . ونشرت الصحيفة نداء وكيل الداخلية عبد الرحمن عمر ، الذى يدعو فيه الى معاونة « رجال الأمن على استئصال الجريمة وتعقب الجناة » .

وعلقت (المقطم) للمرة الأولى على هذه الانفجارات بقولها انها حوادث « ضارة بالوطن ولا دافع يبرر ارتكابها مادام وزرها واقعا علينا ، ومن اضرارها الوطنية احداث اضطرابات وذعر فى قلب عاصمة البلاد ، فى وقت نحن احوج ما نكون فيه الى الهدوء والسكينة »(٣٩) .

وذكرت انباء انفجار جديد فى « شركة أراضى الدلتا » ، فى المعادى(٤٠) . ونقلت عن مصادر مطلعة قولها : « ان تحريات رجال الأمن بشأن حوادث الانفجارات تتقدم تقدما محسوسا وتسير فى ضوء ناجح ، وان هذه التحريات ستؤدى باذن الله الى النتيجة المرجوة »(٤١) . وان هذه التحقيقات تسير « بتكتم شديد »(٤٢) .

وتحدثت عن وفاة سبعة من المصابين فى حادث انفجار وقع اخيرا فى حارة اليهود(٤٣) . ونشرت تفاصيل الانفجار الشديد الذى تعرضت له « شركة الاعلانات الشرقية » والذى أدى الى خسائر بشرية ومادية ، وكانت اخباره فى (المانشيت) الرئيسى للصحيفة ، بالاضافة الى تفاصيل الحادث كاملة لمندوبها القضائى ، ولكن دون تعليق من ناحيتها(٤٤) ، وان تابعت ما يدور فى أجهزة الأمن من تحقيقات . واشارت تلميحا الى بعض ما توصلت اليه السلطات الحكومية من نتائج ، قائلة : « فليطمئن الجمهور .. يسرنا أن نقول اليوم بايجاز أن المسئولين فى الأمن العام ، قد وفقوا الى ما يطمئن الجمهور فى بعض شـــــئون شغلته أخيرا »(٤٥) ، وقولها : « ونزيد اليوم الأمر بعض الايضاح فنقول ان النيابة وضعت

يدها على عدد من الشباب يحقق معهم عدد كبير من وكلاء النيابة باشراف سعادة النائب العام . وذلك على اثر ضبط مواد متفجرة واوراق مهمة فى دور هؤلاء الشبان ، ونكتفى اليوم بهذا القدر »(٤٦) .

وتزداد الحالة تفاقما بمصرع حكمدار بوليس العاصمة سليم زكى باشا ، فى اثناء محاولة قوات البوليس قمع المظاهرات الطلابية فى جامعة فؤاد الأول وكلية الطب فيها بخاصة ، حيث سقط عدد من القتلى والجرحى فى صفوف الجنود والطلاب ، فتنشر الصحيفة البلاغ الرسمى عن الحوادث ، الذى أوضح أن المتهمين من الطلاب ينتمون لجماعة الاخوان المسلمين(٤٧) ، وقد ورد ذكر الاخوان المسلمين للمرة الاولى ، كمسئولين عن هذه الحوادث ، منذ بداية الانفجارات وتفاقم الحالة الداخلية فى البلاد .

وكان الاخوان المسلمون قد شاركوا بفعالية فى الحركة الوطنية الجديدة بعد الحرب العالمية الثانية ، وحاول صدقى باشا بما قدمه لهم من تسهيلات أن يستخدمهم ضد الوفد ، نظرا لجماهيرية الاخوان القادرة على الوقوف فى وجه حزب الأغلبية ، فى النزاعات السياسية الداخلية ، ولكن هذه التسهيلات اذا كانت « قد فسرت من جانب الحكومة على انها محاولة لمناهضة الوفد والشيوعيين ، فان الاخوان قد اثبتوا من خلال سير الاحداث أنهم ليسوا اداة للحكومة ، وانهم لا يتحركون الا وفق مبادئهم .. وحينما أعلن صدقى عن عزمه بدء المفاوضات مع بريطانيا ووصل الوفد البريطانى المفاوض طالبه الاخوان بأن يلتزم بما أعلنه من قبل من ان يدخل هذه المفاوضات حرا من كل قيد ، وحدد الاخوان هدفهم من هذه المفاوضات فى تحقيق الجلاء التام الذى تعقبه نهضة شاملة .. وشارك الاخوان الجماعات السياسية الاخرى فى القيام بمظاهرات بصفة دورية لتذكير صدقى بتعهداته للأمة .. وكان ذلك الموقف من جانب

الاخوان كفيلا باثارة الحكومة عليهم ، فقامت بحملة اعتقالات واسعة لأعضائها »(٤٨) . وشهدت مرحلة ما بعد الحرب . ابان وزارتى صـــدقى والنقراشى اهتماما ملحوظا من (المقطم) بمتابعة أخبار الاخوان ، ونشر مقررات مؤتمراتهم والاشارة لبياناتهم حول القضية الوطنية ، دون الدخول معهم فى مساجلات ومناقشات حول الأفكار التى يؤمنون بها والمبادىء التى يدافعون عنها ، سوى مرة واحدة فى أثناء عرض قضية مصـــر على مجلس الأمن ، حيث ناقشت (المقطم) مقالا للشيخ البنا ، المرشد العام للاخوان المسلمين ، كتبه فى صحيفة الجماعة وقد كان يؤيد النقراشى فى مهمته وجهوده بمجلس الأمن وقتئذ ، واوردت مقتطفات من مقال الشيخ البنا وعلقت عليه بالقول : « وهذا كلام طيب فان الناس يتطلعون الى الزعماء والقادة فى الأزمات العصبية لينقذوهم من أخطارها ، لا يصرفوهم عن اعمالهم ، باثارة ما بينهم من خلافات ومنازعات . وقد اختير الزعماء والقادة ليرشدوا الناس الى الخير ، ولينزلوا امامهم فى ميدان الكفاح والنضال ، فاننا لا نطلب فى قضيتنا هذه عرضـــا تافها ، ولكننا نطلب الحياة الكريمة والسيادة الصحيحة ، وهذا مطلب ضخم لا يجىء الينا بسهولة ويسر ، بل انه يحتاج الى بذل جهود وتضحيات »(٤٩) .

ولكن حرب فلسطين منحت الاخوان فرصة راوا فيها سببا عاجلا لجمع الأسلحة والتدريب عليها ، والحصول على الشعبية بسببها(٥٠) . وكان لهم انجاز ملحوظ فى الحرب تمثل فى المساعدة التى قدموها للمصريين المحاصرين فى « جيب الفالوجا » ، الذى نشأ عن تقدم الاسرائيليين بعد خرقهم الهدنة الثانية ، فى أكتوبر ١٩٤٨ ، فقد عمل الاخوان اثناء وجودهم فى الميدان على نقل المؤن الى القوات المحاصرة(٥١) .

ومع احداث هذه الحرب ، التى انتهت الى النتائج المخيبة ، تزايدت موجة العنف التى قادها الجهاز السرى للاخوان المسلمين ،

داخل مصر ، وبلغت اوجها كما مر بنا ، بمصرع حكمدار العاصمة الذى اتهمت الحكومة جماعة الاخوان صراحة بارتكابه ، مما جعل (المقطم) تهاجم الاخوان من ناحيتها بكل ضراوة ، وتحت عنوان « مدبرو الشغب والمحرضون عليه » تقول : « ولا يمكن أن يفسر هذا الشغب والاضطراب فى وقت نحن احوج ما نكون فيه الى حماية ظهر جيشنا بالهدوء والسكينة ، بغير أنه عمل بعبد عن الوطنية كل البعد ، ومجانب للمروءة كل المجانبة ، ولا يقدم عليه الا عدو لمصر ، يعين الأعداء عليها ، ويمكن للصهيونيين من رقابها » « ونحن اذ نكتب هذه الكلمة لا نقصد هيئة معينة ولا فردا معينا ، فهذا شأن القضاء والجهات المسئولة ، ولكننا نوجه الكلمة لكل مصرى تجرى فى عروقه دماء الوطنية الغالية ، ان يقدر الظرف الدقيق الذى تجتازه البلاد »(٥٢) .

وقد تبع ذلك قرار رئيس الوزراء بحل جماعة الاخوان المسلمين « فورا ، بشعبها اينما وجدت ، واغلاق الأمكنة المخصصة لنشاطها ، وضبط جميع الأوراق والوثائق والسجلات والمطبوعات والمبالغ والأموال وحظر النشاط على اعضاء مجلس ادارتها وشعبها ومديريها وأعضائها ، ولاسيما عقد الاجتماعات » . وجاء فى مذكرة وكيل وزارة الداخلية المرفوعة الى الحاكم العسكرى ، وهو رئيس الوزراء ، « ان أهداف هذه الجماعة كانت عند تأليفها دينية ، ثم تحولت الى جماعة سياسية ، ترمى الى وصولهم الى الحكم ، وقلب النظم المقررة فى البلاد ، متذرعة بالعنف » .

وأوردت (المقطم) اخبار نشاط « المندوب الخاص لتصفية أموال الجماعة » والاعتقالات فى صفوف الجماعة ، واعادة ضباط البوليس الى الخدمة ، واستخدام البوليس لسيارات مصفحة لصون الامن العام . وخاطبت الصحيفة طلاب مصر ، قائلة : « ان نشاطنا لا يكون فى الشوارع والطرقات ، وذكاءنا لا يكون فى استغلالنا

للحوادث والاضطرابات ، وانما يكون فى غرف الدرس وبين المعامل والاقلام والمحابر .. هذه هى الخدمة الوطنية السليمة الصامتة التى ننصح للطلاب أن يؤدوها فى هذا الدور من سنى حياتهم »(٥٣) .

لقد كان الباعث الأساسى وراء قرار حل جماعة الاخوان المسلمين فى ١٩٤٨ ، الاعتقاد بأن الجماعة كانت تخطط سرا للقيام بثورة . على أن صدور القرار كان مترتبا بصورة أكثر مباشرة على تيار احداث العنف المتتابع ، الذى هز مصر منذ ١٩٤٥ فصاعدا ، حيث كان دور الاخوان ، وان لم يكن الوحيد ، هو الأكثر درامية والأكثر انطواء ايضا على الخطورة من وجهة نظر الحكومة ، وكان الصراع العنيف على السيادة فى ساحة الحركة الوطنية ، بين الوفد والاخوان فى حد ذاته جزءا من صورة أكبر للعنف شملت كل الجماعات المنظمة وغير المنظمة فى البلاد ، فى تحدى كل منها للأخرى وفى تحديها السلطة الحاكمة ، وتزايد حجم العداوات المتبادلة بفعل مشاعر الاحباط التى تولدت خلال الصراعات مع الصهيونية والبريطانيين(٥٤) .

اما الاخوان فقد أصبحوا فى عام ١٩٤٨ اكبر جماعة مسلحة ، خاصة بعد حرب فلسطين ، يخشى منها على النظام القائم ، ولم تكن الحكومة بحاجة الى حل الوفد لعدم لجوئه الى النشاط العسكرى ، والحزب الوطنى كان قد لجأ الى هذا النشاط ، ولكن فى نطاق ضيق جدا ، اما الشيوعيون فلم يكونوا فى حاجة الى قرار حل لأنهم لم يتمتعوا بشرعية وجودهم .

ومع تسليمنا بأن الاخوان قد ارتكبوا كثيرا من حوادث العنف عام ١٩٤٨ ، فان ما قامت به الحكومة من ضغوط واضطهاد ضدهم ، كان وراء اندفاع شبابهم لارتكاب هذه الحوادث ، فان

الحماسة الزائدة عند شباب الجماعة ، وخاصة فى الجهاز السرى، قد قلل من سيطرة المرشد العام بسياسته المتعقلة عليهم ، الأمر الذى دفعهم لارتكاب حادث (الخازندار) دون علمه مما جلب السخط على الجماعة ، حتى من القوى التى سبق أن أيدتها(٥٥) .

وكان رد الاخوان على قرار الحل وبدء عملية المطاردة ضدهم، القيام باغتيال النقراشى باشا رئيس الوزراء ، على يد عبد المجيد احمد حسن الطالب بكلية الطب . وقد تحدثت (المقطم) عن حزن البلاد على الفقيد ، وكذلك تأثر الملك الذى شارك فى الصلاة عليه « وكانت علامات التأثر الشديد بادية على محياه الكريم » . وقالت ان البلاد خسرت بوفاة النقراشى باشا « وطنيا صادق الوطنية صلب العود » و « بطلا مجاهدا ووطنيا صادقا مجالدا لا تلين قناته للغاصب ولا تهن عزيمته الحديدية أمام تهديد أو وعيد »(٥٦) . وذلك دون ان تشير على من يقع وزر هذا الاغتيال .

وقد خلف (ابراهيم عبد الهادى) النقراشى فى رئاســـة الوزارة ، وناقشت (المقطم) مهام الوزارة الجديدة واهمها « صون الأمن العام واستقرار الحياة الداخلية ، وهذا يقتضى سهر الوزارة وعنايتها ، ويقتضى من جانب الشعب التعاون والتضافر مع الحكومة التى تعمل جاهدة لخير الشعب بتوجيهات جلالة الملك المعظم »(٥٧) .

وتابعت الصـــحيفة تركيزها على مسالة الأمن الداخلى ، ودعوتها الحكومة لليقظة والحذر . وقد حاول الشيخ حسن البنا الوصـــول الى اتفاق مع ابراهيم عبد الهادى ، وعرض من جانبه

معاونة الحكومة فى استعادة النظام والأمن ، فى مقابل عودة الجماعة الى الشرعية والافراج عن ممتلكاتها المصادرة واطلاق سراح اعضائها المعتقلين . الا أن رئيس الوزراء لم يقتنع بمنطق البنا ، ولم يوافق على الافراج عن المعتقلين . وانهارت المفاوضات بعد المحاولة التى وقعت يوم ١٣ يناير ١٩٤٩ ، لالقاء قنبلة على دار القضاء (دار نيابة الاستئناف) ، حيث وضعت سجلات التحقيق فى قضية السيارة « الجيب »(٥٨) . وشنت الحكومة على اثرها حملة مكثفة من الاعتقالات ضد افراد الجماعة التى كانت (المقطم) تشير اليها باسم « الجماعة المنحلة » أو « الجمعية المنحلة » ، ولأعضائها الذين يتم اعتقالهم باسم (الارهابيين) . وقد بلغت عملية القمع ذروتها باغتيال الشيخ حسن البنا المرشد العام لجماعة الاخوان المسلمين ، ونشرت (المقطم) خبر مصرعه فى سطور قليلة ، وفى النصف الأسفل من الصفحة الثانية(٥٩) ، دون أن تعلق او تستنكر جريمة اغتياله ، كعادتها ازاء كل ما شهدته مصر ، من جرائم الاغتيال منذ قيام ثورة ١٩١٩ . ولكنها واصلت طوال فترة حكم ابراهيم عبد الهادى ، الحديث عن الارهابيين وأوكارهم ومؤامراتهم ، والقاء القبض على اعضاء الجماعة المنحلة !!

وقد اثبت سير الحوادث ان قتل الشيخ البنا كان بدافع الانتقام انتقام السعديين من الاخوان المسلمين لمقتل النقراشى باشا الذى اغتاله الاخوان المسلمون يوم ٢٨ ديسمبر ١٩٤٨ . وكان النقراشى باشا رئيسا للوزراء ، ورئيسا للحزب السعدى . كما كان بدافع التخلص من قيادة قوة منظمة قادرة على اتخاذ قرار مخالف لقرار السلطة . هذا بالاضافة الى ان الملك احس بأن الجيش المصرى ،

وكان الجيش هو مملكته التى لا ينازعه فيها سلطان غير سلطانه ، احس بأن سلطان الاخوان ينازعه فى هذه المملكة وانه قد ساد الجيش ولاءات متنوعة ، ولاء للاخوان وولاء للوفد وولاء لعناصر غامضة لا يعرف هويتها بعد . وكان الولاء الذى يخشاه ويخافه هو ولاء الاخوان ، لأنه ولاء صادر من قوة منظمة ومسلحة لقيادة أخرى، وكان هذا يمثل تحديا حقيقيا للملك(٦٠) .

مما يشير الى أن حكومة ابراهيم عبد الهادى بايعاز من الملك وعلى يد البوليس السياسى ، نفذت اغتيال المرشد العام للاخوان المسلمين ، وقد اتفقت سائر المراجع التى تناولت هذه القضية على تقرير هذه الحقيقة .

هوامش الفصل السادس

(١) عواطف عبد الرحمن ، اتجاهات الصحافة المصرية ازاء القضية الفلسطينية، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الاعلام جامعة القاهرة ، ١٩٧٥ ، ص ٤٧٤ ، ٤٧٥ .

(٢) قدمت الدكتورة عواطف عبد الرحمن دراسة تحليلية لهذه الصحف ، فى كتاب بعنوان (الصحافة الصهيونية فى مصر ١٨٩٧ — ١٩٥٤) ، دار الثقافة الجديدة ، القاهرة ، ١٩٨٠ .

كما كانت هذه الصحف أيضا موضوع رسالة للماجستير بكلية الاعلام جامعة القاهرة مقدمة من سهام عبد الرازق بعنوان (صحافة اليهود العربية فى مصر) ، ١٩٧٩ .

(٣) المقطم ٤ ديسمبر ١٩٤٧ .
(٤) المقطم ٥ ديسمبر ١٩٤٧ .
(٥) المقطم ٩ ديسمبر ١٩٤٧ .
(٦) المقطم ١٣ ديسمبر ١٩٤٧ .
(٧) المقطم ١٥ ديسمبر ١٩٤٧ .
(٨) المقطم ٦ يناير ١٩٤٨ .
(٩) المقطم ٩ فبراير ١٩٤٨ .
(١٠) المقطم ٢٢ مارس ١٩٤٨ .

(١١) المقطم ٥ ابريل ١٩٤٨ .
(١٢) عبد الرحمن الرافعى ، فى أعقاب الثورة المصرية ، جـ ٢ ، ص ٢٥٢ .
(١٣) المقطم ٩ ابريل ١٩٤٨ .
(١٤) المقطم ٢٩ ابريل ١٩٤٨ .
(١٥) المقطم ١٢ مايو ١٩٤٨ .
(١٦) المقطم ١٢ مايو ١٩٤٨ .
(١٧) المقطم ١٥ مايو ١٩٤٨ .
(١٨) المقطم ١٥ مايو ١٩٤٨ .
(١٩) المقطم ١١ يوليو ١٩٤٨ .
(٢٠) SHAH, ABDUL QAYYM, Egypt Reforn, Op. Cit., P. 89.
(٢١) المقطم ٢٥ يونيو ١٩٤٨ .
(٢٢) المقطم ٢ يوليو ١٩٤٨ .
(٢٣) المقطم ٣ يوليو ١٩٤٨ .
(٢٤) المقطم ٨ يوليو ١٩٤٨ .
(٢٥) المقطم ١٦ يوليو ١٩٤٨ .
(٢٦) المقطم ١٩ يوليو ١٩٤٨ .
(٢٧) المقطم ٢٢ يوليو ١٩٤٨ .
(٢٨) المقطم ١٦ اغسطس ١٩٤٨ .
(٢٩) المقطم ٢٤ اغسطس ١٩٤٨ .
(٣٠) المقطم ٢٧ اغسطس ١٩٤٨ .
(٣١) المقطم ١٨ سبتمبر ١٩٤٨ .
(٣٢) المقطم ٢٥ أكتوبر ١٩٤٨ .
(٣٣) المقطم ٧ يناير ١٩٤٩ .
(٣٤) المقطم ٢٨ فبراير ١٩٤٩ .
(٣٥) المقطم ١١ مارس ١٩٤٩ .
(٣٦) عبد الرحمن الرافعى ، فى أعقاب الثورة المصرية ، جـ ٣ ، ص ٢٥٤ .
(٣٧) انور السادات ، أسرار الثورة المصرية ، كتاب الهلال ، القاهرة ، ١٩٥٧ ، ص ٢٠٦ .
(٣٨) المقطم ٢ اغسطس ١٩٤٨ .

(٣٩) المقطم ٣ أغسطس ١٩٤٨ .

(٤٠) المقطم ٤ أغسطس ١٩٤٨ .

(٤١) المقطم ١١ أغسطس ١٩٤٨ .

(٤٢) المقطم ١٢ أغسطس ١٩٤٨ .

(٤٣) المقطم ٢٥ سبتمبر ١٩٤٨ .

(٤٤) المقطم ١٢ نوفمبر ١٩٤٨ .

(٤٥) المقطم ١٦ نوفمبر ١٩٤٨ .

(٤٦) المقطم ٢٠ نوفمبر ١٩٤٨ .

(٤٧) المقطم ٦ ديسمبر ١٩٤٨ .

(٤٨) زكريا سليمان بيومى ، الاخوان المسلمون والجماعات الاسلامية فى الحياة السياسية المصرية ١٩٢٨ — ١٩٤٨ ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ١٩٧٩ ، ص ١٠٦ — ١٠٨ .

(٤٩) المقطم ٢٣ سبتمبر ١٩٤٧ .

(٥٠) Issawi, Charles, Egypt at Mid-Century, London, 1954, P. 268.

(٥١) ريتشارد . ب . ميتشل ، الاخوان المسلمون ، ترجمة عبد السلام رضوان ، مكتبة مدبولى ، القاهرة ، ١٩٧٧ ، ص ١٢٢ ، ١٢٣ .

(٥٢) المقطم ٨ ديسمبر ١٩٤٨ .

(٥٣) المقطم ٩ ديسمبر ١٩٤٨ .

(٥٤) ريتشارد . ب ميتشل ، الاخوان المسلمون ، ص ١٢٤ .

(٥٥) زكريا سليمان بيومى ، الاخوان المسلمون والجماعات الاسلامية ، ص ١١٧ — ١٢١ .

(٥٦) المقطم ٢٩ ديسمبر ١٩٤٨ .

(٥٧) المقطم ٣٠ ديسمبر ١٩٤٨ .

(٥٨) ريشارد . ب . ميتشل ، الاخوان المسلمون ، ص ١٣٨ .

(٥٩) المقطم ١٤ فبراير ١٩٤٩ .

(٦٠) جمال سليم ، البوليس السياسى يحكم مصر ، ص ١٩٤ .

الفصل السابع

المقطم وحكومة الوفد الأخيرة

عـــــودة الـــــوفد للحكم :

عهد الملك فاروق الى حسين سرى بتأليف الوزارة القومية التى خلفت وزارة ابراهيم عبد الهادى السعدية فى دست الحكم . وكان اختيار القصر لحسين سرى باشا لتأليف الوزارة القومية اختيارا محســــوبا حســــابا دقيقا ، ذلك أنه لما كانت فكرة الوزارة القومية تتحطم كل مرة على صخرة رفض الوفد لها ، فانه كان مطلوبا اختيار رئيس وزراء يثق فيه القصر ويقبله الوفد . وكما يؤكد التاريخ السياسى لحسين سرى أنه كان من الســـــياسيين موضع ثقة الانجليز ، فقد كان أيضا من السياسيين الذين يثق فيهم القصر ويراهم من الرجال المفيدين فى الملمات . ثم انه كان من الوجوه المقبولة من الوفد ، سواء لأنه لم يكن فى اى وقت سياسيا حزبيا وانما ظل على استقلاله طول تاريخه ، أو لأن ماضيه لابأس به مع الوفد ، أو لأنه كان على علاقة وطيدة بأحمد عبود وفؤاد سراج الدين ، والأول ذو علاقة وثيقة بالوفد والثانى سكرتيره(١) .

على ان وزارة حسين سرى كانت بطبيعتها وزارة انتقالية تجرى الانتخابات ، وتمهد لحكم آخر . وقد كان هدف الملك ، ان يحاول من خلالها ومن خلال الائتلاف التأثير فى الانتخابات لئلا تسفر عن اغلبية مطلقة للوفد ، معتقدا أن ابتعاد الوفد خمس سنوات عن الحكم قد أضعف شوكته وراغبا أن تخلق بين جميع الأحزاب توازنا

فى مجلس النواب الجديد تتحقق به حـــريته فى تكوين الوزارات الائتلافية واللعب على التجمعات المختلفة للأحزاب ابقاء على السلطة الفعلية فى يديه ، كما يضمن بهذا التوازن أن توجد حكومة يسيطر عليها ويكون فيها الوفد فلا يعارضـــها . وكانت أحزاب الأقلية ترحب لا شك ، بائتلاف يضمن لها الاستمرار فى الحكم ، مع اشتراك الوفد فيه كفا لمعارضته(٢) .

وقد رحبت (المقطم) بوزارة حسين سرى ، وتمنت التوفيق لرئيس الوزراء الجديد « فيما عهد اليه جلالة الملك المعظم من ضم الصفوف وتوحيد الجهود »(٣) وقالت ، ان البلاد تسودها فى هذا الوقت « روح قومية جارفة تدعو الى الائتلاف والتضـــــافر والتعاون وتناسى الأحقاد والخلافات الحزبية أو نسيانها »(٤) . وقد افرجت الوزارة عن عدد كبير من المعتقلين فى عهد الوزارة السابقة ، وجلهم من الاخوان المسلمين ، وبدات التمهيد للانتخابات البرلمانية التى أثيرت بسببها عاصـــفة من الخلافات بين الأحزاب المؤتلفة ، تابعتها الصحيفة بما نشرته من تصريحات الزعماء حول تعديل الدوائر الانتخابية ، وعمر المجلس النيـــــابى القائم ، وهل يحسب بالدورات أو بالسنوات ، ودعت الى « صون الائتلاف » لأن « البلاد لم تظفر بهذا الائتلاف الا بجهد شديد وعناء كبير .. فواجب الأحزاب اذن أن تجعل من صـــــحافتها سياجا يحوط هذا الائتلاف ويصونه .. وواجب الشعب ان يسند هذا الائتلاف الذى نزل فى قلبه يوم تأليف الوزارة بردا وسلاما فهلل له وكبر »(٥) .

وأكدت (المقطم) حرصـــها الدائم على ولائها للقصر ، فقد « ذهب الأستاذ انطون نجيب مطر الى قصر عابدين العامر ، وقيد اسمه فى سجل التشريفات بمناسبة توليه رياسة تحرير (المقطم) رافعا أصـــدق آيات الولاء والاخـــلاص الى جـــلالة الملك المعظم المحبوب » . وكتب كلمة بعنوان « ملك يؤمن بشعبه وشعب يؤمن

بملكه » ، مشيدا بدعوة الملك للزعماء ، وهم على ابواب المعركة الانتخابية « أن ينسوا احنهم ومشاحناتهم وخلافاتهم . فلا يذكروا الا مصر . مصر العزيزة عليه ، والتى سيسجل التاريخ وستشهد الأجيال المقبلة انه ذات يوم قرر فى سهولة ويسر أن ينزل عن عرشه المكين وعرش آبائه وجدوده ، الذى تحوطه البلاد بالمهج والأرواح ، لمجرد خاطر خطر فى باله بأن فى هذا مخرجا لها من طغيان الغاصب الغشوم المستبد »(٦) .

وأجرى رئيس التحرير الجديد ، فور توليه مهام عمله فى (المقطم) ، حديثا مع النحاس باشا ، أكد فيه ايمان النحاس « بمليكه وبلاده ومواطنيه » ، فقد « كان يتكلم عن الربان الأول والقائد الأعلى .. فأنصت . وأنصت الى أن انتهى اللحن ، وما اروع وما ابدع لحن يصلك من القلب الى القلب . يدور نشيده العذب فى فلك ملك مصر ومصر والمصريين »(٧) . وهى محاولة محسوبة من الصحيفة لتنقية الأجواء بين القصر والوفد ، استعدادا للمرحلة القادمة ، التى ستشهد عودة الوفد للحكم بموافقة القصر .

وكررت (المقطم) تحذيرها من الأخطار المحيطة بالائتلاف القائم ، لأن المؤتلفين « انشغلوا بالمسائل الحزبية وانهمكوا فى شئون الانتخابات وتقسيم الدوائر واتسعت رقعة الخلاف حتى كادت تأتى على الائتلاف »(٨) . ولم يطل الأمر طويلا بهذا الائتلاف ، فقد استقالت الوزارة القومية ، وشكل حسين سرى وزارة محايدة ، وحملت (المقطم) مسئولية ذلك (للحزبية العاتية) لأن هذه « الحزبية فى طغيانها والمصالح الشخصية فى ثورتها وغليانها لا تأبه بنصح ولا تصغى الى ارشاد »(٩) . ولكن البلاد ، برأى (المقطم) قادرة على تجاوز مثل هذه الأزمات مادام فيها « البطل الرجل ملء الأسماع وملء العالم » الذى يتمتع بالحكمة والشجاعة والقوة فى مواجهة الأزمات « انه فاروق مليكنا المفدى المعبود »(١٠) .

وتوقعت (المقطم) أن تشهد البلاد معركة انتخابية عنيفة .. وقالت : اننا « نرجو أن تكون فى عنفها السياسى داخلة فى نطاق النظام العام الذى يجب أن يصان قبل كل شىء ، ويجب أن يقدم على ما عداه من الاعتبارات الأخرى »(١١) . واشادت بقرار رئيس للوزراء بوقف الأحكام العرفية (مدة اجراء الانتخابات) . وكذلك رفع الرقابة عن الصحف خلال الفترة ذاتها ، وركزت فى العديد من تعليقاتها على وجوب ان تكون الانتخابات « معركة سياسية لا تتعدى حدود الدعاية المشروعة فى حدود القانون ، بالقول والخطابة والكتابة » ، والا تتجاوز ذلك الى العنف الذى شهدته المعارك السابقة بما خلفته وراءها من « القتلى ثم الثأر والشحناء والبغضاء والتنابذ بين ابناء الأسرة الواحدة والوطن الواحد »(١٢) .

وكان الفوز بالأغلبية حليف الوفد ، فتنشر الصحيفة تصريحا للنحاس باشا يقول فيه ان الأمة حية ولم يخب ظنى فيها ، وتحدثت عن مظاهرات ابتهاج تشهدها البلاد بمناسبة انتصار الوفد(١٣) . ولم تنس (المقطم) وهى تتحدث عن كلمة الشعب التى قالها فى الانتخابات ان تشيد بفضل (القائد الربان) الذى يقدر له الشعب أياديه البيض « وجلال حكمته وحسن توجيهه وحرصه الذى ما فتىء يبديه لكى تجىء نتيجة الانتخابات ، صورة مطابقة لرغباته وصدى لصوته »(١٤) ، وهو الملك فاروق ، الذى لم تأت نتيجة الانتخابات حقيقة ، صورة مطابقة لرغباته ، كما تقول (المقطم) . فقد انزعج ايما انزعاج لحصول الوفد على اغلبية بهذا القدر فى الانتخابات ، ولا شك أن هذا الانزعاج قد دفع الملك الى التعجيل بتعيين حسين سرى رئيسا للديوان الملكى . وكان المنصب لا يزال خاليا بعد تعيين ابراهيم عبد الهادى رئيسا للوزارة ، وذلك ليواجه معه الموقف المترتب على وجود مجلس نواب ذى اغلبية وفدية ساحقة(١٥) .

ودعت الصحيفة الى الكف عن التظاهر ، والى الاستماع لنصائح النحاس باشا من هذا القبيل حتى لا يندس فى مظاهرات الابتهاج بفوز الوفد ، من يسىء اليها ويقلب افراحها اتراحا « ويضار أمن البلاد بسوء »(١٦) .

ورحبت (المقطم) بمبادرة الوزارة الى الغاء الرقابة على الصحف ، واعتبرتها « باكورة طيبة استهل بها معالى فؤاد سراج الدين باشا وزير الداخلية أعماله » ، وفى هذا دليل « على أن الحكومة الجديدة جادة فى اطلاق الحريات من قيود الأحكام العرفية »(١٧) .

واشاد رئيس تحرير (المقطم) بالهمة والعمل والانجازات والرغبات الصادقة التى تبديها الوزارة منذ تسلمها مهام الحكم ، متمنيا مواصلة السير فى هذا الطريق ، وموضحا أنه يتحدث كمحايد ينطق باسم أولئك الناس المنتمين الى « حزب الله والوطن والملك »(١٨) .

وتناولت (المقطم) فى تعليقاتها عددا من المشكلات الداخلية واهمها الغلاء ، وطالبت الوزارة بعلاج سريع لحل مشكلة « الشعب الجائع العارى ، الذى كفل لها الفوز ، واقعدها مقاعد الحكم ، لتكفل له الحياة وتيسر له أسبابها »(١٩) . ورحبت بقرارات مجانية التعليم والغاء رسوم الامتحانات ، وعبرت عن اغتباط الشعب بهذه « السياسة الشعبية » لوزير المعارف (الدكتور طه حسين) ، التى « ازالت عن صدور الناس نفقات التعليم وتكاليفه فى هذه الايام العجاف ، حتى يتفرغوا لسائر مطالب العيش لأبنائهم وبناتهم »(٢٠) . واشادت بشخصية فؤاد سراج الدين القوية ، وما « يضطلع به من تبعات جسام ومسئوليات خطيرة سواء باعتباره سكرتيرا للوفد

او وزيرا للداخلية . فقد اثبت بجدارة هو وحضـــرات زملائه من العناصر الشابة ، أن الشباب يتدفق حيوية وجراة واقداما تساعده على الاضطلاع بأشق اعباء الحكم واهم مسئولياته ، لاسيما اذا اقترن هذا النشاط بالاتزان والنزاهة والصراحة »(٢١) .

وفى معرض دفاعها عن الوزارة ، والسعى لتوفير الاستقرار لها ، هاجمت (المقطم) حركة الاضرابات التى قامت بها « بعض الطوائف العمالية » وما رافقها من « حركة اعتصـــام من الطلبة بمدارسهم حتى تجاب طلباتهم » مبينة ان الاضراب « سلاح خطر تصوب سهامه الى قلب الامة ، وقلب انتاجها الذى يجب أن يزيد فى هذه الآونة ليمكن الحكومة من التغلب على غلاء المعيشة ، وهو مطلب يشترك فيه الموظف والصانع والعامل والتلميذ »(٢٢) .

وقد اتاح مناخ الحرية الذى شـــهده العهد الجديد لمختلف الطوائف التعبير عن همومها ويذكر ابراهيم عامر ان عام ١٩٥٠ شهد نحو ٤٩ اضرابا عماليا ، وقامت عدة ثورات للفلاحين فى أراضى كبار الملاك ، كما نمت قوة الراسمالية القومية . وشنت على الاقطاعيين والسراى حملة تشهير واسعة النطاق(٢٣) ، الأمر الذى جعل وزير الداخلية فؤاد سراج الدين يتحدث باستمرار عن وجوب مكافحة الشيوعية ، وقد علقت (المقطم) على تصريح له حول معالجة الشيوعية « بمحاربة الفقر والجهل والمرض ورفع مستوى معيشة الأفراد وايجاد عمل لكل متعطل » بقولها ان ذلك « أنجح فى المكافحة واجدى من التشريعات والقوانين »(٢٤) .

وكانت (المقطم) منذ بداية حكم الوفد تبدى اهتماما ملحوظا بتحركات فؤاد ســــراج الدين وجهوده ، كما تحرص على وجود الانسجام التام بين الوفد والقصر ، وكان سراج الدين كما يقول الاستاذ محمد زكى عبد القادر ، ومعه طبقة أخرى فى الوفد ليست

لها كفايته وظروفه وانما لها كيانها ورأيها ، وهى التى واغقت على الاتجاه الى ايجاد نوع من المصالحة بين الوفد والقصر ، ورات ان سياسة وخز الابر بالنسبة للقصر سياسة غير مجدية ، وانه خير منها ان يكون الوفد أو أن يثبت أنه لا يقل ولاء للقصر عما عداه من أحزاب(٢٥) .

فتقول (المقطم) بمناسبة احتفال الحكومة بعيد الجلوس الملكى والعرض الجوى الذى اقيم فى سماء القاهرة ، ان هذا الاختفال يتم ابتهاجا بهذا اليوم الذى ظفرت فيه مصر بملكها الشاب الديمقراطى المحبوب ، الذى امتلأ صدره حبا لمصر واحتفاظا بكرامتها ووطنيتها وعمر قلبه بالحدب على شعبه والسهر على نهضته ورفعة شأنه(٢٦) .

وبهذه الروح التى تعبر عنها (المقطم) باستمرار تجاه صاحب العرش ، كانت متابعتها لقصة زواج شقيقته الأميرة فتحية برياض غالى « على غير رغبة جلالته وعلى غير رغبة امته ، هذه الأمة التى تؤازره وتسير خلفه وفى ركبه ، كما تعلم تمام العلم انه دائما يؤازرها ويفتديها ، ويسير فى طليعة ركبها فى شجاعة المؤمن وايمان الشجاع .. ان هذا الشعور الدافق الفياض الذى ينبض به هذا القلب النبيل الكبير هو الذى نقيس به اليوم وفى هذه المحنة ، مدى الألم الذى يحس به صاحب هذا القلب ويحز بدوره فى نفوسنا ، ويكوى جوانحنا ويقلق بالنا وخواطرنا »(٢٧) . ونشرت قرارات مجلس البلاط بخصوص هذه الأزمة وتمثلت بالحجر على الملكة نازلى وتعيين نجيب سالم باشا قيما عليها والتفريق بين الأميرة فتحية ورياض غالى ، واستدعاء الملكة والأميرة من الخارج(٢٨) . كما نشرت تصريحا للأمير محمد على أعلن فيه أن ما حدث لم يكن الا عملا من اعمال طيش

الشباب ، وأن الذين قاموا به سينالون جزاءهم الرادع ، وأن هذا الحادث يجب الا يكون سببا فى خلق النزاع والتفرقة بين عنصري الأمة ، وقالت (المقطم) لقد « كفانا هذا التصريح الرزين الحاسم كل تعليق فى هذا الشأن »(٢٩) . وقالت ، ان زيارة البطريرك (الأنبا يوساب) للسـراى ، اكدت « معنى ساميا ومغزى شريفا هو أن البطريرك والذين صحبوه قصدوا بها ان يشتركوا مع سائر الأمة فى تاييد جلالة الملك فى موقف الدفاع عن كرامة اسرته وان يشاطروه ما يشعر به من أسف وألم لوقوع ما وقع ، وهذا واجب لم يكن للقبط فى شخص رئيسهم الدينى الأعلى ، مفر من النهوض به مشاركة لصاحب العرش ، فى عواطفه نحو شقيقته واعرابا عن ولائهم لجلالته فى حادث أحزن قلبه وكدر خاطره »(٣٠) .

مراسـيم مجلس الشـيوخ :

لم تنل الضجة التى أثيرت فى مجلس الشيوخ حول الأموال التى تقاضاها كريم ثابت من مسـتشفى المواساة بموافقة مديره الدكتور احمد النقيب . وكانت من بواعث استقالة رئيس ديوان المحاسبة محمود محمد محمود ، كما جاء فى الرد على الاستجواب المقدم لمجلس الشيوخ من مصطفى مرعى عضو المجلس ، هذه الضجة لم تنل من اهتمام (المقطم) اكثر من خبر صغير جاء فيه : « لما علم سعادة كريم ثابت باشا المستشار الصحفى لديوان جلالة الملك بما جرى فى مجلس الشيوخ امس واول امس رفع استقالته الى حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم ، فتفضل أعزه الله وأمر بعدم قبولها »(٣١) . ورفض هذه الاستقالة معناه كما يقول الدكتور هيكل رئيس مجلس الشيوخ ايذانا من الملك « بثقته بكريم باشا ، وبأن ما نسب اليه فى هذا الاستجواب لم يزعزع هذه الثقة ، وأذيع فى أوساط مختلفة ان هذا الاستجواب لم يكن حسن الأثر فى نفس جلالة الملك ، وان جلالته لم يكن راضيا عنه .. واننى لفى منزلى

مساء يوم ١٧ يونيو اذ دق التليفون وخاطبنى الأستاذ كامل الشناوى المحرر بالأهرام ، وقال لى ان مراسيم صدرت احدها باخراج الذين عينوا شيوخا بمرسوم يناير سنة ١٩٤٥ ، والآخر بتعيين على زكى العرابى باشا رئيسا للشيوخ ، والثالث بتعيين شيوخ جدد مكان الذين اخرجوا ، يا له من انقلاب دستورى مروع ، لقد ظننا أول ما تولت هذه الوزارة الحكم أن نوعا من الاستقرار سيكون ، وما لم يمض عليها غير خمسة أشهر ، ثم هى تعصف بالدستور على هذا النحو »(٣٢) .

وقد اشارت (المقطم) الى بيان المعارضة الذى يهاجم المراسيم الثلاثة ، دون ان تنشره بالطبع ، وقد حالت الحكومة دون نشره ، لأنه يعرض بتصرفات رجال الحاشية ، وفيهم كريم ثابت ، ولكنها نشرت رد فؤاد سراج الدين على بيان المعارضة ، وكذلك بيان (اللجنة العامة للشباب الوفدى) التى تؤيد الوفد وتدحض مزاعم المعارضة(٣٣) .

وجدير بالذكر ، ان التعيينات الجديدة فى مجلس الشيوخ التى ضمت اشخاصا مثل ادجار جلاد باشا والدكتور أحمد النقيب باشا قد قوبلت باستنكار من قبل اعلانها . وقد نشرت جريدة الاشتراكية على سبيل المثال مقالا استنكرت فيه بشدة ما أشيع عن تعيين ادجار جلاد فى مجلس الشيوخ ، كما تساءلت الجريدة عن احتمال تعيين الدكتور النقيب خاصة بعد أن أشار ديوان المحاسبة الى ملاحظات حول تصرفاته وبعض أوجه الانحراف التى شابتها ، وتساءلت الجريدة عما اذا كان تعيينه يعنى تحديا لمجلس الشيوخ وديوان المحاسبة(٣٤) . صحيح أن هذه المراسيم قد اتاحت للوزارة النحاسية أغلبية كانت تفتقدها فى المجلس المذكور ، الا أنها أتاحت فى نفس الوقت ادخال بعض الشخصيات المعروفة بولائها للقصر(٣٥) .

وقد شنت صحيفة الحزب الاشتراكى (الاشتراكية) حملة قاسية ضد كريم ثابت فى هذه الفترة ، وطالبت حكومة النحاس بابعاده عن مسرح السياسة المصرية وحرمانه من كافة مناصبه ، وذلك باسلوب من الهجوالمقذع والألفاظ الجارحة(٣٦) .

اما (المقطم) فقد ركزت على الدعوة لتحسين صورة مصر فى الخارج ، وحملت الصحافة المصرية مسئولية ما ينشر عن اضطراب الأحوال الداخلية ، وأوضحت أن ما ينشره الحاقدون على مصر فى الخارج « ما كانوا ليحصلوا عليه بهذه السهولة وهذا اليسر ، لو لم توفره لهم الصحافة المصرية تحت شهوة المعارضة والحزبية »(٣٧) .

الأسلحة الفاسدة :

كان موضوع الاستجواب الذى تقدم به مصطفى مرعى وجمدته الحكومة فى مجلس الشيوخ قد تطرق الى التجاوزات فى الانفاق على الأسلحة فى اثناء حرب فلسطين ، الأمر الذى أدى الى تفجير القضية التى عرفت (بالأسلحة الفاسدة) وغذتها الصحافة الشعبية وعلى رأسها روزاليوسف التى قاد رئيس تحريرها (احسان عبد القدوس) حملة مركزة ابتداء من ٦ يونية ١٩٥٠ ، وصفها احمد بهاء الدين بأنها « اخطر حملة صحفية عرفتها مصر فى تاريخها الحديث »(٣٨) . فقد لوحت بالاتهام الى الملك شخصيا ، وانتشر الأمر بين الجماهير كالنار فى الهشيم وهاج الرأى العام فاضطرت الحكومة الى تكليف النيابة العامة بالتحقيق ، وسار التحقيق شوطا تزجيه الحملة الصحفية ويدفعه تطلع الرأى العام ويقظته ويمده بعض شباب الضباط من خلال احسان عبد القدوس ، الذى استجوب فى التحقيق ، بالوقائع والمستندات ، حتى وجدت سلطة التحقيق نفسها وجها لوجه أمام الملك ، ووجهت الصحيفة حملتها

الى (محمد حيدر) الذى كان يتستر على المجرمين ، والذى كان وزيرا للحربية وقت عقد هذه الصفقات ، ووقت حرب فلسطين ، وحاصره الراى العام فاضطر الى تقديم استقالته ، واضطر الملك الى قبولها ، وصار الحديث عن القضية وتتبع أخبارها من البنود الأولى فى الصحف والمجلات ، ووجد الملك ان التحقيق يدق أبواب قصره بالادانة فضغط على الحكومة والنيابة العامة حتى أمرت بحفظ التحقيق بالنسبة لرجال الحاشية ثم أعيد حيدر قائدا عاما للقوات المسلحة(٣٩) .

أما (المقطم) ، فان القضية لم يرد ذكرها على صفحاتها الا من خلال الرد الذى نشرته لفؤاد سراج الدين ، يرد فيه على الأمير محمد على ، يطمئنه فيه على سلامة سير (تحقيقات الجيش) لأن « قضاءنا محصن بالضمائر الحية والنفوس الطاهرة وقد اثبت دائما انه لا يتهيب شيئا ولا يخاف مصيرا معينا »(٤٠) وطالبت (المقطم) النائب العام باجلاء حقيقة الموضوع « وتحطيم السور الفولاذى الذى أحاطت به النيابة التحقيقات » التى تجريها بشأن اسلحة الجيش وذخائره ، لوضع حد للشائعات والمبالغات التى ترددها المجالس والمنتديات ، وقالت ان « الاهتمام الذى يبديه الشعب بهذه التحقيقات يدل فى وضوح على يقظة متوثبة تريد ان تأخذ العدالة بتلابيب من تثبت ادانتهم انهم عبثوا بأداتنا الحربية ، وهى عنوان مجدنا وعزتنا وكرامتنا »(١٤١) .

وتابعت (المقطم) اخبار هذا الموضوع تحت عناوين «تحقيقات الجيش » و « الأسلحة الفاسدة » وعلقت على أقوال فؤاد سراج الدين فى مجلس الشيوخ عن سير التحقيقات فى مجراها الطبيعى، وعدم وجود سلطة ما فى مقدورها الاعتداء على سلطة التحقيق بقولها : « ولعل الأمر بعد ذلك يقف عند هذا الحد فلا يعبأ الناس بما يشيعه المغرضون فى صدد هذا الموضوع الخطير بعدما

طمأنهم معالى فؤاد سراج الدين باشا ، وازاح الستار امام العيون فبانت الحقيقة ووضح الأمر » (٤٢) . ثم نشرت ، دون تعليق ، قرار النيابة بحفظ التحقيق فى صفقات الأسلحة ، وجاء فيه : « ان كل ما أسند الى حضرات أصحاب العزة : حسن عاكف بك ، وجلال الدين محمد علوبة بك ، ومحمد حلمى حسين بك ، وانطونيو بوللى بك ، بمناسبة تحقيقات الجيش تبين أنه غير صحيح »(٤٣) .

المشـــكلات الاجتماعية والاقتصـــادية :

لجأت (المقطم) الى النقد الاجتماعى لبعض نواحى الحياة الاجتماعية والاقتصادية ولكن هذا النقد اتصف بالعمومية ومعالجة المشكلات التى يعانى منها الشعب دون الهجوم على وزير معين أو اتهامه صراحة بالتقصير ، كما كانت الحال بالنسبة للصحافة الوطنية فى أثناء حكم الوفد ، هذه الصحافة التى سددت اقسى الهجمات ضد النحاس وسراج الدين ولم يسلم الملك نفسه منها .

وقد تولى هذا النقد فى معظمه ، على صفحات (المقطم) ، محمود حسنى العرابى فى عمود ظهر على يسار الصفحة الأولى بعنوان « لو كنت مصريا » ثم بعنوان « تحت الميكروسكوب »(٤٤) بعد ذلك ، ومما تناوله العرابى فى أحاديثه عن المعاناة ، قصة حمال عجوز مهدود القوى سقط مغمى عليه فى ميدان محمد على(٤٥) . ومشكلة الطب والأطباء والادوية وعجز متوسطى الحال والفقراء فى مواجهتها بحيث « لم يعد يطاق الصبر فهل من احد ذى نفوذ يصغى الينا ؟ »(٥٦) . وازمة المساكن وكيف يحتشد العشرات فى غرفة واحدة سيئة التهوية قذرة لبعض سنين(٤٧) . ومحطة الاذاعة التى لاتزال العقلية المسيطرة عليها متاثرة بالنفوذ البريطانى القديم ولابد من تطهيرها من هذه العقليات(٤٨) ، وتشريد الصبية الصغار

باعتباره جرما لا يغتفر ولطمة عار فى جبيننا لا يمحوها اى عمل آخر من اعمال البر والخير(٤٩) . واوضاع الفلاح المصرى التى نقدها بقوله : صلوا وسلموا على شهيد الكادحين وامام المتفانين فى خدمة مصر ، صلوا وسلموا على فريسـة الجهل والفقر والمرض ، صلوا وسلموا على ضحية الاهمال المزرى سواء من قبل حكومته أو من قبل القادرين على انتشاله من وهدته ، صلوا وسلموا ايها الناس على الفلاح المصرى مطعمنا وكاسينا ، فهو جدير بالصلاة عليه(٥٠) .

وقد توقف العرابى عن الكتابة فى (المقطم) ، بعد أن أصدر مجلة باسم (الوطن الجديد) رحبت (المقطم) بصدورها وبما تحتويه من نقد ودعوات للبناء والاصلاح(٥١) . ولكن الصحيفة لم تتوقف عن معالجة المشكلات الاجتماعية الملحة والظروف المعيشية الصعبة للطبقات الفقيرة وضرورة انصاف صغار الموظفين والعاملين ، ومن ذلك ترحيبها بمشروع المساكن الشعبية ودعوتها الى سرعة تنفيذه ، فقد « آن الاوان لأن يلقى الموظف الصغير والعامل والأجير مأوى صحيا يضمه هو واولاده بأجر زهيد يتناسب مع دخله بعدما سدت العمارات الشاهقة والمبانى الشامخة الهواء فى وجهه وفرضت لها اجورا عالية »(٥٢) .

واشادت بجهود سراج الدين فى رعاية الفقراء واعلانه عن الأخذ من الأغنياء الى الفقراء ، ووصفته بأنه الاشتراكى الأول وعدو الشيوعية رقم (١)(٥٣) . ولعل ما كتبته (المقطم) تضامنا مع الطبقات الفقيرة فى المجتمع ، ودعوتها للأخذ بناصر هذه الطبقات ومساعدتها كان نابعا من الاحساس بخطورة المشاكل الاجتماعية والاقتصادية التى عانى الشعب منها ، ولم تستطع الحكومة الوفدية مجابهتها وتفريج معاناة الشعب ازاءها .

تشـــــريعات الصـــــحافة :

شـاركت (المقطم) فى حملة الاحتجاج على تشريعات الصحافة التى تقدم بها النائب اسـطفان باسيلى الى البرلمان وأعربت عن اسفها لتقديمها « على هذه الصورة المعتمة » من قبل محام لأن مهنة المحاماة تفرض على صاحبها « تنوير العدالة واضاءة المصابيح أمام القضاء والانتصار للحق والحرية ولاسيما حرية القول والنشر » . ودعت الى افشـال هذه التشريعات ورفضها من جانب « نواب الأمة الامناء على نيابتها ، رفضا اجماعيا قاطعا مانعا ، حتى يسـجلوا لانفسهم اكبر نصر نيابى فى تاريخ مصر »(٥٤) . فان نصـوص هذه التشـريعات ما كادت تذاع « حتى ثار الراى العام ثورة شديدة وكان أشد الثائرين الجناح المتقدم من الهيئة الوفدية ، وبينما كان كبار رجال الوفد يحاولون على استحياء أن يساعدوا على تمرير هذه القوانين كانت الكتل الوفدية داخل الحزب وخارجه تعلن عن اسـتيائها واسـتنكارها مما حدا باللجنة البرلمانية أن تعلن عن رفضها »(٥٥) .

وقد ثمنت (المقطم) هذا الموقف المشرف للهيئة الوفدية ، الى جانب حرية الصحافة ، واعتبرت سحب التشريعات من البرلمان انتصارا لحرية الصحافة ، واثنت على جميع الهيئات « التى احتجت على هذه التشريعات واستنكرتها » ، وجميع الذين « وقفوا فى صف صاحبة الجلالة فى ابان محنتها »(٥٦) . ونوهت بما أقدمت عليه الحكومة لتدعيم مكانة الصحافة من الغاء الحبس الاحتياطى للصحفيين « باستثناء تهم معينة خاصة بجرائم العيب فى الذات الملكية والتطاول على مسند الملكية والقاء اللوم على الملك ، وفى الجرائم الخاصة بالطعن فى الاعراض وافساد الأخلاق ، وهى جرائم اذا نص عليها فى التشريع فان الصحافة بمناى عنها جميعا ،

ولا نظن ان صحافيا واحدا ممن ينتسبون الى هذه الصناعة الجليلة الشأن يزل قلمه فى واحدة منها »(٥٧) . ولم يكن ظنها فى مكانه فقد شهدت هذه الفترة العديد من حالات تقديم الصحفيين للمحاكمة، ودخول السجن بتهم العيب فى الذات الملكية التى كانت (المقطم) بمنأى عن أن تتهم بها بالطبع .

وكان ابرز هؤلاء الصحفيين من رجال حزب مصر الفتاة الذى تحول الى الحزب الاشتراكى ، ودخل الانتخابات البرلمانية عام ١٩٥٠ ، وقام خلال السنتين التاليتين بتركيز كل طاقاته فى تلك الحملة الصحفية التى لم تعرفها مصر من قبل ، وقامت الصحيفتان الناطقتان باسمه ، وهما : مصر الفتاة والاشتراكية بالهجوم ليس فقط ضد الطبقة الحاكمة ، ولكن ، وهذه هى الظاهرة الجديدة فى مصر ، ضد الملك والعائلة الملكية ، وقد امتلأت صفحاتها بالصور التى تشير الى الظروف القاسية التى تعيشها البلاد تحت العناوين التالية : هذا هو مصيرك ايها المواطن المصـــــرى فى ظل النظام الراسمالى ، أما شعارها الرئيسى فكان : الثورة ، ويعتقد انها كانت وراء العديد من المحاولات التى قام بها الفلاحون المستأجرون ، للاستيلاء على عزب الملاك الكبار(٥٨) .

ويقول أحمد حسين انه بعد الغاء جريدة الاشتراكية ، تولت (الشعب الجديد) الحملة « وعادت المقالات المدوية وعناوينها تهز البلاد هزا وخاصة بعد أن انضم الى أسرة التحرير ابراهيم شكرى صاحب الجريدة ، الذى راح يكتب كلمات نارية تحت عنوان « ركن المجاهد » ، ومحمد حلمى غندور تحت عنوان « خرابيش »(٥٩) . ويقول ، انه ورفاقه : ابراهيم شكرى وحلمى الغندور واسماعيل عامر والدكتور محمد حلمى مراد ــ الذى كان يكتب بغير توقيعه ــ وسيد قطب مضوا « يهاجمون الملك وحاشيته والحكومة ووزراءها

الاقطاعيين والمفسدين بصفة عامة اشد ما يكون الهجوم ، ولم تعد الحملة ضد الملك وحاشيته تتبرقع أو تستتر ، بل أصبحت حملة سافرة واضحة(٦٠) .

وكان لكل جريدة حرة ـ كما يقول احمد بهاء الدين ـ أسلوبها فى مهاجمة الملك السابق ، ففى (روزاليوسف) مثلا كتب احسان عبد القدوس مقالا خطيرا بعنوان « دولة الأغوات » وسلسلة مقالات اخرى بعنوان « من المسئول عن حكم مصر ؟ » .

وفى (اللواء الجديد) كنت تجد فتحى رضوان يتعقب تصرفات الملك وحاشيته بالنقد الشديد ، واقترب مرة من باب السجن بسبب مقال بعنوان « أحاديث الملوك » ، و « مصطفى مرعى » يكتب بسلسلة مقالات « ملكية » واحدة بعنوان « فخر البحار » وأخرى بعنوان « ولاء العبيد وولاء الاحرار » يهاجم فيها الملك ، وكانت طريقة اللواء فى النيل من الملك ان تنشر قصصا تاريخية عن الملكية المنهارة ايام الثورة الفرنسية بعناوين مثيرة ، وتخصصت « الجمهور المصرى » فى مهاجمة البوليس السياسى كاداة من أدوات الرجعية والاستعمار وجرائم تعذيب المتهمين وتلفيق القضايا(٦١) .

القضية المصرية وأسلوب المفاوضات والمذكرات :

تابعت (المقطم) جميع المراحل التى مرت بها المباحثات والاتصالات حول القضية الوطنية بين المسئولين المصريين واقطاب السياسة البريطانيين ، وكان موقفها منسجما مع الموقف الرسمى الحكومى قلبا وقالبا ، وقد أعطت هذه المسألة مزيدا من اهتمامها سواء فى تحليلات محررها الدبلوماسى أو « حديث اليوم » ، وهو رأى الصحيفة اليومى أو زاوية « فى السياسات الدولية » التى يحررها وديع فلسطين بالاضافة الى تعليقات رئيس التحرير التى تظهر بتوقيعه بين وقت وآخر .

فقد انتهزت الصحيفة مناسبة زيارة (المارشال سليم) رئيس أركان حرب الامبراطورية البريطانية لمصر ، لتذكره بأن الشعب المصرى « يشارك حكومته فى سياستها الخارجية تجاه بريطانيا » ، « اذا كانت بريطانيا تريد الظفر بثقة مصر ، فليس ثمة سبيل أمامها سوى أن تجيب مطالبها الشرعية الرسمية ، وأولها الجلاء وثانيها الوحدة »(٦٢) ، فان « كسب الصداقة المصرية وكسب الثقة أفضل كثيرا من بحث موقع استراتيجى لا يغنى عن هذه الثقة شيئا »(٦٣) .

وبعد أن قدم المارشال سليم تقريره الى حكومته ينصحها فيه بعدم الجلاء عن مصر ، بعد أن لمس موقف النحاس باشا الثابت تجاه المطالب القومية المصرية ، وقالت (المقطم) : « وهكذا تحطمت المحاولات والحملات حتى المباحثات العسكرية الأخيرة على صخرة وطنية الوفد ورجاله واستمساكهم بحقوق البلاد وعدم التفريط فى ناحية من نواحيها »(٦٤) .

ورحبت الصحيفة بامتناع الحكومة المصرية عن التصويت فى مجلس الأمن بشأن الحرب الكورية التى دارت رحاها بين المعسكرين الشرقى والغربى ، واعتبرته موقفا حكيما يتسم بالشجاعة والجرأة والاتزان ، وعبر بصدق عن شعور الشعب المصرى بجميع أحزابه وهيئاته ، وذلك رغم الدهشة التى قوبل بها هذا الموقف من أمريكا وانجلترا وفرنسا(٦٥) . وعلقت على ما صرح به وزير الخارجية الدكتور محمد صلاح الدين من أن قرار مصر لا يعنى ميلا الى الشيوعية ، بقولها ان هذا البيان الصريح بعد القرار الحكيم جاء « مبددا للشبهة التى اثارتها الدعاية المغرضة حول اتجاه مصر المذهبى »(٦٦) ، فان « نظام الحكم فى مصر ديمقراطى صميم والشعب كله وحكوماته المتعاقبة تحرص على هذا النظام وتؤيده وتفتديه بكل ما تملك من النفس والمال »(٦٧) .

فى هذه الأثناء قررت الحكومة البريطانية وقف تصـــــدير شحنات الأسلحة التى سبق لمصر التعاقد عليها مع بريطانيا ، ورأت (المقطم) فى هذا القرار دليلا ماديا تقدمه بريطانيا على النكول بالمعاهدة وعدم احترامها ، وانها باتت غير ذات موضوع من جانبها كذلك ، ودليلا آخر على انها معاهدة غير متكافئة املاها القوى على الضعيف(٦٨) ، كما جاء القرار بمثابة « جرة قلم قضت على معاهدة ١٩٣٦ ، فلم تجعل منها وثيقة رسمية ملزمة ، وقضت كذلك على كل امل فى أن تسفر الاتصالات المصرية البريطانية عن نتيجة ايجابية مقبولة »(٦٩) .

ودعت (المقطم) الى اجراء مراجعة شاملة للملاقات مع بريطانيا ، بعد قرارها بمنع الأسلحة عن مصـــــر(٧٠) . ورحبت بتصريح وزير الخارجية بالنيابة ابراهيم فرج عن استنفاد معاهدة ١٩٣٦ لأغراضها واستعداد الحكومة لاتخاذ خطوات كفيلة بالغائها ، موضحة سلامة موقف مصر بالغاء المعاهدة من جانبها « وليكن الحكم الفصل فى هذا النزاع أمام محكمة العدل الدولية »(٧١) ، ولكنها عادت للحديث عن امكانية التفاهم مع بريطانيا واهمية كسب مودة مصر من جانبها بعد قرارها بارسال جانب من السلاح لمصر ، فهذا الاجراء « خطوة طيبة نحو هذا التقارب » تمنت « أن يليه ما بعده من التفاهم .. وأن تخطو حليفتنا القديمة خطوات أوســـــع نحو القضايا القومية تساعد العاملين من الدولتين على التفاهم على اداء مهمتهم فتبدد غيوم الخلاف . وترى بريطانيا من مصر خير حليف يساعدها فى الكفاح المقبل »(٧٢) .

ويلاحظ آن (المقطم) التى تخصص لمعالجة القضية المصرية مادة غزيرة من التعليقات والمقالات ، حرصت فى بعض ما تكتبه على أن يكون الأسلوب حادا ، وفى معظم ما تكتبه دعوة للتفاهم

مع بريطانيا ، واكدت انسجامها مع المواقف الحكومية المصرية فى كل ما كتبته .

واشارت (المقطم) الى المقترحات البريطانية التى نقلها السفير البريطانى للحكومة المصرية لتكون أساسا لبدء المفاوضات ، ومنها الدفاع المشترك عن الشرق الأوسط فى حالتى الحرب وخطر الحرب(٧٣) . هذه المقترحات التى حولت القضية المصرية الى قضية عسكرية بعد أن كانت سياسية ، مما جعل (المقطم) تطالب بالاحتفاظ بمعاهدة ١٩٣٦ ، والصبر عليها لكى تنتهى بشكل طبيعى بعد خمس سنوات افضل من أن ترتبط مصر بمعاهدة جديدة أكثر اجحافا(٧٤) .

وقد تشكلت لجنة وزارية لدراسة المقترحات البريطانية ، التى تبين أنه « لا يمكن لأى سياسى مصرى أن يقبلها كأساس للمفاوضات »(٧٥) ، وذلك « بعدما أغفلت الأمانى المصرية والقضية القومية فى صميمها ، وراحت تفرض أغلالا جديدة تضعها فى أعناق المصريين لمصلحة بريطانيا دون سواها »(٧٦) . وكان مصيرها رفض مجلس الوزراء المصرى لها ، وقد تضامنت المعارضة مع الحكومة فى مجلس النواب ازاء المقترحات البريطانية المرفوضة وكان موقف المعارضة « وطنيا حقا » ، وعبر عن الاجماع التام « على الأهداف الوطنية والأمانى القومية من جميع الأحزاب »(٧٧) .

وقالت (المقطم) ، ان الرد المصرى المفحم على المقترحات البريطانية ، لا يمكن أن يصدر بمثل هذا الحزم الا اذا كانت الحكومة « متمتعة بثقة المليك والشعب »(٧٨) .

وكتب رئيس تحرير الصحيفة تعليقا أكد فيه تلاحم الشعب مع الوزارة « التى نبتت من صلبه ، فاذا اراد الشعب الغاء معاهدة سنة ١٩٣٦ .. كان بدهيا أن ما يريده هذا الشعب تريده

الوزارة »(٧٩) . وطالبت الحكومة بتفويت الفرصة على أسلوب « المساومة والمقايضة .. واغلاق الباب المفتوح » وسلوك طريقين هما « الالتجاء الى مجلس الأمن او هيئة الأمم المتحدة لحل مسألة الجلاء فقط ، والذهاب الى محكمة العدل الدولية لالغاء اتفاقيتى ١٨٩٩ ومعاهدة ١٩٣٦ لبطلانهما شرعا وقانونا »(٨٠) .

الغاء المعاهدة وبدء الكفاح المسلح :

كانت النتيجة الطبيعية للتشدد البريطانى ازاء المطالب المصرية القومية ، قيام الوزارة المصرية بالغاء معاهدة ١٩٣٦ واتفاقيتى السودان من طرف واحد ، وذلك فى خطاب للنحاس باشا القاه فى البرلمان يوم ٨ اكتوبر ١٩٥١ ، الذى وصفته (المقطم) بأنه كان « يوما خالدا فى تاريخ مصر الحديثة ، لم تشهد البلاد له من قبل مثيلا .. حيث انطلقت مظاهرات الابتهاج بالغاء المعاهدة وتلقت رئاسة الحكومة العديد من برقيات التهنئة والتأييد واحدة منها من رئيس تحرير (المقطم) باسم جميع العاملين فى (المقطم) والمقتطف »(٨١) .

وقد اقترح رئيس مجلس النواب الوفدى عبد السلام فهمى جمعة باشا ، الا يكتفى باحالة هذه المراسيم بمشروعات قوانين على لجنة من لجان المجلس ، وانما أن تكون لجنة من النواب تمثل جميع الهيئات السياسية الممثلة فى البرلمان وكذلك المستقلين ، وقد وافق المجلس على هذا الاقتراح ، وأعلنت المعارضة تأييدها للحكومة ، وطالب د . نور الدين طراف (وطنى) بأن يكون الالغاء حدا فاصلا بين سياسة المفاوضة والمهادنة وسياسة الكفاح الجدى فى مواجهة الانجليز ، وطالب باتخاذ خطوات عملية واطلاع الأمة عليها ، وشاركه فى هذا الرأى النائب الاشتراكى ابراهيم شكرى ، الذى اعلن باسم حزبه تأييد الحكومة فى قرار الالغاء . وطالب بالاسراع

فى اصدار تشريعات اخرى تصم بالخيانة من يتعاون مع الانجليز ، وفى ختام الجلسة اعلن وزير الخارجية أن القضية الوطنية قد وحدت الجميع بدليل موقف المجلس الممتاز ، كما وافق المجلس على اقتراح تقدم به ٣٢ نائبا يؤكد على ثقة المجلس فى رئيس الوزراء وفى الحكومة(٨٢) .

وتخاطب (المقطم) الانجليز قائلة : « أتركوا لنا بلادنا كيفما كانت . اتركوها لنا بفقرها وجهلها ومرضها وفسادها وكل ما فيها. اتركوا لنا مصر حتى لو لم نعرف كيف نصرف أمورها وندير شئونها فنحن فى غنى عن هذا الاحتلال الباطل الكريه ونحن زاهدون فى هذه الصداقة المفروضة علينا فرضا »(٨٣) .

لقد أصبح على خريطة المواجهة القائمة بين مصر وبريطانيا بعد الغاء المعاهدة جبهتان متعارضتان ، جبهة مصـــــر بحكومتها وشعبها ومختلف احزابها ، وجبهة بريطانيا العـــدوة ، وكان لابد (للمقطم) من أن تقف فى صف جبهة مصر ومع حقوقها ومعركتها ، وهكذا اصبحت جريدة الاحتلال عندما صدرت عام ١٨٨٩ ، وصديقة الانجليز بعد ثورة ١٩١٩ ، وما تلاها من تطورات ، عدوة للانجليز بشكل مباشر وصريح ، بعد الغاء المعاهدة المصرية البريطانية . وعلى ضوء هذه الحقيقة الجديدة ، كان موقف (المقطم) من معارك القناة والمواجهة العسكرية مع القوات البريطانية التى تواصلت حتى حريق القاهرة .

وقد اعلنت (المقطم) أن الصراع بين المصريين والبريطانيين قد بدأ ، وأنه « قد يطول أمره ويشتد ، ولهذا وجب على الزعماء المصريين ان يتحدوا بريطانيا باتحادهم دفاعا عن الحقوق الوطنية للبلاد »(٨٤) . وأوضحت عدم جدوى التحالف مع الدول الأربع بريطانيا وامريكا وفرنسا وتركيا ، التى تقدمت مقترحات جديدة الى

مصر ، تريد تحالفا يكون لمصر فيه « صوت واحد ضد اربعة اصوات فتتحكم فينا وفي جيوشنا وفي أراضينا وفقا لنزواتها »(٨٥) .

واساس هذه المقترحات أن تقبل مصر الدفاع المشترك مع هذه الدول الأربع ، مما يعنى ، ابدال معاهدة ١٩٣٦ بمعاهدة لا تختلف عنها في الجوهر ، وابدال الاحتلال البريطاني باحتلال دولي ، تشترك فيه بريطانيا وحلفاؤها وتقبله مصر وترتضيه ، وقد احسنت الحكومة صنعا برفض هذه المقترحات(٨٦) .

وأعربت (المقطم) عن اعجابها بالعمل الوطني للعمال المصريين ، وخاصة سائقى القطارات الذين امتنعوا عن نقل الجنود البريطانيين من بورسعيد الى معسكرات القناة(٨٧) . ووصفت اعتداء القوات البريطانية على مواطني الاسماعيلية وبورسعيد بأنه « حماقة » وأن الشهداء المصريين لسبعة الذين كانوا « أول التضحيات » سيكونون « سبع شموع تضىء الطريق أمام الشعب المصرى »(٨٨) . وتحدثت عن الأساليب الوحشية لقوات الاحتلال في منطقة القناة ، وقالت : ان القوة ، ما استطاعت « يوما أن تطغى على الحق »(٨٩) . ووصفت أعمال المدوان على الأبرياء بأنها « قرصنة وبلطجة »(٩٠) . وكانت تقدم متابعات اخبارية وافية لتحركات القوات البريطانية واعتداءاتها .

واجرت (المقطم) حديثا مع اللواء محمد صالح حرب ، رئيس جمعية الشبان المسلمين ، أعلن فيه أننا « سنلقى من الانجليز كل عنت وكيد ، ولكننا سنعلمهم أن في مصر شعبا يطلب الموت في سبيل الحياة »(٩١) . وخاطبت الانجليز قائلة : « سجلوا على انفسكم هذا الطغيان ، واكتبوا على انفسكم صك العدوان فقد فرغ صبر الحكومة المصرية ، كما فرغ صبر شعبها »(٩٢) . وهاجمت تصريحات تشرشل « دعى الحرب » وقالت : « ان الباحث ليحار

فى هذا الوضع الشاذ الذى اختاره الانجليز لأنفسهم فى منطقة القناة ، لاسيما بعد ان قرر البرلمان المصرى الغاء المعاهدة ، وهى آخر خيط كان يربطنا بالبريطانيين »(٩٣) . وسجلت سخطها على حوادث الخطف التى اضافها الانجليز « الى قائمة اعمال الشرف والانسانية التى يرتكبونها فى مصر »(٩٤) . وقالت « ان الأرواح البريئة التى ازهقت ، والصبر الجميل الذى نتحمله ازاء عدوانكم ، لهما ثمن غال ستقبضه مصر منكم يوم الحساب ، وما هو ببعيد»(٩٥). ووصفت تسخير العمال واجبارهم على تأدية بعض الخدمات تحت تهديد السلاح ، بأنه « لون آخر من الوان العدوان واجراء جديد من اجراءات القوة الغاشمة ، التى يلجأ اليها الجنود الانجليز »(٩٦) . وأجرت حديثا مع الفريق عزيز المصرى ، الذى كان يتولى تدريب كتائب الفدائيين وارسالهم الى القناة ، اكد فيه ان « الحق لا يناله الضعفاء فلنكن أقوياء باتحادنا »(٩٧) . وطالبت المسئولين وكتائب التحرير باتخاذ الاجراءات الكفيلة بتطويق اعمال تهريب المؤن التى يقوم بها بعض التجار لحساب الانجليز(٩٨). وتحدثت عن مظاهرة ١٤ نوفمبر الكبرى الصامتة التى خرجت تحية للشهداء « الأبرياء الذين خضبوا أرض مصر بدمائهم فى سبيل حرية بلادهم ، فراحوا ثمن الجهاد وضريبة الدم »(٩٩) .

وقالت (المقطم) اننا « لسنا ندرى بالتحقيق ماذا يريد هؤلاء الطغاة بعدوانهم المتكرر المتواصل على الاهلين العزل ؟»(١٠٠) ، فان « معارك القناة الدامية يجب ان تقنع بريطانيا بالجلاء»(١٠١). واعلنت استنكارها لتنفيذ الانذار البريطانى بهدم المنازل فى منطقة كفر عبده الذى عبر عن « وحشية فاجرة »(١٠٢) . واوردت تفاصيل تشييع جنازة فقيد الوطن عادل محمد غانم « الذى استشهد ، وهو يدافع عن قضية البلاد ضد الغاصبين بمنطقة القناة »(١٠٣) .

كما نشرت تفاصيل الجنازة الكبرى التى سارت فى الزقازيق للشهيد البطل عباس الأعسر(١٠٤) .

ونشرت (المقطم) تصريحا لحافظ عفيفى رئيس الديوان الملكى الجديد ، اعلن فيه انه اذا ما استشير فى الموقف السياسى ، بصفته الجديدة « فعليه ان يشير بما يعتقد ان فيه مصلحة البلاد »(١٠٥) . ولم تدل الصحيفة برأيها حول تعيين حافظ عفيفى فى رئاسة الديوان الملكى وكذلك تعيين عبد الفتاح عمرو السفير السابق فى بريطانيا مسئولا عن الشئون الخارجية فى القصر .. ويقول الدكتور محمد انيس ان الراى العام المصرى اصيب من هول المفاجأة بالوجوم ، ثم سرعان ما خرجت المظاهرات احتجاجا على السراى ، نتيجة لتعيين حافظ عفيفى وعبد الفتاح عمرو(١٠٦) .

اما المؤرخ الرافعى فيقول ان هذه التعيينات اثارت خواطر المواطنين ، وعدوها تحديا من السراى لحركة الكفاح فى القناة ، وتعبيرا عن رغبة الملك فى التفاهم مع المستعمرين(١٠٧) .

وقد لحق ذلك مؤامرة فى مدينة السويس ، قصد بها احداث فتنة رهيبة بين عنصرى الامة ، لتفجير الحركة الوطنية من الداخل، وهى الفتنة المعروفة بحرق كنيسة السويس فى ٤ يناير ١٩٥٢ ، ويعتبر حادث السويس من اخطر الاحداث التى هددت الوحدة الوطنية فى منطقة قناة السويس(١٠٨) .

وعلقت (المقطم) على هذا الحادث بقولها ، اننا« لا نظن ان وطنيا مصريا ارتكبه الا ان يكون خائنا لوطنه او ماجورا على فعله حتى يحدث الثغرة التى يعمل على احداثها الانجليز »(١٠٩) .

وفى غمرة السخط العارم على السراى ، والمظاهرات الهاتفة ضد فاروق ، تزف (المقطم) بشرى ميلاد ولى العهد احمد فؤاد ، قائلة : « هذا هو النبا السعيد الذى طالما تاقت نفوس الشعب

الى سماعه ، وهذه هى البشـــــرى التى طالما تلهفت القلوب الى اجتلائها ، فما كادت موجات الاثير تحمل فى صباح اليوم نبأ ما جادت به العناية الربانية على مليكنا المفدى ، وعلى مصر جمعاء ، حتى عم البشر أرجاء الوادى وعلا السرور وجوه الشعب ، واستبشروا خيرا بالمولود العظيم »(١١٠) . وأشارت فى العدد نفســه الى انعقاد مجلس الوزراء بهذه المناسبة ، وتوجه كبراء البلاد الى قصر عابدين لتسجيل التهنئة ، وكذلك توجه محررى (المقطم) وموظفيها الى القصر ايضا للتهنئة ، وتقديم « فروض الولاء لجلالة الملك المفدى » . وفى الحق ، ان الشعب لم يكن فى حال تمكنه من شعور الاستبشار والسرور ، كما تقول (المقطم) ، ففى نفس العدد الذى زفت فيه بشرى ميلاد الأمير الجديد ، تحدثت عن مواكب الجنازات التى خرجت فى القاهرة والزقازيق لتوديع الأبطال من شهداء مصر كما تواصلت اعتداءات الانجليز ومنها عدوانهم فى التل الكبير .

وجاء مقتل الراهبة الامريكية فى الاسماعيلية برصـــــاص الانجليز ، ليزيد من غضب (المقطم) التى قالت ، ان « دم الراهبة الشهيدة يستصرخ العالم من غظائع البريطانيين » . واوضحت ان هذا الحادث يوجب على الحكومة الأمريكية وسفيرها فى مصر « ان يعملا على استئصال اسبابه أى على اخراج دعاة الفتنة من القناة أولئك البريطانيين الذين يطلقون رصاصهم فى طيش وبغير تقدير للعواقب »(١١١) . ثم كان ذلك الاعتداء الخطـــــير على مدينـــة الاسماعيلية التى ارتكب الانجليز فيها مجزرة بشعة فى معركة غير متكافئة ، واستبسل فيها جنود البوليس المصرى وســـقط منهم شهداء عديدون ، فتقول (المقطم) : « ماذا دهى المستعمرين » حتى يرتكبوا هذه الاعتداءات المنكرة التى لا يقرها « قانون ولا عقل ولا انسانية »(١١٢) . وتحدثت عن ردود الفعل التى احدثتها معركة الاسماعيلية فى الداخل والخارج ، وقالت ان من الواجب

ان يقابل هذا العمل بمثله « بل من الواجب الا تدخر رصاصة او قنبلة الا صوبت الى صدور هؤلاء الطغاة الذين احتلوا مدننا ونبشوا قبورنا وانتهكوا حرماتنا وقتلوا شبابنا »(١١٣) . وتبع ذلك مباشرة ، ما شهده يوم ٢٦ يناير من حوادث مؤلمة ، ادت الى حريق العاصمة لم تشر (المقطم) اليها فى عددها الصادر فى اليوم نفسه ، وهى الحوادث التى بدات من صباح اليوم الى مسائه وكان اليوم التالى هو يوم الاحد حيث عطلتها الأسبوعية ، وظهرت يوم ٢٨ يناير لتحمل فى انبائها اصداء تاليف الوزارة الجديدة التى شكلها على ماهر بعد اقالة الوزارة النحاسية .

اما اهداف الحريق ، وهى التى تحققت بالفعل ، فيمكن ايجازها فيما يلى :

اولا : ضرب حكومة الوفد وايجاد المبرر لذلك ، الا وهو عدم قدرتها على السيطرة على الموقف ، وحماية ارواح او ممتلكات المصريين والأجانب ، وليس هناك سبب اقوى من ذلك لاقالة اية وزارة .

ثانيا : وهو الاهم اخماد الحركة الوطنية ضد القاعدة البريطانية فى منطقة القناة والتى تتمثل فى الكفاح المسلح من جانب الفدائيين المصريين ، وبمعنى آخر تصفية الحركة الوطنية المعادية للانجليز تماما وقد نجحوا فى ذلك(١١٤) .

هوامش الفصل السابع

(١) يونان لبيب ، تاريخ الوزارات المصرية ، ص ٤٩٢ .

(٢) طارق البشرى ، الحركة السياسية فى مصر ٤٥ — ١٩٥٢ ، ص ٢٨٩ . ٢٩٠ .

(٣) المقطم ٢٦ يوليو ١٩٤٩ .

(٤) المقطم ٢ اغسطس ١٩٤٩ .

(٥) المقطم ١٢ أغسطس ١٩٤٩ .

(٦) المقطم ١٥ أغسطس ١٩٤٩ .

(٧) المقطم ١٦ اغسطس ١٩٤٩ .

(٨) المقطم ٢٤ سبتمبر ١٩٤٩ .

(٩) المقطم ٤ نوفمبر ١٩٤٩ .

(١٠) المقطم ٥ نوفمبر ١٩٤٩ .

(١١) المقطم ٧ نوفمبر ١٩٤٩ .

(١٢) المقطم ٢٦ نوفمبر ١٩٤٩ .

(١٣) المقطم ٤ يناير ١٩٥٠ .

(١٤) المقطم ٥ يناير ١٩٥٠ .

(١٥) يونان لبيب ، تاريخ الوزارات المصرية ، ص ٥٠١ .

(١٦) المقطم ٦ يناير ١٩٥٠ .

(١٧) المقطم ١٤ يناير ١٩٥٠

(١٨) المقطم ٣٠ يناير ١٩٥٠ .
(١٩) المقطم ٧ فبراير ١٩٥٠ .
(٢٠) المقطم ١٥ فبراير ١٩٥٠ .
(٢١) المقطم ٢١ فبراير ١٩٥٠ .
(٢٢) المقطم ١٠ مارس ١٩٥٠ .
(٢٣) ابراهيم عامر ، ثورة مصر القومية ، دار النديم ، القاهرة ، ١٩٥٧ ، ص ٩٤ .
(٢٤) المقطم ١٢ ابريل ١٩٥٠ .
(٢٥) محمد زكى عبد القادر ، محنة الدستور ، ص ٨٤ .
(٢٦) المقطم ٦ مايو ١٩٥٠ .
(٢٧) المقطم ١٥ مايو ١٩٥٠ — انطون نجيب مطر .
(٢٨) المقطم ١٦ مايو ١٩٥٠ .
(٢٩) المقطم ١٧ مايو ١٩٥٠ .
(٣٠) المقطم ١٨ مايو ١٩٥٠ .
(٣١) المقطم ٣١ مايو ١٩٥٠ .
(٣٢) محمد حسين هيكل ، مذكرات فى السياسة المصرية ، الجزء الثالث ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٨ ، ص ١٩٦ ، ١٩٧ .
(٣٣) المقطم ٢٤ يونيو ١٩٥٠ .
(٣٤) عزة وهبى ، تجربة الديموقراطية الليبرالية فى مصر ، دراسة تحليلية لاخر برلمان مصرى قبل ثورة ١٩٥٢ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ، جامعة القاهرة ، ١٩٧٨ ، ص ١٣٠ .
(٣٥) يونان لبيب ، تاريخ الوزارات المصرية ، ص ٥٠٦ .
(٣٦) الاشتراكية ١٥ يونية ١٩٥٠ ، و ٦ يوليو ١٩٥٠ ، و ١١ اغسطس ١٩٥٠ ، و ٦ اكتوبر ١٩٥٠ ، و ١٧ نوفمبر ١٩٥٠ .
(٣٧) المقطم ٦ سبتمبر ١٩٥٠ .
(٣٨) احمد بهاء الدين ، فاروق ملكا ، كتاب روزاليوسف ، القاهرة ، ١٩٥٢ ، ص ٩٥ .
(٣٩) طارق البشرى ، الحركة السياسية فى مصر ، ص ٣١٧ ، ٣١٨ .
(٤٠) المقطم ١١ سبتمبر ١٩٥٠ .
(٤١) المقطم ٢١ سبتمبر ١٩٥٠ .

(٤٢) المقطم ١١ أكتوبر ١٩٥٠ .
(٤٣) المقطم ٢٩ مارس ١٩٥١ .

(٤٤) عندما ظهر اسم محمود حسنى العرابى فى المقطم تحت عمود « لو كنت مصريا » فى ٢١ ابريل ١٩٥٠ كان بالنمسا يبحث عن جنسيته المصرية التى سحبت منه عام ١٩٣٢ ، فقد عاش فى المنفى سنوات طوالا كتب خلالها تجربته ومعاناته بعيدا عن مصر ، فى كتاب بعنوان « ٨٩ شهرا فى المنفى » ، وذلك بعد أن هاجر من مصر هربا من ملاحقة البوليس له بعد اغلاق مجلة (روح العصر) فى عهد حكومة صدقى الاولى ، وكان أصحاب هذه المجلة ومحرروها : محمود حسنى العرابى وعصام الدين ناصف ود . عبد الفتاح القاضى ، من الشيوعيين المعروفين ، وان كان العرابى اعرقهم وأقدمهم فى شيوعيته . (الدكتور رفعت السعيد ، الصحافة اليسارية فى مصر — مجلة روح العصر ص ٣٤ — ٥٧) . وسألت الأستاذ ودبع فلسطين فى لقائى معه يوم ٢ مايو ١٩٨٠ لماذا (العرابى) فى (المقطم) وموقفها معروف من مهاجمة الشيوعية طوال مراحل حياتها ؟ فقال ان العرابى كان يعمل محررا فى قسم الشئون الخارجية الذى كنت أرأسه فى (المقطم) ويقدم موضوعات مترجمة عن الالمانية ، وكان قد تخلى تماما عن الشيوعية ، وانقطعت صلته بها ، وقد اختار عنوان (لو كنت مصريا) علّه بذلك يسترد جنسيته ، ثم كتبت فى المقطم اعرض مشكلته على فؤاد سراج الدين (المقطم ٢٨ يوليو ١٩٥٠) واستجاب سراج الدين واعيدت للعرابى جنسيته المصرية .

(٤٥) المقطم ٨ مارس ١٩٥١ .
(٤٦) المقطم ١٤ مارس ١٩٥١ .
(٤٧) المقطم ٢٧ مارس ١٩٥١ .
(٤٨) المقطم ٣ ابريل ١٩٥١ .
(٤٩) المقطم ٦ أبريل ١٩٥١ .
(٥٠) المقطم ٤ يونيو ١٩٥١ .
(٥١) المقطم ٢١ يونيو ١٩٥١ .
(٥٢) المقطم ٤ يونيو ١٩٥١ .
(٥٣) المقطم ١١ يونيو ١٩٥١ — أنطون نجيب مطر .
(٥٤) المقطم ٣٠ يوليو ١٩٥١ .
(٥٥) محمد زكى عبد القادر ، محنة الدستور ، ص ٨٩ .
(٥٦) المقطم ٣ أغسطس ١٩٥١ .

(٥٧) المقطم ١٥ أغسطس ١٩٥١

(٥٨) Issawi, Charles, Egypt at Mid-Century, Op. Cit P. 265

(٥٩) أحمد حسين ، قضية التحريض على حرق مدينة القاهرة ومقدمات ثورة ٢٣ يوليو ، القاهرة ، ١٩٥٧ ، ص ٩٢ .

(٦٠) أحمد حسين ، قضية التحريض ، ص ١٥٣ .

(٦١) أحمد بهاء الدين ، فاروق ملكا ، ص ١٠٣ و ١٠٤ .

(٦٢) المقطم ٢ يونيو ١٩٥٠ .

(٦٣) المقطم ٥ يونيو ١٩٥٠ .

(٦٤) المقطم ٩ يونيو ١٩٥٠ .

(٦٥) المقطم ٣ يوليو ١٩٥٠ .

(٦٦) المقطم ١٢ يوليو ١٩٥٠ .

(٦٧) المقطم ١٣ يوليو ١٩٥٠ .

(٦٨) المقطم ١٤ سبتمبر ١٩٥٠ .

(٦٩) المقطم ١٧ سبتمبر ١٩٥٠ — وديع فلسطين .

(٧٠) المقطم ١٨ سبتمبر ١٩٥٠ — وديع فلسطين .

(٧١) المقطم ١ نوفمبر ١٩٥٠ — وديع فلسطين .

(٧٢) المقطم ١٠ نوفمبر ١٩٥٠ .

(٧٣) المقطم ١٣ أبريل ١٩٥١ .

(٧٤) المقطم ١٤ ابريل ١٩٥١ .

(٧٥) المقطم ١٧ ابريل ١٩٥١ .

(٧٦) المقطم ٢٣ ابريل ١٩٥١ .

(٧٧) المقطم ٢٥ ابريل ١٩٥١ .

(٧٨) المقطم ٩ مايو ١٩٥١ .

(٧٩) المقطم ١١ يونيو ١٩٥١ .

(٨٠) المقطم ٧ يوليو ١٩٥١ .

(٨١) المقطم ٩ أكتوبر ١٩٥١

(٨٢) عزة وهبى ، تجربة الديمقراطية الليبرالية فى مصر ، ص ٢٩٢ ، ٢٩٣ .

(٨٣) المقطم ١٠ أكتوبر ١٩٥١ — وديع فلسطين .

(٨٤) المقطم ١١ اكتوبر ١٩٥١ .

(٨٥) المقطم ١٥ أكتوبر ١٩٥١ .

(٨٦) عبد الرحمن الرافعي ، مقدمات ثورة يوليو ١٩٥٢ ، مكتبة النهضـــة المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٤ ، ص ٢٩ ، ٣٨ .

(٨٧) المقطم ١٦ أكتوبر ١٩٥١ .

(٨٨) المقدام ١٧ أكتوبر ١٩٥١ .

(٨٩) المقطم ١٩ أكتوبر ١٩٥١ .

(٩٠) المقطم ٢٠ اكتوبر ١٦٥١ .

(٩١) المقطم ٢٢ أكتوبر ١٩٥١ .

(٩٢) المقطم ٢٣ أكتوبر ١٩٥١ .

(٩٣) المقطم ٣٠ أكتوبر ١٩٥١ .

(٩٤) المقطم ١ نوفمبر ١٩٥١ .

(٩٥) المقطم ٢ نوفمبر ١٩٥١ .

(٩٦) المتطم ٥ نوفمبر ١٩٥١ .

(٩٧) المقطم ٧ نوفمبر ١٩٥١ .

(٩٨) المقطم ٨ نوفمبر ١٩٥١ .

(٩٩) المقطم ١٤ نوفمبر ١٩٥١ .

(١٠٠) المقطم ٤ ديسـمبر ١٩٥١ .

(١٠١) المقطم ٥ ديسـمبر ١٩٥١ .

(١٠٢) المقطم ٨ ديسـمبر ١٩٥١ .

(١٠٣) المقطم ١ بناير ١٩٥٢ .

(١٠٤) المقدلم ١١ يناير ١٩٥٢ .

(١٠٥) المقطم ٣ بناير ١٩٥٢ .

(١٠٦) محمد ابيس ، حريق القاهرة ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٧٢ ، ص ٢٠ .

(١٠٧) عبد الرحمن الرافعي ، مقدمات ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، ص ٧٦ .

(١٠٨) محمد انيس ، حريق القاهرة ، ص ٢٢ — ٢٣ .

(١٠٩) المقطم ٨ يناير ١٩٥٢ .

(١١٠) المقطم ١٦ يناير ١٩٥٢ .

(١١١) المقطم ٢٢ يناير ١٩٥٢ .

(١١٢) المقطم ٢٥ يناير ١٩٥٢ .

(١١٣) المقطم ٢٦ يناير ١٩٥٢ .

(١١٤) محمد انيس ، حريق القاهرة ، ص ٥٢ .

الفصل الثامن

المقطم وثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢

وزارات القصـــر :

شهدت الفترة القصيرة التى تلت اقالة الوزارة الوفدية اربع وزارات تكونت من المستقلين ، أو من المعروفين بأنهم من رجال القصر(١) . وعرفت هذه الفترة ما سمى بأزمة الحكم حتى زول الجيش فى يوليو ١٩٥٢ ، فمن الواضح أن الموقف منذ حريق القاهرة كان يتحكم فيه عاملان ، العامل الأول : العزلة بين الشـــعب والســـراى ، ونظرة القوى الوطنية الى حريق القاهرة على انه كان ضد الثورة لتصفيتها ، العامل الثانى : كان محاولة القصر أن يضع الحكم فى يده بشكل مباشر ، لذلك فقد كان من الطبيعى أن تشكل الوزارات التابعة مباشرة للقصر ، وأن تسقط واحد وراء الأخرى فى هذه الفترة القصيرة لعجزها عن مواجهة الموقف ، وجاءت وزارة على ماهر بعد نصف ساعة من اقالة وزارة الوفد ، معدة أسماء الوزراء ، وهو دليل آخر على أن النية كانت مبيتة لهذا الانقلاب(٢) .

وقد تمنت (المقطم) التوفيق لوزارة على ماهر « فى حل المشكلات التى تواجهها البلاد فى الداخل وفى الخارج ، واهمها تسوية العلاقات الخارجية وتحقيق امانينا القومية .. واقرار الأمن والنظام وسيادة القانون واحترامه ، حتى يطمئن الناس وتستقر

الأمور » و« القضاء على أسباب الفتنة والغاء قوانين الطوارىء حتى تسير البلاد فى طريقها الطبيعى معتزة بأمنها وسلامها ..

واذا كانت وزارة الوفد الماضية فوجئت فى المدة الأخيرة بحوادث مؤلمة حولت الأمور عن مجراها الطبيعى ، فالأمل وطيد فى أن تتمكن الوزارة الجديدة من معالجة الأمور واعادة الحياة فى مصر الى مجراها الطبيعى بعدما لقيت تأييدا اجماعيا من الأحزاب والهيئات ، ومن مجلسى البرلمان امس ، مما يشهد بنضـــوج البلاد السياسى ووعيها القومى ، وايثار المصلحة العامة للبلاد على ما سواها من الاعتبارات الأخرى »(٣) . « ولعل سرعة التأييد أقنعت الانجليز بأن الأمة المصرية متكاتفة متحدة ، ولا سبيل الى البحث عن ثغرات لينفذوا منها لتحقيق اطماعهم »(٤) .

وشاركت (المقطم) فى استنكار ما (روعت مصر) به من « الحوادث المؤسفة التى وقعت فيها التى اجمع رجال الحكم والشعب معا على استنكارها لانها موجهة الى قلب مصر لا لسواها والى امنها ونظامها ، وهما غاية ما تفاخر به مصر فى المجالس الدولية » . واشادت بمهمة وزير الداخلية الجديد (احمد مرتضى المراغى) الذى كان معروفا بصلته الوثيقة بالقصر ، وقالت ان اختياره لهذه الوزارة بالذات كان « اختيارا موفقا ســـــتظهر آثاره فى القريب العاجل مع ثقل التبعات الملقاة على عاتقه فى هذه الظروف العصيبة التى بدأت غمتها تنقشع رويدا رويدا »(٥) .

وقالت (المقطم) ان « مما يثلج الصدور أن يتواضع أعضاء الوزارة الماهرية ، ويعلنوا ان سياستهم استمرار لسياسة اسلافهم وانهم مؤمنون ببرامجهم الاصـــــلاحية وياخـــــذوا على عاتقهم تنفيذها »(٦) . فقد قرر على ماهر أن يبدأ حكمه بمهادنة حـــزب الوفد ، كان الوفد صاحب الغالبية فى البرلمان ، وكان الشعب

متحمسا لالغاء المعاهدة ، وأراد على ماهر ان يبدأ المفاوضات وظهره محمى ببرلمان الوفد ، وقد توجه لزيارة مصطفى النحاس فى منزله فى صباح اليوم التالى لتوليه الوزارة(٧) .

ثم تحدثت الصحيفة عن حوادث حريق القاهرة بشكل مباشر، وقد وصفتها (بكوارث السبت) التى كانت « عارا وسبة فى جبين مصر وأساءت الى البلاد والى كرامتها ومنزلتها الدولية اساءة ليس من الهين محوها » . وطالبت باتخاذ عدد من الاجراءات لمعاقبة المتورطين فى ارتكاب الحوادث والمقصرين ازاءها ، واصلاح ما نتج عنها من اضرار ، وبذلك « يدرك العالم أن حكومة مصر جادة وان شعب مصر جاد وأن كل عابث يحق عليه العقاب السريع ، وان القاهرة آمنة تماما لجميع سكانها من مصريين واجانب »(٨) . وقالت ، ان الذين « قاموا بهذا العمل ينتمون الى ثلاث فئات : فمن متطرفين يؤمنون بالعنف ، ومن جائعين يغلى الحقد فى نفوسهم على كل مظهر من مظاهر الترف ، ومن لصوص وعابثين بالأمن ، وهذه الفئات الثلاث تستطيع الحكومة ان تقضى عليها حتى لا يتكرر حادث حرق القاهرة بعد سنين تقل أو تكثر »(٩) .

وعلقت (المقطم) على بيان على ماهر حول المفاوضات التى سيجريها مع السفير البريطانى قائلة : ان واجبنا « أن نخلد الى الهدوء والسكون والتعاون مع رئيس الوزارة ، وأن نشد أزره ونحمى ظهره فيما هو مقدم عليه من مواجهة الغاصب لحقوق مصر »(١٠) . أما الجانب البريطانى ، فان ما يجب عليه أن يعرفه عن الموقف الحالى فى مصر ، هو أن الشعب المصرى أبدى تسامحا كبيرا فى سبيل النكوص عن الطريق الذى كان سائرا فيه(١١) .

وكان على ماهر مؤمنا بأن مفاوضاته مع السفير البريطانى ستنتهى الى النجاح ، وحدد موعدا لمقابلة السفير البريطانى فى

الساعة التاسعة من صباح السبت ٢٩ فبراير ، فى دار وزارة الخارجية لبدء المفاوضات ، واتصل القصر بالسفارة البريطانية ، وابلغها ان فاروق قرر تغيير وزارة على ماهر ، وطلب من السفير البريطانى ان يعتذر عن عدم الوفاء بموعده مع على ماهر ، وكان على ماهر لا يدرى شيئا وكان لا يعلم أن اتصالات جرت فعلا من وراء ظهره مع نجيب الهلالى ، لكى يؤلف الوزارة خلال أسبوع على الأكثر ، فقد بدأ الاتصال الايجابى مع الهلالى يوم السبت ٢١ فبراير ، وبدأ الهلالى يتشاور سرا مع مرشحيه للوزارة(١٢) .

وزارة الهلالى :

شكل احمد نجيب الهلالى وزارة ملكية (صرفا) ليس لها ظل من التميز عن السراى واكد هذا المعنى ما كان يطلقه رئيسها فى كل مناسبة من عبارات التأليه للملك ، كما ظهر أنها أتت لتصفية الوفد ، وتصفيته لحساب الملك(١٣) واعلن الهلالى عن برنامجه الذى تضمن اتهامات لوزارة النحاس من ناحية نزاهة الحكم أكثر مما تضمن برنامجا وزاريا ، وهو البرنامج الذى عرف بالتطهير ، وكان المقصود به الوفد ، وافتتح الهلالى حكمه بتأجيل اجتماع مجلس النواب وتعطيل الدراسة فى جامعة القاهرة وجميع المدارس الاخرى وبحملة واسعة النطاق من الاعتقالات ، وبذلك وصل الارهاب اشده فى عهد وزارة الهلالى (١٤).

وقد رحبت (المقطم) بهذه الوزارة كعادتها وهى تستقبل كل وزارة جديدة ، بقولها ان وطنية الهلالى « لا يرقى اليها الشك ، وتاريخه الوطنى يؤيد هذا الذى ذهبنا اليه فيجب أن تسنده الامة وتؤازره على تحقيق الاهداف الوطنية والاصلاحات الداخلية »(١٥) . ولكنها اشارت الى القلق الداخلى فى مصر الذى يعود الى ان « الوزراء يفاجاون بدخولهم الوزارة ويفاجاون أحيانا بخروجهم منها

فلا يتمكنون من اعداد برامج قبل الاشتراك فى الحكم ، ولا يتمكنون من تنفيذ برامجهم قبل تركهم مناصبهم »(١٦) .

وقالت (المقطم) ان اى مفاوضـــات تجريها الحكومة مع البريطانيين ، يجب أن يكون الغرض منها « معرفة ما عند بريطانيا من مقترحات جديدة ، فاذا كانت مقترحات جديدة درست ، أما اذا لم تكن هناك عروض جديدة فان الساقية تدور من جديد ، ويبدو أن الشعب المصرى ليس مستعدا لأن يسمح لهذه الساقية بأن تتابع اللف من غير جدوى »(١٧) . وأشـــارت لتمثر المحادثات التمهيدية بين الهلالى والسفير البريطانى ، وتحدثت عن الوساطة التى يقوم بها السفير الأمريكى (كافرى) بين حكومتى مصر وبريطانيا قائلة انه اذا ما اراد لمساعيه « أن تكلل بالنجاح ، فعليه أن يدرك الزاوية التى تنظر منها مصر عندما تتحدث عن قضيتها الوطنية»(١٨). وقالت ان « السياسة الانجليزية أصبحت فى حاجة الى مزيد من الفطنة والذكاء لتعرف كيف تحترم مصالح الشعوب »(١٩) .

وكتب رئيس التحرير مقالا يحذر فيه من خطورة الاستمرار فى الدوران فى حلقة مفرغة ، قال فيه : « ان مصر الصابرة تقول اليوم للانجليز (كفى مرمطة) فقد أتخمنا وعودا وشبعنا تحايلا ، ونفد منا الصبر ولم تعد تحتمل أعصابنا الأناة . ان مصر الصابرة تقول لرئيس وزرائها الذى تعرف وطنيته وتقدر اخلاصه لمصريته . اننى من ورائك كالبنيان المرصوص » « فاخرج من طريق الحلقة المفرغة وسر بنا فى طريق مستقيم غير طريقها وحطم اغلالنا واطلق قيودنا .. أن مصر تنتظر كلمتك فمتى تنطق بها ؟ »(١٢٠) . وكتب أيضا يخاطب الهلالى ، بأسلوب غلبت عليه الحدة والحماسة لم تعرفه (المقطم) من قبل فى مخاطبة رؤساء الوزارات ، يطالبه فيه بأن « يظل كما عرفناه وعهدناه خادما أمينا للشعب . ساعيا اليه ملبيا رغباته . مستجيبا لأمانيه ، مستهديا بما يوحى به اليه

ضميره فى العمل لخيره وتخفيف آلامه ، نحن نطالبه أن يجوع هو ليشبع الشعب وأن يوفر له لقمة سائغة وحياة كريمة » « نحن نطالبه بأن يطلق حرية الفكر والرأى من عقالها » « نحن نطالبه بأن يفتح ابواب المعتقلات .. نحن نطالبه بأن يقاوم الشيوعية الهدامة المخربة بتنفيذ سياسة اشتراكية عادلة .. نحن نطالبه بالا تشغله السياسة عن مسئوليته الخطيرة وواجبه الدقيق من شتى النواحى الاجتماعية والعمرانية والثقافية والاقتصادية والصناعية والزراعية قبل هذا الشعب المجهد المضنى المتعب ، الذى بدأ يحس بنفسه ويرى موضع قدمه ، ويكتمل وعيه وتتفتح عيونه ، كما بدأ يضيق ذرعا بحاله ويكبت عذاباته وآلامه ، متوكلا على خالقه منتظرا ساعة الفرج من ضيقه . فان اقدمت نجا ونجت البلاد من آثار كبته ، وان استأخرت ضاع الحرث والنسل . وعندها سوف نندم »(٢١) .

ولكن (المقطم) ثمنت دعوة الحكومة المصرية للزعيم السودانى المهدى باشا لزيارة مصر ، والتباحث حول السودان ، واعتبرتها « خطوة بارعة لا ريب فيها . فحتى اليوم كانت مصر على اتصال بالسودانيين الذين يعتنقون مذهب الوحدة ، ولكنها تجنبت بل لعلها خاصمت السودانيين الذين يطلبون استقلالا حتى عن مصر .. فالخطوة الجديدة التى خطاها الهلالى باشا انما تعد تصحيحا لأوضاع خاطئة تورطت فيها مصر عن غير كياسة او فطنة وتعد فى الوقت عينه املا جديدا يضىء مشكلة السودان المعقدة »(٢٢) . ورحبت « بزيارة التفاهم وتوثيق عرى المودة بين أبناء الوطن الواحد»(٢٣) . وقالت ان « مجرد قبول المهدى باشا لدعوة الحكومة المصرية وايفاده وفدا من كبار رجاله ، هو دليل اصدق دليل على انه لا خلاف ولا شقاق ولا نزاع بل لا سوء فهم بين جنوب الوادى وشماله »(٢٢) . وقالت (المقطم) ان افضل انجاز لوزارة الهلالى

عندما غادرت الحكم هو فتح باب التفاهم مع أنصار المهدى فى السودان(٢٥) .

ولكن الصحيفة ، لم تدل بدلوها فى لعبة الحكم التى يمسك باطرافها القصر ، وهو يقوم بعملية تغيير الوزارات ، ولم تتطرق لأسباب استقالة وزارة الهلالى التى عاشت ثلاثة أشهر لم ينجح خلالها فى سياسة التطهير التى وقف رجال الحاشية فى سبيلها ونجحوا أخيرا بتصوير الموقف للملك على أن سير الوزارة فى طريق التطهير سيؤدى فى النهاية الى وصـــــول يد التطهير الى بعض موظفى القصر ذاته(٢٦) . وراجت فى ذلك الوقت قصة المليون جنيه ، وهى ان المليونير احمد عبود على استعداد لأن يدفع لفاروق وحاشيته مليونا من الجنيهات فى مقابل اخراج نجيب الهلالى من الحكم ، وروى الهلالى القصة لبعض وزرائه ثم استقر رأيه على أن يقدم استقالته(٢٧) .

وزارة حســـــين ســـــرى :

شكل حسين سرى وزارته التى ضمت عددا من كبار رجال القانون من المحامين والقضاة ، ومن رجال فنيين لم يشتغل معظمهم من قبل بالسياسة . ولكن لم يلفت الأنظار من أسماء الوزراء الا اسم كريم ثابت الذى غطى تعيينه وزيرا على كل شىء باعتباره من حاشية الملك ، ولما يحوط اسمه وشخصيته لدى الجماهير من مشاعر البغضاء(٢٨) . ولكن (المقطم) بحكم الصلة القديمة مع كريم ثابت الذى أمضى سنوات طويلة من حياته الصحفية فيها ، اعتبرت دخوله الوزارة بمثابة فوز وظفر ، ففى « هذا الظفر اكتمال لناحية نعتقد انها طالما اعوزت هيئة كل وزارة فيما مضى ، حتى تكون السلطة الرابعة ممثلة الى جانب السلطات الثلاث التشريعية والقضائية والتنفيذية ، فالصحافة من هذه الناحية تعد كذلك أنها

ظفرت بالمقام اللائق بها فتعيين معالى كريم ثابت باشا وزير دولة فى هذه الوزارة تقدير للصحافة واعتراف بجلالها وخطرها ، وما غدت تؤدى للبلاد من توجيه تارة فى صورة نقد ، وأخرى فى صورة اطراء وثناء » . واشارت لموهبته وخبرته الطويلة فى الصحافة وتدرجه فى مناصبها واجادته كل ما « أسند اليه من أعمال فى لباقة وحزم ، حتى وقع عليه اختيار جـــلالة مولانا الملك المعظم ليكون مستشارا لشئون الصحافة بديوان جلالة الملك ، فاظهر من المقدرة والنبوغ والولاء ما جعله موضع الرضاء السامى »(٢٩) .

ولم تعمر الوزارة (السرية) الأخيرة أكثر من عشرين يوما ، تفجرت خلالها أزمة الجيش بحل مجلس ادارة نادى الضباط ، الذى كان قد تم انتخابه برئاسة محمد نجيب تحديا لارادة القصر . وكان هذا التصرف بمثابة اشارة البدء لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢(٣٠) .

وزارة الهـــلالى الثـانية :

عاد الهلالى ثانية ليرأس الوزارة بعد استقالة حسين سرى ، وقد تسلم وزارة الحربية فيها اسماعيل شيرين زوج شقيقة الملك ، وكان تعيينه وزيرا للحربية مظهرا لتمادى الملك فى امتهان كرامة الجيش ، ولكن الجيش عاجل هذه الوزارة بثورته فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، فأطاح بها قبل مضى ثمانى عشـــرة ســـــاعة على تشكيلها »(٣١) وكانت (المقطم) قد أشـــــارت الى خطورة هذه التغييرات والتقلبات السريعة على مصالح البلاد ومرافقها التى تتطلب خططا ومشروعات مستقرة(٣٢) .

ثـــورة ٢٣ يوليـــو :

قاد ثورة الجيش ضد فاروق ، تنظيم الضباط الأحرار من شباب الضباط الذين التحق معظمهم بالكلية الحربية ، بعد توقيع

معاهدة ١٩٣٦ ، ووصول الوفد الى السلطة فى العام نفسه . فقد كانت الوظيفة فى الجيش حتى ذلك التاريخ مقصورة على افراد الطبقة الأرستقراطية ذات الأصول التركية غالبا . ولكن الوفد فتح ابواب الكلية امام الشباب المصرى بصرف النظر عن المكانة العائلية أو الطبقة الاجتماعية او الوضع الاقتصادى . ومن بين الأحد عشر عضوا الذين شكلوا الهيئة التأسيسية للضباط الأحرار ، كان هناك ثمانية أعضاء ممن دخلوا الكلية عام ١٩٣٦ (٣٣) .

وقد أسهمت أحداث حرب فلسطين والهزيمة العسكرية فى اشعال روح الثورة فى صفوف الجيش ، فلما عاد الجيش المصرى من فلسطين ، وكان ضباطه وجنوده قد امتلأت نفوسهم بالمرارة تلقفتهم السلطة الحاكمة بالتفريق والتشتيت والاعتقال ، ولكن النتيجة الحاسمة التى خرج بها ضباط الجيش الصغار من حرب فلسطين ، كانت ضرورة تطهير الجيش من عناصر الخيانة ثم اعادة تنظيمه ، وما أسرع ما ربطوا بين ضرورة ذلك وضرورة تطهير البلاد من الطغيان والفساد ، وكان ذلك يعنى الالتحام التام بين الجيش والحركة الوطنية . واثر ذلك اعيد تنظيم « الضباط الأحرار » ، ذلك التنظيم الذى أخذ فى النمو ليكون طليعة الجيش المصرى الوطنى والقوة الضاربة التى انفصلت عن السلطة الحاكمة، فكان القوة الوحيدة القادرة على المبادرة والحركة لحماية ثورة الشعب بسبب فشل كافة المنظمات الوطنية فى القيام بهذا الدور(٣٤) .

وقد اتبع الضباط الأحرار طريقة طبع المنشورات وتوزيعها منذ عام ١٩٤٥ ، حتى قيام الثورة ، ولم تكن المنشورات ترسل الى العسكريين فحسب ، بل كان يتسلمها الكثيرون من المدنيين المعروفين بآرائهم الحرة وميولهم الاصلاحية وسخطهم على الأوضاع

القائمة . وكان اول منشور بعنوان « نداء وتحذير » واشتمل على المبادىء التى عملت الحركة على تحقيق الكثير منها . وقد لعبت هذه المنشورات دورا بالغ الاهمية والخطورة ، اذ عملت على نشر الدعوة فى الجيش وتجميع السخط حول أهداف معينة ، كما اثارت اهتمام وتأييد الكثيرين من غير العسكريين ، وأكثر من هذا .. لقد كان اصحابها يبعثون الى ذوى السلطان يطالعونهم عن طريقها بآلام الشعب والجيش ، ويحذرونهم عاقبة الطريق الذى ينحدرون اليه . وامتازت المنشورات بصفات الجراة والصراحة فى القول والراى ، وكلما زاد الطغيان والفساد امعانا فى الاستهتار زادت تلك الصفات بروزا ، ولم تكن المنشورات تصدر بصورة منتظمة ، وانما كان صدورها حسب المناسبات التى تشغل الأذهان(٣٥) .

وكان قيام الثورة فى ٢٣ يوليو ، موضوع مانشيت (المقطم) فى عدد اليوم نفسه ، وجاء فيه « استيلاء الجيش على مداخل القاهرة ، الجيش يطلب تنفيذ احكام الدستور تنفيذا صحيحا وابعاد الوسطاء والمرتشين ولا يقبل حلا وسطا » ، كما نشـــــرت البيان الأول الذى اذيع فى الصباح بتوقيع القائد العام محمد نجيب ، أما الخبر الذى نشرته عن الحدث فقد قالت فيه : « فوجىء اهل القاهرة صباح اليوم بحركة غير عادية فى الجيش ، وقد بدات مظاهر هذه الحركة بزحف قوات جديدة من ثكنات الجيش على مداخل القاهرة واحتلتها جميعا ، ثم انتشرت وحدات من هذه القوات فى بعض انحاء المدينة ، وحلقت اسراب من طائرات سلاح الطيران فى الجو تلقى بعض المنشورات على الناس ، وقد احتلت هذه القوات الاذاعة اللاسلكية .. وقد أثارت هذه الحركة شائعات أكثرها غير صحيح، وقد اشيع عن وجود بعض الحركات فى الاسكندرية واغتيال بعض الاشخاص . وقد تحرينا هذه الاشاعات ، فعلمنا انها غير صحيحة اطلاقا ، وان الحالة فى الاسكندرية هادئة وعادية . وقد احيطت

وزارة الحربية والبحرية بقوات من الجيش ، منعت الدخول الى دار الوزارة لغير الموظفين ، اما سائر الوزارات فالحركة فيها عادية .. وقد جال فى انحاء العاصمة قبل ظهر اليوم سعادة اللواء محمد نجيب بك راكبا سيارة حربية يتبعها سيارات تقل عددا من ضباط الجيش ، لتفقد حالة الامن »(٣٦) .

واعربت (المقطم) عن الرغبة فى تحقيق الاستقرار الداخلى الذى « صار امنية لنا ، فهل يكون امنية بعيـــدة التحقيق او اننا سنخطو خطوات جدية لتحقيقهـــا »(٣٧) . وقالت « ان جميع الاحداث التى تتابعت فى مصر فى السنوات الاربع الأخيرة ، تنبع جميعا من الفضائح التى اسفرت عنها معركة فلسطين ، تلك الفضائح التى اثير امرها فى البرلمان ، ثم فى دور القضاء ، ولاتزال منظورة امام المحاكم حتى اليوم . فان انتهاز فرصة هذه الحرب للاثراء وتحقيق الأوطار الخاصة ، وللكسب المعجل على اشلاء الضحايا من الجنود المصريين ، كان ذروة ما بلغه الفساد فى الجهاز الحكومى المصرى ، مما ايقظ الضـــمائر النائمة ونبهها الى ان الحاجة الى الاصلاح واجبة .. ولكن اصوات النذير لم تصب آذانا صاغية .. فأمعنت الاداة الحكومية فى عبثها واهمالها .. واليوم نسمع من جديد الأصوات تنادى : هيا الى التطهير الجاد السريع ، وخلصوا مصر من افعى الفساد وسمومها ، وليس هناك من لا يؤيد هذه الأصوات ، ويرجو ان تحقق الاصلاح والاصلاح فى اقصر وقت واقربه »(٣٨) .

وهذا يعنى بداية تجاوب الصحيفة مع العهد الجديد الذى تتضح ملامحه بشكل تدريجى ، وقد اشـــارت الى البرقيات التى تتوالى على اللواء محمد نجيب من جميع انحاء المملكة معبرة « عن الشعور العام بالترحيب بهذه الحركة وتبريكها وتأييد قائدها فيما

هو بسبيله من اصلاح وتطهير » . كما أشارت الى ان اللواء محمد نجيب يواصل « ليله بنهاره فى العمل بمقر رئاسة الجيش يرسم خططه الحكيمة ويسهر على تنفيذها هو ومعاونوه من ضباط الجيش وممثلى أسلحته بجميع انواعها ولا يناموون الا غرارا ولا يفادرون مكاتبهم »(٣٩) .

وتحدثت الصحيفة عن التفاؤل والاطمئنان اللذين استقبل بهما الشعب تسلم على ماهر مهام رئاسة الوزارة « فرفعته معروفة بحزمه وحسن تدبيره وسرعة تصريف الأمور بحكمة .. ولهذا لم يكن من العجيب أن يجمع الناس على أنه رجل الساعة فى هذه المرحلة العصيبة من تاريخ مصر »(٤٠) . ونشرت « وثائق » تنازل فاروق عن العرش . وكان هذا التنازل خاتمة عهد وبداية عهد آخر، فى الأسلوب الذى كانت تستخدمه (المقطم) فى احاديثها عن الملك وصاحب العرش ، وكان المقال الاول عن فساد العهد السابق ، تحت عنوان « كابوس وذئاب بشرية » كتبه رئيس التحرير انطون نجيب مطر وقال فيه : « انتهى بانتهاء عهد الملك فاروق الأول عهد اسود حالك السواد رعته طغمة من المفسدين النهازين للفرص وسبح فيه الشعب الذى لم يكن ملكا الا به . عذابات وآلاما جساما » ، هذا الملك « ومن ورائه هذه الطغمة الفاسدة المفسدة سدروا فى غلوائهم وأمعنوا فى ضلالهم . وزادوا الشعب احتقارا وتنكيلا واستهانة بأمره ، وهب رجل من صميم الشعب ومن ورائه جيش باسل تحوطهم قلوب الشعب المضنى ليضعوا حدا لاذلاله . ويقضوا على عهد اقل ما يوصف به انه عهد الفساد والرشوة والنهب والسلب وازهاق الارواح البريئة والاعتداء على الكرامات ، والسطو على الأعراض »(٤١) .

وشاركت (المقطم) فى الحملة على الملك السابق وما كان يتقاضاه من الرشوة والسمسرة(٤٢) . وهاجمت الحاشية التى كان كل همها « بيع البلاد بأبخس الأثمان لقاء قروش معدودة او جريا وراء نزوات حقيرة تشين صاحبها وتصمه بالخزى والعار »(٤٣) .

واعلنت الصحيفة تأييدها لكافة خطوات الثورة ، ومنها الغاء الرتب والألقاب ،وقالت ان ذلك « يقتضى الغاء عقلية الاقطاع التى خلقت الرتب والألقاب ،و قسمت الناس الى سادة وعبيد وانشأت عداوة الطبقات واشاعت حياة الترف بين قلة ونشرت حياة الفاقة بين الكثرة الغالبة »(٤٤) . وعلقت على بيان القائد العام للقوات المسلحة حول تطهير الأحزاب بقولها : « ولسنا نعرف برنامجا اقوى وافضل مما وضعه رجال الجيش فى مرحلة الانتقال الحالية ، فمطالبه اليوم هى مطالب الأمة كلها »(٤٥) .و اوضحت انه لأول مرة « فى تاريخ مصر الحديث تحترم مشيئة الشعب وارادته احتراما لا يعلى عليه ،و يعمل الحكام على الاستجابة لهذه المشيئة فى كل خطوة من خطاهم »(٤٦) . وقالت ، أن التطهير يجب ان يكون شاملا فلا يقتصر على باب واحد من أبواب الاثراء ، وان يكون سريعا وأن يمتد الى اولئك الذين هربوا قبل أن تنالهم يد العقاب ، وأن تتولى عملية التطهير الهيئات القضائية ، سواء فى داخل الأحزاب السياسية او الوظائف الحكومية(٤٧) .

وتابعت (المقطم) بشكل مستمر ، نشر التصريحات والأحاديث التى كان محمد نجيب يدلى بها للصحافة الأجنبية ، وقد خصته (المقطم) بالمزيد من الاعجاب والثناء عليه ، ومن ذلك قولها : « رعى الله البطل الباسل محمد نجيب ، ماذا كانت تكون حالنا لو لم يظهر »(٤٨) . وخاطبت رجال الأحزاب بحدة متناهية طالبة منهم ان « يجعلوا من انفسهم قضاة عادلين ، فان وجد بينهم من ارتدى

مسوح الذئاب أو تاجر فى نفوذه ، فعليه أن يحسم الموقف وينزوى فى سلام ، فاذا أصروا على البقاء فى حلبة السياسة وفرض أنفسهم على أحزابهم فرضا ، فلا يلومن الا أنفسهم »(٤٩) ، مؤكدة أن العهد الجديد « انما يسعى لازالة الفوارق بين الطبقات ، فيعمل لامتصاص الدخول الضخمة بالضرائب التصاعدية وتحديد الملكيات » . وبذلك يطمئن كل فرد من ابناء الشعب الى المستقبل ويوقن « ان حقه محفوظ وقادم اليه عن طريق ادائه لعمله لا عن طريق الزلفى والمحسوبية »(٥٠) .

واعلنت (المقطم) ان لا علاقة لها بكريم ثابت رئيس تحريرها السابق ،و ذلك فى مواجهة الحملة التى يتعرض لها رجال الحاشية والمسئولون عن الفساد فى عهد فاورق ، مبينة أنه قد « استقال من رئاسة تحرير الجريدة فى ١٩ يوليو سنة ١٩٤٩ ، وباع حصته فيها للمرحوم الدكتور فارس نمر قبل ذلك بسنة ، ومن ذلك الحين انقطعت صلته بالجريدة انقطاعا تاما ولم تعد له بالتحرير او الملكية علاقة ما اطلاقا »(٥١) .

وكررت هذا الاعلان فى العدد التالى ولكنها حاولت الدفاع عن كريم ثابت بطريق غير مباشر ، فى معرض تحميلها للوزراء السابقين مسئولية الاعتداء على الدستور الى جانب الملك الذى دفع ثمن أخطائه غاليا ، « أما رجال الحاشية من كان له صفة رسمية أو صفة غير رسمية ، فانهم من حيث نصوص الدستور لا وجود لهم وما كان ينبغى للوزراء المسئولين ان يقيموا وزنا سياسيا لأحد من هؤلاء ، لأن الاتصال بين رئيس الوزراء والملك يجب أن يكون اتصالا مباشرا لا يقف فى سبيله ولا حتى رئيس الديوان . وما ينبغى ان يكون هناك حجاب بين الملك ووزيره الأول ، ولا ينبغى لكرامة الوزراء أن يحنوا رؤوسهم امام الرسل الذين كانوا يوفدون

أليهم ومنهم من لا يدرى فى السياسة شيئا بل منهم من ارتفع فجأة من الحضيض الى القمة »(٥٢) .

وقد واصلت (المقطم) اهتمامها بالاجراءات والمشروعات التى دأب العهد الجديد منذ قيام حركة الجيش على تقديمها للجماهير ومنها مشروع تحديد الملكية الزراعية الذى رحبت به ، وقالت انه « ليس اغتصابا ولا تشفيا فى اصحاب الأرض ولكنه مشروع يراد به تحقيق ضرب من ضروب العدالة الاجتماعية ، كما انه يتجه الى فتح أبواب جديدة لاستثمار الأموال »(٥٣) . وتدل الظروف والملابسات على ان تباطؤ وزارة على ماهر فى اصدار قانون الاصلاح الزراعى ، كان من اهم اسباب استقالته ، وان معارضة الأحزاب السياسية للتطهير ومعارضة كبار الملاك لمشروع قانون الاصلاح الزراعى ، قد اخذت تشتد وتتبلور مما عجل بالثورة أن تتولى الأمر بنفسها ، لأنها رأت أن على ماهر يبدى عطفا كبيرا على كبار الاقطاعيين ، واجتمع واياهم فى قاعة مجلس الوزراء مما شجعهم على اقامة العقبات فى سبيل قانون الاصلاح الزراعى(٥٤) .

واعلنت (المقطم) تأييدها لقانون الاصلاح الزراعى الذى اصدرته وزارة محمد نجيب ، وقالت انه أنصف « أصحاب الاراضى الواسعة لأنه حول ثرواتهم من اموال محبوسة فى الأرض الى اموال مطلقة لهم حق استغلالها فى مشروعات صناعية وتجارية اكثر ربحا من ايجار الأرض » « ولقد أنصفهم ايضا لأنه انتذهم من انفسهم ، اذ هيأ لهم مجالا ينفقون فيه أوقاتهم فى عمل منتج يعود عليهم وعلى امتهم بالخير والرفاهية »(٥٥) .

وقد حرصت (المقطم) على التذكير بسياستها « الوطنية » ، وكان منبع هذا الحرص الموقف العدائى الذى وقفته القيادة الثورية الجديدة ازاءها ، فقد أشارت أن سياستها منذ بدا يشرف عليها

لفيف من المحررين « المصريين الوطنيين الفلاحين الصميمين » تتركز فى « التفكير فى المصلحة العامة »(٥٦) . وكان هذا الفريق من العاملين فى الصحيفة قد تولى ادارتها وقيادة العمل فيها ، بعدما آلت ملكية مؤسسة المقطم والمقتطف الى الدكتور فارس نمر ، حيث تمكن الدكتور نمر من الفاء الحكم الذى صدر فى دعوى بعض الشركاء بتصفية المؤسسة ، وكتبت (المقطم) تقول : انه « نظرا لحالة حضرة صاحب السعادة الدكتور فارس نمر باشا الصحية ، يعلن أصحاب امتياز (المقطم) و (المقتطف) أنهم قد عهدوا باصدارها وتولى شئون هذه المؤسسة وسياستها العامة ، الى فريق من أبناء هذه المؤسسة الذين ربوا على العمل فيها من أول مارس ١٩٥١ ، وبذلك اصبحت مسئولية العمل من هذا التاريخ على عواتقهم »(٥٧) .

كما اشارت (المقطم) الى قيام وفد من اسرة تحريرها بزيارة محمد نجيب فى داره بحلمية الزيتون « وقد خرج اعضاء اسرة (المقطم) من هذه الزيارة ، وقد زاد ايمانهم العميق بأسرار هذه المظمة النادرة التى قل أن يذكر التاريخ لها مثيلا ، وهى عظمة يوشيها التواضع الجم والخلق الرضى ، باطار من المجد الخالد »(٥٨) . ونشرت صورة لمحمد نجيب ، للمرة الأولى ، ضمن موضوع عنوانه « حياة اللواء محمد نجيب وأعماله ، جندى باسل لا يهاب »(٥٩) . وقامت بتغطية رحلاته لأقاليم البلاد للتعرف على مطالب الجماهير ، وقالت انه « حاكم شعبى لا هدف له الا مواطنوه »(٦٠) .

ولكن الصحيفة تضعف فى تحريرها واخراجها ، وكانت تصدر فى اربع صفحات ، واختفت منها العديد من الابواب والزوايا والتعليقات واسماء المحررين والكتاب ، وبدا انها مقبلة على التوقف

بصفة نهائية ، فكان عددها الأخير فى ١١ نوفمبر ١٩٥٢ ، هذا من الناحية الفعلية ، اما من الناحية الرسمية ، فقد صدر قرار الغائها من وزير الارشاد القومى صلاح سالم بتاريخ ١٩٥٤/٥/٢٦ ، وهو القرار رقم ٦٤ لسنة ١٩٥٤ « باثبات عدم انتظام صحيفة المقطم واعتبار الاخطار المقدم عن اصدارها كأن لم يكن ، تطبيقا للمادة ١٨ من قانون المطبوعات رقم ٢٠ لسنة ١٩٣٦ »(٦١) .

اما لماذا توقفت (المقطم) ، بعد أربعة وستين عاما من صدورها ، فان هذا السؤال يقودنا للحديث عن علاقة المقطم بثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، وقد روى الأستاذ (وديع فلسطين) قصة هذه العلاقة ، فقال : عندما قامت الثورة حاولنا أن نؤخر صدور عدد (المقطم) فى ذلك اليوم للتعرف على ابعاد هذه الحركة ، ولكن لم نستطيع أكثر من نشر البيان الذى طلبت قيادة الجيش نشره فقط ، وعلى أية حال فقد كنا مترددين فى نشر أخبار الحركة لأننا كنا نخشى أن تفشل فنتعرض للعقاب الصارم ، وكانت هناك احتمالات عديدة فى الموقف لأننا لم نكن نعرف شيئا أكثر من ظاهر الأمور والأحداث ، حتى نتصرف على ضوء هذه المعرفة ، ولكننا قررنا متابعة أخبار الحركة كعمل صحفى ، ثم بدأنا بتأييد كل ما يصدر عنها . وقد استقبلناها بأمل . وقمنا بكتابة المقالات التوجيهية عن التطهير والاصلاح والغاء الألقاب . ولكن ما استقر الحكم بيد القيادة الجديدة حتى بدأت تكشر لنا ، كنا نرسل مندوبنا الى مجلس قيادة الثورة فيمنع من الدخول ، وكنا فى الوقت نفسه نخشى أن نلام لعدم النشر ، فنضطر الى متابعة الأخبار عن طريق المندوبين الآخرين فى الصحف ، ثم أوقفت الثورة جميع المساعدات المادية والأدبية عن الصحيفة ، ومن ذلك الاعلانات الحكومية ، فكانت هذه ضربة قاصمة (للمقطم) التى كانت تشكل هذه المساعدات قسما أساسيا من ايراداتها ، وبدأت معاناة حقيقية ، وقام وفد من

المؤسسة بزيارة اللواء محمد نجيب فى منزله ، وذلك اشفاقا على علاقتنا بالثورة ، وشرح له الوفد ظروف المؤسسة وموقف (المقطم) التى يعمل فيها مواطنون لديهم أسر وعائلات ، وليس من مصلحة الثورة تضييق الخناق عليهم . ومحمد نجيب رجل طيب ولكنه لم يكن صاحب الأمر والنهى . ثم بدات الرقابة العسكرية تتصل بنا باستمرار ويبدى افرادها عدم رضاهم عن مقالات وديع فلسطين ، ويقولون انها مقالات سخيفة ، وكانت تعالج المسائل الداخلية وتناقش توجيهات عامة ، تتفق واهداف البلاد ومصالحها ، وقد انصرفنا الى الكتابة فى السياسة الدولية الخارجية فبداوا يقولون انتم لستم فى البلد ! وقال أحدهم على التليفون انه سيحضر بدبابة ليمتقل وديع فلسطين . وقد اعتقلت بالفعل لمدة ثلاثة أيام لم يوجه لى فيها اى اتهام وافرج عنى بدون محاكمة وماتت القضية . وقد ادركت أن ذلك انما يهدف لدفعى الى العزلة وتهديدى فى العمل والكتابة ، واصابة الصحيفة بالشلل ، لأن المقالات كانت عنصرا مهما فيها ، وكانت النتيجة الطبيعية لذلك كله .. التوقف(٦٢) .

هوامش الفصل الثامن

(١) يونان لبيب ، تاريخ الوزارات المصرية ، ص ٥١٤ .

(٢) محمد أنيس والسيد رجب حراز ، التطور السياسى للمجتمع المصرى الحديث ، ص ٢٢٠ .

(٣) المقطم ٢٩ يناير ١٩٥٢ .

(٤) المقطم ٣٠ يناير ١٩٥٢ .

(٥) المقطم ٣١ يناير ١٩٥٢ .

(٦) المقطم ١ فبراير ١٩٥٢ .

(٧) موسى صبرى ، قصة ملك و ٤ وزارات ، دار القلم ، القاهرة ، ١٩٦٤ ، ص ٧٧ ، ٧٨ .

(٨) المقطم ٢ فبراير ١٩٥٢ — وديع فلسطين .

(٩) المقطم ١٥ فبراير ١٩٥٢ — وديع فلسطين .

(١٠) المقطم ٢٦ فبراير ١٩٥٢ .

(١١) المقطم ٢٩ فبراير ١٩٥٢ — وديع فلسطين .

(١٢) موسى صبرى ، قصة ملك و ٤ وزارات ، ص ٨٤ .

(١٣) طارق البشرى ، الحركة السياسية فى مصر ٤٥ — ١٩٥٢ ، ص ٥٦٩ .

(١٤) محمد انيس والسيد رجب حراز ، التطور السياسى للمجتمع المصرى الحديث ، ص ٢٣٢ .

(١٥) المقطم ٣ مارس ١٩٥٢ .
(١٦) المقطم ٦ مارس ١٩٥٢ — وديع فلسطين .
(١٧) المقطم ٧ مارس ١٩٥٢ — وديع فلسطين .
(١٨) المقطم ٩ ابريل ١٩٥٢ — وديع فلسطين .
(١٩) المقطم ١١ ابريل ١٩٥٢ .
(٢٠) المقطم ٢٢ ابريل ١٩٥٢ —انطون نجيب مطر .
(٢١) المقطم ٢٤ ابريل ١٩٥٢ — انطون نجيب مطر .
(*) عندما قلت للأستاذ مطر انكم ظللتم تكيلون المديح للملك حتى أيامه الاخيرة ذكرنى بهذا التعليق ، وقال انه كان هجوما على العهد كله ، على الملك وغيره ، وتساءل قائلا : ألا يكون الهجوم هجوما الا اذا قاد الى السجن ؟ وقال ان الهلالى اتصل معاتبا على هذا الأسلوب فأجبناه قائلين انكم لا تعرفون ما يدور فى البلد ، ستقوم فى البلد ثورة وأنتم تعيشون فى ابراجكم العاجية .
(٢٢) المقطم ٢٦ مايو ١٩٥٢ — وديع فلسطين .
(٢٣) المقطم ٢٩ مايو ١٩٥٢ .
(٢٤) المقطم ٣١ مايو ١٩٥٢ — وديع فلسطين .
(٢٥) المقطم ١ يوليو ١٩٥٢ .
(٢٦) يونان لبيب ، تاريخ الوزارات المصرية ، ص ٥٢٣ .
(٢٧) موسى صبرى ، قصة ملك و ٤ وزارات ، ص ١٤٢ .
(٢٨) طارق البشرى ، الحركة السياسية فى مصر ٤٥ — ١٩٥٢ ، ص ٥٧٨ .
(٢٩) المقطم ٥ يوليو ١٩٥٢ .
(٣٠) يونان لبيب ، تاريخ الوزارات المصرية ، ص ٥٢٥ .
(٣١) عبد الرحمن الرافعى ، مقدمات ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، ص ١٤٨ ، ١٤٩ .
(٣٢) المقطم ٢٢ يوليو ١٩٥٢ .
(٣٣) Vatikiotis, P.J., The Egyptian Army in politics, Indiana University Press, 1961, P. 45.
(٣٤) محمد انيس والسيد رجب حراز ، التطور السياسى للمجتمع المصرى الحديث ، ص ٢٣٦ .
(٣٥) راشد البراوى ، حقيقة الانقلاب الأخير فى مصر ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٢ ، ص ٢٢٠ ، ٢٢١ .
(٣٦) المقطم ٢٢ يوليو ١٩٥٢ .

(٣٧) المقطم ٢٤ يوليو ١٩٥٢ — وديع فلسطين .
(٣٨) المقطم ٢٥ يوليو ١٩٥٢ — وديع فلسطين .
(٣٩) المقطم ٢٥ يوليو ١٩٥٢ .
(٤٠) المقطم ٢٦ يوليو ١٩٥٢ .
(٤١) المقطم ٢٩ يوليو ١٩٥٢ .
(٤٢) المقطم ٣٠ يوليو ١٩٥٢ .
(٤٣) المقطم ٣١ يوليو ١٩٥٢ .
(٤٤) المقطم ٣١ يوليو ١٩٥٢ — وديع فلسطين .
(٤٥) المقطم ٢ اغسطس ١٩٥٢ .
(٤٦) المقطم ٤ اغسطس ١٩٥٢ — وديع فلسطين .
(٤٧) المقطم ٦ اغسطس ١٩٥٢ — وديع فلسطين .
(٤٨) المقطم ٧ اغسطس ١٩٥٢ .
(٤٩) المقطم ١١ اغسطس ١٩٥٢ .
(٥٠) المقطم ١٥ اغسطس ١٩٥٢ .
(٥١) المقطم ١٩ اغسطس ١٩٥٢ .

(*) اصدرت محكمة الثورة على كريم ثابت حكما بالاشغال الشاقة المؤبدة ، ومصادرة كل ما زاد من أمواله وممتلكاته وأموال وممتلكات زوجته على ما كانا يملكانه قبل ٢٧ مايو ١٩٤٦ ، ولكن أفرج عنه صحيا (الرافعى ، ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، ص ٩٨) .

(٥٢) المقطم ٢٠ اغسطس ١٩٥٢ — وديع فلسطين .
(٥٣) المقطم ٢٦ اغسطس ١٩٥٢ — وديع فلسطين .
(٥٤) عبد الرحمن الرافعى ، ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٩ ، ص ٤٦ ، ٤٧ .
(٥٥) المقطم ١٨ سبتمبر ١٩٥٢ .
(٥٦) المقطم ٣ سبتمبر ١٩٥٢ .
(٥٧) المقطم ٢٦ فبراير ١٩٥١ .

(*) قال لى الاستاذ وديع فلسطين — يوم ٢ مايو ١٩٨٠ — ان هذا الفريق الذى عهد اليه بادارة المؤسسة كان يتألف من ثمانية أشخاص هم : أنطون مطر ، مصطفى الحكيم ، فريد مكاريوس ، فريد قربه ، وديع فلسطين ، سبيرو جسرى ، فهمى

عوض الله ، وجرجس يوسف .

(٥٨) المقطم ١٩ سبتمبر ١٩٥٢ .

(*) قال لى الاستاذ انطون نجيب مطر ، فى لقائى معه فى يوم ٦ مايو ١٩٨٠ ، انه قام بزيارة محمد نجيب بمفرده ، وقد كان بينهما معرفة سابقة على الثورة ، وانه قال لمحمد نجيب : يقولون ان الجريدة انجليزية ، وانا اقول لا ، انها صحيفة مصرية وتسير فى الخط الوطنى ، ونحن مصريون ليس لنا صلة بالانجليز ، وماضينا ناصع البياض ، ونحن واثقون من موقفنا ، وأن محمد نجيب أجابه بأنه يثق فى كلامه ربأن كل ما يقوله صحيح ، ولكن ، يضيف الأستاذ مطر ، الأمر لم يكن كما هو معـــروف بيد محمد نجيب .

(٥٩) المقطم ٢٠ سبتمبر ١٩٥٢ .

(٦٠) المقطم ٢٩ سبتمبر ١٩٥٢ .

(٦١) ملف صحيفة المقطم بادارة المطبوعات بالهيئة العامة للاستعلامات ، القاهرة .

(٦٢) حديث شخصى مع الاستاذ وديع فلسطين فى ٢ مايو ١٩٨٠ .

الخاتمـــة

لم تتوقف صحيفة (المقطم) لحظة واحدة عن اداء الدور الذى رسم لها فى الدعاية للاحتلال الانجليزى واهدافه ومخططاته .
ولم تتخل عن خطتها السياسية ومنهجها الدعائى برغم كل ما تعرضت له من الاتهامات وصيحات الاستنكار المختلفة من جانب الصحافة والقوى الوطنية .

ولم تخف (المقطم) سياستها ، بل اعتدت بها ودافعت عنها وبررتها ، واعتبرتها « السياسة الفائزة » . ودعت المصريين الى اتباعها . وسعدت بالتقائها مع المنتفعين بالاحتلال على نفس الطريق ونفس الهدف وحول نفس السياسة .

ولم تتوقف (المقطم) عن محاربة الحركة الوطنية فى مراحلها المختلفة ، وكانت عونا للوزارات المتعاقبة فى سياساتها القمعية ضد الحركة الوطنية وصحافتها .

وتحدت الرأى العام المصرى ومشاعره يوم (دنشواى) .
ورأت فى اعدام الفلاحين جزاء عادلا بل هو اقل مما يستحقونه .

وفتحت صدر صفحاتها للحزب الوطنى الحر الذى انشأه محمد وحيد ، مضادا للحزب الوطنى الذى يرأسه مصطفى كامل . وكان

الحزب الحر احتلاليا يسبح بحمد الانجليز ويعتبر احتلالهم لمصر منبعا للخير والسعادة والحرية والعدالة .

وعندما تقع الحرب العالمية الأولى ، فان (المقطم) تهيب بالمصريين أن يهبوا للقتال الى جانب بريطانيا ، اعترافا بجميل الدولة المحتلة فى اصلاح البلاد ونشر رايات العدل والحرية فى ربوعها .

وعندما تعلن الحماية البريطانية على مصر ، التى دعمت اركان الاحتلال والفت الخديوية ، فان (المقطم) تبتهج لهذا الحدث وتهلل له ، وتعتبره اكبر نعمة تحل لخير مصر والمصريين .

وعندما استيقظت مصر ، وخرجت تطالب بالحرية والاستقلال فى ثورة ١٩١٩ ، التى شارك فيها الشعب بمختلف فئاته ، فان هذه الثورة لم تكن بالنسبة (للمقطم) سوى مظاهرات يقوم بها الغوغاء والرعاع . وصبت جام غضبها على المتظاهرين ، ووصفت حركتهم بانها فتنة تتعرض لها البلاد ونكبة كبرى تودى بمصالحها ومرافقها . وكانت (المقطم) بأسلوبها هذا ، منسجمة مع نهجها السياسى المعروف بتأييد الاحتلال ومشاريعه وخططه ، الذى يعتبر أن مصر غير جديرة بالاستقلال الذى سبق أن نادت به الحركة الوطنية المصرية ممثلة بالحزب الوطنى الذى انشاه مصطفى كامل وخلفه فى قيادته محمد فريد .

ولعل (المقطم) لم تكن مهياة فى سنة ١٩١٩ ، لهذا التحول الثورى الذى نجم عن انفجار سخط الجماهير وغضبها وانطلاق ثورتها واتخاذها ابعادا لم تكن فى حسبان أحد .

ولكن هذه المفاجأة سرعان ما تبددت ، عندما اتسع نطاق الثورة ، وبدأت تجبر بريطانيا على تسجيل التراجعات أمامها ،

الأمر الذى جنح (بالمقطم) نحو تعديل أســــــاليبها فى معالجاتها السياسية لتطور الأحداث والتعامل مع القضية المصرية بروح يختلف الى حد كبير عما كان عليه الوضع قبل الثورة ، وجعلها تعلن انها ترى نفسها ملزمة بهذا التعديل انسجاما مع النتائج التى فرضتها الأحداث ، وبانها ستقف فى صف مطالب مصر وأمانيها القومية ، ومادامت مصر قد اختارت هذا الطريق الذى تضع فيه مصلحتها ومستقبلها فى أيدى أبنائها ، بعدما كانت فى أيدى البريطانيين . ومن ثم ظهرت فى مقالاتها وتعليقاتها تعبيرات وكلمات لم تكن واردة من قبل عن الأمة المصرية والقضية المصــــــرية والأمانى القومية والاستقلال والنهضة .

ولكنها فى هذه المرحلة المبكرة من عمر الثورة ، لم تضع كل ثقلها الى جانب حركة الجماهير ، فقد أبدت تحفظها فى كثير من المواقف ، وأكدت حرصــــها على نبذ العنف والتطرف فى مواجهة البريطانيين ، واستنكرت محاولات اغتيال ضباطهم وجنودهم . كما استنكرت محاولات الاعتداء على حياة السياسيين المعتدلين من المصريين ، الذين سعت بريطانيا الى تشجيعهم ودعمهم فى مواجهة الوفد المصرى بزعامة سعد زغلول ، الذى اعتبرته بريطانيا مصدرا للتطرف واثارة الاضطراب وسببا فى احباط المشاريع البريطانية التى رأى الوفد انها ليست فى مستوى طموحات المصريين وتطلعاتهم .. وكانت (المقطم) ، وقتئذ ، تعزف على نغمة الاعتدال ودور عقلاء الأمة فى السعى لكسب صداقة بريطانيا وعدم اللجوء الى الاغتيالات التى تشوه قدسية القضية المصرية . وكانت بذلك تعكس السياسات البريطانية التى ركزت منذ البداية على ابراز الزعامات المصــــرية المعتدلة وتأييدها واعتبارها ممثلة للشعب المصرى ، فى محاولة منها لمحاصرة الوفد واضعاف نفوذه وشعبيته فى صفوف الجماهير .

وقد جعل التزام (المقطم) الثابت والمستمر بالحرص على علاقة بريطانيا بمصر تأخذ جانب الوزارات المصرية ، التى تصل الى دست الحكم باختيار الانجليز ، او باختيار السراى عندما كان تحالف السراى والانجليز حقيقة واقعة .

وهذا الحرص على دفع العلاقات المصرية ــ البريطانية نحو الصيغ المقبولة ، كان باعثا للصحيفة لكى تؤيد بكل قوة سياسة التفاوض المباشر بين مصر وبريطانيا فى كل مراحل المفاوضات وبصرف النظر عن شخصية المفاوض المصرى . وكانت تعتبر كل نجاح تحرزه المفاوضات وتتقدم به العلاقات نجاحا لسياستها وافكارها التى كانت تتحدث دائما عن امكانية التوفيق بين استقلال مصر والمصالح البريطانية فيها واعتبار كسب بريطانيا لصداقة مصر خير سياج يحمى المصالح البريطانية نفسها .

ودابت (المقطم) ابان الأزمات العنيفة التى حدثت بين مصر وبريطانيا ، على السعى لايجاد المخرج المناسب من هذه الأزمات بالدعوة الى البحث عن نقاط الاتفاق وازالة سوء الفهم ، والحرص على معالجة المشكلات المثارة بروح الرغبة فى التفاهم واسلوب الملاينة وضبط النفس ودعوة العقلاء من الجانبين للتدخل بالصيغ التوفيقية ، ولاسيما اذا كانت هذه الأزمات فى عهد الحكومات المصرية التى تعتقد (المقطم) أن وجودها فى قمة السلطة يخدم قضية التفاهم وتحسين العلاقات مع بريطانيا .

وقد رحبت (المقطم) بمعاهدة ١٩٣٦ التى سميت بمعاهدة الصداقة والتحالف واطلق عليها النحاس باشا معاهدة الشرف والاستقلال ، ووجدت فيها نجاحا باهرا لمنطلقاتها السياسية ودعواتها المتكررة لوضع العلاقات المصرية ــ البريطانية فى اطار واضح يؤمن لمصر استقلالها ولبريطانيا مصالحها .

واخذت (المقطم) فى المرحلة التى تلت توقيع المعاهدة تشيد بالنحاس وزعامته وتاريخه الوطنى ونجاحاته السياسية وتقف الى جانبه فى الصراع الذى شهدته البلاد بين القصر والوفد ، وان كانت قد حرصت على التوفيق بين الطرفين ، سعيا لبقاء الوفد فى الحكم، نظرا لما يعنيه ذلك من القدرة على التنفيذ الدقيق لبنود المعاهدة .

وعندما كانت الحياة الدستورية تتعرض للأزمات العنيفة التى تحول دون استمرارها ، ويثور التساؤل حول الموقف البريطانى منها ، كانت (المقطم) تتولى تقديم تفســـــير الموقف البريطانى ، ولاسيما عندما يكون هذا الموقف متسما بالحياد وعدم التدخل ، وهو حياد قصد به دائما ، جعل القوى الوطنية المصرية تتصارع فيما بينها ، بما يؤدى الى ضعفها جميعا وشغلها عن مواجهة بريطانيا بالمسائل المعلقة بين الجانبين ، وانجاز الاستقلال الوطنى ، واجلاء قوات الاحتلال . وكانت (المقطم) تشير دائما الى انها تقوم بالقاء الأضواء على الموقف البريطانى ردا على ما يرد اليها من تساؤلات القراء ، وبأنها تستقى الاجابات من المصادر البريطانية الموثوقة فى دار المندوب السامى ، بما يوحى بقربها من هذه المصادر ، وبأنها قادرة دائما على بسط الموقف البريطانى على حقيقته .

ويقودنا الحديث عن الحياة الدستورية الى موقف (المقطم) من الدستور والحكم الدستورى . فقد رحبت (المقطم) دائما بالحياة الدستورية والنيابية وبالمبادىء الدستورية كنموذج يليق بأمة متحضرة كالأمة المصرية ، وصيغة متقدمة تحدد العلاقات بين الهيئات الحاكمة والهيئات المحكومة . وكانت تبدى أسفها لكل اعتداء يقع على الحياة الدستورية ، بما يتيح المجال للاضطراب السياسى ، وذلك فور وقوع الاعتداء فقط ، ولكنها بعد أن ان تأخذ الحياة السياسية مجراها بعد ذلك ، لم يكن يعنيها كثيرا من الذى يتربع فى دست الحكم ،

فالبرلمان هو البرلمان سواء كان منتخبا انتخابا حرا أو مزيفا ..
والدستور هو الدستور سواء كان دستور ١٩٢٣ أو دستور صدقى عام ١٩٣٠ ، وما على القائمين بالأمر الا اداء واجباتهم نحو البلاد والسعى لاستقرار الأوضاع الاقتصادية والمعيشية لأهلها .

أما موقف (المقطم) من الحرب العالمية الثانية ، فقد كانت فى كل ما كتبته فى غمرة هذه الحرب ، تدعو لقضية الحلفاء ونصرة بريطانيا وتوفير أسباب النصر ، وتوظيف كافة عناصر السياسة الداخلية المصرية فى خدمة أهداف الحرب ، حتى لو كانت على حساب استقلال البلاد ، كما حدث عندما فرض السفير البريطانى على القصر وزارة النحاس فى حادثة ٤ فبراير . وكان النصر النهائى للحلفاء مبعث سعادة كبرى (للمقطم) وهى ترى توقعاتها تتحقق ، مما جعل صاحبها الدكتور فارس نمر يذكر بصواب السياسة التى سارت عليها (المقطم) منذ صدورها ، ويحمد الله على أن أحياه حتى يرى ثمار غرسه فى حقل سياسة الصداقة والتعاون بين مصر وبريطانيا .

وقد اتجهت (المقطم) بعد الحرب بكل ثقلها الى القصر ، والتعبير عن سياسته ورغباته ، ولاسيما بعد أن ابتعدت أصابع الانجليز عن تحريك كل صغيرة وكبيرة فى البلاد بعد أن تحقق الانتصار الحلفاء ، وتأكدت صداقة الملك فاروق للانجليز ، وترك اللورد كيلرن منصبه فى مصر ، واصبح الوقت مهيا لمراجعة شاملة للعلاقات المصرية البريطانية بعد الحرب . كما كان للصداقة التى جمعت كريم ثابت رئيس تحرير (المقطم) بالملك فاروق ، وجعلته صحفيا مقربا من القصر ، ثم مستشارا صحفيا للملك ، دورها فى أن تأخذ علاقة (المقطم) بالقصر ، هذا الشكل الجديد من الولاء والتأييد للملك ، الذى أصبح القوة الوحيدة المسيطرة فى البلاد ..

وذلك قبل أن تهتز هذه الصورة بالفوضى السياسية التى أعقبت الهزيمة العسكرية فى حرب فلســـــطين ، وما تبعها من مواجهات قاسية مع الجماعات والتنظيمات السياسية ، وعلى راسها الاخوان المسلمون ، الذين شن القصر ضدهم حملة مطاردة شرسة فى أعقاب مقتل حكمدار بوليس العاصمة والنقراشى باشا . علما بأن (المقطم) كانت فى غمرة هذه الأحداث الساخنة تؤكد أستمرار ولائها للقصر ، والتغنى بحكمته وديموقراطيته ، برغم ما كانت تشنه بعض الصحف الحزبية ضد الفساد والتجاوزات التى شهدتها البلاد ، ابان عهد حكومة الوفد الأخيرة التى حاول القصر بتحالفه معها جعلها سياجا يحمى تصرفاته وسوء مسلكه ، وعدم انضباط رجال حاشيته، هذه التجاوزات والتصرفات التى وجدت فيها الصحافة الحزبية كصحافة مصر الفتاة والحزب الوطنى ، حقلا خصبا للهجوم المرير على الوزارة الوفدية والحاشية الملكية . وامتدت فى بعضها لتشمل الملك نفسه الأمر الذى أدى الى تقديم عدد من الصحفيين الى المحاكم بالتهمة التى عرفت « بالعيب فى الذات الملكية » والتى رات (المقطم) فيها أمرا تجب مقاومته وعدم السكوت عليه ، واستغربت أن يوجد من يفكر بالهجوم على « مسند الملكية » فى نفس الوقت الذى نصبت فيه من نفسها مدافعا عن وزارة النحاس الاخيرة وانجازاتها ، ومهاجمة منتقديها . وقد ظل ولاء (المقطم) للقصــــــر حتى ايامه الأخيرة برغم خروج كريم ثابت من رئاسة تحريرها فى عام ١٩٤٩ .

ولكن هذه الحقيقة التى تميزت بها علاقات (المقطم) بالقصر تختلف عن الصورة التى انتهت اليها علاقات (المقطم) بالانجليز فى السنوات الثلاث الأخيرة من عمرها . ولعل الأسباب التى تفسر هذا التغيير كثيرة ، منها ما هو داخلى يتعلق باوضاع الصحيفة نفسها ، ومنها ما هو خارجى يتعلق بنضوج الحركة الوطنية وتطور وسائلها ، واتجاهها نحو استشراف آفاق جديدة فى الكفاح لنيل

الحقوق الوطنية . اما بالنسبة للصحيفة نفسها ، فقد رفع الدكتور فارس نمر احد مؤسسيها وموجه سياستها طيلة ستين عاما من عمرها ، رفع يده عن ادارتها وتحريرها وعهد بذلك الى فريق من العاملين فيها الذين راوا المضى بسياستها بما يتفق مع نمو الروح الوطنى فى البلاد ، لاسيما ان هذا التغيير تزامن مع التغيير السياسى الذى شهدته البلاد بالغاء معاهدة ١٩٣٦ واللجوء الى الكفاح الفدائى المسلح لمقاومة الوجود البريطانى غير الشرعى على ضفاف القناة . وكان موقف المقطم فى اثناء هذا الكفاح مصريا وطنيا .

ولكن هذه الوقفة الوطنية المتاخرة للمقطم لم تشفع لها امام القيادة الثورية الجديدة لحركة الجيش عام ١٩٥٢ ، التى واجهت الصحيفة بمواقف واجراءات كان مفهوما منها ان عليها أن تغلق أبوابها وتتوقف عن الصدور بعد أربع وستين سنة متصلة وبدا ان رجال الثورة بموقفهم هذا من (المقطم) قد حاكموا تاريخها ، ولم يمنحوا لانفسهم الوقت لقراءة حاضرها وانفعالها بظهورهم على مسرح السياسة المصرية .

الصفحة

الفصـــل السابع :

القسم الثانى :

الفصـــل الأول :

الفصـــل الثانى :

الفصـــل الثالث :

الفصـــل الرابع :

الفصـــل الخامس :

الفصـــل السادس :

الفصـــل السابع :

الفصـــل الثامن :

صدر فى هذه السلسلة :

١٣ ـ أكذوبة الاستعمار المصرى للسودان : رؤية تاريخية ،
د. عبد العظيم رمضان ، ط ١ ، ١٩٨٨ ، ط ٢ ، ١٩٩٤

١٤ ـ مصر فى عصر الولاة ، من الفتح العربى الى قيــام الدولة الطولونيــة ،
د. سيدة اسماعيل كاشف ، ١٩٨٨

١٥ ـ المستشرقون والتاريخ الاسلامى ،
د. على حسنى الخربوطلى ، ١٩٨٨

١٦ ـ فصول من تاريخ حركة الاصلاح الاجتماعى فى مصر : دراسة عن دور الجمعية الخيرية (١٨٩٢ ـ ١٩٥٢) ،
د. حلمي أحمد شلبى ، ١٩٨٨

١٧ ـ القضاء الشرعي فى مصر فى العصر العثمانى ،
د. محمد نور فرحات ، ١٩٨٨

١٨ ـ الجوارى فى مجتمع القاهرة المملوكية ،
د. على السيد محمود ، ١٩٨٨

١٩ ـ مصر القديمة وقصة توحيد القطرين ،
د. احمد محمود صابون ، ١٩٨٨

٢٠ ـ دراسات فى وثائق ثورة ١٩١٩ : المراســلات السريــة بين سعد زغلول وعبد الرحمن فهمى ،
د. محمد أنيس ، ط ٢ ، ١٩٨٨

٢١ ـ التصوف فى مصر ابان العصر العثمانى ، ج ١ ،
د. توفيــق الطويل ، ١٩٨٨

٢٢ ـ نظرات فى تاريخ مصر ،
جمــال بدوى ، ١٩٨٨

٢٣ ـ التصوف فى مصر ابان العصر العثمانى ، ج ٢ ، امام التصوف فى مصر : الشعرانى ،
د. توفيــق الطويل ، ١٩٨٨

٢٤ ـ الصحافة الوفدية والقضايا الوطنية (١٩١٩ ـ ١٩٣٦) ،
د. نجـوى كامـل ، ١٩٨٩
٢٥ ـ المجتمع الاسـلامى والغرب ،
تاليف : هاملتون جب وهارولد بوون ، ترجمة : د. أحمد عبد الرحيم مصطفى ، ١٩٨٩
٢٦ ـ تاريخ الفكر التربوى فى مصر الحديثة ،
د. سعد اسماعيل على ، ١٩٨٩ .
٢٧ ـ فتح العرب لمصر ، ج ١ ،
تأليف : الفريد ج. بتلر ، ترجمة : محمد فريد أبو حديد ١٩٨٩
٢٨ ـ فتح العرب لمصر ، ج ٢ ،
تأليف : الفريد ج. بتلر ، ترجمة : محمد فريد أبو حديد ١٩٨٩
٢٩ ـ مصر فى عصر الاخشيديين ،
د. سيدة اسماعيل كاشف ، ١٩٨٩
٣٠ ـ الموظفون فى مصر فى عصر محمد على ،
د. حلمى أحمد شلبى ، ١٩٨٠
٣١ ـ خمسون شخصية مصرية وشخصية ،
شـكرى القاضى ، ١٩٨٩
٣٢ ـ هؤلاء الرجال من مصر ، ج ٢ ،
لمعى المطيعى ، ١٩٨٩
٣٣ ـ مصر وقضـايا الجنوب الأفريقى : نظرة على الأوضـاع الراهنة ورؤية مستقبلية ،
د. خالد محمود الكومى ، ١٩٨٩
٣٤ ـ تاريخ العلاقات المصرية المغربية ، منذ مطلع العصور الحديثة حتى عام ١٩١٢ ،
د. يونان رزق ، محمد مزين ، ١٩٩٠

٣٥ ـ اعلام الموسيقى المصرية عبر ١٥٠ سنة ،
عبد الحميد توفيق زكى ، ١٩٩٠

٣٦ ـ المجتمع الاسلامى والغرب ، ج ٢ ،
تاليف : هاملتون بووين ، ترجمة : د٠ احمد عبد الرحيم مصطفى ، ١٩٩٠

٣٧ ـ الشيخ على يوسف وجريدة المؤيد : تاريخ الحركة الوطنية فى ربع قرن ،
د٠ سليمان صالح ، ١٩٩٠

٣٨ ـ فصول من تاريخ مصر الاقتصادى والاجتماعى فى العصر العثمانى ،
د٠ عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم ، ١٩٩٠

٣٩ ـ قصة احتلال محمد على لليونان (١٨٢٤ ـ ١٨٢٧) ،
د٠ جميل عبيد ، ١٩٩٠

٤٠ ـ الأسلحة الفاسدة ودورها فى حرب فلسطين ١٩٤٨ ،
د٠ عبد المنعم الدسوقى الجميعى ، ١٩٩٠

٤١ ـ محمد فريد : الموقف والمأساة ، رؤية عصرية ،
د٠ رفعت السعيد ، ١٩٩١

٤٢ ـ تكوين مصر عبر العصور ،
محمد شفيق غربال ، ط ٢ ، ١٩٩٠

٤٣ ـ رحلة فى عقول مصرية ،
ابراهيم عبد العزيز ، ١٩٩٠

٤٤ ـ الأوقاف والحياة الاقتصادية فى مصر فى العصر العثمانى ،
د٠ محمد عفيفى ، ١٩٩١

٤٥ ـ الحروب الصليبية ، ج ١ ،
تاليف : وليم الصورى ، ترجمة وتقديم : د٠ حسن حبشى ، ١٩٩١

٤٦ ـ **تاريخ العلاقات المصرية الأمريكية (١٩٣٩ ـ ١٩٥٧) ،**
ترجمة : د. عبد الرؤوف أحمد عمرو ، ١٩٩١

٤٧ ـ **تاريخ القضاء المصرى الحديث ،**
د. لطيفة محمد سالم ، ١٩٩١

٤٨ ـ **الفلاح المصرى بين العصر القبطى والعصر الاسلامى ،**
د. زبيـدة عطـا ، ١٩٩١

٤٩ ـ **العلاقات المصرية الاسرائيلية (١٩٤٨ ـ ١٩٧٩) ،**
د. عبد العظيم رمضان ، ١٩٩٢

٥٠ ـ **الصحافة المصرية والقضايا الوطنية (١٩٤٦ ـ ١٩٥٤) ،**
د. سـهير اسـكندر ، ١٩٩٣

٥١ ـ **تاريخ المدارس فى مصر الاسلامية ،**
(ابحاث الندوة التى اقامتها لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقافـة ، فى ابريـل ١٩٩١) أعـدها للنشر :
د. عبد العظيم رمضان ، ١٩٩٢

٥٢ ـ **مصر فى كتابات الرحالة والقناصـل الفرنسيين ، فى القرن الثامن عشر ،**
د. الهام محمد على ذهنى ، ١٩٩٢

٥٣ ـ **اربعة مؤرخين واربعة مؤلفات من دولة المماليك الجراكسة ،**
د. محمد كمال الدين عز الدين على ، ١٩٩٢

٥٤ ـ **الاقباط فى مصر فى العصر العثمانى ،**
د. محمد عفيفى ، ١٩٩٢

٥٥ ـ **الحروب الصليبية جـ ٢ ،**
تاليف : وليم الصـورى ، ترجمـة وتعليق : د. حسـن حبشى ، ١٩٩٢

٥٦ ـ **المجتمـع الريفى فى عصر محمد على : دراسـة عن اقليم المنوفيـة ،**
د. حلمى أحمد شلبى ، ١٩٩٢

٥٧ ـ **مصر الاسلامية واهل الذمة ،**
د· سيدة اسماعيل كاشف ، ١٩٩٢

٥٨ ـ **احمد حلمى سجين الحرية والصحافة ،**
د· ابراهيم عبد الله المسلمى ، ١٩٩٣

٥٩ ـ **الراسمالية الصناعيـة فى مصر ، من التمصـير الى التاميم (١٩٥٧ ـ ١٩٦١) ،**
د·عبد السلام عبد الحليم عامر ، ١٩٩٣

٦٠ ـ **المعاصرون من رواد الموسيقى العربية ،**
عبد الحميد توفيق زكى ، ١٩٩٣

٦١ ـ **تاريخ الاسكندرية فى العصر الحديث ،**
د· عبد العظيم رمضان ، ١٩٩٣

٦٢ ـ **هؤلاء الرجال من مصر ، ج ٣ ،**
لمعى المطيعى ، ١٩٩٣

٦٣ ـ **موسوعة تاريخ مصر عبر العصور : تاريخ مصر الاسلامية ،**
تأليف :د· سيدة اسماعيل كاشف ، جمـال الدين سرور ، وسعيد عبد الفتاح عاشور ، اعدها للنشر : د· عبد العظيم رمضان ، ١٩٩٣

٦٤ ـ **مصر وحقوق الانسـان ، بين الحقيقة والافتراء : دراسـة وثائقيـة ،**
د· محمد نعمان جلال : ١٩٩٣

٦٥ ـ **موقف الصحافة المصرية من الصهيونية (١٨٩٧ ـ ١٩١٧)،**
د· سـهام نصـار ، ١٩٩٣

٦٦ ـ **المراة فى مصر فى العصر الفاطمى ،**
د· نريمان عبد الكريم احمد ، ١٩٩٣

٦٧ ـ **مساعى السلام العربية الاسرائيلية : الأصول التاريخية ،**
(ابحاث الندوة التى أقامتها لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقافة ، بالاشتراك مع قسم التاريخ بكلية البنات جامعة عين شمس ، فى ابريل ١٩٩٣) ، أعدها للنشر : د· عبد العظيم رمضان ، ١٩٩٣

٦٨ ـ **الحروب الصليبية ، ج ٣ ،**
تأليف : وليم الصورى ، ترجمة وتعليق : د· حسن حبشى ، ١٩٩٣

٦٩ ـ **نبوية موسى ودورها فى الحياة المصرية (١٨٨٦ ـ ١٩٥١) ،**
د· محمد أبو الاسعاد ، ١٩٩٤

٧٠ ـ **أهل الذمة فى الاسلام ،**
تأليف : أ·س· ترتون ، ترجمة وتعليق : د· حسن حبشى ، ط ٢ ، ١٩٩٤

٧١ ـ **مذكرات اللورد كلين (١٩٣٤ ـ ١٩٤٦) ،**
اعداد : تريفور ايفانز ، ترجمة : د· عبد الرؤوف احمد عمرو ، ١٩٩٤

٧٢ ـ **رؤية الرحالة المسلمين للأحوال المالية والاقتصادية لمصر فى العصر الفاطمى (٣٥٨ ـ ٥٦٧ هـ) ،**
امينة احمد امام ، ١٩٩٤

٧٣ ـ **تاريخ جامعة القاهرة ،**
د· رؤوف عباس حامد ، ١٩٩٤

٧٤ ـ **تاريخ الطب والصيدلة المصرية ، ج ١ ، فى العصر الفرعونى،**
د· سمير يحيى الجمال ، ١٩٩٤

٧٥ ـ **أهل الذمة فى مصر ، فى العصر الفاطمى الأول ،**
د· سلام شافعى محمود ، ١٩٩٥

٧٦ ـ **دور التعليم المصرى فى النضـال الوطنى (زمن الاحتـلال البريطـانى) ،**
د٠ سعيد اسماعيل على ، ١٩٩٥

٧٧ ـ **الحروب الصليبية ، ج ٤ ،**
تاليف : وليم الصـورى ، ترجمـة وتعليق : د٠ حسـن حبشى ، ١٩٩٤

٧٨ ـ **تاريخ الصحافة السكندرية (١٨٧٣ ـ ١٨٩٩)**
نعمات أحمد عتمان ، ١٩٩٥

٧٩ ـ **تاريخ الطرق الصوفية فى مصر ، فى القرن التاسع عشر ،**
تأليف : فريـد دى يونج ، ترجمـة : عبد الحميـد فهمى الجمـال ، ١٩٩٥

٨٠ ـ **قنـاة السـويس والتنـافس الاسـتعمارى الأوربى (١٨٨٢ ـ ١٩٠٤) ،**
د٠ السيد حسين جلال ، ١٩٩٥

٨١ ـ **تاريخ السياسة والصحافة المصرية ، من هزيمـة يونيو الى نصر اكتوبر ،**
د٠ رمزى ميخائيل ، ١٩٩٥

٨٢ ـ **مصر فى فجر الاسلام ، من الفتح العربى الى قيـام الدولة الطولونيـة ،**
د٠ سيدة اسماعيل كاشف ، ط ٢ ، ١٩٩٤

٨٣ ـ **مذكراتى فى نصف قرن ، ج ١ ،**
احمد شفيق باشا ، ط ٢ ، ١٩٩٤

٨٤ ـ **مذكراتى فى نصف قرن ، ج ٢ ، القسم الأول ،**
أحمد شفيق باشا ، ط ٢ ، ١٩٩٥

٨٥ ـ **تاريخ الاذاعة المصرية : دراسة تاريخية (١٩٣٤ ـ ١٩٥٢) ،**
د٠ حلمى احمد شلبى ، ١٩٩٥

٨٦ ـ تاريخ التجارة المصرية فى مصر الحرية الاقتصادية (١٨٤٠ ـ ١٩١٤) ،
د٠ أحمد الشربينى ، ١٩٩٥

٨٧ ـ مذكرات اللورد كليرن ، ج ١ ، (١٩٣٤ ـ ١٩٤٦) ،
اعداد : تريفور ايفانز ، ترجمة وتحقيق : د٠ عبد الرؤوف احمد عمرو ، ١٩٩٥

٨٨ ـ التذوق الموسيقى وتاريخ الموسيقى المصرية ،
عبد الحميد توفيق زكى ، ١٩٩٥

٨٩ ـ تاريخ الموانىء المصرية فى العصر العثمانى ،
د٠ عبد الحميد حامد سليمان ، ١٩٩٥

٩٠ ـ معاملة غير المسلمين فى الدولة الاسلامية ،
د٠ نريمان عبد الكريم احمد ، ١٩٩٦

٩١ ـ تاريخ مصر الحديثة والشرق الأوسط ،
تاليف : بيتر مانسفيلد : ترجمة : عبد الحميد فهمى الجمال ، ١٩٩٦

٩٢ ـ الصحافة الوفدية والقضايا الوطنية (١٩١٩ ـ ١٩٣٦) ج ٢ ،
نجوى كامل ، ١٩٩٦

٩٣ ـ قضايا عربية فى البرلمان المصرى (١٩٢٤ ـ ١٩٥٨) ،
د٠ نبيه بيومى عبد الله ، ١٩٩٦

٩٤ ـ الصحافة المصرية والقضايا الوطنية (١٩٤٦ ـ ١٩٥٤) ج ٢ ،
د٠ سهير اسكندر ، ١٩٩٦

٩٥ ـ مصر وافريقيا ٠٠ الجذور التاريخية الافريقية المعاصرة (أبحاث الندوة التى أقامتها لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقافة بالاشتراك مع معهد البحوث والدراسات الافريقية بجامعة القاهرة)
أعدها للنشر د٠ عبد العظيم رمضان

٩٦ ـ عبد الناصر والحرب العربية الباردة (١٩٥٨ ـ ١٩٧٠) ،
تأليف : مالكولم كير ، ترجمة د٠ عبد الرءوف احمد عمرو

٩٧ ـ العربان ودورهم فى المجتمـع المصرى فى النصف الأول من القرن التاسع عشر ،
د٠ ايمان محمد عبد المنعم عامر

٩٨ ـ هيكل والسياسة الأسبوعية ،
د٠ محمد سـيد محمد

٩٩ ـ تاريخ الطب والصـيدلة المصريـة (العصر اليونـانى ـ الرومانى) ج ٢ ،
د٠ سمير يحيى الجمال

١٠٠ ـ موسوعة تاريخ مصر عبر العصور : تاريخ مصر القديمة ،
تأليف : أ٠د٠ عبد العزيز صالح ، أ٠د٠ جمال مختار ،
أ٠ د٠ محمـد ابراهيم بـكر ، أ٠ د٠ ابراهيـم نصحى ،
أ٠ د٠ فاروق القاضى ، اعـدها للنشر : أ٠ د٠ عبد العظيم رمضان

١٠١ ـ ثورة يوليو والحقيقة الغائبة ،
تأليف : اللواء/ مصـطفى عبد المجيـد نصـير ، اللواء/ عبد الحميد كفافى ، اللواء/ سعد عبد الحفيظ ، السفير/ جمال منصور

رقم الإيداع ١٩٩٧/٢٢١٠

I.S.B.N. 977 — 01 — 5081 — 9 الترقيم الدولى

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب
فرع. الصحافة -